



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمران  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# الألف

مَا تَصِفَتْهُ مِنْ تَعَارُفِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَالشَّارِكَةَ الخَلْفَاءَ

تأليف

أبي السائب مولى رسول الله ﷺ كتاب الجوهري

المكلافي الأندلسي

لقد توفي سنة ٤٧١ هـ

تمت

عزقبة القاري عفا

المجلد الأول

تصنيف

بإشراف

دار الكتب العلمية

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الثلاثة الخلفاء

كاتب:

ابوالربيع حميرى كلاعى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٩	الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثلاثة الخلفاء المجلد ١
٩	اشارة
٩	[المقدمة]
٩	اشارة
٩	ترجمة المصنف «١»
٩	اشارة
٩	من مؤلفاته:
١٠	عملنا فى التحقيق
١١	مقدمة المصنف
	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما وكيف طهره الله نفسا و خيما و شرفه حديثا و قديما و ألقى إلى آبائه الأقدمين من الدلائل عا
٢٩	ذكر أولية بيت الله المحرم و ركنه المستلم و من تولى بناءه من ملائكته و أنبيائه صلى الله على جميعهم و سلم
٦٤	ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل
٧٦	ذكر حفر عبد المطلب زمزم و ما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٩٧	ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك
	ذكر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شىء مما سمع من ذلك
١١٩	ذكر المبعث
١٣٥	ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
١٤٣	ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة
١٤٩	ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٦٨	ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
١٧٨	ذكر خروج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف بعد مهلك عمه أبى طالب
١٨٠	ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على قبائل العرب

- ١٨٦ ..... بدء إسلام الأنصار و ذكر العقبة الأولى
- ١٨٨ ..... إسلام سعد بن معاذ و أسيد بن حضير على يدى مصعب بن عمير رضى الله عنه
- ١٩٠ ..... ذكر العقبة الثانية
- ١٩٦ ..... بدء الهجرة إلى المدينة
- ٢٠٢ ..... ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرين إلى المدينة
- ٢٢٨ ..... شروع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حرب المشركين و ذكر مغازيه التى أعز الله بها الإيمان و المؤمنين
- ٢٣٢ ..... غزوة بدر الكبرى «١»
- ٢٤١ ..... أمر بنى قينقاع
- ٢٤٢ ..... سرية زيد بن حارثة «٢»
- ٢٤٣ ..... مقتل كعب بن الأشرف
- ٢٤٥ ..... غزوة أحد «٤»
- ٢٨٨ ..... غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم
- ٢٩٢ ..... غزوة بئر معونة «٣»
- ٢٩٣ ..... ذكر غزوة بنى النضير «٢» و السبب الذى هاج الخروج إليهم
- ٢٩٥ ..... غزوة ذات الرقاع «٤»
- ٢٩٩ ..... غزوة الخندق «٣»
- ٣١٧ ..... مقتل سلام بن أبى الحقيق
- ٣١٨ ..... ذكر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد رضى الله عنهما
- ٣٢٠ ..... غزوة بنى لحيان «٢»
- ٣٢٠ ..... غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة و خروج النبى صلى الله عليه و سلم فى أثره، و هى غزوة ذى قرد «٢»
- ٣٢٤ ..... غزوة بنى المصطلق و هى غزوة المريسيع «٣»
- ٣٣١ ..... غزوة الحديبية
- ٣٤٠ ..... غزوة خيبر
- ٣٤٩ ..... عمرة القضاء «١» و هى غزوة الأمن

- ٣٥٠ ..... غزوة مؤتة من أرض الشام «١»
- ٣٥٥ ..... غزوة الفتح
- ٣٦٩ ..... غزوة حنين «١»
- ٣٧٩ ..... غزوة الطائف «٢»
- ٣٩١ ..... غزوة تبوك «١»
- ٤٠١ ..... ذكر إسلام ثقيف
- ٤٠٦ ..... ذكر حج أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس سنة تسع و توجيه رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبي طالب بعده بسورة براءة
- ٤٠٧ ..... السرايا
- ٤٢١ ..... ذكر الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم ملخصا من كتاب ابن إسحاق و الواقدي و غيرهما
- ٤٢١ ..... اشارة
- ٤٢٢ ..... وفد بنى تميم «١»
- ٤٢٤ ..... وفد بنى عامر «١»
- ٤٢٥ ..... وفد تجيب «١»
- ٤٢٦ ..... فروه بن مسيك المرادى «١»
- ٤٢٨ ..... وفد زبيد عمرو بن معدى كرب «١»
- ٤٢٩ ..... وفد بنى ثعلبة
- ٤٢٩ ..... وفد بنى سعد هذيم «٢»
- ٤٣٠ ..... وفد بنى فزارة «١»
- ٤٣١ ..... وفد بنى أسد «٢»
- ٤٣١ ..... وفد بهراء «١»
- ٤٣١ ..... وفد بنى غدره
- ٤٣٢ ..... وفد بلى «٢»
- ٤٣٣ ..... ضمام بن ثعلبة «٢»
- ٤٣٤ ..... وفد عبد القيس «١»

- ٤٣٥ ..... وفد بنى مرة
- ٤٣٥ ..... وفد خولان
- ٤٣٦ ..... وفد محارب «٢»
- ٤٣٧ ..... وفد طيء «٢»
- ٤٣٩ ..... وفد كنده «٢»
- ٤٤٠ ..... وفد صداء
- ٤٤١ ..... وفد غسان «١»
- ٤٤٢ ..... وفد سلامان «١»
- ٤٤٢ ..... وفد بنى عبس
- ٤٤٣ ..... وفد الأزد و وفد جرش «٣»
- ٤٤٤ ..... وفد غامد
- ٤٤٤ ..... وفد بنى الحارث بن كعب «٢»
- ٤٤٦ ..... وفد بنى حنيفه «٢»
- ٤٤٧ ..... وفد همدان
- ٤٤٨ ..... وفد النخع
- ٤٤٩ ..... فهرس محتويات الجزء الأول
- ٤٥٢ ..... تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريبات الكمبيوترية



## الاكتفاء بما تضمنته من مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الثلاثة الخلفاء المجلد ١

### إشارة

نام كتاب: الاكتفاء بما تضمنته من مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الثلاثة الخلفاء

نويسنده: ابوالربيع حميرى كلاعى

وفات: ٦٣٤ ق

تعداد جلد واقعى: ٢

زبان: عربى

موضوع: رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم

ناشر: دار الكتب العلمية

مكان نشر: بيروت

سال چاپ: ١٤٢٠ ق

نوبت چاپ: اول

### [المقدمة]

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ترجمة المصنف «١»

### إشارة

هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميرى الكلاعى البنسى الأندلسى المالكى المعروف بابن سالم.

ولد سنة خمس و ستين و خمسمائة (٥٦٥هـ)، و نشأ بيلنسية، و تلقى العلوم فى رحلته إلى إشبيلية و شاطبة و غرناطة و الإسكندرية.

توفى شهيدا سنة أربع و ثلاثين و ستمائة للهجرة (٦٣٤هـ) فى موقعة أنيشة حاملا اللواء بنفسه.

### من مؤلفاته:

١- أحاديث مصافحة أبى بكر ابن العربى الإمامين.

٢- أحاديث مصافحة أبى على الإمامين.

٣- أربعون السباعية من الحديث.

٤- الأربعون حديثا عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة فى أربعين معنى.

٥- الإعلام بأخبار البخارى الإمام و من بلغت روايته عنه من الأغفال و الأعلام.

- (١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات سنة ٦٣٤)، و تذكرة الحفاظ (١٤١٧/٤)، و سير أعلام النبلاء (١٣٤/٢٣)، و العبر للذهبي (١٣٧/٥)، و الوافي (٤٣٢/١٥)، و مرآة الجنان (٨٥/٥)، و شذرات الذهب (١٦٤/٥)، و هدية العارفين (١/٣٩٩).
- الاكتفاء، الكلاعي، المقدمة، ص: ٢
- ٦- الاكتفاء؛ و هو الكتاب الذى بين أيدينا.
- ٧- الامتثال لمثال المبهيج فى ابتداء الحكم و اختراع الأمثال.
- ٨- برنامج مروياته.
- ٩- تحفة الرواد فى العوالى البلدية الإسناد.
- ١٠- جنى الرطب فى سنى الخطب.
- ١١- جهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة النصيح.
- ١٢- حلية الأمالى فى الوقعات و العوالى.
- ١٣- ديوان الرسائل.
- ١٤- ديوان شعره.
- ١٥- الصحف المبشرة فى القطع المعشرة.
- ١٦- مجازفة اللحن للاحن الممتحن.
- ١٧- المسلسلات و الإنشادات.
- ١٨- مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام فى اليقظة و المنام.
- ١٩- المعجم فيمن وافقت كنيته زوجته.
- ٢٠- مفاوضة القلب و العليل فى منابذة الأمل الطويل بطريقتى المعرى و ملقى السبيل.
- ٢١- ميدان السابقين و حلبة الصادقين المصدقين.
- ٢٢- نتيجة الحب الصميم و زكاة النثير و التنظيم.
- ٢٣- نكتة الأمثال و نفثة السحر الحلال. بنى فيه الكلام على التوشيح بما تضمنه كتاب أبى عبيد من أمثال العرب و اضطرار الكلام إليها.
- الاكتفاء، الكلاعي، المقدمة، ص: ٣

### عملنا فى التحقيق

- ١- قمنا بنسخ المخطوط من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية بمكتبة طلعت تحت رقم ٢٠٧٤، و هى نسخة جيدة كتبت بخط مشرقى دقيق، ثم قمنا بضبطها بالاستعانة بالنسخة المطبوعة بالقاهرة.
- ٢- قمنا بتخريج آيات القرآن الكريم و إثبات التخريج عقب الآية بين معقوفتين.
- ٣- قمنا بتخريج الأحاديث المذكورة بالكتاب.
- ٤- ترجمنا لبعض الأعلام و إن كان قليلا.
- ٥- قمنا بالتعليق على بعض المواضع بالكتاب، و شرح بعض الألفاظ الغريبة.
- ٦- قمنا بتخريج بعض الآيات الشعرية.

٧- قمنا بعمل عجاله للتعريف بالمؤلف.

والله سبحانه المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه بعباده رءوف رحيم.

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١

### مقدمة المصنف

قال الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الثبت الشهيد أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم، الكلاعي، البلنسي، كرم الله مثواه، وجعل الجنة مستقره و مأواه:

الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام، وأكرمنا بنبيه محمد عليه أفضل الصلوات والسلام، وجعل آثاره الكريمة ضالتنا المنشودة، والافتداء بهديه الأهدى، ونوره الأوضح الأبدى غايتنا المقصودة وأمنيتنا المودودة، وأنعم على قلوبنا بالارتياح والاهتزاز عند سماع مصدره أو إليه منتماه.

و إنه لأثر رجاء في هذه القلوب البطالة و آثاره خير يرجى، أن يزودها عن مشاريع الجهالة و منازع الضلالة، فإن الارتياح للذكر شهادة الحب و أمانة المحب.

وقد روى عنه صلوات الله عليه نقله السنة أن من أحبه كان معه في الجنة. فنسأل الله أن يكتبنا في محبيه حقيقه، ويسلك بنا من الوقوف عند مقتضيات أوامره و نواهيه طريقه بالسعادة خليفة.

فما نزال طالبين ذلك من أكرم مطلوب لديه، راغبين فيه إلى خير مرغوب إليه. و إن لم نكن أهلا للإسعاف بتقصيرنا في الأعمال، فإنه جل جلاله أهل الجود و الإفضال.

ونصلي قبل و بعد على هذا النبي المبارك الكريم، صلى الله عليه و على آله الطاهرين و صحبه المنتخبين، خير صحب و خير آل. وهذا كتاب ذهب فيه إلى إيقاع الإقناع، و إمتاع النفوس و الأسماع، باتساق الخبر عن سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ذكر نسبه و مولده و صفته و مبعثه، و كثير من خصائصه، و أعلام نبوته و مغازيه، و أيامه من لدن مولده إلى أن استأثر به و قبض روحه الطيبة إليه، صلوات الله و بركاته عليه.

مقدما لذلك ما يجب تقديمه، و متمما من ذكر أوليته المباركة بلدا و محتدا، بما يحسن علمه و تعليمه، ملخصا جميعه من كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتناءهم،

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤

و استفذوا في آنائهم، ككتاب محمد بن إسحاق، الذي تولى عبد الملك بن هشام تهذيبه و اختصاره، و كتاب موسى بن عقبة، الذي استحسن الأئمة اقتصاده و اقتصاره، و غيرهما من المجموعات التي لا يديم الإنصاف قصد جماعها و لا يذم الاختبار اختياره. ولكنه عظم المعول بحكم خاطر الأول على كتاب ابن إسحاق، إياه أردت و تجريده من اللغات و كثير من الأنساب و الأشعار قصدت، و على ترتيبه غالبا جريت، و منزعه في أكثر ما يخص المغازي تحريت.

فإنه الذي شرب ماء هذا الشأن فأنقع، و وقع كتابه من نفوس الخاص و العام أجل موقع.

إلا أنه يتخلله، كما أشرنا إليه قبل، أشياء من غير المغازي تقدح عند الجمهور في إمتاعه، و تقطع بالخواطر المستجمعة لسماعه.

و إن كانت تلك القواطع عريقة في نسب العلم، و حقيقة بالتقييد و النظم. فسعى أن يكون لها مكان هو بإيرادها أخص، إذ لكل مقام لا يحسن في غيره الإيراد له و النص.

ولذلك نويت فيه أن أحذف ما تخلله من مشيع الأنساب التي ليس احتياج كل الناس إليها بالضرورة الحثيث، و نفيس اللغات المعوق اعتراضها اتصال الأحاديث، حتى لا يبقى إلا- الأخبار المجردة، و خلاصة المغازي التي هي في هذا المجموع المقصودة

المعتمدة.

ظنا منى أنه إذا أذن الله فى تمامه، و تكفل تعالى بتيسير محاولته وفق المأمول و تقريب مرامه، استأنفت النفوس له قبولاً و عليه إقبالا، و لم يزد هذا النقص لدى جمهورهم إلا كمالاً.

ثم بدا لى أن أزيد على هذا المقدار ما يحسن فى هذا المضمار، و أعوض مما حذف منه من اللغات و الأنساب و الأشعار، بما يكون له إن شاء الله مزية الاختيار، و يروق عليه رونق الإيثار، منتقيا ذلك من الدواوين التى طار بها فى الناس طائر الاشتهار، و متخيلا له من الأماكن التى لا يستقل بحصر فوائدها و انتقاء فرائدها كل مختار.

ككتاب ابن عقبة، و قد سميته، فإنه و إن اختصره جدا فقد أحسن العبارة، و أتى مواضع من المغازى حذاها بسطه و حماها اختصاره. و سأضع على كثير منها ميسمه و أرسمها فى هذا المختصر على نحو ما رسمه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥

و قد وقفت على كتاب محمد بن عمر الواقدى فى المغازى، و لم يحضرنى الآن، لكنى رأيت كثيرا ما يجرى مع ابن إسحاق، فاستغنيت عنه به لفضل فصاحة ابن إسحاق فى الإيراد، و حسن بيانه الذى لا يفقد معه استحسان الحديث المعاد.

و للواقدى أيضا كتاب المبعث، و هو مشيع فى بابه، ممتع باستيفائه و استيعابه، قد نقلت هنا منه جملا، تناسب الغرض المسطور، و تصد المعترض أن يجور.

و كذلك كتاب الزبير بن أبى بكر القاضى رحمه الله فى أنساب قريش، و هو كما سمعت شيخنا الخطيب أبا القاسم ابن حبيش رحمه الله يحكى عن شيخه أبى الحسن ابن مغيث أنه كان يقول فيه: هو كتاب عجب لا كتاب نسب.

التقطت أيضا من درره نفائس معجبة، و تخيرت من فوائده نجبا لمتخيرها موجبة.

و مثله التاريخ الكبير لأبى بكر ابن أبى خيثمة، و ناهيك به من بحر لا تكدره الدلاء، و غمر لا ينفذه الأخذ الدراك و لا يستنزفه الورد الولا.

و كم شىء أستحسنه من غير هذه الكتب المسمأة فأنظمه فى هذا النظام، و أضطر إلى الإفادة به مساق الكلام. إما متمما لحديث سابق، و إما مفيدا بغرض لما تقدمه مطابق.

فإن لم يكن بينهم فى الأحاديث اختلاف يشعر بنقض، فكثيرا ما أدخل حديث بعضهم فى حديث بعض، ليكون المساق أبين و الاتساق أحسن.

و إن عرض عارض خلاف فالفضل حينئذ أرفع للإشكال و أدفع للمقال.

و ربما فصلت بين بعض أحاديثهم و إن اشتبهت معانيها، بحسب ما تدعو إليه ضرورة الموضوع، أو تحمل على إعادته حلاوة الموقع.

و كل ذلك يشهد الله أن المراد فيه بالقصد الأول وجهه الكريم، و إحسانه العميم، و رحمته التى منها شق لنفسه أنه الرحمن الرحيم.

ثم القصد الثانى متوفر على إشار الرغبة فى إنباس الناس بأخبار نبيهم صلى الله عليه وسلم، و عمارة خواطرهم بما يكون لهم فى العاجل و الآجل أنفع و أسلم.

و قد عم عليه الصلاة و السلام بركة دعائه سامع حديثه و مبلغه، و قال صلى الله عليه وسلم: «ما أفاد المسلم أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه».

و لا أحسن بعد كتاب الله الذى هو أحسن القصص و أصدق القصص، و أفضل

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦

الخصص، و أجلى الأشياء للخصص من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى بالوقوف عليها توجد حلاوة الإسلام، و يعرف كيف تمهدت السبل إلى دار السلام.

فإنه لا يخلو الحاضرون لهذا الكتاب من أن يسمعو ما صنع الله لرسوله في أعداء تنزيهه، فيستجزلوا ثواب الفرح بنصر الله، أو يستمعوا ما امتحنه الله به من المحن التي لا يطيق احتمالها إلا نفوس أنبياء الله بتأييد الله، فيعتبروا بعظيم ما لقيه من شدائد الخطوب، و يصطبروا لعوارض الكروب، تأدبا بآدابه، و جريا في الصبر على ما يصيبهم و الاحتساب لما ينوبهم على طريقته صبره و احتسابه. و تلك غايات لن نبغ عفوها بجهدنا، و لن نصل أدانيها بنهاية ركضنا و شدنا، و إنما علينا بذل الجهد في قصد الاهتداء، و على الله سبحانه المعونة في الغاية و الابتداء.

و إذا استوفيت بفضل الله طلق هذا المعنى كما نويت، و بلغت حاجة نفسى منه و قضيت، فلى نية، إن ساعدت المشيئة عليها، في أن أصل هذا الغرض المتقدم، من ذكر مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم، بذكر مغازى الخلفاء الثلاثة الأول، رضى الله عنهم، منتحلا- على رجاء معونة الله أسبابها، و منتحلا- من كتاب شيخنا الخطيب أبى القاسم، رحمه الله، و من غيره مما هو في نحو معناه، صفوها و لبابها، لتتنظم الفائدتان معا، و يكون الخبر عن مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم و مغازى خلفائه، الذين بهديهم الائتمام، في مكان واحد مجتمعاً.

و أرجو بحول الله الذى له الطول و بيده القوة و الحول، أن يكون هذا المجموع كافيا في البابين، و افيا بالغرضين المتباينين، و لذلك ترجمته بكتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم و مغازى الخلفاء. و فضله جل جلاله نعم الكفيل أن يجزى به خير الجزاء، و يجعله من عددنا النافعة يوم اللقاء، فهو عز وجهه الملجأ و المعول، و به أستعين و عليه أتوكل، لا إله إلا هو سبحانه، هو حسبى و إليه أنيب. الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٧

### ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم تسليمًا و كيف طهره الله نفسًا و خيما و شرفه حديثًا و قديما و ألقى إلى آباءه الأقدمين من الدلائل على اصطفائه إياه في الآخرين و ابتعائه له رحمة للعالمين ما صيره لديهم قبل وجوده بطوائف السنين معلوما

في الصحيح من حديث واثله بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، و اصطفى من بنى كنانة قريشا، و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفانى من بنى هاشم» (١). و فى حديث عن عبد الله بن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لم يزل الله عز و جل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفيا مهذبا، لا تشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما» (٢).

و خرج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، من حديث المطلب بن أبى وداعة، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قام على المنبر فقال: «من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام» قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم فرقه، ثم جعلهم فرقتين، فجعلنى فى خيرهم فرقه، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيرهم بيتا، و خيرهم نفسا». و فى رواية: «فأنا خيرهم نفسا، من خيرهم بيتا» (٣).

(١) أخرجه الترمذى (٣٦٠٥)، الإمام أحمد فى المسند (١٠٧/٤)، الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٦٣)، الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٨٩/٩)، السيوطى فى الدر المنثور (٢٩٤/٣)، ابن أبى شيبه فى المصنف (١١/٤٧٨).

(٢) أخرجه السيوطى فى الدر المنثور (٣/٢٩٤)، (٥/٩٨).

(٣) أخرجه الترمذى (٧٦/١) باب ما جاء فى فضل النبى، البيهقى فى السنن الكبرى (٧/٣٨٧، ٣٨٨، ١٠/٥٧)، الحاكم فى المستدرک (٢/٦٤، ٣/٢٥٨)، ابن أبى شيبه فى المصنف (١١/٢٠)، الطبرانى فى الكبير (٧/٣٨٣، ١٧/١٣٦)، الهيثمى فى المجمع (١/٢٢) -

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٨

و صدق صلى الله عليه وسلم، و الصدق شيمته، و فوق العالمين طرا قدره الرفيع و قيمته، هو أشرفهم حسبا و أفضلهم نسبا و أكرمهم أما و أبا.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب «١» بن هاشم - و اسمه عمرو - بن عبد مناف - و اسمه المغيرة - بن قصي - و اسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب، ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا الصحيح المجتمع عليه في نسبه، و ما فوق ذلك مختلف فيه.

و لا خلاف في أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، ابن إبراهيم خليل الله، عليهما السلام، و إنما الاختلاف في عدد من بين عدنان و إسماعيل من الآباء. فمقلد و مكثر.

و كذلك من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام، لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله.

روى عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى عدنان أمسك ثم يقول:

«كذب النسابون»، قال الله تعالى: «وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا» [الفرقان: ٣٨].

و من عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل.

فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، و عك بن عدنان.

فصارت عك في دار اليمن، لأن عكا تزوج في الأشعرين منهم و أقام فيهم، فصارت الدار و اللغة واحدة.

و الأشعريون هم بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب ابن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان «٢».

و قحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب أبو اليمن كلها، و إليه يجتمع نسبها، و العرب كلها عندهم من ولد إسماعيل و قحطان. و بعض اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، و إسماعيل أبو العرب كلها. و الله أعلم.

٢٣٨ / ٢٤٤، ١٠ / ٣٧٥، شرح السنة للبعوى (٣ / ٢٣٩، ٩ / ٢٤٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢ / ٢٠٦، ٧ / ١٩٤)، المتقى الهندي في الكنز (٢٩٦٨٧).

(١) قال ابن إسحاق في السيرة: اسم عبد المطلب شيبه بن هاشم. و انظر ذكر نسب النبي في:

السيرة (١ / ٢٣، ٢٤)، و البداية و النهاية كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و نسبه (٢ / ٢٥٧).

(٢) انظر: السيرة (١ / ٢٧) ذكر نسب ولد إسماعيل.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٩

و أما معد، فذكر الزبير بن أبي بكر رحمه الله، أن بختنصر لما أمر بغزو بلاد العرب و إدخال الجنود عليهم فيها، و قتل مقاتلهم لانتهاكهم معاصي الله، و استحلالهم محارمه و قتلهم أنبياءه، و ردهم رسالاته، أمر أرميا بن حلقيا، و كان فيما ذكر نبي بنى إسرائيل في ذلك الزمان: أن أتت معد بن عدنان الذي من ولده محمد خاتم النبيين، فأخرجه عن بلاده و احمله معك إلى الشام، و تول أمره قبلك.

و يقال: بل المحمول عدنان، و الأول أكثر.

و في حديث عن ابن عباس، أن الله بعث ملكين، فاحتملا معدا، فلما أدبر الأمر رده فرجع إلى موضعه من تهامة، بعد ما دفع الله بأسه عن العرب، فكان بمكة و ناحيتها مع أخواله من جرهم، و بها منهم بقية هم ولاة البيت يومئذ، فاختلف بهم و ناكحهم.

فولد معد بن عدنان نفرا، منهم قضاة، و كان بكره الذي به يكنى فيما يزعمون، و قنص، و نزار، و إباد.  
فأما قضاة فتيامت إلى حمير بن سبأ و انتمت إلى ابنه مالك بن حمير، حتى قال قائل منهم يفخر بذلك:  
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر «١» و أنكر كثير من الناس متماهم هذا، و جرت بينهم و بين من قال به من القضاة في ذلك أقاويل معروفة و أشعار محفوظة.

قال الزبير: و لم يجتمع رأى قضاة على الانتساب في اليمن، بل أهل العلم منهم و الدين مقيمون على نسبهم في معد.  
و أما قصص بن معد، فهلكت بقيتهم فيما زعموا، و كان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة «٢».  
و احتج من قال ذلك بأن عمر -رضى الله عنه- حين أتى بسيف النعمان بن

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٨).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠

المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي «١»، فسلحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر؟  
فقال: كان من أشلاء، قنص بن معد.

و كان جبير أنسب قريش لقريش و العرب قاطبة، و كان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق.  
و كان أبو بكر رضى الله عنه، أنسب العرب «٢».

و قد قيل في نسب النعمان غير ذلك، مما سيأتى ذكره عند تأديته الحديث إليه، إن شاء الله تعالى.  
و قد ذكر أيضا في بنى معد الضحاك بن معد.

ذكر الزبير بإسناد له إلى مكحول قال: أغار الضحاك بن معد على بنى إسرائيل في أربعين رجلا من بنى معد، عليهم دراريع الصوف  
خاطمي خيلهم بحبال الليف، و سبوا و ظفروا، فقالت بنو إسرائيل: يا موسى، إن بنى معد أغاروا علينا، و هم قليل، فكيف لو كانوا كثيرا  
و أغاروا علينا و أنت نبينا؟ فادع الله عليهم.

فتوضأ موسى و صلى، و كان إذا أراد حاجة من الله صلى، ثم قال: يا رب إن بنى معد أغاروا على بنى إسرائيل فقتلوا و سبوا و ظفروا،  
و سألوني أن أدعوك عليهم.

فقال الله تعالى: يا موسى لا تدع عليهم، فإنهم عبادى، و إنهم ينتهون عند أول أمرى، و إن فيهم نبيا أحبه و أحب أمته.  
قال: يا رب، ما بلغ من محبتك له؟

قال: أغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

قال: يا رب ما بلغ من محبتك لأمته؟

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٣٠٣)، الإصابة ترجمة رقم (١٠٩٤)، أسد الغابة ترجمة رقم (٦٩٨)، نسب قريش (٢٠١)، طبقات  
خليفة ترجمة رقم (٤٣)، التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٣)، المعارف (٤٨٥)، الجرح و التعديل (٢/ ٥١٢)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم  
(٣٥)، جمهرة أنساب العرب (١١٦)، العقد الثمين (٣/ ٤٠٨).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١١

قال: يستغفروني مستغفرهم فأغفر له، و يدعوني داعيهم فأستجيب له.

قال: يا رب فاجعلهم من أمتي.

قال: نبههم منهم.

قال: يا رب فاجعلني منهم.

قال: تقدمت و استأخروا.

قال الزبير: و حدثني علي بن المغيرة قال: لما بلغ بنو معد عشرين رجلاً أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم فلم يجب

فيهم، ثم أغاروا، فدعا عليهم فلم يجب فيهم، ثلاث مرات.

فقال: يا رب، دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء.

فقال: يا موسى، دعوتني على قوم منهم خيرتي في آخر الزمان.

و أما نزار بن معد، و اسمه مشتق من النزر و هو القليل، فيقال: إن أباه معداً لما ولد له نظر إلى نور بين عينيه، وفرح لذلك فرحاً

شديداً، و نحر و أطمع، و قال: إن هذا كله لنزر في حق هذا المولود.

و ما كان الذي رآه إلا نور النبوة، الذي لم يزل ينتقل في الأصلاب، حتى انتهى إلى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، فطبق الأرض

نورا، و هدى الله به من أراد سعادته من عباده، صراطاً مستقيماً.

و كل هذه الأنوار و الآثار شاهدة له - عليه السلام - بعظيم عنايه الله، و كريم المكانة عنده، فلم تنزل بركته صلى الله عليه و سلم متعرفة

في آبائه الماضين، و ظاهرة على أسلافه الأكرمين، تشير المخاليل اللانحة فيهم إليه، و تدل الدلائل الواضحة في أوليتهم عليه، صلوات

الله و بركاته عليه.

فولد نزار بن معد: مضر و ربيعة و أنمارا و إيادا، و إليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير. و أمه سودة بنت عك بن عدنان.

و قيل هي أم مضر خاصة، و أم إخوته الثلاثة أختها شقيقة ابنة عك بن عدنان.

و قد قيل: إن إيادا شقيق لمضر، أمهما معا سودة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٢

فأنمار هو أبو بجيلة و خثعم، و قد تيامنت بجيلة إلا من كان منهم بالشام و المغرب، فإنهم على نسبهم إلى أنمار بن نزار.

و جرير بن عبد الله «١» صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم من سادات بجيلة و له يقول القائل:

لولا - جرير هلكت بجيلة نعم الفتى و بنست القبيلة و كذلك تيامنت الدار أيضا بخثعم، و هم بنو أقييل بن أنمار، و إنما خثعم جبل

تحالفوا عنده فسموا به، و هم بالسراة على نسبهم إلى أنمار.

و إذا كان بين مضر و اليمن فيما هنالك حرب، كانت خثعم مع اليمن على مضر «٢».

و يروى أن نزاراً لما حضرته الوفاة، قسم ماله بين بنيه الأربع: مضر و ربيعة و إياد و أنمار.

فقال: هذه القبة لقبه كانت له حمراء من آدم، و ما أشبهها من المال لمضر، و هذا الخباء الأسود و ما أشبهه لربيعة، و هذه الخادم، و

كانت شمطاء، و ما أشبهها لإياد. و هذه البدره و المجلس لأنمار يجلس فيه.

و قال لهم: إن أشكل عليكم الأمر في ذلك و اختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمي. و كان بنجران.

فاختلفوا بعده و أشكل أمر القسمة عليهم، فتوجهوا إلى الأفعى. فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر كلاً قد رعى، فقال: إن البعير

الذي رعى هذا لأعور.

فقال ربيعة: و هو أزور. و قال إياد: و هو أبتري. و قال أنمار: و هو شرود.

فلم يسيروا إلا قليلاً، حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال له مضر: أ هو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: أ هو أزور؟



قال: نعم. قال إياد: أ هو أبتري؟ قال نعم. قال أنمار: و هو شرود؟ قال: نعم، هذه و الله صفة بعيرى دلونى عليه. فحلفوا له ما

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٦)، الإصابة الترجمة رقم (١١٣٩)، أسد الغابة الترجمة (٧٣٠)، طبقات ابن سعد (٦/٢٢)، طبقات خليفة (١١٦، ١٣٨)، تاريخ خليفة (٢١٨)، التاريخ الكبير (٢/٢١١)، الجرح و التعديل (٢/٥٠٢)، تهذيب الكمال (١٩١)، تاريخ الإسلام (٢/٢٧٤)، العبر (١/٥٧)، تهذيب التهذيب (٢/٧٣)، خلاصة تهذيب الكمال (٦١)، شذرات الذهب (١/٥٧، ٥٨). (٢) انظر: السيرة (١/٧٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٣

رأوه، فلزمهم و قال: كيف أصدقكم و أنتم تصفون بعيرى بصفته!! فساروا حتى قدموا نجران، فنزلوا بالأفعى الجرهمى، فنادى صاحب البعير: بعيرى، و صفوا لى صفته، ثم قالوا: لم نره! فقال لهم الأفعى: كيف وصفتموه، و لم تروه؟ فقال له مضر: رأيت يرمى جانبا و يدع جانبا فعرفت أنه أعور. و قال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر و الأخرى فاسدة الأثر، فعلمت أنه أفسدها لشدة وطئه لازوراره. و قال إياد: عرفت بتره باجتماع بعره، و لو كان ذبيلا لمصع به. و قال أنمار: عرفت أنه شرود، أنه كان يرمى فى المكان المتلف نبتة، ثم يجوزه إلى مكان أرق منه و أخبث. قال الشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه.

ثم سألهم من هم؟

فأخبروه، فرحب بهم و قال: تحتاجون إلى و أنتم كما أرى!

فدعا لهم بطعام، فأكل و أكلوا و شرب و شربوا.

فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا أجود لو لا أنها نبتت على قبر.

و قال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب لو لا أنه ربي بلبن كلبه.

و قال إياد: لم أر كاليوم رجلا سرنى لو لا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له.

و قال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا.

و سمع صاحبهم كلامهم، فقال: ما هؤلاء؟! إنهم لشياطين.

ثم أتى أمه، فسألها، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك، فأمكنك رجلا نزل بهم من نفسها، فوطئها، فجاءت به.

و قال للقهرمان: الخمر التى شربناها ما أمرها؟

قال: من حبله غرستها على قبر أبيك.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٤

و سأل الراعى عن اللحم، فقال: شاء أرضعناها من لبن كلبه، و لم يكن ولد فى الغنم غيرها. فأتاهم، فقال: قصوا على قصتكم، فقصوا عليه ما أوصى به أبوه، و ما كان من اختلافهم.

فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر. فصارت إليه الدنانير و الإبل، و هى حمر، فسميت مضر الحمراء.

قال: و ما أشبه الخباء الأسود من دابة و مال فهو لربيعة. فصارت له الخيل، و هى دهم، فسمى ربيعة الفرس.

قال: و ما أشبه الخادم، و كانت شمطاء، من مال فيه بلق، فهو لإياد. فصارت له الماشية البلق. و قضى لأنمار بالدرهم و الأرض. فساروا

من عنده على ذلك.

و كان يقال: مضر و ربيعة هما الصريحان من ولد إسماعيل.

و روى ميمون بن مهران، عن عبد الله بن العباس، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «لا تسبوا مضر و ربيعة فإنهما كانا مسلمين» (١).

و قال صلى الله عليه و سلم فيما روى عنه: «إذا اختلف الناس فالحق مع مضر» (٢).

و سمع عليه السلام قائلاً يقول:

إني امرؤ حميرى حين تنسبني لا من ربيعة آبائي و لا مضرا فقال صلى الله عليه و سلم: «ذلك أبعد لك من الله و من رسوله» (٣).

و مما يؤثر من حكم مضر بن نزار و وصاياه: من يزرع شرا يحصد ندامة، و خير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروها فيما أصلحكم، و اصرفوها عن هواها فيما أفسدها، فليس بين الصلاح و الفساد إلا صبر فواق.

فولد مضر بن نزار رجلين: إلياس بن مضر، و عيلان بن مضر.

قال الزبير: و أمهما الحنفاء بنت إيباد بن معد.

(١) أخرجه ابن حجر فى الفتح (٧/ ١٤٦)، المتقى الهندي فى الكنز (٢٣٩٨٧).

(٢) أخرجه المتقى الهندي فى الكنز (٣٣٩٨٩)، ابن حجر فى المطالب العالیه (٤١٨٨)، ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء (١٤٥٦)، ابن أبى شيبه فى المصنف (١٩٨/١٢).

(٣) أخرجه أبو داود فى السنن كتاب البيوع باب (٨٨)، البيهقى فى السنن الكبرى (١٧٤/٦)، الزيلعى فى نصب الراية (١٢٨/٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥.

و قال ابن هشام: أمهما جرهمه. و لما أدرك إلياس بن مضر، أنكر على بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم و سيرهم، و بان فضله عليهم و لان جانبه لهم، حتى جمعهم على رأيه، و رضوا به رضا لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل بعد أدد.

فردهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها.

و هو أول من أهلى البدن إلى البيت، أو فى زمانه.

و أول من وضع الركن للناس بعد هلاكه، حين غرق البيت و انهدم زمن نوح عليه السلام.

فكان أول من سقط عليه إلياس، أو فى زمانه، فوضعه فى زاوية البيت للناس.

و من الناس من يقول: إنما هلك الركن بعد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام. و هو الأشبه، إن شاء الله.

و لم تبح العرب تعظم إلياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة، كلقمان و أشباهه.

فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر: مدركة، و طابخة، و قمعة.

و أمهم خندف بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، و اسمها ليلي، و اسم مدركة عامر، و اسم طابخة عمرو، و اسم قمعة عمير.

و إنما حالت أسماؤهم إلى الذى ذكرنا أولا عنهم، فيما ذكروا، أن أربنا أنفرت إبل إلياس بن مضر، فصاح بينه هؤلاء أن يطلبوا الإبل و الأرنب.

فأما عمير فاطلع من المظلة ثم قمع. فسمى قمعة.

و خرج عامر و عمرو فى آثار الإبل، و خرجت أمهم ليلي تسعى خلفهم.

فقال لها زوجها إلياس: أين تخندفين؟ أى أين تسعين. فسميت خندف (١).

و مر عامر و عمرو بظبي، فرماه عمرو فقتله، و يقال: بل رمى الأرنب التى أنفرت الإبل، فقال له عامر: اطبخ صيدك، و أنا أكفيك

الإبل. فطبخ عمرو، فسمى طابخة.

و أدرك الإبل عامر، فسمى مدركة.

(١) قال ابن حجر فى فتح البارى (٦/٦٣٣): خندف هى بكسر المعجمه و سكون النون و فتح الدال بعدها فاء، و هو اسم امرأه إلیاس بن مضر، و اسمها: لیلی بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، لقتب بخندف لمشيئتها و الخندف: الهرولة.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٦

و اشتهر بنو خندف هؤلاء بأهمهم خندف للذى سار من فعلها فى الناس.

و ذلك أنه لما مرض زوجها إلیاس وجدت لذلك وجدا شديدا، و نذرت إن هلك، ألا تقيم فى بلد مات فيه، و لا يظلمها بيت بعده، و أن تسيح فى الأرض. و حرمت الرجال و الطيب.

فلما هلك إلیاس خرجت سائحة فى الأرض حتى هلكت حزنا.

و كانت وفاته يوم الخميس، فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم تبكيه حتى تغيب، فصارت خندف و ما صنعت عجا فى الناس، يتحدثون به و يذكرونه فى أشعارهم.

فقيل لرجل من إباد، أو همدان، و قد هلكت امرأته: ألا تبكى عليها؟

فقال: لو كان ذلك يردها لفعلت كما فعلت خندف على إلیاس. ثم اندفع يقول:

لو أنه يغنى بكيت كخندف على إلیاس حتى ملها الشر تندب

إذا مونس لاحت خراطيم شمسه بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

و لم تر عيناها سوى الدفن قبره فساحت و ما تدرى إلى أين تذهب

فلم يغن شيئا طول ما بلغت به و ماظلمها دهر و عيش معذب و فقدت امرأه من غسان أخاها ثم أباه، فمكثت دهرًا تبكى عليهما، فنهاها قومها، فقالت:

تلحون سلمى أن بكت أباه و قبل ما قد ثكلت أخاها

فحولوا العذل إلى سواها عصتكم سلمى إلى هواها

كما عصت خندف من نهاها خلت بنيتها أسفا وراها

تبكى على إلیاس فما أتاها

فولد مدركة بن إلیاس نفرا، منهم خزيمه بن مدركة، و هذيل بن مدركة.

و أمهما امرأة من قضاعة، قيل: هى سلمى بنت سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. و قيل غير ذلك.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧

فولد خزيمه بن مدركة كنانة و أسدا و أسده و الهون.

و أم كنانة منهم، عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. و قيل: هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان. قرأته بخط أحمد بن يحيى بن جابر.

فولد كنانة بن خزيمه جماعة منهم: النضر، و به كان يكنى، و نضير، و مالك، و ملكان، و عمرو، و عامر، و أمهم برة بنت مر، خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمه، على ما كانت الجاهلية تفعله، إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها.

فنهى الله عن ذلك بقوله: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ [النساء: ٢٢] «١».

و يقال: إن برة هذه، لما أهديت أولا إلى خزيمه بن مدركة، قالت له: إنى رأيت فى المنام كأنى ولدت غلامين من خلاف بينهما

ساياء، فبينما أنا أتأملهما إذا أحدهما أسد يزأر و إذا الآخر قمر ينير.

فأتى خزيمه كاهنه بتهمه، فقص عليها الرؤيا، فقالت: لئن صدقت رؤياها لتلدن منك غلاما يكون لولده قلوب باسلة، ثم لتموتن عنها فيختلف عليها ابن لك، فتلد منه غلاما يكون لولده عدل و عدد و قروم مجد و عز إلى آخر الأبد.

ثم توفي خزيمه، فخلف عليها كنانة بعد أبيه، فولدت له النضر و إخوته، و إنما سمي النضر، لنضارة وجهه و جماله.

و أتى أبوه كنانة بن خزيمه و هو نائم في الحجر، فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل و الهدر و عمارة الجدر و عز الدهر. فقال: كل يا رب.

فصار هذا كله في قريش.

و النضر هو جماع قريش في قول طائفة من أهل العلم بالنسب، و الأكثر على أن فهر بن مالك بن النضر هو قريش.

فمن كان من ولده فهو قرشي، و من لم يكن من ولده فليس بقرشي.

و ذكر الزبير أن هذا هو رأى كل من أدرك من نساب قريش.

(١) انظر: السيرة (١/٩٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٨

فولد النضر بن كنانة مالكا، و يخلد، و الصلت «١».

فولد مالك فهر بن مالك. و أمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعيد بن الحارث بن مضاض الجهمي. و هو جماع قريش عند الأكثر.

قال الزبير: قد اجتمع النساب من قريش و غيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر.

و يقال: إن قريشا هو اسمه الذي سمته به أمه، و لقبته فهرا.

فولد فهر بن مالك غالبا و محاربا و الحارث و أسدا، و أختهم جندلة. و أم جميعهم ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة «٢».

و لما حضرت الوفاة فهر بن مالك، قال لابنه غالب: يا بني، إن في الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب، فإذا وقعت المصيبة برد حرها، و إنما القلق في غليانها، فإذا أنا مت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك و خلفك، و عن يمينك و عن شمالك، و بما ترى من آثارها في محيي الحياة، ثم اقتصر على قليلك، و إن قلت منفعته، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك و إن صار إليك.

فولد غالب بن فهر لؤيا و تيما، و هو الأدرم، كان منقوص الذقن.

و يقال لقومه: بنو الأدرم.

و أمهما في قول ابن إسحاق «٣»: سلمى بنت عمرو الخزاعي.

و في قول الزبير: عاتكة بنت يخلد بن النضر.

و روى أن لؤي بن غالب قال لأبيه، و هو غلام حديث: يا أبت، من رب معروفه قل إخلاقه، و نضر ماؤه. و من أخلقه أحمله، و إذا أخلق الشيء لم يذكر، و على المولى تكبير صغيره و نشره، و على المولى تصغير كبيره و ستره.

فقال له أبوه غالب: إنني لأستدل بما أسمع من قولك على فضلك، و أستدعي لك به الطول على قومك، فإن ظفرت بطول فعد على

قومك بفضلك، و كف غرب جهلهم بحلمك، و لم شعثهم برفقك، فإنما تفضل الرجال الرجال بأفعالها، و من قايسها على أوزانها

أسقط الفضل و لم تعل به درجة على أحد، و للعليا فضل أبدا على السفلى.

(١) انظر: السيرة (١/ ٩٤-٩٥).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٩٥).

(٣) انظر: السيرة (١/ ٩٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٩

فولد لؤي بن غالب كعبا و عامرا، و سامه، و عوفا و سعدا، و خزيمه «١».

فدخل بنو خزيمه في شيبان، و يسمون فيهم بعائذه، و هي امرأة من اليمن، كانت أم بني عبيد بن خزيمه فنسبوا إليها.

و كذلك دخل بنو سعد، في شيبان، و يسمون فيهم بينانه حاضنه كانت لهم من قضاة، و قيل من النمر بن قاسط، فنسبوا إليها.

و أما سامه بن لؤي، فخرج إلى عمان، و يزعمون أن عامر بن لؤي أخرجه.

و ذلك أنه كان بينهما شيء، ففقا سامه عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عمان.

فيزعمون أن سامه بن لؤي بنا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حيه بمشفرها، فهصرتها «٢» حتى وقعت الناقعه

لشقتها، ثم نهشت ساقه فقتلته. فقال سامه حين أحس بالموت، فيما يزعمون:

عين فابكي لسامه بن لؤي علق ما بسامه العلاقه

لا أرى مثل سامه بن لؤي يوم حلوا به قتيلا لناقه

بلغا عامرا و كعبا رسولاً أن نفسي إليهما مشتاقه

إن تكن في عمان داري فإني غالبى خرجت من غير فاقه

رب كأس هرقت يا بن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

رمت دفع الحتوف يا بن لؤي ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه

و خروس السرى تركت رديا بعد جد وحده و رشاقه «٣» قال ابن هشام: و بلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم

فانتسب إلى سامه بن لؤي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ألساعر؟» فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

رب كأس هرقت يا بن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه قال: «أجل» «٤».

(١) انظر: السيرة (٩٦).

(٢) الهصر: هو الكسر، هصر الشيء يهصره هصرا: جبذه و أماله و اهتصره، و قال أبو عبيده:

هصرت الشيء و وقصته إذا كسرتة. انظر: اللسان (مادة هصر).

(٣) خروس السرى: يعنى ناقه صموتا صبورا. السرى: هو سير الليل، و قيل: سير الليل كله.

(٤) ذكره الأصفهاني في كتاب الأغاني (٩/ ١٠٤)، و ليس له إسناد يعرف.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠

قال ابن إسحاق «١»: و أما عوف بن لؤي، فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس

بن عيلان أبطي به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبه بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، فحبسه و التاطه و آخاه و

زوجه، فانتسب بتلك المؤاخاه إلى سعد بن ذبيان أبي ثعلبه.

و ثعلبه، يزعمون، هو القائل له:

احبس على ابن لؤي جملكك تركتك القوم و لا- مترك لك و يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: لو كانت مدعيها حيا من

العرب أو ملحقهم بنا لا- دعيت بنى مرة بن عوف، إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع؛ يعنى عوف

بن لؤي.

و هم فى نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، و هم يقولون إذا ذكر لهم النسب: ما ننكره و لا نجحده، و إنه لأحب النسب إلينا.

و قيل: إن عمر بن الخطاب قال لرجال من بنى مرة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه. و كان القوم أشرفا فى غطفان هم سادتهم و قادتهم، منهم هرم بن سنان ابن أبى حارثة، و أخوه خارجة بن سنان، و الحارث بن عوف، و الحصين بن الحمام، و هشام بن حرمله، قوم لهم صيت و ذكر فى غطفان و قيس كلها، فأقاموا على نسبهم.

على أن الحصين بن الحمام قد تحير فى هذا و اختلف رأيه، فلما سمع قول الحارث ابن ظالم، أحد بنى مرة بن عوف، حين هرب من النعمان بن المنذر و لحق بقريش:

و ما قومى بثعلبة بن سعدو لا بفزارة الشعر الرقبا «٢»

فقومى إن سألت بنو لؤي بمكة علموا مضر الضرابا

سفهنبا باتباع بنى بغيض و ترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهه مخلف لما تروى هراق الماء و اتبع السرابا «٣»

فلو طوعت عمرك كنت فيهم و ما ألفت انتجع السحابا «٤»

(١) انظر: السيرة (١/ ٩٨-٩٩).

(٢) الشعر: جمع أشعر، و هو الكثير الشعر.

(٣) المخلف: الذى يسقى الماء. هراق: أى صبه.

(٤) انتجع: أى ذهب فى طلب الكلاء فى موضعه. و ذكره ابن إسحاق فى السيرة و زاد فى آخره بيت هو:

و خش رواحة القرشى رحلى بناحية و لم يطلب ثوابا انظر: السيرة (١/ ٩٨-٩٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١

قال الحصين بن الحمام يرد عليه و ينتمى إلى غطفان:

ألا لستم منا و لسنا إليكم برثنا إليكم من لؤي بن غالب

أقمنا على عز الحجاز و أنتم بمعتلج البطحاء بين الأخاشب يعنى قريشا.

ثم ندم الحصين على ما قال، و عرف صدق الحارث، فأكذب نفسه و قال:

ندمت على قول مضى كنت قلته تبينت فيه أنه جد كاذب

فليت لسانى كان نصفين منهما بكيك و نصف عند مجرى الكواكب

أبونا كنانى بمكة قبره بمعتلج البطحاء بين الأخاشب

لنا الربع من بيت الحرام وراثه و ربع البطاح عند دار ابن حاطب يعنى أن بنى لؤي كانوا أربعة، كعبا، و عامرا، و سامه، و عوفا.

و فى بنى مرة بن عوف كان البسل، و ذلك ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب، يسرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا، و

لا يخافون منهم شيئا، قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه و لا ينكرونه.

و كان سائر العرب إنما يأمنون فى الأشهر الحرم الأربعة فقط.

و ذكر الزبير عن أبى عبيدة، أنه كانت لقريش فى هذا مزية على سائر العرب قاطبة، و ذلك أن العربى لم يكن ليخرج من داره فى غير

الأشهر الحرم إلا- فى جماعة، و كان القرشى يخرج حيث شاء و أنى شاء، فيقال: رجل من أهل الله فلا يعرض له عارض، و لا يريبه

أحد بمكروه، و يعظمه من لقيه أو ورد عليه، و لذلك قال من قال منهم:  
القرشى بكل بلد حرام.

و أما كعب بن لؤى، و عامر بن لؤى، فهما أهل الحرم و صريح ولد لؤى.

و كان كعب منهما عظيم القدر فى العرب، و أرخوا بموته إعظاما له، إلى أن كان عام الفيل فأرخوا به «١».

و كان بين موته و الفيل، فيما ذكروا، خمسمائة سنة و عشرون سنة. و كان يوم الجمعة يسمى العروبة، فسماه كعب الجمعة لاجتماع قومه فيه يخطبهم و يذكرهم.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٠٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢

فيقول فيما يقول: أيها الناس، اسمعوا وعوا، و افهموا و تعلموا، ليل ساج و نهار ضاح، و السماء بناء، و الأرض مهاد، و النجوم أعلام، لم تخلق عبثا فتضربوا عن أمرها صفحا، الآخرون كالأولين، و الدار أمامكم، و اليقين غير ظنكم، صلوا أرحامكم، و احفظوا أصهاركم، و أوفوا بعهدكم، و ثمروا أموالكم، فإنها قوام مروآتكم، و لا تصونوها عما يجب عليكم، و عظموا هذا الحرم و تمسكوا به فسيكون له نأ عظيم، و سيخرج به نبى كريم. ثم ينشد أبياتا منها:

صروف و أنباء تقلب أهلها عقده ما يستحيل مريها

على غفلة يأتي النبى محمد فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها ثم يقول:

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا أما و الله لو كنت ذا سمع و بصر و يد و رجل لتنصبت فيها تنصب الفحل، و لأرقلت فيها إرقال الجمل، فرحا بدعوته جدلا بصرخته.

فولد كعب بن لؤى بن مرة، و هصيصا، و عديا «١».

و أمهم و حشيه بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك.

و قيل: إن أم عدى وحده امرأة من فهر، و هى حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

فولد مرة بن كعب كلابا، و تيماء، و يقظة «٢».

فولد كلاب رجلين: قصيا و زهرة. و أمهما فاطمة بنت سعد بن سيل، أحد الجدره من خثعمه الأسد من اليمن، حلفاء فى بنى الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و يقال خثعمه الأسد «٣».

و اسم سيل: خير، و إنما سمي سيلا لطوله. و سيل اسم جبل، و هو خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر، بن عمرو بن خثعمه بن يشكر بن مبشر بن صعيب بن دهمان بن نصر بن الأزد.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٠٢).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١٠٢).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٠٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٣

و سمي عامر الجادر لأنه بنى جدارا للكعبة، كان و هى من سيل أتى أيام ولاية جرهم البيت.

و كان عامر تزوج منهم بنت الحارث بن مضا، و قيل لولده الجدره لذلك.

و ذكر الشرفى بن القطامى، أن الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة و يأخذون من طينها و حجارتها تبركا بذلك، و أن عامرا هذا كان

موكلا بإصلاح ما شعث من جدرها، فسمى الجادر. والله أعلم.

و سعد بن سيل جد قصي بن كلاب، وهو أول من حلى السيوف بالفضة والذهب، وأهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين محلين، فجعلها في خزائنه الكعبة.

وقصي هو الذي جمع الله به قريشا، وكان اسمه زيدا، فسمى مجمعا لما جمع من أمرها. وسمى قصيا لتقصيه عن بلاد قومه مع أمه فاطمة بعد وفاة أبيه كلاب بن مرة.

و حديثه في ذلك طويل، وسنذكره إن شاء الله عند ذكر ولايته البيت، وهناك نذكر ما أثره و عظيم غناؤه في إقامة أمر قومه، إن شاء الله، فإن القصد هنا الإيجاز ما أمكن في إيراد هذا النسب المبارك، لتحصل لسامعه الفائدة بانتظامه و اتصاله، ولا يضل ذلك عليه بما تخلل أثناءه من القواطع التي تباعد بين أطرافه.

فولد قصي بن كلاب أربعة نفر و امرأتين «١»:

عبد مناف، و عبد الدار، و عبد العزى، و عبدا، و تخمر، و برة.

و أمهم جميعا حبي بنت حليل بن حبشبة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

و ساد عبد مناف في حياة أبيه، و كان مطاعا في قريش، و هو الذي يدعى القمر لجماله، و اسمه المغيرة.

ذكر الزبير عن موسى بن عقبة، أنه وجد كتابا في حجر، فيه: أنا المغيرة بن قصي، أمر بتقوى الله و صلة الرحم.

و إياه عنى القائل بقوله:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصة لعبد مناف فولد عبد مناف أربعة نفر: هاشما، و عبد شمس، و المطلب، و نوفلا «٢».

(١) انظر: السيرة (١/١٠٣-١٠٤).

(٢) انظر: السيرة (١/١٠٤).

الافتاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤

و كلهم لعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر.

إلا نوفلا فليس منهم، فإنه لوفاة بنت عمرو المازنية. مازن بن منصور بن عكرمة.

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر و خمس نسوة «١».

عبد المطلب، و أسدا، و أبا صيفى، و نضلة، و الشفاء، و خالدة، و ضعيفة، و رقية، و حية، و أم عبد المطلب أمهم سلمى بنت عمرو بن

زيد بن لبيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار.

فولد عبد المطلب عشرة نفر و ست نسوة «٢».

العباس، و حمزة، و عبد الله، و أبا طالب، و اسمه عبد مناف، و الزبير، و الحارث، و هو أكبرهم، و الحجل، و المقوم، و ضرارا، و عبد

العزى أبا لهب، و صفيية، و أم حكيم البيضاء، و عاتكة، و أميمة، و أروى، و برة.

فأم عبد الله و أبى طالب و جميع النساء غير صفيية، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى.

فولد عبد الله بن عبد المطلب، محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين و سيد الأولين و الآخرين، و نخبة الخلق أجمعين،

فنسبه صلى الله عليه و سلم أشرف الأنساب، و سببه إلى الله سبحانه باصطفائه إياه و اختياره له أفضل الأسباب، و بيته في قريش أوسط

بيوتها الحرمية، و أغرق معادنها الكرمية، لم تخل قط مكة من سيد منهم أو سادات، يكونون خير جيلهم و رؤساء قبيلهم، حتى إذا

درجوا سما قسماؤهم في المجد الصميم، و شركاؤهم في النسب الكريم إلى ذلك المقام، فخرجوا فصحبوا على ذلك الزمان.



لواؤهم على من ناوهم منصور، و سؤدد البطحاء عليهم مقصور، و العيون إليهم أية سلكوا صور.

ثم أتى الوادى فطم على القرى، و شد الله أركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبي الأمى، فاحتازوا المجد عن آخره. و فازوا من شرف الدين و الدنيا بما تعجز ألسنة البلغاء عن أدنى مفاخره.

(١) انظر: السيرة (١/١٠٤).

(٢) انظر: السيرة (١/١٠٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٥

و أمه صلى الله عليه و سلم هي آمنه بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب «١»، قسمة أبيه من هذا الأب، و كريمة قومها أولى المكان النبيه و الحسب.

و حسبها من الشرف المتين و الكرم المبين و الفخر الممكن غاية التمكين، أن كانت أما لخاتم النبيين، صلى الله عليه و سلم و على آله أجمعين.

فكيف و لها من نصاعة الحسب المحسب، و عتاقه المنسب و المنصب، ما يقف عند البطاح، و تعترف له قريش البطاح.

فرسول الله صلوات الله و بركاته عليه، خيرة الخير من كلا طرفيه، و قد اعتنى الناس بنسبه الكريم نثرا و نظما، و نقبوا عن آباءه الأمجاد، و أمهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا و أما فأما.

فرادوا من ذلك الفخار حدائق غلبا، و سادوا من شرف تلك الآثار مراقى شما.

و قد تقدمت من ذلك نبذ مثورة أثناء الكلام، و ستأتى إن شاء الله منظومة مع أشكالها، تفوق العقد فى النظام، فى قصيدة فريدة مفيدة، لأبى عبد الله بن أبى الخصال، خاتمة رؤساء الآداب، و العلماء المبرزين فى هذا الباب، سماها «معراج المناقب، و منهاج الحسب الثاقب، فى ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه و سلم و معجزاته و مناقب أصحابه»، قرأتها على شيخنا الخطيب أبى القاسم بن حبش، عنه فقد رأيت أن أورد منها هنا ما يختص بهذا النسب الكريم على اختصار، يفى إن شاء الله بالغرض المروم، إذ الكلام المنظوم أعذب جريا على الألسان و أهدب رأيا فى الإفادة بالمستحسن.

و أولها:

إليك فهمى و الفؤاد يثرب و إن عاقنى عن مطلع الوحى مغربى

أعلل بالآمال نفسا أغرها بتقديم غاياتي و تأخير مذهبي

و دينى على الأيام زورة أحمد فهل ينقضى دينى و يقرب مطلبى

و هل أردن فضل الرسول بطيبة فيا برد أحشائي و يا طيب مشربى

و هل فضلت من مركب العمر فضلةً تبلغنى أم لا بلاغ لمركب

ألا ليت زادى شربةً من مياهاها هل مثلها ريا لعلها مذنب

(١) انظر نسبها فى: السيرة (١/١٠٥)، و ذكرها هناك من جهة الأب، و من جهة الأم و قال بعد نسبها من جهة الأب: و أمها بره بنت

عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٦ و يا ليتنى فيها إلى الله صائرو قلبى عن الإيمان غير مقلب

و إن امرؤ وارى البقيع عظامه لفى زمرة تلقى بسهل و مرحب

و فى ذمة من خير من وطئ الثرى و من يعتلقه حبله لا يعذب

و ما لى لا أشرى الجنان بعزمة يهون عليها كل طام و سبب  
و ما ذا الذى يثنى عنانى و إننى لجواب آفاق كثير التقلب  
أفقر ففى كفى لله نعمه و بين فقد فارقت قبل بنى أبى  
و قد مرنت نفسى على البعد و انطوت على مثل حد السمهرى المدرب  
و كم غربه فى غير حق قطعتهافهلا لذات الله كان تغربى  
و كم فاز دونى بالذى رمت فائزو أخطأنى ما ناله من تغرب  
أراه و أهوى فعلة البر قاعدافيا قعدى البر قم و تلب  
أمانى قد أفنى الشباب انتظارهاو كيف بما أعىى الشباب لأشيب  
و قد كانت أسرى فى الظلام بأدهم فها أنا أغدو فى الصباح بأشهب  
فمن لى و أنى لى بريح تحطنى إلى ذروة البيت الرفيع المطنب  
إلى الهاشمى الأبطحى محمد إلى خاتم الرسل المكين المقرب  
إلى صفوة الله الأمين لوحيه أبى القاسم الهادى إلى خير مشعب  
إلى ابن الذبيحين الذى صيغ مجدهو لما تصغ شمس و لا بدر غيهب  
إلى المنتقى من عهد آدم فى الذرى يردد فى سر الصريح المهذب  
إلى من تولى الله تطهير بيتهو عصمته من كل عيص مؤشب  
فجاء برىء العرض من كل وصمة فمأ شئت من أم حصان و من أب  
كروض الربا كالشمس فى رونق الضحى كناشئ ماء المزن قبل التصوب  
عليه من الرحمن عين كلاءة تجنبه إمام كل معجب  
إذا عرضت أعراقه عن قبيلة فمأ عرضت إلا لأمر مغيب  
و ما عبرت إلا على مسلك الهدى و لا عثرت إلا على كل طيب  
فمن مثل عبد الله خير لداتهو آمنه فى خير ضنه و منصب  
إذا اتصلت جاء تكأ أفلاذ زهرة كأسد الشرى من كل أشوس أغلب  
و لا خال إلا دون سعد بن مالك و لو كان فى عليا معد و يعرب  
و من ذاله جد كشيبة ذى الندى و ساقى الحجيج بين شرق و مغرب  
له سؤدد البطحاء غير مدافع و حومة ما بين الصفا و المحصب  
أبو الحارث السامى إلى كل ذروة يقصر عن إدراكها كل كوكب  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٧ به و بما فى برده من أمانة حمى الله ذاك البيت من كل مرهب  
و أهلك بالطير الأبايل جمعهم فيا لهم من عارض غير خلب  
و فيما رآه شبيهة الحمد آية تلوح لعين الناظر المتعجب  
و فى ضربه عنه القداح مروعاو من يرم بين العين و الأنف يرهب  
و ما زال يرمى و السهام تصيبه إلى أن وقبه الكوم من نسل أرحب  
و كانوا أناسا كلما أمهم أذى تكشف عن صنع من الله معجب  
و عاش بنو الحاجات فيهم و أخصبواو إن أصبحوا فى منزل غير مخصب

و عمرو المعالي هاشم و ثريده بمكة يدعو كل أغبر مجذب  
بمثنى جفان كالجواب منيخة ملثن عبيطات السنام المرعب  
هو السيد المتبوع و القمر الذي على صفحته في الرضا ماء مذهب  
بنى الله للإسلام عزا بصهره إلى منتهى الأحياء من آل يثرب  
و عبد مناف دوحه الشرف الذي تفرع منها كل أروع محرب  
مطاع قريش و الكفيل بعزهاو مانعها من كل ضيم و منهب  
و زيد و من زيد قصي مجمع سمعت و بلغنا و حسبك فاذهب  
به اجتمعت أحياء فهر و أحرزت تراث أبيها دون كل مذذبذ  
و أصبح حكم الله في آل بيته فهم حوله من سادنين و حجب  
و ما أسلمته عن تراخ خزاعه و لكن كما عض الهناء بأجرب  
و لاذت قريش من كلاب بن مرة بجذل حكاك أو بعذق مرحب  
و مرة ذو نفس لدى الحرب مرة و في السلم نفس الصرخدى المذوب  
و كعب عقيد الجود و الحكم و النهى و ذو الحكم الغر المبشر بالنبي  
خطيب لؤي و اللواء بكفه لخطبة ناد أو لخطه مقنب  
و أول من سمى العروبة جمعه و صدر أما بعد يلحى و يطبى  
و أرخ آل الله دهرا بموته سنين سدى يتعبن كف المحسب  
و أضحى لؤي غالبا كل ماجدو من غالب يمينه للمجد يغلب  
و فهر أبو الأحياء جامع شملهاو كاسبها من فخره خير مكسب  
تقرش فامتازت قريش بفضله و سد فسدوا خلة المتأوب  
و غادره اسما في الكتاب منزلا يمر به في آيه كل معرب  
و مالك المربي على كل مالك فتى النضر حابته السيادة بل حبي  
هو الليث في الهيجاء و الغيث في الندى و بدر الدياتي حين يسرى و يحتبى  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٨ تردى بفضفاض على المجد نسجه و ليس عليه، فليجر و يسحب  
و للنضر يا للنضر من كل مشهدهو الشمس صعد في سناها و صوب  
و أعرض بحر من كنانة زاخر يساق إلى أمواجه كل مذنب  
و خير حكما في الصهيل أو الوغا فلم أو البيت أو عز على الدهر مصحب  
يقتصر و اختار كلا فحازه إلى غاية العزم المديد المعقب  
له البيت محجوبا و عز مخلدو أجرد يعبوب إلى جانب أصهب  
و خزم آناف العتاء خزيمة فلاذوا بأخلاق الذلول المغرب  
عظيم لسلمى بنت سود بن أسلم لكل قضاعى كريم مصعب  
و مدركة ذو اليمن و النجح عامرو خير مسمى في العلا و ملقب  
تراءى مطلا إذ تقمع صنوه ففاز بقدح ظافر لم يخيب  
لأم الجبل الشم و القطر و الحصى لخندف إن تسترك الأرض تركب

و إلياس مأوى الناس فى كل أزمه و مهريهم فى كل خوف و مرهب  
و زاجرهم إذ بدلوا الدين ضيلئه و أضحوا بلا هاد و لا متحوب  
و جاءهم بالركن بعد هلاكه و قد كان فى صدع من الرض أنكب  
و ما هو إلا معجز لنبوئه و بشرى و عقبى للبشير المعقب  
و حج و أهدى البدن أول مشعلها و فروض الحج لم تترتب  
و كم حكمه لم تسمع الأذن مثلها له إن تلح فى ناظر العين تكتب  
إلى قنص تنميه سوداء نبته كلا طرفيه من معد لمنسب  
و فى مضر تاه الكلام و أقبلت مآثر سدت كل وجه و مذهب  
و حيناً و كثرنا النجوم بجمعها بأكثر منها فى العديد و أتقب  
هنالك أتى الله من شاء فضله و قيل لهذا سر و للآخر اركب  
و كانا شقيقى نبعه فتفاو تا العلم و حكم ماله من معقب  
و ما منهما إلا حنيف و مسلم على نهج إسماعيل غير منكب  
و قد سلم الأفعى بنجران حكمه إليهم و لم ينظر إلى متعقب  
رأى فطنا أبدت له عن نجاره و كان لنبع فاستحال لأثاب  
و تلك علامات النبوه كلها تشير إلى منظورها المترقب  
و قال رسول الله مهما اختلفتم و لم تعرفوا قصد السبيل الملح  
ففى مضر جرثومه الحق فاعمدوا إلى مضر تلفوه لم يتنقب  
و ما سيد إلا نزار يفوته و من فاته بدر الدجى لم يؤنب  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص ٢٩: قريع معد و الذى سد نفده متى يأتهم شعب من الدهر يرأب  
أبو أبحر الدنيا و أطواها التى بها ثبت طراً فلم تنقلب  
و لم يكفه حتى أعانت معانته بكل عتيق جرهمى مهذب  
و جاء و السماء شمسها و أقمارها فى ذيله المتسحب  
و بين يديه الأنجم الزهر بثها على الأرض حتى لا مساغ لأجنبى  
و قدما تحفى الله من بختنصره و الورى من هالك و معذب  
و جنبه أرض البوار و حازه إلى معقل من حرزه متأشب  
و حل يارمينية تحت حفظه لدى ملك عن جانيه مذذب  
فلما تجلى الروح أسرى بعبده إلى حرم أمن لأبنائه اجتبى  
و قد كان رد الله عنهم كليمه ليالى يدعو دعوة المتغضب  
و جاء بنو يعقوب يشكون منهم ينادونه هذا قتيل و ذا سبى  
فقال له لا تدع موسى عليهم فمنهم نبى أصطفيه و أجتبى  
أحبهم فيه رضا و أحبه كذلك من أحبه يكرم و يحب  
و أغفر إن يستغفرونى ذنوبهم و مهما دعا داع أجه و أقرب  
فقال إذن فاجعلهم رب أمتى فمن ترضاه يا رب يرض و يرغب

فقال هم في آخر الدهر صفوتى يقضون أعدائى و يستنصرون بى  
دعائم إيمان و أركان سؤدد مضت بعلاها مهدد بنت جلحب  
و مصعد عدنان إلى جذم آدم بأبين من قصد الصباح و الحب  
و نهى رسول الله صد و جوههاو كان لنا فى نظمها شد ملهب  
و إلفاد بن الهميسع مائل و نبت بن قيدار سلاله أشجب  
و واجه أعراق الثرى كل من ترى و أسمع إسماعيل دعوة مكثب  
و قام خليل الله يتلوه آزرأغر صباحى لأدهم غيهب  
إلى الناحر ابن الشارع الغمر يرتقى و للداع ثم القاسم الشامخ الأب  
و يعبر ينميه إلى المجد شالخ إلى الرافد الوهاب برك و طيب  
لسام أبى السامين طرا سما بهم لنوح للمكان العلى لمثوب  
لإدريس ثم الرائد بن مهلهل لقينن ثم الطاهر المتطيب  
إلى هبة الرحمن شيث بن آدم أبى البشر الأعلى لطين لأثلب

فمنه خلقنا ثم فيه معادنا و منه إلى عدن فسد و قارب و هنا انتهى ما يخص المنتمى العلى من هذه الكلمة، التى فرى ناظمها فى  
الإحسان

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠

الفرى المحمود، فاقتصرت منها على ما و فى بالغرض المقصود، و استوفى رجال النسب المجيد و الحسب التليد، تعجيلا- لقرى  
المستفيد، و اكتفاء من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، و إنها إن شاء الله لكافية فى الباب، و مقدمة فى الكلام اللباب، و تحفة إنما  
يعرف قدرها أولو الألباب.

و الله يجزى قائلها الحسنى، و ينفعه بمقصده الأسنى.

و إذ قد انتهينا إلى ما حسن لدينا إيراده فى هذا المعنى و صفا و ذكرا، و خدمنا النسب الأشرف نظما و نثرا، فلنخرج على ذكر البقعة  
التى اختارها الله لرسوله الكريم منشأ، و جعلها لقومه قرارا و متبوا، و أولية البيت العتيق الذى جعله الله مثابة و أمنا للناس، و رفعه على  
أفضل القواعد و أكرم الأساس، ثم دحا الأرض من تحته رفعا للشبهة فى شرفه و الالتباس.

ثم نذكر من وليه من آبائه الكرام، إذا هم أهله الأعلون و أولياؤه الأحقاء به الأولون، و هو ما أثرتهم التى لم يزالوا إياها يراعون، و من  
جرائها يراعون، و تراث المجد الذى إليهم يعزى و إليه يعزون، و بسيماء شرفه يعرفون و باسمه يدعون.

و نشير إلى حرمة العظيمة فى الحرمات، و ما أنزل الله تعالى بمن بغاه بسوء أو أتى فيه بأمر مذموم مشنوء من أليم العقوبات و عظيم  
النقمة.

لنخدم البلد كما خدمنا المحتد، و نقضى حق المكان الشريف كما قضينا حق الحسب التليد و الطريف.

حق نخلص إلى ذكر المولد المبارك الذى منه تدرج إلى المقصود، الذى نحن عليه عاملون، و لتمامه آملون، رجاء أن نجد ذلك  
مذخورا عند المولى الذى يضاعف لعبيده الحسنات و يعفو عن السيئات و يعلم ما يفعلون.

**ذكر أولية بيت الله المحرم و ركنه المستلم و من تولى بناءه من ملائكته و أنبيائه صلى الله على جميعهم و سلم**

قال الله العظيم: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَاكَ مَبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ [آل عمران: ٩٦].

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١

وفي الصحيح من حديث أبي ذر الغفاري، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ فقال له: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاما» (١).

و ذكر الزبير بن أبي بكر بإسناده إلى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه، قال:

كنت مع أبي محمد بن علي بمكة في ليالي العشر قبل التروية بيوم أو يومين، وأبي قائم يصلي في الحجر، وأنا جالس وراءه، فجاء رجل أبيض الرأس واللحية، جليل العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر، عليه ثوبان غليظان في هيئة محرم، فجلس إلى جنبه، فخفف أبي الصلاة، فسلم ثم أقبل عليه، فقال له الرجل: يا أبا جعفر، أخبرني عن بدء خلق هذا البيت كيف كان؟

فقال له أبو جعفر محمد بن علي: ممن أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من أهل الشام.

فقال له محمد بن علي: إن أحاديثنا إذا سقطت إلى الشام جاءتنا صحاحا، وإذا سقطت إلى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص.

ثم قال: بدء خلق هذا البيت أن الله تبارك وتعالى، قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، فرددوا عليه: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا الْآيَةَ.

و غضب عليهم، فعادوا بالعرش، و طافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربهم، فرضى عنهم و قال لهم: ابنوا لي في الأرض بيتا فيعود به من سخطت عليه من بني آدم و يطوفون حوله، كما فعلتم بعرشي، فأرضى عنهم.

فبنوا له هذا البيت. فهذا يا عبد الله بدء خلق هذا البيت.

فقال الرجل: يا أبا جعفر، فما بدء خلق هذا الركن؟

فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق، قال لبني آدم: أ لست بربكم؟ قالوا: بلى.

و أقرؤا. و أجرى نهرا أحلى من العسل و ألد من الزبد، ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر فكتب إقرارهم و ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر، فهذا الاستلام الذي ترى إنما هو بيعه على إقرارهم بالذي كانوا أقرؤا به.

(١) أخرجه البخاري (١٧٧ / ٤)، مسلم في صحيحه كتاب المساجد (١، ٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٤٣٣)، السيوطي في

الدر المنثور (٢ / ٥٢)، ابن كثير في التفسير (٢ / ٤٣، ٥ / ٤٠٩)، القرطبي في التفسير (٤ / ١٣٧)، أبو نعيم في الحلية (٤ / ٢١٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٢

و قال جعفر بن محمد: كان أبي إذا استلم الركن قال: اللهم أمانتي أديتها، و ميثاقي وفيت به، ليشهد لي عندك بالوفاء. قال: و قام الرجل فذهب.

قال جعفر بن محمد: فأمرني أبي أن أرده عليه، فخرجت في أثره و أنا أراه، يحول بيني و بينه الزحام، حتى دخل نحو الصفا، فتبصرته على الصفا فلم أره، ثم ذهبت إلى المروة فلم أره عليها، فجت إلى أبي فأخبرته فقال لي أبي: لم تكن لتجده، و ذلك الخضر عليه السلام!!

و خرج الترمذي من حديث عبد الله بن عباس و صححه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«نزل الحجر الأسود من الجنة و هو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم» (١).

و من حديث عبد الله بن عمرو، مرفوعا و موقوفا، قال: «إن الركن و المقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، و لو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق و المغرب» (٢).

و من حديث ابن عباس أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر: «و الله ليبعثه الله يوم القيامة، له عينان يبصر بهما و لسان ينطق، يشهد على من استلمه بحق» (٣).

و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من حديث عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن آدم عليه السلام لما هبط

إلى الأرض فرأى سعتها و لم ير فيها أحدا غيره، قال: يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبح بحمدك و يقدسك غيري؟ قال الله تعالى: إني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى و يقدسنى، و سأجعل فيها بيوتا ترفع لذكركى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى، و سأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى و أوثره باسمى، فأسميه بيتى، و عليه وضعت جلالى، ثم أنا

(١) أخرجه الترمذى حديث رقم (٨٧٧)، ابن خزيمة فى صحيحه (٢٧٣٣)، المتقى الهندى فى الكنز (٣٤٧٣٧)، الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٣٤٤ / ٤)، التبريزى فى مشكاة المصابيح (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٢١٣ / ٢)، الحاكم فى المستدرک (٤٥٦ / ١)، المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٤٧٤١)، التبريزى فى مشكاة المصابيح (٢٥٧٩)، السيوطى فى جمع الجوامع (٥٥٧٠).

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه حديث (٩٦١)، الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٢٧٦ / ٤)، المتقى الهندى فى الكنز (٣٤٧٢٣).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣

مع ذلك فى كل شىء و مع كل شىء، أجعل ذلك البيت حرما آمنا، يتحرم بحرمة من حوله و من تحته و من فوقه، فمن حرمة بحرمتى استوجب بذلك كرامتى و من أخاف أهله فقد أخفر ذمتى و أباح حرمتى، أجعله أول بيت وضع للناس بطن مكة مباركا، يأتونه شعنا غربا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يزجون بالتلبية زجيجا و يشجون بالبكاء ثجيجا، و يعجون بالتكبير عجيجا. فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إلى و زارنى و صافنى، و حق على الكريم أن يكرم وفده و أضيافه، و أن يسعف كلا بحاجته. تعمره يا آدم ما كنت حى، ثم تعمره الأمم و القرون و الأنبياء من ولدك، أمه بعد أمه و قرنا بعد قرن «١».

و فى حديث غير هذا عن عطاء و قتادة، أن آدم عليه السلام، لما أهبه الله من الجنة و فقد ما كان يسمعه و يأنس إليه من أصوات الملائكة و تسييحهم، استوحش حتى شكا ذلك إلى الله تعالى فى دعائه و صلاته، فوجهه إلى مكة، و أنزل الله تعالى ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن.

و قال الله: يا آدم، إني قد أهببت لك بيتا تطوف به، كما يطاف حول عرشى و تصلى عنده كما يصلى عند عرشى.

فانطلق إليه آدم، فطاف به هو و من بعده من الأنبياء، إلى أن كان الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى أمر الله إبراهيم عليه السلام ببناء البيت، فبناه، فذلك قوله تعالى:

وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ الْآيَةَ.

و عن ابن عباس، أن الله أوحى إلى آدم: أن لى حرما بحيال عرشى، فانطلق فابن لى بيتا فيه، ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى، فهناك أستجيب لك و لولدك، من كان منهم فى طاعتى.

فقال آدم: أى رب، و كيف لى بذلك؟ لست أقوى عليه و لا أهتدى لمكانه.

فقيض الله له ملكا فانطلق به نحو مكة، فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة و مكان يعجبه قال للملك: انزل بنا هاهنا. فيقول له الملك: أمامك.

حتى قدم مكة، فبنى البيت من خمسة أجبل، من طور سيناء، و طور زيتا، و من لبنان، و الجودى، و بنى قواعده من حراء.

(١) أخرجه الطبرى فى التاريخ (١ / ١٣١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤

فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات، فأراه المناسك كلها، التى يفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة، فطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع إلى أرض الهند فمات بها.



و في رواية أنه حج من الهند أربعين حجة على رجله.

و ذكر الواقدي عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة العدوي قال: قلت لأبي جهم ابن حذيفة: يا عم، حدثني عن بناء البيت و نزول إسماعيل عليه السلام الحرم.

قال: يا ابن أخي سلني عنه على نشاط مني فأني أعلم من ذلك ما لا يعلمه غيري.

قال: فمكثت شهرا أذكره المرة بعد المرة، فيقول مثل قوله الأول، و كان قد كبر و رق و ضعف، فدخلت عليه يوما و هو مسرور، فقال لي: اسمع حديثك الذي سألتني عنه.

إن البيت بناؤه حرم في السماء السابعة و في الأرض السابعة. يعني أن ما يقابله حرم.

و إن آدم عليه السلام، أمر بأساسه فبناه هو و حواء، أسسها بصخر أمثال الخلفات، يعني النوق التي في بطونها أجنه، واحدها خلفه. أذن الله عز و جل للصخر أن يطيعهما.

ثم نزل البيت من السماء من ذهب أحمر، و كل به من الملائكة سبعون ألف ملك، فوضعه على رأس آدم عليه السلام، و نزل الركن، و هو يومئذ درة بيضاء، فوضع موضعه اليوم من البيت، و طاف به آدم و صلى فيه. فلما مات آدم عليه السلام وليه بعده ابنه شيث، فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام. فلما كان الغرق يعني الطوفان، بعث الله جل ثناؤه سبعين ألف ملك فرفعوه إلى السماء، كي لا يصيبه الماء النجس، و بقيت قواعد، و جاءت السفينة فدارت به سبعا ثم دثر البيت، فلم يحجه من بين نوح و بين إبراهيم أحد من الأنبياء على جميعهم السلام «١».

و عن غير الواقدي في غير حديث أبي جهم، أن شيث بن آدم عليهما السلام، هو أول من بنى الكعبة، و أنها كانت قبل أن يبنها خيمة من ياقوته حمراء يطوف بها آدم و يأنس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة، و كان قد حج إلى موضعها من الهند.

و في الخبر أن موضعها كان غطاء على الماء قبل أن يخلق الله السموات و الأرض، فلما

(١) قد أورد الحافظ ابن كثير في البداية و النهاية الكثير من الأخبار عن بناء البيت. انظرها في البداية و النهاية (١/١٦٧ - ١٧٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٥

بدأ الله خلق الأشياء، خلق التربة قبل السماء، فلما خلق السماء و قضاها سبع سماوات، دحا الأرض، أي بسطها، و إنما دحاها من تحت الكعبة، فلذلك سميت مكة أم القرى.

و ذكر ابن هشام أن الماء لم يصل الكعبة حين الطوفان، و لكنه قام حولها، و بقيت هي في هواء إلى السماء، و أن نوحا قال لأهل السفينة، و هي تطوف بالبيت: إنكم في حرم الله عز و جل و حول بيته، فأحرموا الله و لا يمس أحد امرأة. و جعل بينهم و بين النساء حاجزا، فتعدى حام، فدعا عليه نوح بأن يسود الله لون بنيه، فأجابه الله على وفق ما دعاه، و اسود كوش بن حام و ولده إلى يوم القيامة. و قد قيل في سبب دعوته غير هذا، فالله أعلم.

و يروى أنه لما نصب ماء الطوفان، بقي مكان البيت ربوة من مدره، فحج إليه بعد ذلك هود و صالح و من آمن معهما، و أن يعرب قال لهود عليه السلام: ألا تبنيه؟ قال: إنما يبنه نبي كريم يأتي من بعدى، يتخذ الرحمن خليلا.

قال أبو جهم، من حديث الواقدي «١»: حتى أراد الله بإبراهيم ما أراد، فولد له إسماعيل و هو ابن تسعين سنه، فكان بكر أبيه، فلما أراد الله عز و جل، أن يبوي لإبراهيم مكان البيت و أعلامه، أوحى الله إليه يأمره بالمسير إلى بلده الحرام، فركب إبراهيم البراق، و حمل إسماعيل أمامه و هو ابن سنتين، و هاجر خلفه، و معه جبريل يدلّه على موضع البيت و معالم الحرم، فكان لا يمر بقريه إلا قال له إبراهيم: بهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: لا. حتى قدم به مكة، و هي إذ ذاك عضة و سلم و سمر، و العماليق يومئذ حول الحرم، و هم أول من نزل مكة و يكونون بعرفه، و كانت المياه يومئذ قليلة، و كان موضع البيت قد دثر و هو ربوة حمراء مدره، و هو يشرف



على ما حوله، فقال جبريل حين دخل من كداء «٢»، وهو الجبل الذي يطلعك على الحجون «٣» و المقبرة: بهذا أمرت. قال إبراهيم: بهذا أمرت؟ قال: نعم.

(١) انظر ما ذكره ابن كثير في البداية (١/١٥٩).

(٢) كداء: بفتح أوله ممدود لا يصرف لأنه مؤنث، جبل بمكة، وهو عرفه و هي كلها موقف إلا عرفه فليست في الحرم بينها وبين الحرم رمية حجر. انظر: الروض المعطار (٤٩٠)، معجم ما استعجم (٤/١١١٧، ١١١٨).

(٣) الحجون: بفتح الحاء، موضع بمكة عند المحصب، وهو الجبل المشرف بحذاء المسجد الذي يلي شعب الجزارين إلى ما بين الحوضين اللذين في حائط عوف، وقيل: الحجون مقبرة أهل مكة تجاه دار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر: الروض المعطار (١٨٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٦

فانتهى إلى موضع البيت، فعمد إبراهيم إلى موضع الحجر فأوى فيه هاجر وإسماعيل، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشا، فلما أراد إبراهيم أن يخرج، ورأت أم إسماعيل أنه ليس بحضرتها أحد من الناس ولا ماء ظاهر، تركت ابنها في مكانه وتبعته إبراهيم، فقالت: يا إبراهيم إلى من تدعنا؟ فسكت عنها، حتى إذا دنا من كداء قال: إلى الله عز وجل أدعكم. فقالت: فإله عز وجل أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فحسبي تركتنا إلى كاف.

وانصرفت هاجر إلى ابنها، و خرج إبراهيم حتى وقف على كداء، ولا بناء ولا ظل ولا شيء يحول دون ابنه، فنظر إليه، فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده، فقال:

رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُغْلِي وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام، وعمدت هاجر فجعلت عريشا في موضع الحجر من سمر و ثمام ألقته عليه و معها شن فيه شيء من ماء، فلما نفذ الماء عطش إسماعيل و عطشت أمه، فانقطع لبنها، فأخذ إسماعيل كهينة الموت، فظنت أنه ميت، فجزعت و خرجت جزعا أن تراه على تلك الحال، و قالت: يموت و أنا غائبة عنه أهون علي، و عسى الله أن يجعل لي في ممشاي خيرا.

فانطلقت فنظرت إلى جبل الصفا، فأشرفت عليه تستغيث ربها عز وجل و تدعوه، ثم انحدرت إلى المروة، فلما كانت في الوادي خبت حتى انتهت إلى المروة، ففعلت ذلك سبع مرار، كلما أشرفت على الصفا نظرت إلى ابنها، فتراه على حاله، و إذا أشرفت على المروة فمثل ذلك.

فكان ذلك أول ما سعى بين الصفا و المروة. و كان من قبلها يطوفون بالبيت و لا يسعون بين الصفا و المروة، و لا يقفون المواقف، حتى كان إبراهيم.

فلما كان الشوط السابع و يئست سمعت صوتا، فاستمعت فلم تسمع إلا الأول، فظنت أنه شيء عرض لسمعها من الظمأ و الجهد.

فنظرت إلى ابنها فإذا هو يتحرك، فأقامت على المروة مليا، ثم سمعت الصوت الأول، فقالت: إني سمعت صوتك فأعجبني، فإن كان عندك خير فأغثنى، فإنني قد هلكت و هلك ما عندي.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧

فخرج الصوت يصوت بين يديها، و خرجت تتلوه قد قويت له نفسها، حتى انتهى الصوت عند رأس إسماعيل، ثم بدا لها جبريل، فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم، فضرب بعقبه مكان البئر، فظهر الماء فوق الأرض حين فحص بعقبه، و فارت بالرواء، و جعلت أم إسماعيل تحظر الماء بالتراب خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها، فاستقت و بادرت إلى ابنها فسقته و شربت، فجعل ثدياها

يتقطران لبنا، فكان ذلك اللبن طعاما و شرابا لإسماعيل، و كانت تجترى بماء زمزم، فقال لها الملك: لا تخافى أن ينفد هذا الماء، و أبشرى، فإن ابنك سيشب و يأتي أبوه من الشام، فتبنون هاهنا بيتا يأتيه عباد الله من أقطار الأرضين ملبين لله جل ثناؤه شعنا غربا، فيطوفون به و يكون هذا الماء شرابا لضيفان الله عز و جل، الذين يزورون بيته.

فقال: بشرك الله بخير، و طابت نفسها، و حمدت الله عز و جل.

و يقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرا لهما أخطأهما، فقد عطشا و أهلهما بعرفه، فنظرا إلى طير يهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك، و قالوا: أنى يكون الطير على غير ماء؟

فقال أحدهما لصاحبه: أمهل حتى نبرد، ثم نسلك في مهوى الطير.

فأبردا ثم تروحا، فإذا الطير ترد و تصدر، فاتبعا الواردة منها حتى وقفا على أبي قبيس، فنظرا إلى الماء و إلى العريش، فنزلا و كلما هاجر و سألاها متى نزلت؟ فأخبرتهما، و قالوا: لمن هذا الماء؟ فقالت: لى و لابنى. فقالوا: من حفره؟ فقالت: سقى الله جل ثناؤه.

فعرفا أن أحدا لا يقدر على أن يحفر هناك ماء، و عهدهما بما هناك قريب و ليس به ماء.

فرجعا إلى أهلهما من ليلتهما، فأخبراهم، فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء فأنست بهم، و معهم الذرية، فنشأ إسماعيل مع ولدانهم.

و كان إبراهيم يزور هاجر فى كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة، ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام.

فزارها بعد، و نظر إلى من هناك من العماليق و إلى كثرتهم و غماره الماء، فسر بذلك.

و لما بلغ إسماعيل عليه السلام، تزوج امرأة من العماليق، فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل، و إسماعيل فى ماشية يرعاها و يخرج متنكبا قوسه، فيرمى الصيد مع رعيته، فجاء إبراهيم عليه السلام إلى منزله، فقال: السلام عليكم يا أهل البيت.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٨

قال: فسكنت فلم ترد، إلا أن تكون ردت فى نفسها، فقال: هل من منزل؟ فقالت:

لا- هيم الله إذن، قال: فكيف طعامكم و شرابكم و شأؤكم؟ فذكرت جهدا، فقالت: أما الطعام فلا طعام، و أما الشاء فإنما نحلب الشاء بعد الشاء المصر، و أما الماء فعلى ما ترى من الغلظ، قال: فأين رب البيت؟ قالت: فى حاجته.

قال: فإذا جاء فأقرئيه السلام، و قولى له غير عتبه بيتك.

و رجع إبراهيم إلى منزله، و أقبل إسماعيل راجعا إلى منزله بعد ذلك بما شاء الله عز و جل، فلما انتهى إلى منزله سأل امرأته هل جاءك أحد؟ فأخبرته بإبراهيم و قوله و ما قالت له، ففارقها و أقام ما شاء الله أن يقيم.

و كانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة الحرم و استحلوا منه أمورا عظاما و نالوا ما لم يكونوا ينالون، فقام فيهم رجل منهم يقال له عموق، فقال: يا قوم أبقوا على أنفسكم، فقد رأيتم و سمعتم من أهلك من هذه الأمم، فلا تفعلوا، تواصلوا و لا تستخفوا بحرم الله عز و جل و موضع بيته.

فلم يقبلوا ذلك منه، و تبادوا فى هلكة أنفسهم.

ثم إن جرهما و قطوراء، و هما أبناء عم خرجوا سياره من اليمن، أجدبت البلاد عليهم، فساروا بذرايرهم و أموالهم، فلما قدموا مكة رأوا فيها ماء معينا و شجرا ملتفا، و نباتا كثيرا، و سعه من البلاد، و دفنا فى الشتاء.

فقالوا: إن هذا الموضوع يجمع لنا ما نريد.

فأعجبهم و نزلوا به، و كان لا يخرج من اليمن قوم إلا و لهم ملك يقيم أمرهم، سنه فيهم جروا عليها و اعتادوها و لو كانوا نفرا يسيرا.

فكان مضاى بن عمرو على قومه من جرهم، و كان على قطوراء السמידع، رجل منهم.

فنزل مضاى بمن معه من جرهم أعلى مكة بقعيقعان «١» فما حاز.

و نزل السמידع بقطوراء أسفل مكة بأجباد «٢»، فما حاز.

(١) قعيقعان: جبل بأعلى مكة، قيل سمي قعيقعان لأن مضاض بن عمرو لما سار إلى السמידع معه كتيبة فيها عدتها من الرماح و الدرق و السيوف تقعقع بذلك فسمى قعيقعان، و القصصة طويلة.

انظر: الروض المعطار (٤٧٧)، معجم ما استعجم (٣/ ١٠٨٦).

(٢) أجياد: بفتح أوله و إسكان ثانيه و بالياء أخت الواو و الدال المهملة، كأنه جمع جيد، أحد جبال-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٩

و ذهبت العماليق إلى أن ينازعوهم أمرهم فقلت أيديهم على العماليق و أخرجوهم من الحرم كله، فصاروا في أطرافه لا يدخلونه. و جعل مضاض و السמידع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا و أثروا، فكان مضاض يعشر، كل من دخل مكة من أعلاها، و كان السמידع يشعر كل من دخل من أسفلها، و كل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه، و كانوا قوما عربا و كان اللسان عربيا.

و كان إبراهيم يزور إسماعيل، فلما نظر إلى جرحهم نظر إلى لسان عجيب و سمع كلاما حسنا، و نظر إسماعيل إلى رعله بنت مضاض بن عمرو، فأعجبه فخطبها إلى أبيها فتزوجها.

فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل، فجاء إلى بيت إسماعيل، فقال: السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله، فقامت إليه المرأة فردت عليه و رحبت به، فقال: كيف عيشكم و لبنكم و ماشيتكم؟ فقالت خير عيش بحمد الله عز و جل، نحن في لبن كثير و لحم كثير و ماؤنا طيب، قال: هل من حب؟ قالت: يكون إن شاء الله و نحن في نعم. قال: بارك الله لكم.

قال أبو جهم: فكان أبي يقول: ليس أحد يخلى عن اللحم و الماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه، و لعمرى لو وجد عندنا حبا لدعا فيه بالبركة فكانت أرض زرع.

و يقال: إن إبراهيم قال لها: ما طعامكم؟ قالت: اللحم و اللبن. قال: فما شرابكم؟

قالت: اللبن و الماء. قال: بارك الله لكم في طعامكم و شرابكم، فاللبن طعام و شراب.

قالت: فانزل رحمك الله فاطعم و اشرب. قال: إني لا أستطيع النزول. قالت: فإني أراك شعنا أ فلا أغسل رأسك و أدهنه؟ قال: بلى إن شئت. فجاءته بالمقام و هو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهأة، ملقى في بيت إسماعيل، فوضع عليه قدمه اليمنى و قدم إليها رأسه و هو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن، فلما فرغت حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى، و قدم إليها رأسه فغسلت شق رأسه الأيسر، فالأثر الذي في المقام من ذلك. قال أبو جهم: فقد رأيت موضع العقب و الإصبع.

- مكة و هو الجبل الأخضر العالى بغربى المسجد الحرام، و فى رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضى الله عنه أمر ببنائه ينادى عليه المؤذنون فى رمضان، يقابل من الكعبة الركن اليماني يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام، و يقابل قعيقعان من ناحية الغرب. انظر: الروض المعطار (١٢، ١٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٠

و عن الواقدي من غير حديث أبي جهم أن أبا سعيد الخدرى سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام، فقال: كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم إلا أن الله جل ثناؤه، أراد أن يجعل المقام آية من آياته.

قال أبو جهم: فلما فرغت يعنى المرأة، من غسل رأس إبراهيم عليه السلام، قال لها:

إذا جاء إسماعيل فقولى له: أثبت عتبة بابك فإن صلاح المنزل العتبة.

فلما جاء إسماعيل قال: هل جاءك أحد بعدى؟ فأخبرته بإبراهيم و ما صنعت به، ثم قال لها: هل قال لك أن تقولى لى شيئا؟ قالت:

قال لى أثبت عتبه بابك فإن صلاح المنزل العتبه.

ففرح إسماعيل و قال: أ تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هذا خليل الله إبراهيم أبى، و أما قوله: «أثبت عتبه بابك» فقد أمرنى أن أفرک و قد كنت على كريمة و قد ازددت على كرامة. فصاحت و بكت، فقال: ما لك؟ قالت: ألا أكون علمت بمن هو فأكرمه و أصنع به غير الذى صنعت! فقال لها إسماعيل: لا- تبكى و لا تجزعى فقد أحسنت و لم تكونى تقدرين أن تفعلى فوق الذى فعلت، و لم يكن ليزيدك على الذى صنع بك.

فولدت لإسماعيل عشرة ذكور أحدهم نابت «١».

فلما بلغ إسماعيل ثلاثين سنة و إبراهيم يومئذ ابن مائة سنة، أوحى الله جل ثناؤه إلى إبراهيم أن ابن لى بيتا. قال إبراهيم: أى رب أين أبنيه؟.

فأوحى الله إليه: أن اتبع السكينة، و هى ریح لها وجه و جناحان و مع إبراهيم الملك و الصرد.

فانتهوا بإبراهيم إلى مكة، فنزل إسماعيل إلى الموضع الذى بوأه الله جل و عز، لإبراهيم، و موضع البيت ربوة حمراء مدره مشرفة على ما حولها.

فحفر إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و ليس معهما غيرهما، أساس البيت، يريدان أساس آدم الأول.

(١) قال ابن هشام فى السيرة (٢٤٠-٢٤١): حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، اثنى عشر رجلا: نابتا، و كان أكبرهم، و قيذر، و أذبل، و ميشا، و مسمعا، و ماشى، و دما، و أذر، و طيما، و يطور، و نبش، و قيدما، و أمهم: رعله بنت مضاض بن عمرو الجرهمى. قال ابن هشام: و يقال: مضاض، و جرهم بن قحطان، و قحطان أبو اليمن كلها، و إليه يجتمع نسبها، ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤١

فحفرا عن ربض البيت يعنى حوله، فوجدوا صخرة لا- يطيقها إلا- ثلاثون رجلا، و حفرا حتى بلغا أساس آدم ثم بنى عليه، و حلقت السكينة كأنها سحابة، على موضع البيت، فقالت: ابن على.

فلذلك لا يطوف بالبيت أحد أبدا، كافر و لا جبار، إلا رأيت عليه السكينة.

فبنى إبراهيم و إسماعيل البيت، فجعل طوله فى السماء تسع أذرع، و عرضه ثلاثين ذراعا، و طوله فى الأرض اثنين و عشرين ذراعا، و أدخل الحجر و هو سبعة أذرع فى البيت، و كان قبل ذلك زربا لغنم إسماعيل.

و إنما بناه بحجارة بعضها على بعض، و لم يجعل له سقفا، و جعل له بابا و حفر له بئرا عند بابه خزانه للبيت، يلقى فيها ما أهدى للبيت و جعل الركن علما للناس.

فذهب إسماعيل إلى الوادى يطلب حجرا، و نزل جبريل بالحجر الأسود، و كان قد رفع إلى السماء حين غرقت الأرض، كما رفع البيت، فنزل به جبريل فوضعه إبراهيم موضع الركن، و جاء إسماعيل بالحجر من الوادى فوجد إبراهيم قد وضع الحجر، فقال:

من أين هذا؟ من جاءك به؟ قال إبراهيم: من لم يكننى إليك و لا إلى حجرك «١».

و عن الواقدى أيضا من غير حديث أبى الجهم، أن يزيد بن رومان، قال: سمعت ابن الزبير يقول: إن إبراهيم عليه السلام ابتغى الحجر، فناده من فوق أبى قبيس: ألا أنا هذا.

فرقى إليه إبراهيم فأخذه، فوضعه موضعه الذى هو فيه اليوم.

و كان الله جل ثناؤه لما غرقت الأرض استودع أبى قبيس الركن، و قال: إذا رأيت خليلى يا بنى لى بيتا فأعطه الركن فأعطاه الركن.

و عن غير ابن الزبير أن أبى قبيس لذلك كان يسمى فى الجاهلية الأمين، لوفائه بما استودعه الله إياه.

(١) قال ابن كثير في البداية باب بناء البيت العتيق: قال السدي: لما أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يبنا البيت، ثم لم يدريا أين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال له الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس، وذلك حين يقول تعالى: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ فَلَمَّا بَلَغَا الْقَوَاعِدَ بَنِيَا الرَّكْنِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِإِسْمَاعِيلَ: يَا بَنِي، اطلب لي الحجر الأسود من الهند، وكان أبيض ياقوته بيضاء مثل النعامة، وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن، فقال: يا أبتى، من جاءك بهذا؟ قال: جاء به من هو أنشط منك. و انظر ما ورد في ذكر بناء البيت في البداية (١/١٦٧) وما بعدها.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٢

قال أبو جهم: ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت وأدخل الحجر في البيت، جعل المقام لاصقا بالبيت عن يمين الداخل، فلما كانت قريش قصر الخشب عليهم، فأخرجوا الحجر، وكان ما أخرجوا منه سبعة أذرع.

وأمر إبراهيم بعد فراغه من البناء أن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا رب، وما يبلغ صوتي؟! قال الله جل ثناؤه: أذن وعلّي البلاغ.

فارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت، فارتفع به المقام حتى كان أطول الجبال، فنادى وأدخل إصبعه في أذنيه، وأقبل بوجهه شرقا وغربا، يقول: أيها الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فأجيئوا بركم عز وجل.

فأجابه من تحت البحور السبعة، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها: لبيك اللهم لبيك. أفلا تراهم يأتون يلبون؟! فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهو ممن استجاب لله عز وجل.

وذلك قول الله جل ثناؤه: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ [آل عمران: ٩٧] يعنى نداء إبراهيم على المقام بالحج فهي الآية.

قال الواقدي: وقد روى أن الآية هي أثر إبراهيم على المقام.

قال أبو جهم: فلما فرغ إبراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة، وأقامه على حدود الحرم، وأمره أن ينصب عليها الحجارة، ففعل إبراهيم ذلك، وكان أول من أقام أنصاب الحرم، ويريه إياها جبريل.

فلما كان اليوم السابع من ذى الحجة، خطب إبراهيم عليه السلام بمكة، حين زاغت الشمس قائما، وإسماعيل جالس، ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبيان محرمين، مع كل واحد منهما أداة يحملها وعصا يتوكأ عليها، فسمى ذلك اليوم يوم التروية.

فأتيا منى فصليا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، وكانا نزلا في الجانب الأيمن، ثم أقام حتى طلعت الشمس على ثبير، ثم خرج يمشى هو وإسماعيل حتى أتيا

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٣

عرفة، وجبريل معهما يريهما الأعلام، حتى نزلا بنمرة، وجعل يريه أعلام عرفات، وكان إبراهيم قد عرفها قبل ذلك، فقال إبراهيم: قد عرفت: فسميت عرفات.

فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل عليه السلام، حتى انتهى بهما إلى موضع المسجد اليوم، فقام إبراهيم فتكلم بكلمات، وإسماعيل جالس، ثم جمع بين الظهر والعصر، ثم ارتفع بهما إلى الهضاب، فقاما على أرجلهما يدعوان إلى أن غابت الشمس وذهب الشعاع، ثم دفعا من عرفة على أقدامهما، حتى انتهيا إلى جمع فنزلا، فصلى إبراهيم المغرب والعشاء في ذلك الموضع الذي يصلى فيه اليوم، ثم باتا حتى إذا طلع الفجر وقفا على قرح، فلما أسفر قبل طلوع الشمس دفعا على أرجلهما حتى انتهيا إلى محسر، فأسرعا حتى قطعاه

ثم عادا إلى مشيهما الأول، ثم رميا جمرة العقبة بسبع حصيات حملاها من جمع، ثم نزلا من منى في الجانب الأيمن، ثم ذبحا في

المنحر اليوم، و حلقا رءوسهما، ثم أقاما أيام منى يرميان الجمار حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين و راجعين، و صدرا يوم الصدر فصليا الظهر بالأبطح، و كل هذا يريه جبريل عليه السلام.

قال أبو الجهم: فلما فرغ إبراهيم من الحج انطلق إلى منزله بالشام، فكان يحج البيت كل عام، و حجته سارة، و حجه إسحاق و يعقوب و الأسباب، و الأنبياء هلم جرا.

و حججه موسى بن عمران عليه السلام.

روى الواقدي بإسناد له عن ابن عباس قال: مر موسى عليه السلام، بصفاح الروحاء يلبي، تجاوبه الجبال، عليه عباءتان قطوانيتان من عباء الشام.

و عن جابر بن عبد الله قال: حج هارون نبي الله البيت، فمر بالمدينة يريد الشام، فمرض بالمدينة فأوصى أن يدفن بأصل أحد، و لا تعلم به يهود، مخافة أن ينبشوه فدفنوه فقبره هناك.

و عن ابن عباس، أن الحواريين كانوا إذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا البيت.

و عن ابن الزبير: أن الحواريين خلعوا نعالهم حين دخلوا الحرم، إعظاما أن ينتعلوا فيه.

ثم توفي الله خليله إبراهيم صلى الله عليه و سلم، بعد أن وجه إليه ملك الموت، فاستنظره إبراهيم، ثم أعاده إليه لما أراد الله قبضه، فأخبره بما أمر به، فسلم إبراهيم لأمر ربه عز و جل فقال له ملك الموت: يا خليل الله، على أى حال تحب أن أقبضك؟ قال: تقبضنى و أنا ساجد، فقبضه و هو ساجد، و صعد بروحه إلى الله عز و جل، و دفن إبراهيم عليه السلام بالشام «١».

(١) قال ابن كثير: قد روى ابن عساكر عن غير واحد من السلف، عن أخبار أهل الكتاب فى -

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٤

و عاش إسماعيل عليه السلام بعد أبيه ما عاش، و توفى بمكة، فدفن داخل الحجر، مما يلي باب الكعبة، و هنالك قبر أمه هاجر، و دفن معها و كانت توفيت قبله.

و لما توفى إسماعيل عليه السلام، و لى البيت بعده ابنه نابت، و لم يله أحد من ولده غيره. ثم مات فدفن فى الحجر مع أمه رعلة بنت مضاى.

فولى البيت بعده جده مضاى بن عمرو، ثم أخواله من جرهم، و قاموا عليه، فكانوا هم ولاته و حجابته و ولاية الأحكام بمكة.

و كان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة فأنهدم، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم، و جعلت له مصراعين و قفلا.

قال ابن إسحاق: ثم إن جرهما و قطوراء بغى بعضهم على بعض و تنافسوا الملك بها، و مع مضاى يومئذ إسماعيل و بنو نابت و إليه ولاية البيت دون السמידع. فسار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاى من قعيقعان فى كتيبه سائرا إلى السמידع، و مع كتيبه عدتها من الرماح و الدرق و السيوف و الجعاب يقعقع بذلك معه.

فيقال: ما سمي قعيقعان قعيقعان إلا لذلك. و خرج السמידع من أجياد و معه الخيل و الرجال. فيقال: ما سمي أجياد أجيادا إلا لخروج الجياد من الخيل مع السמידع منه «١».

و غير ابن إسحاق يقول: إنما سمي أجياد لأن مضاى ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة. و قيل: بل أمر بعض الملوك غير مسمى بضرب رقاب فيه، فكان يقول لسيافه: توسط الأجياد. و هذا و نحوه أصح فى تسمية الموضع بأجياد، مما قال ابن إسحاق.

قال: فالتقوا بفاض «٢»، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل السמידع و فضحت قطوراء.

فيقال: ما سمي فاضح فاضحا إلا بذلك.



- صفة مجيء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة، الله أعلم بصحتها، وقد قيل: إنه مات فجأة، وكذا داود وسليمان، والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك، قالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام، ومات عن مائة وخمس وسبعين، وقيل: وتسعين سنة، ودفن في المغارة التي كانت بحبرون الحيتي، عند امرأته سارة، التي في مزرعة عفرون الحيتي، وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة، كما قاله ابن الكلبي. انظر البداية باب ذكر موته عليه السلام (١/ ١٧٨) وما بعدها.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٠٧-١٠٨).

(٢) فاضح: موضع بمكة. انظر الروض المعطار (ص ٤٣٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٥

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ (١) شعبا بأعلى مكة، فاصطلحوا به وأسلموا الأمر إلى مضاض.

فلما رجع إليه أمر مكة فصار ملكها له، نحر للناس وأطعمهم، فاطبخ الناس و أكلوا.

فيقال: ما سميت المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت بذلك لما كان تبع نحر بها وأطعم، وكان منزله.

فكان الذي كان بين مضاض والسמידع أول بغى كان بمكة، فيما يزعمون.

ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك، لخؤولتهم وقربتهم، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال.

فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل، انتشروا في البلاد، فلا يناوءون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم. الاكتفاء، الكلاعي

ج ١ ٤٥ ذكر أولية بيت الله المحرم وركنه المستلم ومن تولى بناءه من ملائكته وأنبياؤه صلى الله عليه وسلم جميعهم و سلم ..... ص : ٣٠

إن جرهم بغوا بمكة، واستحلوا [خلالا] (٢) من الحرم، وظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، فرق أمرهم.

فلما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغبشان من خزاعة، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فأذنوهم بالحرب. فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان، فنفوهم من مكة.

و كانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى الناس، ولا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه. فيقال: ما سميت ببكة (٣)، إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا.

(١) المطابخ: موضع معروف بمكة. انظر: الروض المعطار (ص ٥٤٣).

(٢) ما بين المعقوفتين في الأصول: «خلالا»، وما أوردناه من السيرة. وخلال: جمع خلة وهي الخصلة.

(٣) قال ابن هشام في السيرة (١/ ١٠٩): أخبرني أبو عبيدة: أن بكه اسم لبطن مكة؛ لأنهم يتباكون فيها، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكه أي: فدعه حتى يبك إبله، أي يخليها إلى الماء، فتردحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد، وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦

فلم يزل أهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويحافظون على حرمتها.

يقال: إنه اجتمع رأى بنى إسماعيل وخيارهم على أن لا يدعوا أحدا أحدث في حرم الله حدثا إلا غربوه منه، ثم لم يرجع فيه. ويقال:

بل كان ذلك مما سن لهم أولوهم، فصارت سنة فيهم يدينون بها، ثم خلف من خلف بعدهم على ذلك، يرون فيه رأيهم، وتكبر

مواقعة الظلم في حرم الله و التعدي به في نفوسهم، و يعتقدون أن الباغي فيه معاقب في دنياه في نفسه و ماله، و أن الحالف عند البيت حانثا مخوف عليه مما أصاب قبله ممن فعل فعله، و أن دعاء المظلوم عنده و خصوصا في الشهر الحرام مجاب في ظالمه، و يوثرون في ذلك أشياء أراها الله إياهم، صونا لحرمة الكريم، و تنزيها لبيت خليله إبراهيم.

ذكر الواقدي من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: عدا رجل من بني كنانة بن هذيل على ابن عم له و ظلمه و اضطهده فناشده بالرحم و عظم عليه، فأبى إلا ظلمه، فقال: و الله لألحقن بحرم الله في هذا الشهر، و لأدعون الله عليك. فقال له ابن عمه مستهزئا به: هذه ناقتي فلانة، فأنا أفقرك ظهرها فاذهب فاجتهد.

فأعطاه ناقه، و خرج حتى جاء الحرم في الشهر الحرام، فقال: اللهم إني أدعوك جاهدا مضطرا على ابن عمي فلان، ترميه بداء لا دواء له.

ثم انصرف، فيجد ابن عمه قد رمى في بطنه فصار مثل الزق، فما زال ينتفخ حتى انشق.

قال عبد المطلب: لحدثت بهذا الحديث ابن عباس، فقال: أنا رأيت رجلا دعا على ابن عم له بالعمى، يعني في الحرم، فرأيته يقاد أكمة العميان.

و عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يسأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، كنا في بني ضبعاء عشرة، و كان لنا ابن عم، فكنا نظلمه و نضطهده، فكان يذكرنا بالله و الرحم، و كنا أهل بيت نرتكب كل الأمور، فلما رأى ابن عمنا أننا لا نكف عنه و لا نرد إليه ظلامته، أمهل حتى دخلت الأشهر الحرم، انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه إلى الله جل ثناؤه، و يقول:

لاهم «١» أدعوك دعاء جاهدا اقتل بني الضبعاء إلا واحدا

(١) لاهم: أي اللهم، و العرب تحذف منها الألف و اللام للتخفيف.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص ٤٧ ثم اضرب الرجل و دعه قاعدا أعمى إذا قيد يعني القائدا قال: فمات إخوتي تسعة في تسعة أشهر، في كل شهر واحد، و بقيت أنا، فعميت، و رماني الله عز و جل في رجلي، و كمهت فليس يلائمني قائد.

قال ابن عباس: فسمعت عمر يقول: سبحان الله إن هذا لهو العجب!

قال: و سمعت عمر يسأل ابن عمهم الذي دعا عليهم، فقال: دعوت عليهم كل ليلة رجب الشهر كله بهذا الدعاء، فأهلكوا في تسعة أشهر و أصاب الباقي ما أصابه.

قال ابن عباس: و عدا رجل على ابن عم له فاستاق ذودا له، فخرج يطلبه حتى أصابه في الحرم، فقال: ذودي. فقال اللص: كذبت ليس لك. قال: فاحلف. قال: إذا أحلف. فحلف عند المقام بالله الخالق رب هذا البيت ما هن لك. فقيل له: لا سبيل لك عليه.

فقام رب الذود بين الركن و المقام باسطا يديه يدعو على صاحبه، فما برح مقامه يدعو عليه حتى دله فذهب عقله، فجعل يصيح بمكة: مالي و للذود، مالي و لفلان رب الذود.

فبلغ ذلك عبد المطلب، فجمع الذود فدفعها إلى المظلوم فخرج بها، و بقي الآخر مدلها حتى تردى من جبل فمات فأكلته السباع.

و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول: لو وجدت قاتل الخطاب في الحرم ما هجته.

و كان يقول: لأن أذنب بركبه سبعين ذنبا أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا في الحرم. و ركه خارج الحرم، محاذية لذات عرق.

و ذكر رضى الله عنه، يوما و هو خليفة ما كان يعاقب به من حلف ظلما، يعني في الحرم، زمن الجاهلية، فقال: إن الناس ليرتكبون ما هو أعظم منها ثم لا يعجل لهم من العقوبة مثل ما كان يعجل لأولئك، فما ترون ذلك؟



فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين.

قال: إن الله جل ثناؤه، جعل في الجاهلية، إذ لا دين حرمة حرمتها وعظمتها وشرفها، وجعل العقوبة لمن استحل شيئا مما حرم، ليتنكب عن انتهاك ما حرم مخافة

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٨

تعجيل العقوبة، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أو عدتهم فيما انتهكوا مما حرم الساعة، فقال: وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ [القمر: ٤٦].

فأخر العقاب إلى يوم القيامة، وأراهم الله الاستجابة بعضهم لبعض ليتناهاوا عن الظلم، وأخر أهل الإسلام ليوم الجمع، ويستجب الله لمن يشاء، فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين.

ومن المشهور في هذا الباب أمر إساف و نائلة، وهما صنما قريش اللذان أقاموهما على زمزم ينحرون عندهما. ذكروا أنهما كان رجلا و امرأة من جرهم، إساف بن بغي، و نائلة بنت ديك، فوقع إساف على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حجرين. و يقال: أحدثا فيها فمسخهما الله؛ فالله أعلم.

وأمرهما معدود فيما بلغت إليه جرهم من الاستخفاف بحرمة الحرم و قلته مبالاتهم بالبغى فيه، مع ما أراهم الله من عظيم الآيه بمسوخهما حجرين، فما نهاهم ذلك عن قبيح ما كانوا عليه، حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدي آخرين من عباده، فكان من أمرهم مع خزاعة ما كان.

فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة و بحجر الركن فدفنها في زمزم، و انطلق هو و من معه من جرهم إلى اليمن، و حزنوا على ما فارقوا من أمر مكة و ملكها حزنا شديدا. فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك، و ليس بمضاض الأكبر: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر (١)

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي و الجدود العواثر (٢)

و كنا و لاة البيت من بعد نابت نظوف بذاك البيت و الخير ظاهر

و نحن و لينا البيت من بعد نابت بعز فما يحظى لدينا المكائر

ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا فليس لحي غيرنا ثم فاخر

ألم تنكحوا من خير شخص علمته فأبناؤه منا و نحن الأصاهر

(١) هذه الأبيات ذكرها في السيرة و ذكر قبل هذا البيت:

و قائله و الدمع سكب مبادرو قد شرقت بالدمع منها المحاجر انظر: السيرة (١/ ١٠٩).

(٢) صورف الليالي: شدائدها. و الجدود: هو البخت و الحظ.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٩ فإن تنثنى الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا و فيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدره كذلك يا للناس تجرى المقادر

أقول إذا نام الخلى و لم أنم إذا العرش لا يبعد سهيل و عامر

و بدلت منها أوجها لا أحبها قبائل منها حمير و يحابر

و صرنا أحاديثا و كنا بغبطة بذلك عضتنا السنون الغواير

فسحت دموع العين تبكى لبلده بها حرم أمن و فيها المشاعر

و تبكى لبيت ليس يؤذى حمامه يظل به أمنا و فيه العصافر

وفيه وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منه فليست تغادر و قال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا و غبشان و ساكني مكة الذين خلفوا فيما بعدهم:

يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطى و أرخوا من أزمتها قبل الممات و قضا ما تقضونا

كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، و حدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، و أنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن و لم يسم لنا قائلها «١».

ثم إن غبشان من خزاعة و ليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة.

و غبشان لقب، و اسمه الحارث، و خزاعة يقال: إنهم من ولد قمعة بن إلياس بن مضر، و أن أباهم عمرو بن لحي، هو عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، و خزاعة يأبون هذا النسب، و يقولون: إنهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن غسان.

و قد روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «أريت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فسألته عن بيني و بينه من الأمم، فقال: هلكوا» «٢».

(١) انظر: السيرة (١/ ١١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢٤، ٦/ ٦٩)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٤٠٩٥)، الخطيب البغدادي في تاريخه (٥/ ١٧٣)، السيوطي في الحاوي للفتاوى (٢/ ٣٧٥)، الطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٠٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٠

ف قيل له: و من عمرو بن لحي؟ قال: أبو هؤلاء الحى من خزاعة، و هو أول من غير الحنيفة دين إبراهيم، و أول من نصب الأوثان حول الكعبة «١».

فإن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال هذا، فرسول الله أعلم و ما قال فهو الحق.

و عمرو بن ربيعة الذى تنتسب إليه خزاعة يقال: هو عمرو بن لحي، و إن حارثة بن ثعلبة بن عمرو خلف على أم لحي، و لحي هو ربيعة، بعد أن تأيتمت من قمعة، و لحي صغير، فتبناه حارثة و انتسب إليه.

فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين، إلى قمعة بالولادة وفق ما روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله، و إلى حارثة بن ثعلبة بالتبني، و الانتساب به موجود كثيرا في العرب.

فلما وليت خزاعة البيت حفظوه مما كانت جرهم استباحته، و توافروا على تعظيمه و الذب عنه، و كان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني، ثم قومه من بعده، و قريش إذ ذاك حلول و صرم «٢» متقطعون و بيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة.

فأقامت خزاعة على ولاية البيت، يتوارثون ذلك كإبراهيم عن كابر، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي. و بعده انتقلت ولاية البيت إلى قصي بن كلاب.

و كان من حديث قصي «٣» أنه لما هلك أبوه كلاب بن مرة، خلف ولديه زهرة و قصيا، مع أمهما فاطمة بنت سعد بن سيل من عذرة، و زهرة يومئذ رجل، و قصي فطيم، فقدم مكة بعد مهلك كلاب حاج مع قضاة فيهم ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عذرة، فتزوج فاطمة بنت سعد فاحتملها إلى بلاده، فاحتملت ابنها قصيا لصغره، و أقام زهرة فى قومه.

فولدت فاطمة لربيعة رزاحا، فكان أخا قصي لأمه، و كان لربيعة بنون ثلاثة من امرأة أخرى، و هم: حن و محمود و جلهمة، بنو ربيعة.

(١) انظر: السيرة (١ / ٨١)

(٢) قال في اللسان (مادة صرم): الصرم بالكسر: الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس، و هو الفرقة من الناس ليسوا بالكثير و الجمع أصرم و أصاريم و صرمان.

(٣) انظر: السيرة (١ / ١١٥ - ١٢٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥١

و أقام قصي بأرض قضاة لا ينسب إلا إلى ربيعة بن حرام.

فناضل يوما رجلا من قضاة يدعى رفيعا، فضله قصي، و هو يومئذ شاب، فغضب المنضول، فوقع بينهما حتى تقاولا و تنازعا، فقال رفيع: ألا تلحق ببلدك و بقومك، فإنك لست منا!

فرجع قصي إلى أمه، و قد وجد في نفسه مما قال، فسألها عن ذلك فقالت: أو قد قال هذا؟ أنت و الله يا بني أكرم منه نفسا و والدا و نسبا و أشرف منزلا، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، و قومك بمكة عند البيت الحرام و فيما حوله، تفد العرب إلى ذلك البيت، و قد قالت لي كاهنة رأتك: هذا يلي أمرا جليلا، فطب نفسا.

فأجمع قصي الخروج إلى قومه و اللحوق بهم، و كره الغربة بأرض قضاة، و ضاق ذرعا بالمقام فيهم، فقالت له أمه: لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام، فتخرج في حاج العرب، فإنني أخشى عليك أن يصيبك بعض الناس.

فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام و خرج حاج قضاة خرج معهم، و هم يظنون أنه إنما يريد الحج ثم يرجع إلى بلاده، حتى قدم مكة، فلما فرغ من الحج أقام بها، و عالجه القضاة على الخروج معهم فأبى.

و كان رجلا جلدا نهذا نسيبا، فلم ينشب أن خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبي، فعرف حليل النسب و رغب في الرجل فزوجه، و حليل يومئذ يلي أمر مكة و الحكم فيها و حجابة البيت.

فأقام قصي معه بمكة، و ولدت له حبي بنيه عبد الدار و عبد مناف و عبد العزى و عبدا.

فلما انتشر ولد قصي و كثر ماله و عظم شرفه هلك حليل، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة و بنى بكر، و أن قريشا قرعة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، و صريح ولده.

فكلم رجلا من قريش و بنى كنانة، و دعاهم إلى إخراج خزاعة و بنى بكر من مكة، فأجابوه إلى ذلك، فكتب عند ذلك قصي إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة، يدعوهم إلى نصرته و القيام معه، فخرج رزاح و معه إخوته لأبيه، حن و محمود و جلهمة، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب، و هم مجتمعون لنصر قصي و القيام معه.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٢

فلما اجتمع الناس بمكة و فرغوا من الحج و لم يبق إلا أن يصدر الناس، كان أول ما تعرض له قصي من المناسك أمر الإجازة للناس بالحج.

و كانت صوفة هي التي تلى ذلك مع الدفع بهم من عرفة و رمى الجمار، و هم ولد الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر «١».

و الغوث هو أول من ولي ذلك منهم.

و ذلك أن أمه كانت امرأة من جرهم، و كانت لا تلد، فنذرت لله إن هي ولدت ولدا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها و يقوم عليها، فولدت الغوث و كان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة، و ولده من بعده حتى انقرضوا.

فقال مر بن أد أبو الغوث لوفاء نذر أمه:

إني جعلت رب من بينه ربطه بمكة العلية

فباركن لي بها إليه واجعله لي من صالح البريه و كان الغوث بن مر، زعموا، إذا دفع بالناس قال:

لا هم إني تابع تبعه إن كان إثم فعلى قضاعه و ذلك أن قضاعه كان منهم أحياء يستحلون الحرمه فى الجاهلية، فكانت صوفة تدفع بالناس من عرفه، و تجيز بهم إذا نفروا من منى إذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار، و رجل من صوفة يرمى للناس، لا يرمون حتى يرمى، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له: قم فارم حتى نرمى معك. فيقول: لا- و الله حتى تميل الشمس. فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرمونه بالحجارة و يستعجلونه بذلك، و يقولون له: ويلك قم فارم بنا. فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى و رمى الناس معه. فإذا فرغوا من رمى الجمار و أرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبى العقبة فحبسوا الناس و قالوا: أجزى «٢» صوفة. فلم يجز أحد من الناس حتى يرموا، فإذا نفذت صوفة و مضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك حتى انقرضوا.

(١) انظر: السيرة (١/١١٦).

(٢) أجزى: جرت الطريق و جاز الموضوع: أى سار فيه و سلكه، و أجزاه: حلفه و قطعه، و أجزاه:

أنفذه. انظر: اللسان (مادة جوز).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٣

فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، و كانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد.

فكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفه، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام كرب بن صفوان.

و فى ذلك يقول ابن مغراء السعدى:

لا- يبرح الناس ما حجوا معرفهم حتى يقال أجزوا آل صفوانا فأما قول ذى الإصبع العدوانى، و اسمه حرثان بن عمرو، و قيل له ذو الإصبع لحيه لدغته فى إصبعه فقطعها:

عذير الحى من عدوان كانوا حية الأرض «١»

بغى بعضهم ظلمافلم يرع على بعض

و منهم كانت السادات و الموفون بالقرض

و منهم من يجيز الناس بالسنة و الفرض

و منهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى و إنما قال ذلك لأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عدوان، و هو عدوان بن عمرو بن قيس

بن عيلان، يتوارثون ذلك كإبراهيم عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل.

قال حويطب بن عبد العزى: رأيت أبا سيارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عقوق. و ذكروا أنه أجاز عليها أربعين سنة «٢».

قالوا: و كان إذا وقف بالناس قال: اتقوا الله ربكم، و أصلحوا أموالكم، و احفظوا جيرانكم، و قاتلوا أعداءكم، اللهم حب بين نساتنا، و

بغض بين رعائنا، و اجعل أمر الناس بأيدي صالحائنا؛ ثم يقول: أفيضوا على بركة الله.

و فيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبى سياره و عن مواليه بنى فزاره

(١) حية الأرض: يقال حية فلان و حية الوادى، إذا كان مهيبا شديدا الشكيمة حاميا لحوزته، أراد أنهم كانوا ذوى إرب و شدة لا

يضيعون ثأرا. انظر: اللسان (مادة حيا).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١١٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٤ حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره قوله: «حكم يقضى» يعنى عامر بن ظرب العدواني، و كانت العرب لا يكون بينها ثائرة و لا عضلة «١» فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ثم رضوا بما قضى فيه. فاختصم إليه، فى بعض ما كانوا يختلفون فيه، فى رجل خنثى له ما للرجل و له ما للمرأة، أ يجعله رجلا أو امرأة؟ و لم يأتوه بأمر كان أعضل منه.

فقال: حتى أنظر فى أمركم، فو الله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب.

فاستأخروا عنه، فبات ليلته ساهرا يقلب أمره و ينظر فى شأنه فلا- يتوجه له من وجهه، و كانت له جارية يقال لها: سخيلة، ترعى عليه غنمه، فكان يعاتبها إذا سرحت فيقول:

صبحت و الله يا سخيل. و إذا راحت عليه يقول: مسيت و الله يا سخيل. و ذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، و تؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس.

فلما رأت سهره و قلته قراره على فراشه قالت: ما لك لا أبا لك! ما عراك فى ليلتك هذه؟! قال: ويلك دعيني، أمر ليس من شأنك. ثم عادت له بمثل قولها، فقال فى نفسه:

عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج. فقال: و يحكك، اختصم إلى فى ميراث خنثى، أ أجعله رجلا أو امرأة؟ فو الله ما أدري ما أصنع و ما يتوجه لى فيه وجهه.

فقالت: سبحان الله! لا أبا لك! اتبع القضاء المبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، و إن بال من حيث تبول المرأة فهو امرأة. قال: مسى سخيل بعدها أو ضحى، فرجتها و الله. ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذى أشارت إليه «٢».

و هذا كله من الخبر معترض قطع اتصال حديث صوفة و قصى، فرجع الآن إليه و نصله بموضع انقطاعه. حيث ذكر أن صوفة هى التى كانت تلى الإجازة بالناس من منى و الدفع بهم من عرفة، و أن قصيا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم و القيام به دونهم، و استدعى لمظاهرتة على ذلك أخاه رزاحا فوصله مع من ذكر وصوله معه.

فلما كان ذلك العام فعلت صوفة مثل ما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، و هو دين فى أنفسهم من عهد جرهم و خزاعة.

(١) العضلة: الأمر الشديد، و قيل: الاعوجاج، و العضلة أيضا من أسماء الداهية.

(٢) انظر: السيرة (١/ ١١٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٥

فأتاهم قصى بمن معه من قومه من قريش و كنانة و قضاة عند العقبة، فقال: لنحن أولى بهذا الأمر منكم.

فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شديدا، ثم انهزمت صوفة و غلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك.

و انحازت عند ذلك خزاعة و بنو بكر عن قصى، و عرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، و أنه سيحول بينهم و بين الكعبة و أمر مكة، فلما انحازوا عنه بادأهم و أجمع لحربهم، و خرجت له خزاعة و بنو بكر فالتقوا، فاقتتلوا قتالا شديدا بالأبطح، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا، و فشت الجراح فيهم و أكثر ذلك فى خزاعة.

ثم إنهم تداعوا إلى الصلح و إلى أن يحكموا بينهم رجلا- من العرب، فحكموا يعمر ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن قصى.

فقضى بينهم أن قصيا أولى بالكعبة و أمر مكة من خزاعة، و أن كل دم أصابه قصى من خزاعة و بنى بكر موضوع يشدخه «١» تحت

قدميه، و أن ما أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش و كنانة و قضاة ففیه الدينة مؤداة، و أن یخلى بین قصی و بین الكعبة و مكة. فسمى یعمر بن عوف یومئذ الشداح، لما شدخ من الدماء، و وضع منها، و یقال: الشداح أيضا.

فولی قصی البیت و أمر مكة، و جمع قومه من منازلهم إلى مكة، و تملك على قومه و أهل مكة فملكوه، إلا أنه قد أقر العرب على ما كانوا علیه، و ذلك أنه كان یراه دینا فی نفسه لا ینبغى تغییره. فأقر آل صفوان و عدوان و النساء و مرة بن عوف على ما كانوا علیه؛ حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله «٢». و بنو مرة بن عوف هم أهل البسل و قد تقدم ذكرهم. و أما النساء «٣» فهم بنو فقیم بن عدی بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالک بن كنانة بن خزیمة بن مدركة بن إلیاس بن مضر.

(١) یشدخه: الشدخ الكسر فی كل شیء رطب، و قیل: هو التهشیم یعنی به كسر الیابس و كل أجوف. و قال اللیث: الشدخ كسرك الشیء الأجوف كالرأس و نحوه. انظر: اللسان (مادة اشدخ).  
(٢) انظر: السیره (١/ ١١٦).  
(٣) انظر: السیره (١/ ٥٤).  
الاكتفاء، الكلاعی، ج ١، ص: ٥٦

و هم الذین كانوا ینسئون الشهور على العرب فی الجاهلیة، فیحلون الشهر من أشهر الحرم و یحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل و یؤخرون ذلك الشهر، ففیه أنزل الله سبحانه: **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلُّونَهُ عَامًا وَ يُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [التوبة: ٣٧]**. و كان أول من نسا الشهور منهم على العرب، فأحلت منها ما أحل و حرمت منها ما حرم: القلمس، و هو حذيفة بن عبد بن فقیم بن عدی، و توارث ذلك بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذى قام علیه الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة، و هو القلمس.

قال الزبير: و كان أبعدهم ذكرا و أطولهم أمرا، یقال: إنه نسا أربعين سنة. و كانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة: رجا، و ذا القعدة، و ذا الحجة، و المحرم. فإذا أراد أن یحل منها شیئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مكانه صفرا فحرموه، لیواطوا عدة الأربعة الأشهر الحرم.

فإذا أرادوا الصدر قام فیهم فقال: اللهم إنی قد أحللت أحد الصفرین، الصفر الأول، و نسات الآخر للعام المقبل. و فی ذلك یقول عمیر بن قیس، جذل الطعان، أحد بنی فراس بن غنم بن مالک بن كنانة، یفخر بالنساء على العرب: لقد علمت معد أن قومی كرام الناس إن لهم كراما «١» فأی الناس فاتونا بوترو أى الناس لم نعلک لجاما «٢» ألسنا الناسین على معدشهور الحل نجعلها حراما فهذا كان شأن النساء فی الجاهلیة، فأقره قصی على ما كان علیه، مع سائر ما ذكر إقراره العرب علیه، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله. فكان قصی أول بنی كعب بن لؤی أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه

(١) أن لهم كراما: أراد أن لهم آباء كراما أو أخلاقا كراما.

(٢) الوتر: قيل طالب الثأر، وقيل: هو الظلم في الزحل، وقيل هو الزحل عامة. وقوله: لم نعلك لجاما: أى لم نجرهم كما ينزجر الفرس باللجام. و تقول: أعلكت الفرس لجامه، إذا رددته من نشاطه فعلك اللجام.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧

الحجابه و السقايه، و الرفاده، و الندوه، و اللواء. فحاز شرف مكه كله، و قطع مكه رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكه التى أصبحوا عليها.

و يزعم الناس أن قريشا هابوا قطع الشجر من الحرم فى منازلهم، فقطعها قصى بيده و أعوانه؛ فسمته قريش مجمعا، لما جمع من أمرها، و تيمنت بأمره، فما تنكح امرأة و لا يزوج رجل من قريش، و لا يشاورون فى أمر نزل بهم، و لا يعقدون لواء لحرب قوم غيرهم إلا فى داره، يعقده لهم بعض ولده، و لا يعذر غلام إلا فى داره، و لا تدرع جارية «١» من قريش إلا فى داره، يشق عليها فيها درعها إذا بلغت ذلك، ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها.

و لا تخرج غير من قريش فيرحلون إلا من داره، و لا يقدمون إلا نزلوا فى داره.

فكان أمره فى قريش فى حياته و من بعد موته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره.

و اتخذ لنفسه الندوه، و جعل بابها إلى المسجد الكعبه، ففيها كانت قريش تقضى أمورها.

و لما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح إلى بلاده بمن معه من قومه، فلما استقر فى بلاده نشره الله و نشر حبا، فهما قبيلتا عذرة اليوم.

فهذا حديث قصى فى ولاية البيت بعد حليل بن حبشيه و إخراج خزاعه عنه «٢».

و خزاعه تزعم أن حليلا أوصى بذلك قصيا و أمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر، و قال: أنت أولى بالكعبه و بالقيام عليها و بأمر مكه من خزاعه فعند ذلك طلب قصى ما طلب.

قال ابن إسحاق: و لم يسمع ذلك من غيرهم؛ فالله أعلم.

و قد ذكر الواقدي الأمرين على نحو ما ذكر ابن إسحاق.

قال: و قد سمعنا فى ذلك وجها آخر، ذكر أن أبا غبشان رجلا من خزاعه، كان ولى الكعبه فباع حجابتها من قصى بن كلاب بيبعا. و ذكر غيره أنه باع منه مفتاح الكعبه بزق خمر. فلذلك قيل: أخسر صفقه من أبى غبشان.

(١) تدرع جارية: من درع: و درع المرأة: قميصها و هو أيضا الثوب الصغير فى بيتها و الجمع أدرع.

و فى التهذيب: الدرع: ثوب تجوب المرأة وسطه و تجعل له يدين و تخطط فرجته. انظر: اللسان (مادة درع).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١١٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٨

و ذكر الواقدي أيضا بإسناد له، أن رجلا من قضاة يقال له: أبو الشموس؛ حدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و هو خليفة حديث قصى بن كلاب، و كيف استعان بإخوته على خزاعه، فاستمع له عمر و تعجب لأول الحديث و قال: ذكرتنا أمرا كان دثر منا، فالحمد لله رب العالمين، إن الله عز و جل ليصنع لهذا الحى من قريش، و هم أولى الناس أن يتقوا الله و تحسن سيره من ولى منهم، بصنع الله لهم، جعل فيهم الإمامه و قبل ذلك النبوه.

قالوا: فلما كبر قصى ورق، و كان عبد الدار بكره، و كان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه و ذهب كل مذهب، و عبد العزى و عبد، قال قصى لعبد الدار: أما و الله يا بنى لألحقنك بالقوم و إن كانوا قد شرفوا عليك.

لا يدخل رجل منهم الكعبه حتى تكون أنت تفتحها له، و لا يعقد لقريش لواء إلا أنت بيدك، و لا يشرب رجل بمكه إلا من



سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الحرم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك. فأعطاه دار الندوة التي لا تقضى قريش أمرا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة. وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب، فيصنع به طعاما للناس فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد «١».

وذلك أن قصيا فرضها على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومنا هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج.

فمضى أمر قصى في عبد الدار ابنه، وجعل إليه كل ما كان بيده من أمر قومه؛ وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٢٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٩.

ثم إن قصيا هلك، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده. فاخطوا مكة رباعا بعد الذي كان قصى قطع لقومه بها، فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم وبيعونها. فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع «١».

ثم إن بنى عبد مناف بن قصى: عبد شمس وهاشما والمطلب و نوفلا أجمعوا أن يأخذوا ما في يدي بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما كان قصى جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف، عبد شمس بن عبد مناف؛ وذلك أنه كان أسنهم.

وكان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

وكانت بنو أسد بن عبد العزى بن قصى، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تميم بن مرة ابن كعب، و بنو الحارث بن فهر مع بنى عبد مناف. و كان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، و بنو جمح بن عمرو بن هصيص، و بنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار.

وخرجت عامر بن لؤي و محارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة «٢».

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا «٣» فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند

(١) انظر: السيرة (١/ ١٢٠).

(٢) قال في اللسان (مادة صوف): صوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني واحده صوفة، و من الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة.

(٣) قال في السيرة: يزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف قد أخرجته لهما، و لم يسمها. و قال السهيلي في الروض الأنف: سماها الزبير



في موضعين من كتابه فقال: هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه و سلم و توأمة أبيه. انظر: الروض الأنف (١/١٥٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٦٠.

الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيبين.

و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا هم و حلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا و لا يسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف. ثم سوند بين القبائل و لزم بعضها ببعض، فعبئت عبد مناف لبني سهم، و عبئت بنو أسد لبني عبد الدار، و عبئت زهرة لبني جمح، و عبئت تيم لبني مخزوم، و عبئت بنو الحارث بن فهر لبني عدى، ثم قالوا: لتغن كل قبيلة من أسند إليها.

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية و الرفادة، و أن تكون الحجابة و اللواء و الندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا، و رضى كل واحد من الفريقين بذلك، و تحاجز الناس عن الحرب، و ثبت كل قوم مع من حالفوا، حتى جاء الله بالإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة» (١).

فهذا حلف المطيبين (٢).

و قد كان في قريش حلف آخر بعده، و هو حلف الفضول (٣)، تداعت إليه قبائل من قريش، فاجتمعوا إليه في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، لشرفه و سنه، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها و غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، و كانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

و اختلف في السبب الذي دعا قريشا إلى هذا الحلف، و لم سمي بهذا الاسم، فأما ما

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٣٥).

(٢) انظر: السيرة (١/١٢٠-١٢٢).

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف (١/١٥٥): قال ابن قتيبة: كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم و من تبعهم، أحدهم: الفضل بن فضالة، و الثاني: الفضل بن وداعة، و الثالث: فضيل بن الحارث، هذا قول القتيبي. و قال الزبير: الفضيل ابن شراعة، و الفضل بن وداعة، و الفضل بن قطاعه، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمي: حلف الفضول، و الفضول جمع فضل، و هي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم، و هذا الذي قال ابن قتيبة حسن.

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٦١.

دعاهم إليه، فذكر الزبير و غيره أن رجلا من أهل اليمن من بنى زبيد قدم مكة معتمرا و معه بضاعة له، فاشتراها رجل من بنى سهم، و يقال: إنه العاص بن وائل، فلوى الرجل بحقه، فسأله ماله فأبى عليه، و سأله متاعه فأبى عليه، فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا له، فعرف أن لا سبيل إلى ماله، فطوف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك قام على الحجر، و يقال: بل أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها ثم نادى بأعلى صوته ثم قال:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار و النفر

و أشعث محرم لم يقض حرمة بين الإله و بين الحجر و الحجر

أقائم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر فلما سمعت ذلك قريش أعظموه و تكلموا فيه، فقال المطيبون: و الله لئن قمنا في هذا لتغضبنا الأحلاف، و قال الأحلاف: و الله لئن تكلمنا في هذا ليغضبنا المطيبون. فقال ناس من قريش: تعالوا فلنكن حلفا

فضولا دون المطيبين و دون الأحلاف، فلذلك قيل له:

حلف الفضول.

فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، و صنع لهم طعاما كثيرا، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه، فاجتمعت بنو هاشم و بنو المطلب و زهرة و أسد و تيم، فتحالفوا على أن لا يظلم بمكة قريب و لا غريب و لا حر و لا عبد إلا كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقه و يردوا إليه مظلمته من أنفسهم و من غيرهم، ثم عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنه، ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت فيه أركانه، ثم أتوا به فشربه، ثم انطلقوا إلى الرجل الذي تعدى على الرجل المستصرخ، العاص بن وائل أو غيره. فقالوا:

و الله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه.

فأعطى الرجل حقه، فمكثوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم، و لو أدعى به في الإسلام لأجبت» (١). و حكى الزبير أيضا أنه إنما سمي حلف الفضول لأنهم تحالفوا على أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه. و قيل: إنما سمي بذلك لأنه لما تداعى له من ذكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيبين و الأحلاف بأسرهم، و سموه حلف الفضول، عيا

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٧/٦)، القرطبي في تفسيره (٣٣/٦، ١٠/١٦٩)، ابن كثير في البداية و النهاية (٢/٢٩١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢.

له، و قالوا: هذا من فضول القوم.

و قيل: بل كان هذا الحلف على مثل حلف تقدم إليه نفر من جرهم يقال لهم:

الفضل و فضال و الفضيل، فسمى لذلك هذا الآخر حلف الفضول، و أيا ما كان من ذلك، فهي مأثره لقريش من مآثرها الكرام، و آثارها العظام، نالتهم فيه بركة حضور رسول الله صلى الله عليه و سلم، فهو و إن كان فعلا- جاهليا دعتهم السياسة إليه، فقد صار لحضور رسول الله صلى الله عليه و سلم له و ما قاله بعد النبوة فيه و أكده من أمره، حكما شرعيا و فعلا نبويا.

و قد نشأ بين حسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، و بين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان زمن معاوية، و الوليد يومئذ أمير المدينة من قبله منازعة في مال كان بينهما بذى المروة، فكأن الوليد تحامل على حسين في حقه لسلطانه، فقال له حسين: أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم لأدعون بحلف الفضول.

فقال عبد الله بن الزبير و هو عند الوليد: و أنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا. و بلغت المسور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك. و بلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك. فلما بلغ ذلك الوليد أنصف الحسين من حقه حتى رضى. و لم تكن بنو عبد شمس دخلت في هذا الحلف.

و قد سأل عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جبير بن مطعم إذ قدم عليه حين قتل ابن الزبير، و اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، و كان محمد بن جبير أعلم قريش، فلما دخل عليه قال: يا أبا سعيد، ألم تكن نحن و أنتم، يعنى بنى عبد شمس و بنى نوفل ابني عبد مناف، في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم. قال عبد الملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك. فقال: لا و الله، لقد خرجنا منه نحن و أنتم. قال: صدقت.

فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس، حتى أدخل في حلف الفضول. و كانت لقريش أحلام عظام، كانوا منها في جاهليتهم على مثل السلطان الضابط، عناية من الله بهم و منا منه سبحانه عليهم، هم سكان الحرم، و أهل الله و حجاب بيته، و أهل السقاية و الرفادة و الرئاسة و اللواء و الندوة و مكارم مكة، و كانوا على إرث من دين أبيهم

إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما، من قرى الضيف و رفد الحاج و تعظيم

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٣

الحرم و منعه من البغى فيه و الإلحاد، و قمع الظالم و منع المظلوم.

إلا أنه دخلت على أوليتهم أحداث غيرت أصول الحنيفية عندهم، و طال الزمان حتى أفضى ذلك بهم إلى جهالات بشرائع الدين و

ضلالات عن سنن التوحيد فتدارك الله ذلك كله بنبيه صلى الله عليه و سلم، فهدى من الضلالة و علم من الجهالة.

فيقال: إنه كان أول من غير الحنيفية دين إبراهيم و نصب الأوثان حول الكعبة و دعا إلى عبادتها: عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن

مضر.

روى أبو هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن

خندف يجر قصبه فى النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به و لا بك منه». فقال أكثم: عسى أن يضرنى بشبهه يا نبي الله، قال: «لا،

لأنك مؤمن و هو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان و بحر البحيرة و سيب السائبة و وصل الوصيلاء و حمى

الحامى» (١).

فالبحيرة (٢): عند العرب الناقة تشق أذنها و لا- يركب ظهرها و لا- يجز و برها و لا- يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به، و تهمل

لآلهتهم.

و السائبة: التى ينذر الرجل إن برئ من مرضه أو أصاب أمرا يطلبه أن يسيبها ترعى لا ينتفع بها.

و الوصيلاء: التى تلد أمها اثنتين فى كل بطن، فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها و لنفسه الذكور، فتلدها أمها و معها ذكر فى بطن

فيقولون: وصلت أخاها، فيسب أخوها معها فلا ينتفع به.

و الحامى: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره، فلم يركب و لم يجز و بره و خلى فى إبله يضرب فيها،

لا ينتفع منه بغير ذلك.

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم أنزل عليه: ما جعل الله من بحيرة و لا سائبة و لا وصيلاء و لا حام و لكن الذين كفروا يفترون

على الله الكذب و أكثرهم لا يعقلون [المائدة:

١٠٣].

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٥٦ / ٧)، ابن كثير فى تفسيره (٢٠٤ / ٣)، الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٧٧).

(٢) انظر: السيرة (٩٠ / ١ - ٩٢)، أمر البحيرة و السائبة و الوصيلاء و الحامى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٤

و ذكر بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء و بها يومئذ

العماليق و هم من ولد عملاق، و يقال:

عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها و

نستمطرها فتمطرنا و نستنصرها فتنصرنا.

فقال لهم: أفلا تعطوننى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له: «هبل»؛ فقدم به مكة، فنصبه و أمر الناس

بعبادته و تعظيمه.

قال ابن إسحاق: و يزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت

عليهم و التمسوا الفسيح فى البلاد، إلا- حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه و طافوا به كطوافهم

بالكعبة. حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسونه من الحجارة، و أعجبهم حتى خلفت الخلوف «١» و نسوا ما كانوا عليه و استبدلوا بدين إبراهيم و إسماعيل غيره فعبدوا الأوثان و صاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات «٢». و فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به و الحج و العمرة و الوقوف على عرفه و المزدلفة و هدى البدن و الإهلال بالحج و العمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت كنانة و قريش إذا أهلوا قالوا: «لييك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه و ما ملكك»، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، و يجعلون ملكها بيده! يقول الله تبارك و تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦]، أى ما يوحدوننى بمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى.

و قد كانت لقوم نوح أصنام عكفوا عليها، قص الله تبارك و تعالى خبرها على رسوله صلى الله عليه و سلم، فقال: «وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا [نوح: ٢٣].

و ذكر الواقدي بإسناد له عن أبى هريرة أن أول ما عبدت الأصنام فى زمن نوح عليه

(١) الخلوف: جمع خلاف، و هو القرن بعد القرن.

(٢) انظر: السيرة (١/ ٨٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٥

السلام، و أن ودا و سواعا و يعوث و يعوق و نسرا كانوا رجالا صالحين من قوم نوح، أهل عبادة و فضل، فماتوا، فوجد عليهم أهلهم و توحش الناس لفقدهم، فقال لهم رجل: أ لا أصورهم لكم صورا من خشب فتنتظرون إليهم و تسكنون إلى رؤيتهم؟ قالوا: بلى إن قدرت، قال: أنا أقدر على تصويرهم، و لا أقدر أن أنفخ الروح فيهم.

فجاء بالصور كهيتهم أحياء، فأخذ أهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها فى منزلهم ينظرون إليها، فأذهب ذلك بعض حزنهم. فكانوا على ذلك ما شاء الله، حتى هلك ذلك القرن، ثم خلف قرن آخر ثم ثالث بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الأول حتى هلكوا.

ثم خلف القرن الرابع، فقالوا: لو أنا عبدنا هؤلاء لقربونا إلى الله و شفّعوا لنا عنده، و لا يزيدونا إلا خيرا إنما نريد ما يقربنا منه، فعبدوها حتى هلكوا، و عبدها من بعدهم.

فلما غرقت الأرض زمن نوح عليه السلام، غرقت تلك الأصنام، فمكثت ما شاء الله أن تمكث، ثم استخرجها عمرو بن لحي ففرقها فى القبائل. فالله تعالى أعلم.

و قد خرج البخارى فى صحيحه من حديث عبد الله بن عباس موقوفا عليه فى التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصرا، أن ودا و سواعا و يعوث و يعوق و نسرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشياطين إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون إليها أنصابا و سموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك و نسخ العلم عبدت.

قال ابن إسحاق: و اتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، و إذا قدم من سفره تمسح به، و كان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه و سلم بالتوحيد قالت قريش: «أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ [ص: ٥] «١».

(١) ذكر الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٢٧) أن هذه الآية نزلت حين مرض أبو طالب فدخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل و شكوا النبى صلى الله عليه و سلم لعمه أبى طالب فقال له أبو طالب: أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم

و تقول و أكثروا عليه من القول و تكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: «يا عم إنى أريدهم على لمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب و تؤدى إليهم بها العجم الجزية»، ففرغوا لكلمته و لقوله، فقال القوم: كلمة واحدة، نعم و أبيك عشرا، قالوا: فما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم، و هم يقولون: أ جعل-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٦

و كانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، و هى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة و حجاب، و تهدى إليها كما تهدى للكعبة، و تطوف بها كطوافها، و تنحر عندها، و هى تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام و مسجده. و سيمر فى تضاعيف هذا الكتاب بعض أخبار هذه الطواغيت و كيف جعل الله عاقبة أمرها خسرا، فأزهق الحق باطلها و عفى الإسلام آثارها، و أكمل الله تعالى دينه، و تم نوره و نعمته، و نصر دين الهدى و الحق، فأظهره على الدين كله.

و مع إصفاق العرب مضرها و يمنها على هذا الضلال، فقد كان وقع إلى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به، و وقع أيضا دين النصرانية بنجران من أرض العرب على ما نذكره.

فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تبع الآخر، و هو تبان أسعد أبو كرب بن كلكى ابن كرب بن زيد، و هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار بن أبره ذى المنار. و تبان أسعد هو الذى قدم المدينة و ساق الحبرين من يهود إلى اليمن، و عمر البيت الحرام و كساه. و كان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة، و كان قد مر بها فى بدأته فلم يهجم أهلها و خلف بين أظهرهم ابنا له قتل غيلة، فقدمها، و هو مجمع لإخربها و استئصال أهلها و قطع نخلها.

فجمع له هذا الحى من الأنصار، و رئيسهم عمرو بن ظلة أخو بنى النجار، و قد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له: أحمر، عدا على رجل من أصحاب تبع، حين نزل بهم، فقتله. و ذلك أنه وجد فى عذق له يجده «١»، فضره بمنجله فقتله، و قال: إنما التمر لمن أبره «٢». فزاد ذلك تبعا حقا عليهم.

فاقتتلوا، فترعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار و يقرونه بالليل! فيعجبه ذلك منهم، و يقول: و الله إن قومنا لكرام.

– الألهة الآية، فزل فيهم: ص و القرآن ذى الذكر.

و أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير (٣٢٣٢). و ذكره ابن كثير فى البداية (٣/ ١٣٥).

(١) العذق: كل غصن له شعب، و قيل: هى النخلة عند أهل الحجاز، و يجده: أى يقطعه.

(٢) أبره: أى أصلحه، و الأبر: العامل، و المؤتبر: رب الزرع، و المأبور: الزرع و النخل المصلح. انظر:

اللسان (مادة أبر).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٧

فبينما تبع على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أخبار يهود من بنى قريظة عالمان راسخان، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة و أهلها، فقالا له: أيها الملك: لا تفعل، فإنك إن آبيت إلا ما تريد حيل بيتك و بينها، و لم تأمن عليك عاجل العقوبة. فقال لهما: و لم ذلك؟ قالوا: هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان، تكون داره و قراره.

فتناهى و رأى أن لهما علما، و أعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة و اتبعهما على دينهما.

و هذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود، الذين كانوا بين أظهرهم، و إنما أراد هلا-كهم فمنعوهم منه، ثم انصرف عنهم، و لذلك قال فى شعره:

حنقا على سبطين حلا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد و ذكر ابن هشام أن الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع «١».

و كان تبع و قومه أصحاب أوثان يعبدونها، فوجه إلى مكة و هى طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان و أمج «٢» أتاه نفر من

هذيل بن مدركة فقالوا له: أيها الملك:

ألا ندلك على بيت مال دأثر أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ و الزبرجد و الياقوت و الذهب و الفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبده أهله و يصلون عنده «٣».

و إنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك و بغى عنده. فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا: ما أراد القوم إلا هلاكك و هلاك جندك، و ما نعلم بيتا لله اتخذته في الأرض لنفسه غيره، و لئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن و ليهلكن من معك جميعا.

(١) قال السهيلي في الروض الأنف (١ / ٢٩): الشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع، قد ذكره في كتاب التيجان و هو قصيد مطول أوله:

ما بال عينيك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بسم الأسود انتهى باختصار.

(٢) أمج: بفتح أوله و ثانيه و بالجيم، قرية جامعة ما بين مكة و المدينة على أميال من قديد لها سور، و هي كثيرة المزارع و أهلها من خزاعة، و بها آثار كثيرة و بها نخل، و هي محل بنى نمره و جماعة من الناس. انظر: الروض المعطار (ص ٣٠، ٣١).

(٣) انظر: السيرة (١ / ٣٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٨

قال: فما ذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به و تعظمه و تكرمه، و تحلق رأسك عنده، و تذلل له حتى تخرج من عنده.

قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما و الله إنه لبيت أئبنا إبراهيم، و إنه لكما أخبرناك، و لكن أهله حالوا بيننا و بينه بالأوثان التي نصبوها حوله، و بالدماء التي يهريقون عنده، و هم نجس أهل شرك؛ أو كما قال له.

فعرف نصحهما و صدق حديثهما، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم و أرجلهم.

ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت و نحر عنده، و حلق رأسه، و أقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحرونها للناس و يطعم أهلها و يسقيهم العسل.

و رأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف «١»، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء و الوصائل، فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت.

و أوصى به ولاته من جرهم، و أمرهم بتطهيره، و أن لا يقربوه دما و لا ميتة و لا مثالة «٢» و هي المحائض و جعل له بابا و مفتاحا. ثم خرج موجهها إلى اليمن بمن معه من جنوده و بالحبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

و يقال: إنه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه و بين ذلك، و قالوا: لا تدخلها علينا و قد فارقت ديننا. فدعاهم إلى دينه و قال:

إنه خير من دينكم. قالوا: فحاكنا إلى النار، قال: نعم.

و كان باليمن فيما يزعم أهل اليمن، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم و لا تضر المظلوم.

فخرج قومه بأوثانهم و ما يتقربون به في دينهم، و خرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار عليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها و هابوها، فذمرهم من حضرهم من الناس و أمرهم بالصبر لها. فصبروا

حتى غشيتهم فأكلت الأوثان و ما قربوا معها، و من حمل ذلك من



(١) الخصف: سفائف تسف من سعف النخل، فيسوى منها شقائق تلبس بيوت الأعراب، وقيل:

هي ثياب غلاظ. انظر: اللسان (مادة/ خصف).

(٢) مثلاة: هي خرقة الحائض و هي أيضا خرقة النائحة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٩

رجال حمير.

و خرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضربهما. فأصفت عند ذلك حمير على دينه. من هنالك و عن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق «١»: وقد حدثني محدث أن الحبرين و من خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها و قالوا: من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها، فذنت منهم لتأكلهم، و حادوا عنها و لم يستطيعوا ردها، و دنا منها الحبران بعد ذلك، و جعلتا يتلوان التوراة و تنكص «٢» عنهما حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه.

فأصفت عند ذلك حمير على دينهما. فالله أعلم أى ذلك كان.

و كان رثام بيتا لهم يعظمونه و ينحرون عنده و يكلمون منه إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا و بينه. قال: فشأنكما به. فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن، كلبا أسود، فذبحاه ثم هدمنا ذلك البيت.

قال ابن إسحاق «٣»: فبقاياها اليوم كما ذكر لي، بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه. و تبع هذا هو أحد الملوك الذين و طئوا البلاد و دوخوا الأرض و دانت لهم الممالك، و يقال: إنه المسمى في قوله تعالى: أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ [الدخان: ٣٧]، ذلك لأنه لما آمن في آخر عمره و وحده، خالفته حمير ففترقوا عنه، فانتهم الله منهم.

و حكى الحسن بن أحمد الهمداني: أنه أول ملك بشر برسول الله صلى الله عليه و سلم و آمن به، و هو رتب الملوك و أبناء الملوك من قومه في قبائل العرب و العجم و مدائنهما و أمصارها، و كان لكل قبيلة من العرب و لكل حى من العجم ملك من قومه، إما حميرى و إما كهلاني يسمع له و يطاع.

و يذكر أنه جمع الملوك و أبناء الملوك و الأقال و أبناء الأقال من قومه، و قال لهم:

أيها الناس: إن الدهر نفذ أكثره و لم يبق إلا أقله، و إن الكثير إذا قل إلى النقصان

(١) انظر: السيرة (١/ ٤٠ - ٤١).

(٢) تنكص: من النكوص: و هو الإحجام عن شىء، و قيل: هو الرجوع إلى الوراء، و قيل: هو القهقرى. انظر: اللسان (مادة/ نكص).

(٣) انظر: السيرة (١/ ٤١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٠

أجرى منه إلى الزيادة، سارعوا إلى المكارم، فإنها تقربكم إلى الفلاح، و اعملوا، على أنه من سلم من يومه لم يسلم من غده، و من سلم من الغد لا يسلم مما بعده، و إنكم لتتوبون مآب الآباء و الأجداد و تصيرون إلى ما صاروا إليه، و الموت كل يوم أقرب إلى المرء من حياته منه، و لكل زمان أهل، و لكل دائرة سبب، و سبب عطلان هذه الفترة التي من عز فيها بز من هو دونه، ظهور نبي يعز الله به دينه و يخصه بالكتاب المبين، على يأس من المرسلين، رحمة للمؤمنين و حجة على الكافرين، فليكن ذلك عندكم و عند آبائكم بعدكم و أبناء آبائكم قرنا فقرنا و جيلا فجيلا، ليتوقعوا ظهوره و ليؤمنوا به و ليجتهدوا في نصره على كافة الأحياء، حتى يفىء الناس له إلى أمر الله.

و أنشد له:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم  
فلو مد دهرى إلى دهره لكنت وزيرا له و ابن عم  
و ألزمت طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم

و لكن قولى له دائما سلام على أحمد فى الأمم فى أبيات ذكرها، و أشعار غير هذا أثبت فى «إكليله» كثيرا منها.

قال: و ذكروا أن الملوكة و أبناء الملوكة من حمير و كهلان لم تزل تتوقع ظهور النبى صلى الله عليه و سلم و تبشر به، و توصى بالطاعة له و الإيمان به و الجهاد معه و القيام بنصره، منذ ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكانوا بذلك حين بعث من أحرص الناس على نصره و طاعته.

فمنهم من سمع له و أطاع و آمن به قبل أن يراه، و منهم من وصل إليه كتابه فسمع و أطاع و آمن و صدق، و منهم من آواه و نصره و أيد و جاهد فى سبيل الله دونه، نطق بذلك الكتاب المنير فى قوله: وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِئُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر: ٩].

و قوله تبارك و تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة: ٥٤، ٥٥] إلى آخر الآية.

قال الهمداني: عن أبى الحسن الخزاعى يقال: إنهم همدان. ثم أشار إلى ذكر سيف

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٧١

ابن ذى يزن للنبى صلى الله عليه و سلم و ما ألقاه من أمره إلى جده عبد المطلب عند وفادته عليه.

قال: و ذكروا أنه لم يكن لسيف بن ذى يزن ذلك العلم فى قصة النبى صلى الله عليه و سلم إلا من جهة تبع، و ما تناهى إليه مما كان ألقاه إليهم و عرفهم به من خبر النبى صلى الله عليه و سلم، و سنذكر خبر سيف هذا فى موضعه إن شاء الله.

و أما موقع النصرانية «١» بأرض العرب، فقد كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على الإنجيل، أهل فضل و استقامه من أهل دينهم، لهم رأس يقال له عبد الله ابن الثامر، و كان موقع أصل ذلك الدين بنجران، و هى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان، و أهلها و سائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: «فيميون»، وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به.

فحدث وهب بن منبه: أن فيميون كان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا مجاب الدعوة، و كان سائحا ينزل القرى، لا يعرف فى قريه إلا خرج منها إلى قريه لا يعرف بها، و كان لا يأكل إلا من كسب يده، و كان بناء يعمل الطين، و كان يعظم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا، و خرج إلى فلاة من الأرض، فصلى فيها حتى يمسى.

قال: و كان فى قريه من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح، فأحبه صالح حبا لم يحب شيئا كان قبله مثله، فكان يتبعه حيث ذهب و لا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، و قد أتبعه صالح، و فيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب أن يعلم بمكانه، و قام فيميون يصلى، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التنين، الحية ذات الرؤوس السبعة، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، و رآها صالح و لم يدر ما أصابها فخاف عليه فعيل عوله فصرخ: يا فيميون التنين قد أقبل نحوك.

فلم يلتفت إليه و أقبل على صلاته حتى فرغ منها.

و أمسى فانصرف و عرف أنه قد عرف، و عرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون تعلم و الله أنى ما أحببت شيئا قط حبك، و قد أردت صحبتك و الكينونة معك حيثما كنت.

قال: ما شئت، أمرى كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعلم. فلزمه صالح، و قد كاد أهل القريه يفتنون لشأنه، و كان إذا ما جاءه



العبد به الضر دعا له فشفي، و إذا

(١) راجع السيرة (١/٤٦)، و ما بعدها. أمر عبد الله بن الثامر، و أصحاب الأخدود.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٢

دعى إلى أحد به ضر لم يأتته.

و كان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحدا دعاه، و لكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته و ألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال: يا فيميون، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا، فانطلق معى حتى تنظر إليه فأشارطك عليه.

فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا؟ قال:

كذا و كذا. ثم انتشط الثوب عن الصبى و قال: يا فيميون: عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له. فدعا له فيميون فقام الصبى ليس به بأس «١».

و عرف فيميون أنه قد عرف، فخرج من القرية، و اتبعه صالح، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة فناده منها رجل فقال: يا فيميون ما زلت أنتظرك و أقول: متى هو جاء، حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم على، فإنى ميت الآن.

قال: فمات. و قام عليه حتى واره، ثم انصرف و معه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فاحتفظتاهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، و أهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد فى كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه و حلّى النساء، ثم خرجوا إليها فحكفوا عليها يوما.

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، و ابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل يصلى فى بيت أسكنه إياه سيده، استسرح له البيت نورا حتى يصبح، من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، و قال له فيميون: إنما أنتم فى باطل، إن هذه النخلة لا تضر و لا تنفع، لو دعوت عليها إلهى الذى أعبد أهلكتها، و هو الله وحده لا شريك له، فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا فى

(١) قال فى الروض الأنف (١/٤٦): ذكر الطبرى قصة الرجل الذى دعى لابنه فشفى بآتم مما ذكره ابن إسحاق، قال: فيميون حين دخل الرجل و كشف له عن ابنه: اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ليفسدها عليه فاشفه و عافه و امنعه منه، فقام الصبى ليس به بأس، فتبين من هذا أن الصبى كان مجنونا لقوله: دخل عليه عدوك: يعنى الشيطان، و ليس هذا فى حديث ابن إسحاق.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٣

دينك و تركنا ما نحن عليه.

فقام فيميون فتطهر و صلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله ريحا فجعلتها من أصلها فألقتهها. فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران، فيما ذكر وهب بن منبه فى حديثه هذا.

و أما محمد بن كعب القرظى، و بعض أهل نجران، فذكروا أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان، و كان فى قرية من قراها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميون و لم يسمه محمد بن كعب و لا شركاؤه فى الحديث، قالوا: رجل نزلها

ابنتي خيمة بين نجران و بين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، فبعث الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته و عبادته، فجعل يجلس إليه و يسمع منه، حتى أسلم فوحد الله و عبده، و جعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، و كان يعلمه، فكتمه إياه، فقال: يا ابن أخي إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه.

و الثامر أبو عبد الله بن الثامر، لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان.

فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه و تخوف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أو قد لها نارا، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا، حتى إذا مر بذلك الاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الذي كتّمه، فقال: و ما هو؟ قال: هو كذا و كذا قال: و كيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال أى ابن أخي، قد أصبته فأمسك على نفسك و ما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضرر إلا قال له: يا عبد الله، أتوحد الله و تدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم.

فيوحد الله و يسلم، و يدعو له فيشفى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٧٤

حتى لم يبق بنجران أحد به ضرر إلا أتاه فاتبعه على أمره و دعا له فعوفى. حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال: أفسدت على أهل قريتي و خالفت ديني و دين آبائي، لأمثلن بك.

قال: لا تقدر على ذلك، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس، و جعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يقع أحد فيها إلا هلك، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ..

فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: إنك و الله لا تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سلطك الله على، فقتلتني. فوحد الله ذلك الملك و شهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، و هلك الملك مكانه.

و استجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، و كان على ما جاء به عيسى من الإنجيل و حكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث. فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي و بعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، فالله أعلم أى ذلك كان «١».

و حديث عبد الله بن الثامر هذا قد ورد فى الصحيح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم من طرق ثابتة، خرجه مسلم بن الحجاج من حديث صهيب، و بينه و بين حديث ابن إسحاق اختلاف، و فيه مع ذلك زوائد تحسن لأجلها إعادة الحديث.

فروى عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، و كان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت، فابعث إلى غلاما أعلمه السحر.

فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه و سمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب و قعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى، و إذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر.

(١) انظر: السيرة (١/ ٤٦ - ٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٧٥

فبينما هو كذلك، إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل. فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس.

فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل على.

و كان الغلام يرى الأكمة والأبرص و يداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك، و كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني.

قال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فإن آمنت بالله، دعوت الله فشفاك. فآمن بالله، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: و لك رب غيري؟! قال: ربي و ربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجىء بالغلام فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما يبرئ الأكمة والأبرص و تفعل و تفعل. فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدعا بالمنشار فوضع في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جىء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال:

اذهبوا به إلى جبل كذا و كذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه و إلا فاطرحوه، فذهبوا به، و صعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا.

و جاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقورة فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه و إلا فاقتلوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا و جاء يمشى إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٦

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: و ما هو؟.

قال: تجمع الناس في صعيد واحد، و تصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد و صلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أ رأيت ما كنت تحذر؟ قد و الله نزل بك حذرک، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخذت و أضرم النيران، و قال: من لم يرجع عن دينه، يعنى فأقحموه فيها. أو قيل له: اقتحم. ففعلوا، حتى جاءت امرأة و معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري فإنك على الحق!!

فهذا حديث مسلم عن عبد الله بن الثامر و أهل نجران، و إن وقعت الأسماء فيه مبهمه، فقد فسرها العلماء بما ورد من ذلك مبينا في حديث ابن إسحاق و غيره، و جعلوا ذلك كله حديثا واحدا «١».

و ذكر ابن إسحاق «٢» أنه لما كان من اجتماع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ما تقدم الحديث به، سار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، و خيرهم بينها و بين القتل، فاخترأوا القتل، فخذ لهم الأخدود، فحرق بالنار، و قتل بالسيف، و مثل بهم،

حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا.

ففى ذى نواس و جنده ذلك أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ «٣».

و الأخدود هنا هو الحفر المستطيل فى الأرض، كالخندق و الجدول، و يقال أيضا لأثر السيف و السوط و السكين و نحوه فى الجلد: أخذود.

(١) انظر: غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال (٨ / ٥٣٤، ٥٣٥). و انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٦ / ١٧)، الدر المنثور للسيوطى (٦ / ٣٣٤).

(٢) انظر: السيرة (١ / ٤٨).

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٨ / ٣٩٠)، و الطبرى فى التاريخ (١ / ٤٣٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٧٧

قال ابن إسحاق: و يقال: كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم و إمامهم. و حدث عن عبد الله بن أبى بكر أنه حدث أن رجلا من أهل نجران حفر خربة من خرب نجران فى زمن عمر بن الخطاب، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده، فإذا أخرت يده عنها تثعبت دما، و إذا أرسلت يده ردها عليها فأمسك دما، فى يده خاتم مكتوب فيه: ربى الله.

فكتب فيه إلى عمر، فكتب إليهم: أن أقروه على حاله و ردوا عليه الدفن الذى كان عليه. ففعلوا «١».

و ذو نواس هذا هو زرع بن تبان أسعد أبى كرب، و هو تبع الآخر، و قد تقدم خبره، و ابنه زرع ذو نواس هذا كان من صغار بنيه، و صار إليه ملك اليمن، و أمر حمير بعد أبيه بزمان.

و ذلك أنه ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، ربيعة بن نصر بن أبى حارثة ابن عمرو بن عامر، و كان من سادات اليمن و أهل الشرف منها. و هو صاحب الرؤيا التى يعرف من تأويلها استيلاء الحبشة على اليمن، و البشارة بظهور النبى صلى الله عليه و سلم. و ذلك أنه رأى رؤياه هالته و فطع بها، فلم يدع كاهنا و لا ساحرا و لا عائفا و لا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتي و فطعت بها، فأخبروني به و بتأويلها. قالوا: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها.

فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح «٢» و شق «٣»، فإنه

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٨ / ٣٩١) من طريق ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا ....

و ساق القصة.

(٢) اسم سطيح هو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان. و قال السهيلي فى الروض الأنف (١ / ٢٧): كان سطيح جسما ملقى لا جوارح له، فيما يذكرون، و لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، و كان شعه شعاً إنسان، فيما يذكرون، إنما له يد واحدة و رجل واحدة و عين واحدة، و يذكر عن وهب بن منبه أنه قال: قيل لسطيح: أنى لك هذا العلم؟ فقال: لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام، فهو يؤدى إلى من ذلك ما يؤديه.

(٣) اسم شق هو ابن صعب، بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبق بن أنمار بن إراش، و أنمار أبو بجيلة و خنعم. قاله ابن

إسحاق. انظر: السيرة (١/ ٣٠) و ما بعدها.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٨

ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه. فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال: إني قد رأيت رؤيا هالتني و فطعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

فقال: أفعال. رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة.

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبيين «١» إلى جرش «٢».

فقال الملك: و أبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى هو كائن؟ أفي زمانى أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين.

قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع و سبعين من السنين، ثم يقاتلون و يخرجون منها هارين. قال: و من يلي ذلك من قتلهم و إخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذى يزن، يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحداً باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: و من يقطعه؟ قال:

نبي زكى، يأتيه الوحى من قبل العلى. قال: و ممن هو هذا النبى؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

قال: و هل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون و الآخرون، يسعد فيه المحسنون و يشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم، و الشفق و الغسق، و القمر إذا اتسق، إن ما أنبأتك لحق، ثم قدم عليه شق، له كقوله لسطيح، و كتبه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان.

قال: نعم، رأيت حممه خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة و أكمة فأكلت منها كل ذات نسمة. فلما قال له ذلك عرف أن قد اتفقا و أن قولهما واحد، إلا أن سطيحا

(١) أبيين: بلاد باليمن، قيل فيه بكسر الألف و فتحها، و هو اسم رجل فى الزمن القديم إليه تنيب عدن و أبيين من بلاد اليمن و بينها و بين عدن اثنا عشر ميلاً. انظر: الروض المعطار (ص ١١).

(٢) جرش: بلاد باليمن، و هى من البلاد التى كان أهلها اتخذوا الأصنام بعد دين إسماعيل عليه السلام، و هم مذبح بن أدد، و هم الذين قالوا: لا تذرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَ لا تَدْرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً انظر: الروض المعطار (ص ١٥٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٧٩

قال: «بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة»، و قال شق: «وقعت بين روضة و أكمة فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال: الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، ليهبطن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، و ليملكن ما بين أبيين إلى نجران «١».

قال له الملك: و أبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى هو كائن؟ أفي زمانى أم بعده؟ فقال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، و يذيقهم أشد الهوان.

قال: و من هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدنى و لا مدن يخرج من بيت ذى يزن. قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق و العدل، بين أهل الدين و الفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل.

قال: و ما يوم الفصل؟ قال: يوم يجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء و الأموات، و يجمع فيه الناس

للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إى ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك لحق ما فيه أمض، فوقع فى نفس ربيعة بن نضر ما قالاً، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد فأسكنهم الحيرة.

فمن بقيه ولد ربيعة بن نضر فيما يزعمون، النعمان بن المنذر، فهو فى نسب اليمن و علمهم: النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نضر، ذلك الملك.

وقد تقدم قول من قال من العلماء أن النعمان من ولد قنص بن معد. وقد قيل أيضاً إن النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضرة، و هو حصن عظيم كالمدينة على شاطئ الفرات، و هو الذى ذكره عدى بن زيد فى قوله:

(١) نجران: من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: الروض المعطار (ص ٥٧٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٨٠ و أخو الحضرة إذا بناه و إذ دجلة تجبى إليه و الخابور شاده مرمرًا و جلله كلسا فللطير فى ذراه و كور «١»

لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور و أما شق و سطيح، فإن شقا هو ابن صعب بن يشكر من بنى أنمار بن نزار أبى بجيلة و خثعم. و كان شق إنسان فيما زعموا، إنما له يد واحدة و رجل واحدة و عين واحد، و لذلك سمي بشق «٢».

و سطيح هو ربيع بن ربيعة من بنى ذبيان بن عدى بن مازن بن غسان، و كانت العرب تسميه الذيبى، و إياه عنى ميمون بن قيس الأعشى بقوله:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقا كما نطق الذيبى إذ سجعا و إنما قيل له سطيح، لأنه كان جسدا ملقى له رأس و ليس له جوارح، فيما ذكروا.

و كان لا يقدر على الجلوس، فإذا غضب انتفخ و جلس. و ذكر أنه قيل له: أنى لك هذا العلم؟

فقال: لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء، حين كلم الله منه موسى عليه السلام، فهو يؤدى إلى من ذلك ما يؤديه. و عاش سطيح بعد هذا الحديث زمانا طويلا، حتى أدرك مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فذكر الخطابى و غيره من حديث هانئ بن هانئ المخزومى، و أتت عليه مائة و خمسون سنة، أنه لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم ارتجس إيوان كسرى فسقط منه أربع عشرة شرفة، و غاضت بحيرة ساوة، و فاض وادى السماوة، و خمدت نار فارس و لم تخمد قبل ذلك ألف عام. و أرى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة و انتشرت فى بلادها.

فلما أصبح كسرى أفرعه ذلك فصبر عليه تشجعا، حتى إذا عيل صبره رأى ألا يدخر ذلك عن قومه و مرازبته، فلبس تاجه و قعد على سريره، ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فىم بعثت فيكم؟ قالوا: لا، إلا أن يخبرنا الملك.

فبينما هم كذلك، إذ ورد عليه كتاب بخمود النار، فازداد غما إلى غمه، ثم أخبر بما

(١) شاده: أى بناه و أعلاه. و المرمر: الرخام. و جلله: أى كساه. و كلسا: هو ما طلى به الحائط من حصى و جيار. و كور: جمع وكر و هو عش الطائر.

(٢) انظر: السيرة (١ / ٣١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٨١



رأى و ما هاله من ذلك. فقال الموبدان: و أنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا. ثم قص عليه رؤيا في الإبل. فقال: أى شىء يكون هذا يا موبدان؟ قال: حدث يكون من ناحية العرب. و كان أعلمهم فى أنفسهم.

فكتب عند ذلك كسرى إلى النعمان بن المنذر أن يوجه إليه برجل عالم بما يريد أن يسأله عنه. فوجد إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبيلة الغساني. فلما قدم عليه قال له الملك: أ لك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك عما أحب، فإن كان عندي منه علم و إلا أخبرته بمن يعلمه.

فأخبره بالذى وجه إليه فيه. فقال له: علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام، يقال له سطيح. قال: فائته فسله عما سألتك عنه، ثم اتنتى بتفسيره. فخرج عبد المسيح حتى أتى إلى سطيح و قد أشفى على الموت، فسلم عليه و كلمه، فلم يرد عليه سطيح جوابا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاد فاز لم به شأو العن  
يا فاصل الخطئة أعت من و من أتاك شيخ الحى من آل سنن  
و أمه من آل ذئب بن حجن أبيض فضفاض الرداء و البدن  
رسول قيل العجم ينمى للوسن لا يرهب الوغد و لا ريب الزمن  
تجوب بى الأرض علنداء شزن ترفعنى و جنا و تهوى فيه و جن

حتى أتى عارى الجاحى و القطن تلفه فى الريح بوغاء الدمن فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: عبد المسيح، أتى إلى سطيح، على جمل مشيح، و قد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان و خمود النيران، و رؤيا الموبدان، رأى إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة و انتشرت فى بلادها.

عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، و ظهر صاحب الهراوة، و فاض وادى السماوة، و غاضت بحيرة ساوة، و خمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك و ملكات على عدد الشرفات، و كل ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه، فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بمقاله سطيح.

فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور. فملك منهم عشرة إلى أربع سنين و ملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٨٢

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد أبى كرب، فسار بأهل اليمن يريد أن يظأ بهم أرض العرب و أرض الأعاجم حتى إذا كان بأرض العراق كرهت حمير و قبائل اليمن المسير معه و أرادوا الرجعة إلى بلادهم و أهلهم، فكلموا أخا له يقال له عمرو و كان معه فى جيشه فقالوا له: اقتل أخاك حسان و نملكك علينا و ترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم.

فاجتمعوا على ذلك إلا ذو رعين الحميرى، فإنه نهاه عن ذلك و لم يقبل منه. فقال ذو رعين الحميرى:

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من بيت قرير عين

فإما حمير غدرت و خانت فمعدرة الإله لذى رعين ثم كتبهما فى رقعة و ختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له: ضع لى هذا الكتاب عندك. ففعل. ثم قتل عمرو أخاه حسان و رجع بمن معه إلى اليمن «١».

فلما نزل اليمن منع منه النوم و سلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء و الحزاة «٢» من الكهان و العرافين عما به؛ فقال له قائل منهم: إنه و الله ما قتل رجل أخاه أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه و سلط عليه السهر.

فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خلس إلى ذى رعين. فقال له ذو رعين: إن لى عندك براءة. قال: و ما هى؟ قال:

الكتاب الذي دفعت إليك.

فأخرجه فإذا فيه البيتان، فتركه و رأى أنه قد نصحه. و هلك عمرو، فمرج أمر حمير عند ذلك و تفرقوا، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لخنيعة «٣» ينوف ذو شناتر «٤»، فقتل خيارهم و عبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قاتل من حمير:

تقتل أبناها و تنفى سراتها و تبنى بأيديها لها الذل حمير

(١) انظر: السيرة (١ / ٤١).

(٢) الحزاة: جمع حاز، و الحازي هو الذي ينظر في الأعضاء و في خيلان الوجه يتكهن، و قال الليث: هو الكاهن.

(٣) لخنيعة: قال ابن دريد: و هو من اللخع، و هو استرخاء في الجسم.

(٤) ذو شناتر: الشناتر هو الأصابع بلغة حمير، واحداها: شنترة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص ٨٣ تدمر دنياها بطيش حلومها و ما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذاك القرون قبل ذاك بظلمها و إسرافها تأتي الشرور فتخسر و كان لخنيعة امرأة فاسقا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه و جنده قد أخذ مساواكا فجعله في فيه علامة للفراغ من خبيث فعله.

حتى بعث إلى زرع ذى نواس، بن تبار أسعد، أخى حسان، و كان صبيا صغيرا حين قتل حسان، ثم شب غلاما جميلا و سيما ذا هيئة و عقل، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد به، فأخذ سكين حديدا لطيفا فخبأه بين قدمه و نعله، ثم أتاه فلما خلا معه و ثب إليه، فوثب ذو نواس فوجأه حتى قتله، ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها، و وضع مساواكه في فيه ثم خرج على الناس، فسألوه فأشار لهم إلى الرأس فنظروا فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في أثر ذى نواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه، و اجتمعت عليه حمير و قبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، و يسمى يوسف، فأقام في ملكه سنين «١». قال ابن قتيبة: ثمانيا و ستين سنة. إلى أن كان منه في أهل نجران ما تقدم ذكره، فكان ذلك سببا لاستئصال ملكه و استيلاء الحبشة على اليمن.

### ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب في ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل

و لما انتهى زرع ذى نواس إلى ما انتهى إليه بأهل نجران من التحريق و القتل، أفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر صاحب الروم، فاستنصره على ذى نواس و جنوده، و أخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادك منا، و لكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، و هو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه يأمره بنصره و الطلب بثأره.

(١) انظر: السيرة (١ / ٤٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص ٨٤:

فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث سبعين ألفا من الحبشة، و أمر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط، و معه في جنده أبرهة الأشرم، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن و معه دوس، فسار إليه ذو نواس في حمير، و من أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا



انهزم ذو نواس و أصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به و بقومه وجه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل به، فخاض به ضحاح «١» البحر حتى أفضى به إلى غمره فأدخله فيه، فكان آخر العهد به. و دخل أرياط اليمن، فملكها «٢».

فأقام بها سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهه الحبشى، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهه إلى أرياط أنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً، فبرز لى و أبرز لك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده. فأرسل إليه أرياط: أنصفت. فخرج إليه أبرهه، و كان رجلاً قصيراً لحيماً، و كان ذا دين في النصرانية، و خرج إليه أرياط، و كان رجلاً عظيماً جميلاً طويلاً، و في يده حرباً له، و خلف أبرهه غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهه يريد يافوخه «٣»، فوقت الحربة على جبهة أبرهه، فشرمت حاجبه و أنفه و عينه و شفته، فبذلك سمى أبرهه الأشرم. و حمل عتودة على أرياط من خلف أبرهه فقتله. فانصرف جند أرياط إلى أبرهه، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، و ودى أبرهه أرياط. فلما بلغ ذلك النجاشى غضب غضباً شديداً و قال: عدا على أميرى فقتله بغير أمرى! ثم حلف لا يدع أبرهه حتى يطأ بلاده و يجز ناصيته.

فحلق أبرهه رأسه و ملأ جراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشى، و كتب إليه: أيها الملك إنما كان أرياط عبدك، و أنا عبدك، اختلفنا في أمرك، و كل طاعته لك، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة و أضبط لها و أسوس منه و قد حلقت رأسى كله حين

(١) الضحاح: هو الماء القليل يكون في الغدير، و قيل: هو الماء اليسير، و قيل: هو ما لا غرق فيه و لا له غمر، و قيل: هو الماء إلى الكعبين إلى أنصاف السوق. انظر: اللسان (مادة، ضحح).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٤٩ - ٥٠).

(٣) يافوخه: أى وسط رأسه و يجمع على يافوخ.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٨٥

بلغنى قسم الملك، و بعثت إليه بجراب من تراب أرضى ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه فى.

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه، و كتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتىك أمرى «١».

فأقام بها، ثم إن أبرهه بنى القليس «٢» بصنعاء، فبنى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشى: إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، و لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهه ذلك إلى النجاشى غضب رجل من النساء أحد بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها، ثم لحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهه؛ فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أصرف إليها حج العرب» غضب فجاء فقعد فيها، أى أنها ليست لذلك بأهل «٣».

فغضب عند ذلك أبرهه، و حلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه. ثم أمر الحبشة فتهيأت و تجهزت، ثم ساروا و خرج معه بالفيل. و سمعت بذلك العرب فأعظموه و فظعوا به، و رأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن و ملوكهم يقال له ذو نفر، فدعا قومه و من أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهه و جهاده عن بيت الله، و ما يريد من هدمه و إخرابه.

فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي. و كان أبرهه رجلاً حليماً، فتركه من القتل و حبسه عنده في وثاق.

(١) انظر: السيرة (١/ ٥٣-٥٤).

(٢) القليس: هي الكنيسة التي بناها أبرهه على باب صنعاء، و سميت القليس لارتفاع بنائها و علوه.

(٣) انظر: السيرة (١/ ٥٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٨٦

ثم مضى أبرهه على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم «١»: شهران و ناهس، و من تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهه، و أخذ له نفيل أسيراً فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، و هاتان يداي لك على قبيلي خثعم، شهران و ناهس، بالسمع و الطاعة. فحلى سبيله و خرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب ابن مالك الثقفي في رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف، و ليس بيتنا هذا البيت الذي تريد. يعنون اللات، إنما تريد البيت الذي بمكة، و نحن نبعث من يدلك عليه.

فتجاوز عنهم. و اللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. فخرج أبرهه و معه أبو رغال، حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس «٢».

فلما نزل أبرهه المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش و غيرهم، و أصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، و هو يومئذ كبير قريش و سيدها. فهتمت قريش و كنانة و هذيل و من كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك. و بعث أبرهه حناطه الحميري إلى مكة و قال له: سل عن سيد أهل هذا البلد و شريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم. فإن هو لم يرض فأتني به.

(١) قال في الروض الأنف: خثعم اسم جبل سمى به بنو عفرس لأنهم نزلوا عنده، و يقال: إنهم تخثعوا بالدم عند حلف عقده، و قيل: بل خثعم ثلاث: شهران، و ناهس، و أكلب عند أهل النسب هو ابن لهيعة بن نزار. (٢) المغمس: مكان يبعد عن مكة بثلاثي فرسخ، و هو في طرف الحرم فيه برك محمود فيل أبرهه حين توجه به إلى مكة لأخرب الكعبة بزعمه، و الميم الثانية في المغمس مكسورة و روى فتحها فأما الأولى فمضمومة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٨٧

فلما دخل حناطه مكة سأل عن سيد قريش و شريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهه؛ فقال له عبد المطلب: و الله ما نريد حربه و ما لنا بذلك منه طاقة، هذا بيت الله الحرام و بيت خليله إبراهيم أو كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته و حرمة، و إن يخل بينه و بينه، فو الله ما عندنا دفع عنه. فقال حناطه: فانطلق إليه، فإنه قد أمرني أن آتية بك.

فانطلق معه عبد المطلب و معه بعض بنيه، حتى أتى المعسكر فسأل عن ذي نفر، و كان له صديقاً، حتى دخل عليه في محبسه فقال له:

يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: و ما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي فسأرسل إليه فأوصيه بك و أعظم عليه حقك، و أسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، و يشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. قال: حسبي.

فبعث: ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش و صاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل و الوحوش في رءوس الجبال، و قد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له عليه و انفعه عنده بما استطعت. قال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهه، قال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، فأذن له فليكلمك في حاجته. و وصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس.

فإذن له أبرهه، و كان عبد المطلب أوسم الناس و أجمله و أعظمه، فلما رآه أبرهه أجله و أكرمه عن أن يجلسه تحته، و كره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهه عن سريره فجلس على بساطه و أجلسه معه عليه إلى جنبه. ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك قال أبرهه لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبنتي حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني! أ تكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، و تترك بيتا هو دينك و دين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه!؟.

قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، و إن للبيت ربا سيمعه. قال: ما كان ليمنع مني.

قال: أنت و ذاك. و يزعم بعض أهل العلم أنه كان ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهه يعمر ابن نفاثة بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، و هو يومئذ سيد بني بكر، و خويلد بن وائل الهذلي، و هو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهه ثلث أموال تهامة الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٨٨

على أن يرجع عنهم و لا يهدم البيت، فأبى عليهم، فإله أعلم أ كان ذلك أم لا.

فرد أبرهه على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز في شعف الجبال و الشعاب، تخوفا عليهم من معرفة الجيش.

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، و قام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهه و جنده. فقال عبد المطلب و هو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك «١»

لا يغلبن صليهم و محالهم غدوا محالك ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، و انطلق هو و من معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهه فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة و هيأ فيله و عبي جيشه. و كان اسم الفيل محمودا، و أبرهه مجمع لهدم البيت و الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة قام نفيل بن حبيب إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال له: ابرك محمود و ارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فبرك الفيل و خرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل.

و ضربوا الفيل ليقوم فأبى، و ضربوه في رأسه بالطبرزين «٢» ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مرقه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، و وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، و وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، و وجهوه إلى مكة فبرك.

و أرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف و البلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، يحملها حجر في منقاره و حجران في رجليه، أمثال الحمص و العدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، و ليس كلهم أصابت.

و خرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا و يسألون عن نفيل بن حبيب

(١) لا-هم: أى اللهم، و العرب تحذف منها الألف و اللام للتخفيف، حلالك: جمع حلة و هى جماعة البيوت و ربما أريد بها القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها.

(٢) الطبرزين: آله من الحديد. و قال السهيلي فى الروض الأنف: طبر هو الفأس، و ذكر الطبرستان بفتح الباء و قال معناه: شجر قطع بفأس.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٨٩

ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته:

أين المفر و الإله الطالب و الأشرم المغلوب ليس الغالب و قال نفيل أيضا:

أ لا حيتت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا

رديته لو رأيت و لا تريه لى جنب المحصب ما رأينا

إذا لعذرتنى و حمدت أمرى و لم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله إذ أبصرت طيرا و خفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا «١» فخرجوا يتساقطون بكل طريق و يهلكون بكل مهلك على كل منهل، و أصيب أبرهة فى جسده و خرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة منها اتبعها مدة تمث قيحا و دما، حتى قدموا به صنعاء و هو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

و يقال: إنه أول ما رثيت الحصبه و الجدرى بأرض العرب ذلك العام، و إنه أول ما رثى بها مرائر الشجر الحرمل «٢» و الحنظل و العشر «٣» ذلك العام.

فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم و فضله، ما رد عنهم من أمر الحبشه لبقاء أمرهم و مدتهم، فقال تبارك و تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَزْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.

و قالت عائشه رضى الله عنها: لقد رأيت قائد الفيل و سائسه بمكة أعمين مقعدين يستطعمان.

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشه عن مكة و أصابهم ما أصابهم به من النقمه،

(١) ذكر هذه الأبيات فى السيره (١/٦٢). فقال:

أ لا حيتت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا

أنا قابس منكم عشاء فلم يقدر لقابسكم لدينا ثم ذكرها سواء.

(٢) الحرمل: حب نبات معروف يخرج السوداء و البلغم إسهالا.

(٣) العشر: شجر مر يحمل ثمر كالأترج و ليس فيه منتفع.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٠

أعظمت العرب قريشا، و قالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم و كفاهم مئونه عدوهم، فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشه و ما رد عن قريش من كيدهم، فقال عبد الله بن الزبيرى السهمى:

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمها

لم تخلق الشعرى لىالى حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها

سائل أمير الحبش عنها ما رأى و لسوف ينبي الجاهلين عليهما

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم بل لم يعيش بعد الإياب سقيمها

كانت بها عاد و جرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها و قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي، من قصيدة سيأتي ذكرها بجملتها:

فقوموا فصلوا ربكم و تمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخشاب

فعندكم منه بلاء مصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتاب

كثيبته بالسهل تمشى و رجله على القاذفات في رءوس المناقب «١»

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف و حاصب

فولوا سراعا هارين و لم يؤب إلى قومه ملحش غير عصائب «٢» و قالت سبيعة بنت الأحب بن زبيد من بني نصر بن معاوية بن بكر بن

هوازن بن منصور، لابنها خارجة بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، تعظم عليه حرمة مكة و تنهاه عن البغي فيها و تذكر

تبعها و تذللها لها، و الفيل و هلاك جيشه عندها:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير و لا الكبير

و احفظ محارمها بني و لا يغرنك الغرور

أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه و يلح بخديه السعير

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها و ما بنيت بعرضتها قصور

و الله آمن طيرها و العصم «٣» تأمن في ثبير

و لقد غزاها تبع فكسا بنيتها الحبير «٤»

(١) القاذفات: أعالي الجبال البعيدة. و المناقب: جمع منقبة، و هى الطريق فى رأس الجبل.

(٢) ملحش: أى من الحبش، و العصائب: الجماعات.

(٣) العصم: جمع أعصم، و هو الوعل، قيل له ذلك لأنه يعتصم بالجبال.

(٤) الحبير: هو الثور الحبير: أى هو الجديد الناعم، و قيل: الثياب الموشية.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩١ و أذل ربي ملكه فيها فأوفى بالندور

يمشى إليها حافيا بفنائها ألفا بعير

و يظل يطعم أهلها لحم المهارى و الجزور

يسقيهم العسل المصفى و الرحيض من الشعير

و الفيل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور

و الملك فى أقصى البلاد و فى الأعاجم و الجزير

فاسمع إذا حدثت وافهم كيف عاقبة الأمور و لم يزل شعراء أهل الجاهلية يذكرون ذلك فى أشعارهم معتدين بصنع الله فيه، و قد

جرى على ذلك شعراء الإسلام، فقال الفرزدق بن غالب التميمي، يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان و يعرض للحجاج بن

يوسف، و يذكر الفيل و جيشه:

فلما طغى الحجاج حين طغى به غنى قال إنى مرتق فى السلالم

فقال كما قال ابن نوح سأرتقى إلى جبل من خشية الماء عاصم  
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم  
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء و كانوا مطرخيمي الطراخم (١)  
نصر كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم المشركين الأعاجم قال ابن إسحاق (٢): فلما هلك أبرهه ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهه،  
و به كان يكنى، فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهه.  
فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذى يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، و سأله أن  
يخرجهم عنه، و يليهم هو، و يبعث إليهم من شاء من الروم، فلم يشكه.  
فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر، و هو عامل كسرى على الحيرة و ما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان:  
إن لى على كسرى وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك؛ ففعل.  
ثم خرج معه فأدخله على كسرى، و كان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذى فيه تاجه، و كان تاجه مثل القلقل العظيم، فيما  
يزعمون، يضرب فيه الياقوت و الزبرجد

(١) الطراخم: جمع الطراخم و هو الممتلى كبرا المتعظم.

(٢) انظر: السيرة (١ / ٦٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٢

و اللؤلؤ بالذهب و الفضة، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقه فى مجلسه ذلك، و كانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب  
حتى يجلس فى مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه فى تاجه، فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا  
برك هيبه له.

فلما دخل عليه سيف بن يزن برك، و قيل: إنه لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك:

إن هذا لأحمق! يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه!

فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لهما، لأنه يضيق عنه كل شىء. ثم قال:

أيها الملك، غلبنا على بلادنا الأغربة.

فقال كسرى: أى الأغربة؟ الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة، فجتتك لتنصرنى و يكون ملك بلادى لك. قال: بعدت بلادك مع قلّة  
خيرها، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لى بذلك.

ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، و كساه كسوة حسنة. فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس. فبلغ ذلك  
الملك فقال: إن لهذا لشأنا.

ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى حباء الملك تشره للناس! فقال: و ما أصنع بهذا؟! ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب و فضة،  
يرغبه فيها.

فجمع كسرى مرازبته (١) فقال: ما ذا ترون فى أمر هذا الرجل و ما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك إن فى سجونك رجالا حبستهم  
للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت، و إن ظفروا كان ملكا ازددته.

فبعث معه كسرى من كان فى سجون، و كانوا ثمانمائة رجل، و استعمل عليهم رجلا- منهم يقال له: و هرز و كان ذا سن فيهم و  
أفضلهم حسبا و بيتا، فخرجوا فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان و وصلت إلى ساحل عدن ست سفائن.

فجمع سيف إلى و هرز من استطاع من قومه و قال له: رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا. قال و هرز: أنصفت.

و خرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن و جمع إليه جنوده، فأرسل إليهم و هرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتل ابن و هرز، فزاده ذلك حنقا عليهم. فلما تواقف الناس

(١) مرابته: أي وزراءه. و قيل: هو الفارس الشجاع المقدم عند الملك.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٩٣

على مصافهم قال و هرز: أروني ملكهم. قالوا له: أ ترى رجلا- على الفيل عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوته حمراء؟ قال: نعم. قالوا: ذلك ملكهم. قال: اتركوه.

فوقفوا طويلا ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على الفرس. قال: اتركوه. فوقفوا طويلا. ثم قال: علام هو؟ قالوا: على البغلة. قال و هرز: بنت الحمارة! ذل و ذل ملكه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أؤذنكم، فإنني قد أخطأت الرجل، و إن رأيتم القوم قد استداروا و لاثوا به فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم.

ثم أوتر قوسه، و كانت فيما يزعمون، لا- يوترها غيره من شدتها، و أمر بحاجيه فعصبا له، ثم رمى فصك الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه؟ و نكس عن دابته، و استدارت الحبشة و لاثت به، و حملت عليهم الفرس و انهزموا فقتلوا و هربوا في كل وجه.

و أقبل و هرز ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكسة أبدا، اهدموا الباب. فهدم، ثم دخلها ناصبا رايتها. و قال في ذلك أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، و تروى لابنه أمية بن أبي الصلت:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن مذيم في البحر للأعداء أحوالا

يهم قيصر لما حاز رحلته فلم يجد عنده بعض الذي سالا

حتى أتى بني الأحرار يحملهم إنك عمري لقد أسرعت قلقالا «١»

لله درهم من عصبه خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا

بيضا مرابزة غلبا أساوره أسدا ترب في الغيصات أشبالا

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلالا «٢»

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعافي رأس غمدان دارا منك محلالا «٣»

و اشرب هنيئا فقد شالت نعمتهم و أسبل اليوم في برديك إسبالا «٤»

(١) بنو الأحرار: أراد بهم الفرس، و القلقال: التحرك بسرعة.

(٢) الفلال: جمع فل و هم القوم المنهزمون.

(٣) رأس غمدان: قال ياقوت في معجم البلدان (٢١٠/٤): قيل إنه قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه و بنى في داخله قصرا على سبعة سقوف، و قيل: إن الذي بناه سليمان بن داود عليهما السلام، و قيل: إنه بين صنعاء و طيوه و هدم غمدان في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) شالت نعمتهم: أي هلكوا، و الإسبال: إرخاء الثوب.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٩٤ تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا و أقام و هرز و الفرس باليمن، فمن بقيه ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم.

و كان ملك الحبشة باليمن منذ دخلها أرباط إلى أن أخرجتهم الفرس عنها اثنتين و سبعين سنة، وفق ما ذكره سطيح و شق في تأويل



رؤيا ربيعة بن نصر.

ثم مات و هرز، فأمر كسرى ابنه المرزبان بن و هرز على اليمن، ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان، ثم مات فأمر كسرى ابن التينجان، ثم عزله و ولي باذان، فلم يزل عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم «١».

فلما بلغ مبعثه كسرى كتب إلى باذان: إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستبته، فإن تاب و إلا فابعث إلى برأسه. فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا.

فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر و قال: إن كان نبيا فسيكون ما قال. فقتل الله كسرى على يد ابنه شيرويه في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم. فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلام من معه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقالت الرسل من الفرس: إلى من نحن يا رسول الله، قال: «أنتم منا و إلينا أهل البيت».

قال الزهري: فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «سلمان منا أهل البيت» «٢».

و كأن هذه الأخبار و إن قطعت بعض ما كنا بسبيله من أمر بني قصي فلها أيضا من الإفادة بنحو ما قصدناه و حسن الإمتاع بالشأن المناسب لما اعتمدناه ما يحسن اعتراضها و ينظم في سلك واحد مع ما مر من ذلك أو يأتي أغراضها.

و علينا بمعونة الله في تجويد الترتيب لذلك كله تطبيق المنفصل ورد هذه الأحاديث المتفرقة في حكم الحديث المتصل، فنظيل و لا نمل، و نقصر فلا نخل كل ذلك ببركة

(١) انظر: السيرة (١/ ٧٤). الاكتفاء، الكلاعي ج ١ ٩٤ ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب في ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل ..... ص : ٨٣

(٢) انظر الحديث في: المستدرک للحاكم (٣/ ٥٩٨)، المعجم الكبير للطبراني (٦/ ٢٦١)، تفسير الطبري (٢١/ ٨٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/ ١٨٠، ٤/ ٩٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ٦٥)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٣٣٤٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤١٨)، كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٥٥٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ١٣٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٩٥

المختار الذي يمينا تخليد أوليته، و تيمنا بخدمة آثاره و سيرته، صلى الله عليه و على آله الأكرمين و صحابته.

و كنا انتهينا من شأن بني قصي بعده، إلى ما تراضوا به بينهم من الصلح على أن تكون السقاية و الرفادة لبني عبد مناف، و تكون حجابة البيت و اللواء و الندوة لبني عبد الدار، على نحو ما جعله قصي إلى أبيهم.

فولى السقاية و الرفادة هاشم بن عبد مناف. و ذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة، و كان مقلا ذا ولد كثير، و كان هاشم موسرا، و كان فيما يزعمون، إذا حضر الحج قام صبيحة هلال ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها، فيحضر قومه على رفادة الحاج التي سنها لهم قصي، و يقول لهم في خطبته: يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها و جوها، و أعظمها أحلاما، و أوسط العرب أنسابا، و أقرب العرب بالعرب أرحاما.

يا معشر قريش، إنكم جيران بيت الله، أكرمكم الله بولايته و خصكم بجواره دون بني إسماعيل، حفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره، و إنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله، يعظمون حرمة بيته، فهم ضيف الله، و أحق الضيف بالكرامة ضيفه، فأكرموا ضيفه و زواره، فإنهم يأتون شعثا غربا من كل بلد على ضوامر كالقداح، و قد أزحفوا و أرمولوا فأقروهم و أعينوهم، فو رب هذه البنية لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه، و أنا مخرج من طيب مالى و حاله، ما لم تقطع فيه رحم، و لم يؤخذ بظلم، و لم يدخل فيه حرام فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعله. و أسألکم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله و



معونتهم إلا طيبا لم تقطع فيه رحم، و لم يؤخذ غضبا «١».

فكانت بنو كعب بن لؤى و سائر قريش يجتهدون فى ذلك و يترافدون عليه، و يخرجون ذلك من أموالهم حتى يأتوا به هاشم بن عبد مناف فيضعوه فى داره، حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدرهم. و كان هاشم يخرج فى كل سنة مالا كثيرا. و كان قوم من قريش أهل يسار، ربما أرسل كل إنسان منهم بمائة مثقال هرقلية. و كان هاشم يأمر بحياض من آدم، فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر، ثم يستقى فيها من البيار التى بمكة، فيشرب الحاج.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٦

و كان يطعمهم أول ما يطعمهم بمكة قبل التروية بيوم، ثم بمنى، و بجمع و عرفه، يترد لهم الخبز و اللحم، و الخبز و السمن، و السويق و التمر، و يحمل لهم الماء، فيطعمهم و يسقيهم حتى يصدروا.

و كان اسم هاشم عمرا، و يقال له: عمرو العلاء. و إنما سمي هاشما لهشمه الخبز بمكة لقومه، و هو فيما يذكرون أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء و الصيف. و فى ذلك يقول بعض شعرائهم:

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنين عجاف «١»

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء و رحلة الأضياف و ذلك أن قريشا كانوا قوما تجارا، و كانت تجارتهم لا تعدو مكة، إنما يقدم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم و يتبايعون فيما بينهم، و يبيعون ممن حولهم من العرب. فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم إلى الشام، فكان يذبح كل يوم شاة، فيصنع جفنة ثريد، و يدعو من حوله فى كلون.

و كان هاشم من أحسن الناس و أجملهم، إلى شرف نفسه و كرم فعالة. فذكر لقيصر فدعا به فلما رآه و كلمه أعجب به و أدناه. فلما رأى هاشم مكانه منه، طلب منه أمانا لقومه ليقدموا بلاده بتجاراتهم. فأجابه إلى ذلك. و كتب لهم قيصر كتاب أمان لمن أتى منهم. فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فكلما مر بحى من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافا لقومه يأمنون به عندهم و فى أرضهم من غير حلف، و إنما هو أمان الطريق.

و استوفى أخذ ذلك ممن بين مكة و الشام، فأتى قومه بأعظم شىء أتوا به قط بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة، و خرج هاشم معهم ليوفيههم إيلافهم الذى أخذ لهم من العرب، فلم يزل يوفيههم إياه، و يجمع بينهم و بين العرب حتى قدم بهم الشام.

فهلك هاشم فى سفره ذلك بغزة من أرض الشام. و كان أول بنى عبد مناف هلكا.

و خرج المطلب بن عبد مناف، و هو يسمى الفيض لسماحته و فضله، إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم أمانا لمن تجر من قومه إلى بلادهم، ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن

(١) هشم الثريد: به سمي هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم كان يسمى عمرا و هو أول من ترد الثريد و هشمه فسمى هاشما، فقالت فيه ابنته هذه الأبيات، و قال ابن برى: الشعر لابن الزبعرى. انظر هذا القول و البيت فى اللسان (١٢/ ٦١١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٧

كان على طريقه من العرب، كما فعل أخوه هاشم، حتى أتى مكة، ثم رجع إلى اليمن، فمات بردمان.

و خرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة، فأخذ منه أمانا كذلك لمن تجر من قريش إلى بلاده، ثم أخذ الإيلاف من العرب الذين على الطريق إليها حتى بلغ مكة، و توفى بها فقبره بالحجون.

و خرج نوفل بن عبد مناف، و كان أصغر ولد أبيه إلى العراق، فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة، ثم رجع إلى العراق فمات بسلمان من ناحية العراق. فجب الله قريشا بهؤلاء النفر الأربعة من بنى عبد مناف، فنمت أموالهم، و اتسعت تجارتهم، فكان بنو عبد مناف يسمون لأجل ذلك المجيزين، و العرب تسميهم أقداح النصار، لطيب أحسابهم، و كرم فعالهم. و قال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيهم جميعا حين أتاه نعي نوفل منهم، و كان آخرهم هلكا:

يا ليلة هيجت ليلا تي إحدى ليالي القسيات «١»

و ما أقاسى من هموم و ما عالجت من رزء المنيات

إذا تذكرت أخي نوفلا ذكرني بالأوليات

ذكرني بالأزر الحمر و الأردية الصفر القشيبات «٢»

أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات

ميت بردمان و ميت بسلمان و ميت بين غزات «٣»

و ميت أسكن لحدا لدى الحجون شرقى البنيات

أخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة

إن المغيرات و أبناءها من خير أحياء و أموات «٤»

(١) القسيات: من القسوة أى لا لين عندهن و لا رأفة، و القسى: الشديد.

(٢) القشيبات: واحدها القشب: و هو الجديد و الناس تقول ثوب قشيب أى جديد.

(٣) ردمان: بفتح أوله و هو فعلان من الردم و هو موضع باليمن. اسم ماء قديم جاهلى و به قبر نوفل بن عبد مناف، و كان فى الجاهلية طريق إلى تهامة من العراق. غزات: أى غزء.

(٤) المغيرات: المقصود بها بنو المغيرة و هو عبد مناف.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٨

و إنما سماهم المغيرات لأن عبد مناف أباهم كان اسمه المغيرة. فليل لمطرود فيما يزعمون: لقد قلت فأحسننت، و لو كان أفحل مما هو كان أحسن.

فقال: أنظرونى ليالى. فمكث أياما ثم قال:

يا عين جودى و أذرى الدمع و انهمرى و ابكى على السر من كعب المغيرات

يا عين و اسحنفرى بالدمع و احتفلى و ابكى خبيئته نفسى فى الملمات «١»

و ابكى على كل فياض أخى ثقة ضخم الدسيعة و هاب الجزيلات «٢»

محض الضريبة على الهم مختلق جلد النجيزة ناء بالعظيمات «٣»

صعب البديهة لا نكس و لا و كل ماضى العزيمة متلاف الكريمات

صقر توسط من كعب إذا نسبوا بحيوحة المجد و الشم الرفيعات

ثم اندبى الفيض و الفياض مطلبوا و استخرطى بعد فياض بجمات

أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا يا لهف نفسى عليه بين أموات

و ابكى لك الويل إما كنت باكية لعبد شمس بشرقى البنيات

و هاشم فى ضريح وسط بلقعة تسفى الرياح عليه بين غزات  
و نوفل كان دون القوم خالصتى أمسى بسلمان فى رمس بموماء  
لم ألق مثلهم عجماء و لا عرباً إذا استقلت بهم آدم المطيات  
أمست ديارهم منهم معطله و قد يكونون زينا فى السريات «\*»  
أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم أم كل من عاش أزواد المنيات  
أصبحت أرضى من الأقوم بعدهم بسط الوجوه و إلقاء التحيات  
يا عين و ابكى أبا الشعث الشجيات بيكيه حسرا مثل البليات «\*»  
بيكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات

(١) اسحنفرى: أى أديمى الدمع. و الخبيثة: الشىء المنخوبه يريد أنه ذخيرة عند نزول الشدائد.

(٢) الدسيعة: العطية و ضخم الدسيعة أى كثير العطية.

(٣) محض الضريبة: أى مخلص الطبيعة. و المختلق: تام الخلق. و النجيزة: الطبيعة من العين المختلف من كل شىء.

«\*» السريات: جمع سرية و هى طائفة من الجيش يبلغ أقصاه أربعمائه و سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر و خيارهم من الشىء السرى النفيس و قيل سموا بذلك لأنهم ينفذون سرا و خفية. انظر: اللسان (مادة سرا).  
«\*» البليات: جمع بلية، و هى: الناقه كانت تشد فى الجاهلية عند قبر صاحبها حتى تموت، و كانوا يقولون: يبعث صاحبها عليها. انظر: اللسان (مادة بلا).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٩٩ بيكين شخصاً طويل الباع ذا فخر أبى الهزيمة فراج الجليلات

بيكين عمرو العلاء إذ حان مصرعه سمح السجية بسام العشيات

بيكيه مستكينات على حزن يا طول ذلك من حزن و عولات

بيكين لما جلاهن الزمان له خضر الخدود كأمثال الحميات

محترمات على أوساطهن لماجر الزمان من أحداث المصيبات

أبيت ليلى أراعى النجم من ألم أبكى و تبكى معى شجوى بنياتى

ما فى القروم لهم عدل و لا خطرو لا لمن تركوا شروى بقيات

أبناؤهم خير أبناء و أنفسهم خير النفوس لدى جهد الأليات

كم وهبوا من طمر سابح أرنو من طمره نهب فى طمرات

و من سيوف من الهندي مخلصه و من رماح كأشطان الركيات

و من توابع مما يفضلون بهاعند المسائل من بذل العطيات

فلو حسبت و أحصى الحاسبون معى لم أحص أفعالهم تلك الهنيات

هم المدلون إما معشر فخرواعند الفخار بأنسب نقيات

زين البيوت التى خلوا مساكنها فأصبحت منهم وحشا خليات

أقول و العين لا ترقا مدامعها لا يبعد الله أصحاب الرزيات و كان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدينة فتزوج بها سلمى بنت عمرو أحد

بنى عدى بن النجار، و كانت قبله عند أحيحة بن الجلاح فيما ذكر ابن إسحاق. قال:

و كانت لا تنكح الرجال لشرفها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إن كرهت رجلا فارقت.

فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شيبه «١»، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك. ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده و قومه، فقالت له سلمى:  
لست بمرسلته معك.

فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي، إن ابن أخي قد بلغ و هو غريب في غير قومه، و نحن أهل بيت شرف في قومنا نلى كثيرا من أمرهم، و رهطه و عشيرته و بلده خير له من الإقامة في غيرهم. أو كما قال.  
و قال شيبه لعمه المطلب فيما يزعمون: لست بمفارقها إلا أن تأذن لي. فأذنت له

(١) قال الطبري في تاريخه (١ / ٥٠١): سمي شيبه لشيبه كانت في رأسه و يكنى بأبي الحارث و الحارث أكبر ولده.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠٠

و دفعته إليه، فاحتمله فدخل به مكة مردفه على بعيره، فقالت قريش: عبد المطلب ابتاعه.

فبها سمي شيبه: عبد المطلب. فقال المطلب: و يحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة «١».

و ذكر الزبير أن شيبه إنما سمي عبد المطلب، لأن عمه المطلب لما قدم به من يثرب و دخل به مكة ضحوة مردفه خلفه و الناس في أسواقهم و مجالسهم، قاموا يرحبون به و يقولون: من هذا معك؟ فيقول: عبد لي ابتعته يثرب، فلما كان العشي ألبسه حلة ابتاعها له، ثم أجلسه في مجلس بني عبد مناف و أخبرهم خبره، فجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سبب مكة، و كان أحسن الناس، فيقولون: هذا عبد المطلب، لقول المطلب فيه ذلك، فلج اسمه عبد المطلب، و ترك شيبه.

و كان يقال لعبد المطلب: شيبه الحمد، و إنما سمي شيبه لأنه كان في ذؤابته شعرة بيضاء.

ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية و الرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس و أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم من أمرهم قبله، و شرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آباءه، و أحبه قومه و عظم خطره فيهم.

و يقال: كان يعرف في عبد المطلب نور النبوة و هيبه الملك.

قال الزبير: و مكارم عبد المطلب أكثر من أن أحيط بها، كان سيد قريش غير مدافع نفسا و أبا و بيتا و جمالا و بهاء و فعالا و كمالا. فصلى الله على المنتخب من ذريته، المخصوص بأولية الفخر و آخريته، و على آله الأكرمين و عترته و سلم تسليمًا.

### ذكر حفر عبد المطلب زمزم و ما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم الخبر عن زمزم أنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التي سقاها الله حين ظمأ و هو صغير.

(١) انظر: السيرة (١ / ١٢٥ - ١٢٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠١

و كانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش إساف و نائلة عند منحر قريش، فبقي أمرها كذلك إلى أن أمر عبد المطلب بن هاشم بحفرها.

فذكر ابن إسحاق «١» و غيره من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه، قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قلت: و ما طيبة؟ ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برة. فقلت: و ما برة؟ ثم ذهب عنى.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر المذنونة.

فقلت: و ما المضمونة؟ ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فتمت فيه فجاءنى فقال: احفر زمزم. قلت: و ما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا و لا تدم، تسقى الحجيج الأعظم، و هى بين الفرث و الدم، عند نقره الغراب الأعصم عند قرية النمل «٢». فلما بين له شأنها و دل على موضعها و عرف أنه قد صدق، غدا بمعوله و معه ابنه الحارث، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر. فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر. فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، و إن لنا فيها حقا فأشر كنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر خصصت به دونكم و أعطيته من بينكم. قالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: اجعلوا بينى و بينكم من شئتم نحاكمكم إليه. قالوا: كاهنه بنى سعد بن هذيم، قال: نعم. و كانت بأطراف الشام.

فركب عبد المطلب و معه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف، و ركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: و الأرض إذ ذاك مفاوز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز و الشام فنى ماء عبد المطلب و أصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، و قالوا: إنا بمفازة و نحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و ما يتخوف على نفسه و أصحابه قال: ما ذا

(١) انظر: السيرة (١ / ١٣٠).

(٢) قال السهيلي فى الروض الأنف (١ / ١٦٩): قرية النمل لا تحرث و لا تبذر و تجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٠٢

ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا- تبع لرأيك، فمرنا بما شئت. قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرة ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا. قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: و الله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض و لا نبتغى لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا، حتى إذا فرغوا، و من معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب و كبر أصحابه، ثم نزل فشرب و شرب أصحابه و استقوا حتى ملأوا أسقيتهم.

ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء، فقد سقانا الله فاشربوا و استقوا.

فجاءوا فشربوا و استقوا، ثم قالوا: قد و الله قضى لك علينا يا عبد المطلب، و الله لا نخاصمك فى زمزم أبدا، إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا.

فرجع و رجعوا معه و لم يصلوا إلى الكاهنة و خلوا بينه و بينها. و فى غير حديث على ابن أبى طالب رضى الله عنه، أن عبد المطلب قيل له حين أمر بحفر زمزم:

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر يسقى حجيج الله فى كل مبر

ليس يخاف منه شىء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش، فقال: تعلمون أنى قد أمرت أن أحفر زمزم، قالوا: فهل بين لك أين هى؟ قال: لا. قالوا: فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقا من الله يبين لك، و إن يك من الشيطان فلن يعود إليك.

فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه فأتى فليل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، و هى تراث من أبيك الأعظم لا تنزف

أبدا ولا تدم، تستقى الحجيج الأعظم،

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٠٣

مثل نعم جافل «١» لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثا و عقدا محكم، ليست كبعض ما قد تعلم، و هي بين الفرث و الدم. فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال: و أين هي؟ قيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا. فغدا عبد المطلب و معه ابنه الحارث و ليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل و وجد الغراب ينقر عندها، بين الوثنين إساف و نائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائهما.

فجاء بالمعول و قام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جده، فقالوا: و الله لا نتركك تحفر بين و ثنينا هذين اللذين ننحر عندهما. فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذب عنى فو الله لأمضين لما أمرت به.

فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه و بين الحفر و كفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطي، فكبر و عرف أنه قد صدق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، و هما الغزالان اللذان دفنت جرحهم فيها حين خرجت من مكة، و وجد فيها أسيافا قلعية «٢» و أدراعا.

فقال له قريش: يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك و حق، قال: لا، و لكن هلموا إلى أمر نصف بينى و بينكم، فضرب عليها بالقداح. قالوا: و كيف نصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين و لى قدحين و لكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شىء فهو له و من تخلف قدحاه فلا شىء له، قالوا: أنصفت.

فجعل قدحين أصفرين للكعبة، و قدحين أسودين لعبد المطلب، و قدحين أبيضين لقريش. ثم أعطوا القداح الذى يضرب بها عند هبل، و هبل صنم فى جوف الكعبة، و هو أعظم أصنامهم، و هو الذى عنى أبو سفيان بن حرب لما نادى يوم أحد: اعل هبل، أى أظهر دينك.

و قام عبد المطلب يدعو الله، و ضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على

(١) جافل: الجفول هو سرعة الذهب و الندور فى الأرض، يقال: جفلت الإبل جفولا إذا شردت.

انظر: اللسان (مادة جفل).

(٢) قلعية: اسم معدن ينسب إليه الرصاص الجيد، قيل: و هو جبل بالشام، و قيل أيضا: هو قلعة عظيمة فى أول بلاد الهند من جهة الصين فيه معدن الرصاص القلعي لا يكون إلا فى قلعتها و فى هذه القلعة تضرب السيوف القلعية و هي الهندية العتيقة. انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٨٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٠٤

الغزالين، و خرج الأسودان على الأسياف و الأدرع لعبد المطلب، و تخلف قدحا قريش.

فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة، و ضرب فى الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حليته الكعبة، فيما يزعمون «١».

و ذكر الزبير أن عبد المطلب لما أنبط الماء فى زمزم حفرها فى القرار ثم بحرهما حتى لا تنزف، ثم بنى عليها حوضا فطفق هو و ابنه ينزعان عليها فيملآن ذلك الحوض، فيشرب منه الحاج. و كان قوم حسده من قريش لا- يزالون يكسرون حوضه ذلك بالليل و يغتسلون فيه، فيصلحه عبد المطلب حين يصبح.

فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه، فقيل له فى المنام: قل: اللهم إنى لا أحلها لمغتسل، و هى لشارب حل و بل.

فقام عبد المطلب فى المسجد فنادى بالذى أرى، ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش أو يغتسل فيه إلا رمى

في جسده بدءا، حتى تركوا حوضه ذلك و سقايته فرقا.

و ذكر الزبير أيضا أن عبد المطلب لما حفر زمزم و أدرك منها ما أدرك و جدت قريش في أنفسها مما أعطى، فلقبه خويلد بن أسد بن عبد العزى، فقال: يا ابن سلمى، لقد سقيت ماء رغدا و نثلت عادية حتدا، قال: يا ابن أسد، أما إنك تشرك في فضلها، و الله لا يساعفنى أحد عليها ببر و لا يقوم معى بأزر إلا بذلت له خيرا لصهر.

فقال خويلد بن أسد:

أقول و ما قولى عليهم بسنة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن آجرو ركضة جبريل على عهد آدم فقال عبد المطلب: ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد. ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج، و كانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة «٢»، و كانت خارجا من مكة آبار حفائر قديمة من عهد مرة بن كعب و كلاب بن

(١) انظر: السيرة (١/١٣٢-١٣٣).

(٢) قال ابن هشام في السيرة (١/١٣٣-١٣٦): و كانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق، ثم أخذ يذكر أسماء الآبار التي حفرت قبل زمزم فقال: حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى، و هى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف الثقفى. و حفر هاشم بن عبد مناف بذر، و هى البئر التى - الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٠٥

مرة و كبراء قريش الأول، منها يشربون، ففغت زمزم على تلك البئر التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج.

و انصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام، و لفضلها على ما سواها من المياه، و لأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، و افتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها و على سائر العرب.

و كان عبد المطلب فيما يزعمون «١» و الله أعلم، قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عز و جل عند الكعبة.

فلما توافى بنوه عشرة و عرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره و دعاهم إلى الوفاء به، فأطاعوه و قالوا: و كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب اسمه فيه ثم ائتوني ففعلوا، ثم أتوه فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة، و كان على بئر فى جوف الكعبة، فيها يجمع ما يهدى للكعبة، و كان عند هبل قداح سبعة بها يضربون على ما يريدون، و إلى ما تخرج به القداح ينتهون فى أمورهم.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه. و أخبره بنذره الذى نذر، و أعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه. و كان عبد الله بن عبد المطلب أحب بنى أبيه إليه فيما يزعمون، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى.

فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله،

- عند المستنذر، خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب، و حفر سجلة، و هى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم، و يزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم، و يزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار و حفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه. و حفرت بنو أسد بن عبد العزى: شفية، و هى بئر بنى أسد. و حفرت بنو عبد الدار: أم أحراد. و حفرت بنو جمح السنبلة، و هى بئر خلف بن وهب.



وحفرت بنو سهم: الغمر، وهي بئر بني سهم. وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، و كلاب بن مرة، و كبراء قريش الأوائل منها يشربون، وهي رم، و رم: بئر مرة بن كعب بن لؤي. و خم، و خم: بئر بني كلاب بن مرة. و الحفر. انتهى باختصار.

(١) انظر: السيرة (١/١٣٦ - ١٣٩)، تاريخ الطبري (٢/٢٣٩، ٢٤٣)، طبقات ابن سعد (١/٨٨، ٨٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠٦

ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده و أخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف و نائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها و قالوا: ما ذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. فقالت له قريش و بنوه: و الله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا؟!.

و قال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، و كان عبد الله بن أخت القوم، أمه و أم أخويه الزبير و أبي طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم:

و الله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. و قالت له قريش و بنوه: لا تفعل و انطلق إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع، فتسألها ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته و إن أمرتك بأمر لك و له فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها فيما يزعمون، بخبير، فركبوا حتى جاؤها فسألوها، و قص عليها عبد المطلب خبره و خبر ابنه و ما أراد به و نذره فيه. فقالت لهم:

ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله.

فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، و كانت كذلك، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم و قربوا عشرة من الإبل، ثم اضربوا عليه و عليها بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى بركم، و إن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى بركم و نجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله و عشرة من الإبل، و عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرة من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، و قام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرة من الإبل، و ما زالوا كذلك يزيدون عشرة عشرة من الإبل و يضربون عليها، كل ذلك يخرج القدح على عبد الله، حتى بلغت الإبل مائة من الإبل، و قام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش: قد انتهى، رضى برك يا عبد المطلب.

فزعوا أن عبد المطلب قال: لا و الله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله و على الإبل، و قام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية و الثالثة و عبد المطلب قائم يدعو الله، فخرج القدح في كليهما على الإبل.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠٧

فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها إنسان و لا يمنع.

ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله، فمر به فيما يزعمون، على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى «١»، و هي أخت ورقة بن نوفل بن أسد، و هي عند الكعبة.

قال الزبير: و كان عبد الله أحسن رجل رثي في قريش قط، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله. قال: مع أبي. قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع على الآن، قال: أنا مع أبي و لا أستطيع خلافة و لا فراقه.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به و هب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، و هو يومئذ سيد بنى زهرة سنا و شرفا، فزوجه ابنته

آمنة بنت وهب و هي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا و موضعا.

فزعوا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالأمس، قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة، و قد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، و كان تنصر و اتبع الكتب، أنه كائن في هذه الأمة نبي.

و يقال: إن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة ابنة وهب، و قد عمل في طين له و به آثار من الطين، فدعاها إلى نفسها، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين، فخرج من عندها، فتوضأ و غسل ما كان به من ذلك، ثم خرج عائدا إلى آمنة، فمر بتلك المرأة فدعته إلى نفسها فأبى عليها، و عمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر بامرأته تلك فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بي و بين عينيك غرة فدعوتك فأبيت، و دخلت على آمنة فذهبت بها.

فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مر بها و بين عينيه مثل غرة الفرس، قالت:

فدعوته رجاء أن تكون تلك بي، فأبى على و دخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) قال السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٨٠): و اسم هذه المرأة رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل تكنى أم قتال و بهذه التكنية وقع ذكرها في رواية يونس بن إسحاق و ذكر البرقي عن هشام الكلبي، قال: إنما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر، كانت من أجمل النساء و أعفهن، و كانت قد قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجهه فدعته إلى نفسها فلما أبى قالت شعرا.

انتهى باختصار.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٠٨

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا، و أعظمهم شرفا، من قبل أبيه و أمه صلى الله عليه وسلم، و يزعمون فيما يتحدث الناس، و الله أعلم، أن أمه كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به، فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقول: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا.

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن هلك و أمه حامل به.

هذا قول ابن إسحاق (١)، و خالفه كثير من العلماء، فقالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المهدي حين توفي أبوه. ذكره الدولابي و غيره. و ذكر ابن أبي خيثمة أنه كان ابن شهرين، و قيل أكثر من ذلك. و الله أعلم.

و ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل. قيل: بعد الفيل بخمسين يوما (٢).

و حكى الواقدي عن سليمان بن سحيم قال: كان بمكة يهودي يقال له يوسف، فلما كان اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال: يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة في بحر تكم هذه اليوم. و جعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبرا، حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له: ولد لابن عبد المطلب غلام.

فقال: هو نبي و التوراة.

و قال حسان بن ثابت: و الله إنني لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما

(١) انظر: السيرة (١/ ١٤٠ - ١٤١).

(٢) هذا قول ابن إسحاق. انظر: السيرة (١/ ١٤٢).

و ذكره ابن كثير في البداية باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٢٦٤ - ٢٦٧) و قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام

الفيل على قول الجمهور، فقيل: بعده بشهر، وقيل: بأربعين يوما، وقيل: بخمسين يوما، وهو أشهر. وعن أبي جعفر الباقر: كان قدوم الفيل للنصف من المحرم و مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعده بخمس و خمسين ليلة، و قال آخرون: بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعشر سنين قاله ابن أزي. وقيل: بثلاث و عشرين سنة، رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. وقيل: بعد الفيل بثلاثين سنة، قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله، و اختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله. و قال أبو زكريا العجلاني: بعد الفيل بأربعين عاما، رواه ابن عساكر و هذا غريب جدا، و أغرب منه ما قال خليفة بن خياط: حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل الفيل بخمس عشرة سنة، و هذا حديث غريب و منكر و ضعيف أيضا، قال خليفة بن خياط: و المجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٠٩

أسمع إذا سمعت يهوديا يصرخ على أطمه يثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا قالوا: ويلك! مالك! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به «١».

و ذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله، أنها شهدت ولادة آمنه بنت وهب رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلا. قالت: فما شئ أنظر إليه من البيت إلا نور، و إنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأقول لتقعن على. و ذكر ابن مخلد فى تفسيره أن إبليس رن أربع رنات، رنة حين لعن، و رنة حين أهبط، و رنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و رنة حين أنزلت فاتحة الكتاب!

قال ابن إسحاق (٢): فلما وضعت أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام، فأتته فانظر إليه. فأتاه و نظر إليه، و حدثته بما رأت حين حملت به، و ما قيل لها فيه، و ما أمرت أن تسميه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله و يشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها. و يروى أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها.

زعموا أنه أرى فى منامه كأن سلسله من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء و طرف فى الأرض و طرف فى المشرق و طرف فى المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، و إذا أهل المشرق و المغرب يتعلقون بها. فقصصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق و المغرب و يحمدوه أهل السماء و الأرض. فلذلك سماه محمدا، مع ما حدثته أمه.

و لا يعرف فى العرب أحد تسمى بهذا الاسم قبله، سوى نفر سموا به من أجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى، و محمد بن أحيحة بن الجلاح، و آخر من ربيعة.

و كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك ممن كان عنده علم بالكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه و سلم و تقارب زمانه، و باسمه، و كان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا. ففعلوا ذلك رجاء أن يكونه. و الله أعلم حيث يجعل رسالاته. و قد وقع فى مواضع أخر أن هؤلاء نفر كانوا أربعة، و لم يذكر فيهم محمد بن أحيحة، و حديثهم مخالف لما ذكرناه خلافا يسيرا.

(١) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة (١ / ٩١).

(٢) انظر: السيرة (١ / ١٤٣).

روينا من حديث عبد الملك بن أبي سويبة عن أبيه عن جده قال: سألت محمد بن عدي بن ربيعة: كيف سماك أبوك محمدا؟ فقال: سألت أبي عما سألتني عنه، فقال:

خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا فيهم، و سفيان بن مجاشع بن دارم و أسامة بن مالك ابن خندف و يزيد بن ربيعة، نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا إلى غدير عليه شجرات و قربه شخص نائم، فتحدثنا فاستمع كلامنا و أشرف علينا فقال: إن هذه لغة ما هي لغة أهل هذه البلاد. فقلنا: نحن قوم من مضر قال: من أى المضرين؟

قلنا: من خندف. قال: أما إنه يبعث فيكم وشيكا نبي خاتم النبيين فسارعوا إليه و خذوا بحظكم منه ترشدوا.

فقلت له: ما اسمه؟ قال: محمد. فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل رجل منا ابن سماه محمدا. و التمس لرسول الله صلى الله عليه و سلم الرضعاء، فاسترضع له من امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها: حليلة بنت أبي ذؤيب «١».

و كانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها و ابن لها ترضعه، فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء. قالت: و فى سنة شهباء «٢» لم تبق لنا شيئا.

قالت: فخرجت على أتان لى قمراء «٣» معنا شارف لنا «٤»، و الله ما تبض بقطرة و لا ننام ليلتان أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، ما فى ثديي ما يغنيه و ما فى شارفنا ما يغذيه، و لكننا نرجو الغيث و الفرج.

فخرجت على أتانى تلك، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفا و عجفا. حتى قدمنا مكة تلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا و قد عرض عليها رسول الله

(١) هى حليلة بنت أبى ذؤيب، و أبو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن غيلان بن مضر. و انظر ترجمتها: فى الاستيعاب الترجمة رقم (٣٣٣٦)، الإصابة الترجمة رقم (١١٠٥٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٨٥٥).

(٢) سنة شهباء: إذا كانت مجدبة بيضاء من الجذب لا يرى فيها خضرة، و قيل الشهباء التى ليس فيها مطر. انظر: اللسان (مادة شهب).  
(٣) القمراء: لون يميل إلى الخضرة، و قيل بياض، فيه كدرة يقال: حمار أقر و أتان قمراء أى بياض و ليلة قمراء أى مضيئة. انظر: اللسان (مادة قمر).

(٤) الشارف: الناقة التى قد أسنت و قال أبو الأعرابي الشارف الناقة الهمة، و الشارف من الإبل المسن و المسنة و الجمع شوارف. انظر: اللسان (مادة شرف).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١١١

صلى الله عليه و سلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، و ذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم ما عسى أن تصنع أمه و جده!! فكنا نكرهه لذلك.

فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى: و الله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبي و لم آخذ رضيعا، و الله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه.

قال: لا عليك أن تفعلنى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، و ما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره.

فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعت فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى و شرب معه أخوه حتى روى. ثم ناما و ما كنا ننام معه قبل ذلك. و قام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل «١»، فحلب منها ما شرب و شربت حتى انتهينا ريا و شبعنا.

فتبتنا بخير ليلة، يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلمى و الله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة! قلت: و الله إنى لأرجو ذلك. ثم خرجنا، و

ركبت أتاني و حملته عليها معي، فو الله لقطعت بالركب، ما يقدر على شىء من حميرهم، حتى إن صواحبى ليقلن: يا بنت أبى ذؤيب ويحك! اربعى «٢» علينا! أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟! فأقول لهن: بلى و الله إنها لهى. فيقلن: و الله إن لها لشأنا. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد، و لا أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، فنحلب و نشرب و ما يحلب إنسان قطرة لبن و لا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب. فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن و تروح غنمى شباعا لبنا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة و الخير، حتى مضت سنتان و فصلته. و كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جعفرا. فقدمنا به على أمه و نحن أحرص شىء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته.

(١) حافل: ممتلئة الضرع من اللبن، و الحفل اجتماع اللبن فى الضرع، و المحفلة التى اجتمع لبنها فى ضرعها أياما.

(٢) اربعى: أى انتظرينا، و هى من ربع يربع إذا وقف و انتظر. انظر: اللسان (مادة ربع).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١١٢

فكلمنا أمه و قلت لها: لو تركت بنى عندى حتى يغلظ، فإنى أخشى عليه و باء مكه. فلم نزل بها حتى رده معنا، فرجعنا به. فو الله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لى و لأبيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلا ن عليهما ثياب بيض فأضجعه فشقنا بطنه فهما يسوطانه.

قالت: فخرجت أنا و أبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجهه. قالت: فالتزمته و التزمه أبوه، فقلنا: ما لك يا بنى؟ قال: «جاءنى رجلا ن عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقنا بطنى فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو» «١».

قالت: فرجعنا به إلى خبائنا و قال لى أبوه: يا حلیمه لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر «٢» و لقد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك؟.

قلت: قد بلغ و الله بابنى، و قضيت الذى على، و تخوفت الأحداث عليه، فأدبته عليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك، فاصدقنى خيرك. قالت: فلم تدعنى حتى أخبرتها.

قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم.

قالت: كلا و الله ما للشيطان عليه سبيل، و إن لبنى لشأنا، أ فلا أخبرك خبره، قلت:

بلى. قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام.

ثم حملت به، فو الله ما رأيت من حمل قط كان أخف و لا أيسر منه، و وقع حين ولدته و إنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك و انطلقى راشدة «٣».

(١) قصة شق صدر النبى، و هو عند حلیمه السعدية مشهوره، و قد رواها الإمام مسلم فى صحيحه (١/ ١٠١، ١٠٢) عن أنس بن مالك: «أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه جبريل، و هو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرجه، فاستخرج منه علقه، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لزمه ثم أعاده إلى مكانه، و جاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعنى مرضعته، أن محمدا قد قتل فاستقبلوه و هو منتقع اللون».

(٢) الظئر: مهموز العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس و الإبل الذكر و الأنثى فى ذلك سواء و الجمع اظئار. انظر: اللسان (مادة ظئر).

(٣) انظر: السيرة (١٤٤ - ١٤٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١١٣

و يروى أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن نفسك. قال: «نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا، فأخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقا فاستخرجا منه علقه سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزننى بعشرة فوزنتهم. ثم قال زنه بمائة من أمته. فوزننى بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزننى بهم فوزنتهم. فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنها» (١).

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم». قيل: و أنت يا رسول الله؟ قال: «و أنا» (٢).

و كان يقول لأصحابه: «أنا أعربكم، أنا قرشى و استرضعت فى بنى سعد بن بكر» (٣).

و زعم الناس فيما يتحدثون (٤)، و الله أعلم، أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها فى الناس و هى مقبله به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فقالت له: إنى قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلنى، فو الله ما أدرى أين هو.

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه، فيزعمون أنه وجده و رقه بن نوفل و رجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب فقالا: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة. فأخذ عبد المطلب فجعله على عنقه و هو يطوف بالكعبة يعوده و يدعو له؛ ثم أرسل به إلى أمه آمنه.

(١) انظر الحديث فى: تفسير القرطبي (٢/ ١٣١)، تفسير الطبرى (١/ ٤٣٥)، الدر المنثور للسيوطى (١/ ١٣٩، ٥/ ٢٠٧)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣١٨٣٣، ٣١٨٣٤، ٣١٨٣٥، ٣١٨٨٩)، دلائل النبوة للبيهقى (١/ ٦٩)، طبقات ابن سعد (١/ ٩٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/ ٢٧٥).

(٢) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندي (٩٢٤٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٦/ ٣٢٤).

(٣) انظر الحديث فى: كشف الخفاء للعجلونى (١/ ٢٣٢)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣١٨٨٤)، طبقات ابن سعد (١/ ٧١)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/ ٢٧٧).

(٤) انظر: السيرة (١/ ١٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١١٤

و ذكر بعض أهل العلم «١» أن مما هاج أمه السعدية على رده، ما ذكرت لأمه و ما أخبرتها عنه، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه و سألوها عنه، و قلبوه، ثم قالوا لها: لناخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا و بلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره. فلم تكذ تنفلت به منهم.

و ذكر الواقدي أن أمه حلیمه السعدية بعد أن رجعت به من عند أمه حضرت به سوق ذى المجاز، و بها يومئذ عراف من هوازن يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى الحمرة فى عينيه و إلى خاتم النبوة، صاح: يا معشر العرب فاجتمع إليه أهل الموسم، فقال: اقتلوا هذا الصبى. و انسلت به حلیمه. فجعل الناس يقولون: أى صبى هو؟ فيقول: هذا الصبى. فلا يرون شيئا، قد انطلقت به أمه، فيقال له:

ما هو؟ فيقول: رأيت غلاما، و آلهتكم، ليغلبن أهل دينكم و ليكسرن أصنامكم و ليظهرن أمره عليكم. فطلب بعكاظ فلم يوجد.

و رجعت به حلیمه إلى منزلها، فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس. و لقد نزل بهم عراف، فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر، و أبت حلیمه أن تخرجه إليه، إلى أن غفلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم و دخل الخيمة، فجهد بهم العراف أن يخرج إليه فأبت. فقال: هذا نبي.



وقد عرضه عمه أبو طالب على عائف من لهب، كان إذا قدم من مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم و يعتاف لهم، فأتاه به أبو طالب و هو غلام مع من يأتيه، قال:

فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء فقال: الغلام على به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه، فجعل يقول: ويلكم ردوا على الغلام الذي رأيت أنفاً، فوالله ليكونن له شأن.

وانطلق به أبو طالب. و كانت حلیمه بعد رجوعها به من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا. فغفلت عنه يوما في الظهره، فخرجت تطلبه حتى تجده مع أخته. فقالت:

في هذا الحر؟! فقالت أخته: يا أمه، ما وجد أخى حرا، رأيت غمامه تظل عليه إذا وقف و قفت و إذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع.

تقول أمها: أ حقا يا بنیه؟ قالت: إى و الله. قال: تقول حلیمه: أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني. فكان ابن عباس يقول: رجع إلى أمه و هو ابن خمس سنين. و كان غيره يقول: رجع إليها و هو ابن أربع سنين. هذا كله عن الواقدي.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٤٨ - ١٤٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١١٥

قال ابن إسحاق: فكان النبي صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنه و جده عبد المطلب في كلاءة الله و حفظه، ينبتة الله نباتا حسنا لما يريد من كرامته. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة و المدينة «١».

و كان قد قدمت به إلى أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم، فماتت و هى راجعة به إلى مكة. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب.

و كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا- له. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي و هو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنا.

ثم يجلسه معه عليه و يمسح ظهره بيده و يسره ما يراه يصنع «٢».

قالوا: و كانت أم أيمن تحدث تقول: كنت أحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول: يا بركة، قلت: لبيك، قال: أ تدرين أين وجدت ابني؟ قلت: لا أدري. قال: وجدته مع غلمان قريبا من السدره، لا تغفلى

عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة، و أنا لا آمن عليه منهم.

و كان لا يأكل طعاما إلا قال: على بابني. فيؤتى به إليه.

و حدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه أنهم خرجوا عمارا، و عبد المطلب يومئذ حى بمكة، و معهم رجل من يهود تيماء، صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن، فنظر إلى عبد المطلب، فقال: إنا نجد في كتابنا الذى لم يبدل أنه يخرج من ضئضى هذا نبي يقتلنا و قومه قتل عاد.

و جلس عبد المطلب يوما في الحجر و عنده أسقف نجران: و كان صديقا له، و هو يحادثه و هو يقول: إنا نجد صفة نبي بقى من ولد إسماعيل، هذه مولده، من صفته كذا و كذا.

و أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الحديث، فنظر إليه الأسقف و إلى عينيه و إلى ظهره و إلى قدميه، فقال: هو هذا. فقال الأسقف: ما هذا منك؟ قال: ابني. قال الأسقف: لا،



(١) انظر: السيرة (١ / ١٤٩).

(٢) انظر: السيرة (١ / ١٤٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١١٦

ما نجد أباه حيا. قال عبد المطلب: هو ابن ابني مات أبوه و أمه حبلى به. قال: صدقت.

قال عبد المطلب: تحفظوا بابن أخيكم، ألا تسمعون ما يقال فيه؟!.

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردم، فرآه قوم من بني مدلج فدعوه، فنظروا إلى قدميه و إلى أثره، ثم خرجوا في طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه، فقالوا لعبد المطلب: ما هذا منك؟ قال: ابني. قالوا: فاحتفظ به، فإننا لم نر قدما قط أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه.

فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به.

و قد روى أبو داود السجستاني من حديث ابن عباس، قال: أتى نفر من قريش امرأة كاهنة، فقالوا: أخبرينا بأقربنا شبها بصاحب هذا المقام.

قالت: إن جررتم على السهلة عباءة و مشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبها به. فجروا عليها عباءة، ثم مشوا عليها، فرأت أثر قدم لمحمد صلى الله عليه و سلم، فقالت: هذا و الله أقربكم شبها به.

قال ابن عباس: فمكثوا بعد عشرين سنة، ثم بعث محمد صلى الله عليه و سلم. و لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة، و ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه و سلم أخته وفود العرب و أشرافها و شعراؤها يهتونه و يمدحونه و يذكرون من حسن بلائه و طلبه بتأثر قومه. فأتاه وفد قريش و فيهم عبد المطلب بن هاشم في أناس من وجوه قريش، فقدموا عليه صنعاء فأذن لهم، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام، فقال:

إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك.

فقال عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا، شامخا باذخا، و أنبتك منبتا طابت أرومته و عزت جرثومته، و ثبت أصله، و بسق فرعه، في أكرم موطن، و أطيب معدن.

و أنت أيها الملك رأس العرب الذي به تنقاد، و عمودها الذي عليه العماد، و معقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك لك خير سلف، و أنت لنا فيه خير خلف، فلم يخمل من أنت سلفه، و لن يهلك من أنت خلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله و سدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١١٧

فقال له سيف: و أيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنت عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن أختنا؟ قال: نعم؟ قال: أدنه، فأدناه. ثم أقبل عليه و على القوم، فقال لهم: مرحبا و أهلا، قد سمع الملك مقالتيكم و عرف قرابتكم و قبل وسيلتكم، و أنتم أهل الليل و النهار، فلکم الكرامة ما أقمتم و الجباء إذا ظعنتم.

ثم أنهضوا إلى دار الضيافة و الوفود، فأقاموا شهرا لا- يصلون إليه و لا- يأذن لهم بالانصراف. ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب، فقال له: إني مفوض إليك من سني علمي أمرا لو يكون غيرك لم أبح له به، و لكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مكنونا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.

إني أجد في الكتاب المكنون و العلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا و اجتبيناه دون غيرنا خيرا عظيما و خطرا جسيما، فيه شرف الحياة و فضيلة الوفاة، للناس عامة و لرهطك كافة، و لك خاصة.

فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سر و بر، فما هو؟ فداك أهل الوبر زمر بعد زمر.. فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة،

كانت له الإمامة و لكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد، و لو لا هيبه الملك و إجلاله و إعظامه لسألته من ساره إياى ما أزداد به سرورا. فقال له ابن ذى يزن: هذا حينه الذى يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمد، يموت أبوه و أمه و يكفله جده و عمه، قد ولدناه مرارا و الله باعته جهارا و جاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه و يذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرض، و يستبيح بهم كرائم الأرض، و يكسر الصلبان و يخمد النيران و يعبد الرحمن و يدحر الشيطان، قوله فصل و حكمه عدل، يأمر بالمعروف و يفعله، و ينهى عن المنكر و يبطله.

فقال له عبد المطلب: عز جدك و علا- كعبك و دام ملكك و طال عمرك، فهل الملك سارى بإفصاح، فقد أوضح لى بعض الإيضاح.

فقال له ابن ذى يزن: و البيت و الحجب، و العلامات و النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب. فخر عبد المطلب ساجدا، فقال له: ارفع رأسك ثلج صدرك و علا أمرك، هل أحسست بشىء مما ذكرت لك؟.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١١٨

فقال عبد المطلب: كان لى ابن، و كنت عليه رفيقا، فزوجته كريمه من كرائم قومه، فجاء بغلام فسميته محمدا، فمات أبوه و أمه، و كفلته أنا.

فقال له ابن ذى يزن: إن الذى قلت لك كما قلت، فاحتفظ بابتك و احذر عليه اليهود، فإنهم أعداؤه، و لن يجعل الله عليه سيلا، و اطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لا آمن أن تدخلهم التعاسة من أن تكون لكم الرئاسة، فيطلبون له الغوائل و ينصبون له الجائل، و هم فاعلون و أبناؤهم، و لو لا أنى أعلم أن الموت محترمى قبل مبعثه لسرت بخيلى و رجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه، فإنى أجد فى الكتاب الناطق و العلم السابق أن بيثرب استحكام أمره و أهل النصرة له، و موضع قبره، و لو لا أنى أخاف عليه الآفات و احذر عليه العاهات لأعلنت على حدائه سنة بذكره، و لكنى صارف ذلك إليك، من غير تقصير بمن معك.

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد و عشر إماء، و جلس من البرود، و مائة من الإبل، و خمسة أرتال ذهب، و عشرة أرتال فضة، و كرش مملوءة عنبرا. و أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كله، و قال له: إذا حال الحول فائتنى. فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول، فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول: يا معشر قريش، لا- يغبطنى أحدكم بجزيل عطاء الملك و إن كثر، فإنه إلى نفاذ، و لكن ليغبطنى بما يبقى لى و لعقبى من بعدى ذكره، و فخره و شرفه. فإذا قيل له: فما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأه و لو بعد حين.

و حديث سيف بن ذى يزن هذا عن غير ابن إسحاق و هو عندنا بالإسناد، و قد تقدم ما ألقاه تبع الآخر إلى ملوك حمير و أبنائهم من أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن علم سيف بذلك إنما كان من تلك الجهات. و الله أعلم.

ثم إن عبد المطلب بن هاشم هلك عن سن عالية مختلف فى حقيقتها «١». أدناها فيما انتهى إلى و وقفت عليه، خمس و تسعون سنة؛ ذكره الزبير.

و أعلاها فيما ذكر الزبير أيضا، عن نوفل بن عماره قال: كان عبيد بن الأبرص ترب عبد المطلب، و بلغ مائة و عشرين سنة، و بقى عبد المطلب بعده عشرين سنة.

و قال محمد بن سعيد بن المسيب: لما حضرت الوفاء عبد المطلب و عرف أنه ميت جمع بناته و كن ستا: صفية، و بره، و عاتكة، و أم حكيم البيضاء، و أميمة و أروى، فقال

(١) انظر: السيرة (١/ ١٤٩).

لهن: ابكين على حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت. فقالت كل واحدة منهن شعرا ترضيه به و أنشدته إياه، فأشار برأسه، و قد أصمت: أن هكذا فابكينني. و ذكر ابن إسحاق تلك الأشعار «١».

و قال ابن هشام: إنه لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها «٢».

قال ابن إسحاق: و قال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب يبكي عبد المطلب بن هاشم، و يذكر فضله، و فضل قصي على قريش و فضل ولده من بعده عليهم:

أعيني جودا بالدموع على الصدرو لا تسأما أسقيتما سبل القطر «٣»

و جودا بدمع و اشفحا كل شارق بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر «٤»

و سحا و جما و اسجما ما بقيتما على ذى حياء من قريش و ذى ستر

على رجل جلد القوى ذى حفيظة جليل المحيا غير نكس و لا هنر

على المزد البهلول ذى البأس و الندى ربيع لؤى فى القحوط و فى العسر

على خير حاف من معد و ناعل كريم المساعى طيب الخيم و النجر «٥»

على شبيه الحمد الذى كان وجهه يضىء سواد الليل كالقمر البدر

و ساقى الحجيج ثم للخير هاشم و عبد مناف ذلك السيد الفهرى

طوى زمزما عند المقام فأصبحت سقايته فخرا على ذى فخر

لييك عليه كل عان بكره و آل قصي من مقل و ذى وفر

بنوه سراة كهلهم و شبابهم تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

(١) انظر ما ذكره ابن إسحاق فى: السيرة (١/ ١٥٠-١٥٤).

(٢) هذا قول ابن هشام فى السيرة و قد ذكر أنه ذكرها لأنه رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب فكتبه. انظر: السيرة (١/ ١٥٠).

(٣) سبل: أى المطر، و قيل: هو المطر بين السحاب و الأرض حين يخرج من السحاب و يخرج من الأرض. انظر: اللسان (مادة سبل).

(٤) كل شارق: الشارق أى كل يوم طلعت فيه الشمس، و قيل: الشارق قرن الشمس. و لم يشوه:

الإشواء يوضع موضع الإبقاء، قال أبو منصور: هذا كله من إشواء الرامى و ذلك إذا رمى فأصاب الأطراف و لم يصيب المقتل فيوضع الإشواء موضع الخطأ و الشىء الهين.

(٥) أورد فى السيرة بعد هذا البيت بيتين لم يذكرهما هنا هما:

و خيرهم أصلا و فرعا و معدناو أحظاهم بالمكرمات و بالذكر

و أولاهم بالمجد و الحلم و النهى و بالفضل عند المجحفات من الغبر انظر: السيرة (١/ ١٥٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٢٠ قصي الذى عادى كنانة كلها و رابط بيت الله فى العسر و اليسر

فإن تك غالته المنايا و صرفها فقد عاش ميمون النقية و الأمر

و أبقى رجالا سادة غير عزل مصاليت أمثال الردينية السمر

أبو عتبة الملقى إلى حباءه أغر هجان اللون من نفر غر

و حمزة مثل البدر يهتز للندى نقى الثياب و الذمام من الغدر

و عبد مناف ماجد ذو حفيظة و وصول لذى القربى رحيم بذى الصهر

كهولهم خير الكهول و نسلهم كنسل الملوك لا تبور و لا تحرى

متى ما تلاقى منهم الدهر ناشاتجده بإجريا أوائله يجرى  
هم ملأوا البطحاء مجدا و سؤددا إذا استبق الخيرات فى سالف العصر  
و هم حضروا و الناس باد فريقهم و ليس بها إلا شيوخ بنى عمرو  
بنوها ديارا جمه و طووا بهابثرا تسح الماء من ثبج بحر  
لكى يشرب الحجاج منها و غيرهم إذا ابتدروها صبح تابعه النحر  
ثلاثة أيام تظل ركابهم محبسه بين الأخاشب و الحجر  
و قدما غنينا قبل ذلك حقبه و لا نستقى إلا بخم أو الحفر  
هم يغفرون الذنب ينقم دونهو يعفون عن قول السفاهه و الهجر  
أ خارج إما أهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر  
و لا تنس ما أسدى ابن لبنى فإنه قد أسدى يدا محقوقه منك بالشكر  
و أنت ابن لبنى من قصى إذا انتموا بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر  
و أمك سر من خزاعه جوهر إذا حصل الأنساب يوما ذوو الخبير  
إلى سب الأبطال تنمى و تنمى و أكرم بها منسوبه فى ذرى الدهر «\*» ابن لبنى هذا أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، و هو أبو عتبّه  
الذى ذكره قبل فى هذا الشعر. و كانت أمه امرأة من خزاعه اسمها لبنى بنت هاجر. و لذلك قال: «و أمك سر من خزاعه» «١».  
و نماها إلى سب الأبطال بناء على ما قدمناه من انتماء خزاعه إلى عمرو بن عامر، من

(\*» أورد فى السيره بعد هذا البيت بيتين لم يذكرهما هنا هما:

أبو شمير منهم و عمرو بن مالك و ذو جدن من قومها و أبو الجبر  
و أسعد قاد الناس عشرين حجه يؤيد فى تلك المواطن بالنصر انظر: السيره (١/ ١٥٧، ١٥٨).  
(١) انظر: السيره (١/ ١٥٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٢١

غسان و انتفائهم من المضريه. و اليد التى ذكر هذا الشاعر أنها ترتبت عليه لأبى لهب:  
و ذكر ابن إسحاق أنه كان أخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكه، فوقف بها، فمر به أبو لهب فافتكه.  
و نسب الزبير هذا الشعر لحذافه بن غانم، و دليله قوله فيه:  
«أ خارج إما أهلكن» ... البيت.

فإن خارجه هو ابن حذافه و حذيفه الذى نسب ابن إسحاق إليه الشعر هو أخو حذافه، و لا يعرف له ابن يسمى خارجه، و إنما هو والد  
أبى جهم بن حذيفه، و اسم أبى جهم عبيد «١»، و هو الذى بعث إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخميصه ذات الأعلام التى  
ألهمته عن صلته، و أمر أن يؤتى بأنبجانيه.

و لما هلك عبد المطلب، ولى زمزم و السقايه عليها ابنه العباس و هو يومئذ من أحدث إخوته سنا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام و  
هى بيده، فأقرها رسول الله صلى الله عليه و سلم على ما مضى من ولايته، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجعله إجلال الولد  
الوالد.

يقول كريب مولى ابن عباس: و ما ينبغى لرسول الله صلى الله عليه و سلم أن يجعل إلا والدا أو عما، فضيله خص الله بها العباس دون  
من سواه. و قال صلى الله عليه و سلم: «احفظونى فى عمى عباس، فإن عم الرجل صنو أبيه» «٢».

و طلع يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هذا العباس أجود قریش كفاً و أوصلها» (٣).  
و لم يزل العباس سيدا في الجاهلية و الإسلام، يمنع الجار و يبذل المال و يعطي في النوائب.  
قال الزبير: و كان يقال: كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعارى بني هاشم، و جفنة

(١) هو: أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشي العدوي، قيل: اسمه عامر بن حذيفة، و قيل: عبيد الله بن حذيفة.

انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٩٢٩)، الإصابة الترجمة رقم (٩٧٠٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٧٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (١/٢٠٧)، الخطيب البغدادي في التاريخ (١٠/٦٨)، الهيثمي في المجمع (٩/٢٦٩)، المتقى الهندي في الكنز (٣٣٣٨٩، ٣٣٣٩٥، ٣٣٣٩٦، ٣٣٤١١)، ابن عدى في الضعفاء (٢/٧٦٨).

(٣) أخرجه ابن كثير في البداية و النهاية (٧/١٦١)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/٢٢٣)، الحاكم في المستدرک (٣/٣٢٨، ٣٢٩).  
الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٢٢

لجائعهم، و مقطرة لجاهلهم. و المقطرة: خشبة ذات سلسله يحبس فيها الناس. و في ذلك يقول إبراهيم بن علي بن هرمه:

و كانت لعباس ثلاث نعدھا إذا ما جناب الحى أصبح أشهباً

فسلسله تنهى الظلوم و جفنة تناخ فيكسوها السنام المرغباً

و حلمة عصب ما تزال معدة لعار ضريك ثوبه قد تهدبا و قال ابن شهاب: لقد جاء الله بالإسلام و إن جفنة العباس لتدور على فقراء بني هاشم، و إن قيده و سوطه لمعد لسفهائهم. قال: فكان ابن عمر يقول: هذا و الله الشرف، يطعم الجائع و يؤدب السفیه!

و كان أبو بكر و عمر في ولايتهما لا يلقى العباس واحد منهما و هو راكب إلا نزل عن دابته و قادها و مشى مع العباس حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه. و بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلك جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب. و كان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون.

و ذلك أن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبا طالب أخوان لأب و أم، فكان أبو طالب هو الذى يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده، فكان إليه و معه «١».

و ذكر الواقدي أن أبا طالب كان مقلا من المال، و كانت له قطعة من الإبل تكون بعرة، فيبدو إليها فيكون فيها، و يؤتى بلبنها إذا كان حاضرا بمكة.

فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعا و فرادى لم يشبعوا، و إذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا. فكان أبو طالب إذا أراد أن يعشيهم أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني.

فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم؛ و إن كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم، ثم يناول العيال القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد، و إن كان أحدهم ليشرب قعبا! فيقول أبو طالب: إنك لمبارك! و كان الصبيان يصبون شعنا رمضا و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحبيلا.

و قالت أم أيمن «٢»، و كانت تحضنه: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكاً جوعاً قط و لا

(١) انظر: السيرة (١/١٥٩).

(٢) هي: بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، غلبت عليها كنيته. انظر ترجمتها في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٨٧)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٩٢١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٢٣

عطشا، و كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغذاء فيقول: لا أريده أنا شعبان. قال ابن إسحاق «١»: ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل صب به «٢» رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً أو كما قال. فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى «٣» من أرض الشام، و بها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له، و كان إليه علم أهل النصرانية، و لم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببخيري و كانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم و لا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، و ذلك فيما يزعمون عن شىء رآه و هو فى صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا و غمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة و تهصرت «٤» أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته و قد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش و أحب أن تحضروا كلكم صغيركم و كبيركم و عبدكم و حرکم. فقال له رجل منهم:

و الله يا بحيرى إن لك اليوم لشأنا! ما كنت تصنع هذا بنا، و قد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، و لكنكم ضيف، و قد أحببت أن أكرمكم و أصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلکم. فاجتمعوا إليه و تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثه سنة فى رحال القوم، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف

(١) هذه قصة بحيرى، و قد ذكرها ابن إسحاق فى السيرة (١/ ١٦٠-١٦٢).

(٢) صب به: الصبابة الشوق، و قيل: رفته و حرارته، و قيل: رقة الهواء، و صب الرجل إذا عشق يصب صبايا. انظر: اللسان (مادة صب).

(٣) بصرى: موضع بالشام من أعمال دمشق و هى قصبه كورة حوران مشهورة عند العرب. انظر:

معجم البلدان (١/ ٤٤١).

(٤) تهصرت: قال الجوهري: هصرت الفض بالكسر إذا أخذت برأسه فأملته إليك، و تهصرت أغصان الشجر أى تهدلت عليه. انظر: اللسان (مادة هصر).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٢٤

و يجد عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.

فقالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام، و هو أحدث القوم سنا، فتخلف فى رحالهم. فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش: و اللات و العزى، إن كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه و أجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم و تفرقوا قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات و العزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه. و إنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسألنى باللات و العزى شيئا، فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما». فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه. قال له: سلنى عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه و هيئته و أموره، و يخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم فىوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته و أموره و يخبره. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده. فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال:

ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى، قال: ما هو بابنك، و ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات و أمه حبلى به.

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، و احذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليبيغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده «١».

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام. فزعموا أن نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم ما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرى، و ذكرهم الله

(١) ذكر قصة بحيرى: الترمذى فى السنن (٣٦٢٠)، ابن أبى شيبه فى المصنف (١١ / ٤٧٩، ١٤ / ٢٨٦)، أبو نعيم فى الدلائل (١٢٩)، الحاكم فى المستدرک (٢ / ٦١٦)، ابن حجر فى الفتح (٨ / ٥٨٧)، ابن هشام فى السيرة (١ / ١٦٠)، ابن سعد فى الطبقات (١ / ١٢٠)، الطبرى فى التاريخ (٢ / ٢٧٧)، ابن عساکر فى تاريخ دمشق (١، ١٠)، السهلبى فى الروض الأنف (١ / ٢٠٥ - ٢٠٨).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٢٥

و ما يجدون فى الكتاب من ذكره و صفاته، و أنهم إن أجمعوا إلى ما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم و صدقوه بما قال، فتركوه و انصرفوا عنه.

فشب رسول الله صلى الله عليه و سلم يكلؤه الله و يحفظه، و يحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته و رسالته. حتى بلغ أن كان رجلا- أفضل قومه مروءة، و أحسنهم خلقا، و أكرمهم حسبا، و أحسنهم جوارا، و أعظمهم حلما، و أصدقهم حديثا و أعظمهم أمانة، و أبعدهم من الفحش و الأخلاق التى تدنس الرجال، تنزهها و تكرمها. حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

و كان صلى الله عليه و سلم يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره و أمر جاهليته، أنه قال: لقد رأيتنى فى غلمان قريش نقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى و أخذ إزاره و جعله على رقبته يحمل عليها الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك و أدبر إذ لکمنى لا-کم ما أراه لكم و جيعه، ثم قال: شد عليك إزارك. قال: فأخذته فشدته على، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي و إزارى على من بين أصحابى «١». و ذكر البخارى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ما هممت بسوء من أمر الجاهلية إلا مرتين» «٢».

و روى غيره أن إحدى المرتين كان فى غنم يرهاها هو و غلام من قريش، فقال لصاحبه: «كفنى أمر الغنم حتى آتى مكة»، و كان بها عرس فيها لهو، فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ألقى عليه النوم، فنام حتى ضربته الشمس، عصمه من الله له! و المرة الأخرى مثل الأولى سواء.

و ذكر الواقدي عن أم أيمن قالت: كانت بوانة صنما تحضره قريش و تعظمه و تنسك له و تحلق عنده و تعكف عليه يوما إلى الليل فى كل سنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه و يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك.

قالت: حتى رأيت أبا طالب غضب عليه و رأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب، و جعلن يقلن: إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا. و يقلن: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا و لا تكثر لهم جمعا؟!

فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فرعا، فقلن له: ما



(١) ذكره ابن إسحاق في السيرة (١/١٦٢-١٦٣)، البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣١)، ابن حجر في فتح الباري (٧/١٨١)، ابن كثير في البداية و النهاية (٢/٢٨٧).

(٢) أخرجه الهيثمي في المجمع (٨/٢٢٦)، المتقى الهندي في الكتر (٣٥٤٣٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٢٦

دهاك؟ قال: إني أخشى أن يكون بي لمم. فقلن: ما كان الله عز و جل ليبتليكم بالشیطان و فيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟

قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي: وراءك يا محمد لا تمسه. قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى نبئ صلوات الله عليه و على آله.

و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم خمسا و عشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد، فيما ذكره غير واحد من أهل العلم «١». و ذكر الواقدي بإسناد له إلى نفيسه بنت منية أخت يعلى بن منية، و قد رويناها أيضا من طريق أبي علي بن السكن، و حديث أحدهما داخل في حديث الآخر مع تقارب اللفظ، و ربما زاد أحدهما الشيء اليسير، و كلاهما ينمى إلى نفيسه.

قالت: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم، خمسا و عشرين سنة و ليس له بمكة اسم إلا الأمين، لما تكاملت فيه من خصال الخير، قال أبو طالب: يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، و قد اشتد الزمان علينا و ألحت علينا سنون منكرة، و ليست لنا مادة و لا تجارة، و هذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، و خديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها و يصيبون منافع.

فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرت إليك و فضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، و إن كنت لأكره أن تأتي الشام و أخاف عليك من يهود، و لكن لا تجد من ذلك بدا.

و كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف و مال كثير و تجارة تبعث بها إلى الشام، فتكون غيرها كعامه عير قريش، و كانت تستأجر الرجال و تدفع إليهم المال مضاربة.

و كانت قريش قوما تجارا، و من لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم بشيء.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فلعلها ترسل إلى في ذلك. فقال أبو طالب: إني أخاف أن تولى غيرك، فتطلب أمرا مدبرا. فافترقا، و بلغ خديجة ما كان من محاوره عمه له، و قبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه، و عظم أمانته و كريم أخلاقه، فقالت: ما علمت أنه يريد هذا.

(١) انظر: السيرة (١/١٦٥)، طبقات ابن سعد (٨/١٤-١٩)، الروض الأنف للسهيلى (٤/٢٦٧)، تاريخ الطبرى (٣/١٦١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٢٧

ثم أرسلت إليه فقالت: إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك و عظم أمانتك و كرم أخلاقك، و أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك. ففعل رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لقي أبا طالب فذكر له ذلك، فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك. فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام، و جعل عمومته يوصون به أهل العير، حتى قدم الشام فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له:

نسطورا. فاطلع الراهب إلى ميسرة و كان يعرفه، فقال: يا ميسرة، من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة؟

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. ثم قال له: في عينه حمرة. قال ميسرة:

نعم، لا تفارقه.

فقال الراهب: هو هو، و هو آخر الأنبياء، و يا ليت أنى أدركه حين يؤمر بالخروج.

فوعى ذلك ميسرة. ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى، فباع سلعته التى خرج بها و اشترى، فكان بينه و بين رجل اختلاف فى سلعة، فقال الرجل: احلف بالللات و العزى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حلفت بهما قط. فقال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة، و خلا- به: يا ميسرة، هذا نبى، و الذى نفسى بيده إنه لهو، تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة. ثم انصرف أهل العير جميعا. و كان ميسرة يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الهاجرة و اشتد الحر، يرى ملكين يظلاله من الشمس و هو على بعيره.

قال: و كان الله عز و جل قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة، فكان كأنه عبد لرسول الله. فلما رجعوا و كانوا بمر الظهران تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة، و خديجة فى علية لها، معها نساء فيهن نفيسة بنت منية، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل و هو راكب على بعيره، و ملكان يظلان عليه، فأرته نساءها، فعجبين لذلك.

و دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربها، فسرت بذلك. فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. و أخبرها بقول الراهب نستورا، و قول الآخر الذى خالفه فى البيع. قالوا: و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارتهما، فربحت ضعف ما كانت تربح، و أضعفت له ما سمت له. فلما استقر عندها هذا، و كانت امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من الكرامة و الخير، و هى

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٢٨

يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، و أعظمهن شرفا، و أكثرهن مالا، و كل قومها كان حريصا على نكاحها لو يقدر عليه، عرضت عليه نفسها.

فقلت له فيما يزعمون: يا ابن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وصيتك فى قومك و أمانتك، و حسن خلقك، و صدق حديثك. فلما قالت له ذلك، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها. هكذا ذكر ابن إسحاق «١».

و ذكر الواقدي و غيره من حديث نفيسة، أن خديجة أرسلت إليه دسيسا، فدعته إلى تزوجها. فلما أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد فحضر، و دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فزوجه أحداهم. و قال عمرو: هذا الفحل لا يقدر أنفه.

قال ابن هشام: و أصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة «٢». و كانت أول امرأة تزوجها، و لم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

قال ابن إسحاق فولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم، إلا إبراهيم: القاسم و به كان يكنى و الطاهر، و الطيب، و زينب، و رقية، و أم كلثوم، و فاطمة «٣».

فأما القاسم و الطاهر و الطيب فهلكوا فى الجاهلية. و أما بناته فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن و هاجرن معه. هذا قول ابن إسحاق فى ذكور البنين، أنهم هلكوا فى الجاهلية «٤».

و قال الزبير بن بكار، و هو من أئمة هذا الشأن: ولدت له القاسم، و عبد الله و هو الطاهر و الطيب، ولد بعد النبوة و مات صغيرا «٥». و فى مسند الفريابي، ما يدل على أنه مات قبل أن يتم رضاعه و بعد النبوة.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٦٥-١٦٨).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١٦٦).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٦٦).

(٤) انظر: السيرة (١/ ١٦٧).

(٥) قيل: أن عبد الله يسمى الطيب و الطاهر و هو ولد بعد النبوة على الصحيح و هو الذى مات بمكة صغيرا، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتري، يعنى النبى، فنزل فيه قوله تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. و انظر: المختصر الصغير (٦٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ١٠٣-١٠٨)، ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٢٩

و ذلك أن خديجه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد موت القاسم و هى تبكى عليه، فقالت: يا رسول الله، لو كان عاش حتى تكمل رضاعته لهون على. فقال: إن له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته. فقالت: لو أعلم ذلك لهون على. فقال: إن شئت أسمعك صوته فى الجنة. فقالت: بل أصدق الله و رسوله.

قال ابن هشام «١»: و أما إبراهيم فأمه مارية سريه النبى صلى الله عليه و سلم التى أهداها إليه المقوقس من حفن من كورة أنصنا. و هى قبطية من قبط مصر، و هذا هو الصهر الذى ذكره لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله: «الله الله فى أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا و صهرا» «٢».

قال مولى غفرة: نسبهم أن أم إسماعيل النبى عليه السلام منهم، و صهرهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم تسرر فيهم. و فى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إذا افتتحت مصر فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة و رحما».

قال ابن إسحاق «٣»: و كانت خديجه بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى و كان ابن عمها و كان نصرانيا قد تتبع الكتب و علم من علم الناس، ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب و ما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاله.

فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجه إن محمدا لنبى هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر، هذا زمانه. أو كما قال. فجعل ورقة يستبطئ الأمر و يقول:

حتى متى؟! و قال فى ذلك:

لججت و كنت فى الذكرى لجوجالهم طالما بعث النشيجا «٤»

و وصف من خديجه بعد وصف فقد طال انتظارى يا خديجا

بيطن المكتين على رجائى حديثك أن أرى منه خروجا

بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا «٥»

بأن محمدا سيسود يوما و يخضم من يكون له حجيجا

(١) انظر: السيرة (١/ ١٦٧).

(٢) أخرجه المتقى الهندي فى الكنز (٣٤٠٢٣)، الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٦٣)، السيوطى فى جمع الجوامع (٩٦٥٩).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٦٧).

(٤) النشيجا: هو البكاء مع صوت، و الألف الملقحة للإطلاق.

(٥) القس: هو عابد النصرى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٣٠ و يظهر فى البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا

فيلقى من يحاربه خساراً و يلقي من يسالمه فلو جا

فيا ليتى إذا ما كان ذاكم شهدت فكنت أولهم ولوجا

ولوجا فى الذى كرهت قريش و لو عجت بمكنها عجيجا

أرجى بالذى كرهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سلفوا عروجاً

و هل أمر السفاهة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا

فإن يبقوا و أبق تكن أمور يضحج الكافرون لها ضجيجا

و إن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفه حروجاً و قال ورقة بن نوفل أيضاً فى ذلك، و هو مما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق:

أ تبكر أم أنت العشيء رائح و فى الصدر من إضمارك الحزن قادح

لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح

و أخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح

فتاك الذى وجهت يا خير حره بغدو و بالنجدين حيث الصحاح

إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت و هن من الأحمال قعص دوالح

فخبرنا عن كل حبر بعلمه و للحق أبواب لهن مفاتيح

بأن ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح

و ظنى به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هود و صالح

و موسى و إبراهيم حتى يرى له بهاء و منشور من الذكر واضح

و يتبعه حيا لؤى بن غالب شبابهم و الأشيبون الججاجح

فإن أبق حتى يدرك الناس دهره فإنى به مستبشر الود فارح

و إلا فإنى يا خديجة فاعلمى عن أرضك فى الأرض العريضة سائح

### ذكر بنى قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك

و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم خمسا و ثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنى الكعبة. قال موسى بن عقبة: و إنما حمل قريشا على ذلك أن السيل كان أتى من فوق الردم الذى صنعوا فأخبره، فخافوا أن يدخلها الماء، و كان رجل يقال له: مليح سرق طيب الكعبة.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٣١

فأرادوا أن يشدوا بنىانها، و أن يرفعوا بابها، حتى لا يدخلها إلا من شاءوا و أعدوا لذلك نفقة، و عمالا، ثم عمدوا إليها ليهدموها على شفق و حذر من أن يمنعهم الله الذى أرادوا.

قال ابن إسحاق (١): و كانوا يهمون بذلك ليسقفوها و يهابون هدمها، و إنما كانت رضماً «٢» فوق القامة، فأرادوا رفعها و تسقيفها، و ذلك أن نفرا سرقوا كثر الكعبة، و إنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة.

قال: و كان الذى وجد عنده الكثر دويك مولى لبنى مليح بن عمرو، من خزاعة قال ابن هشام: فقطعت قريش يده. و تزعم قريش أن الذين سرقوه و وضعوه عند دويك.

قال: و كان البحر قد رمى بسفينته إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، و كان بمكة رجل قبطي نجار، فتهياً في أنفسهم بعض ما يصلحها.

و كانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يهدى لها، فتتشرف على جدار الكعبة، و كانت مما يهابون، و ذلك أنه كان لا يدخلها أحد إلا احزأت (٣) و كشت (٤) و فتحت فاهها، فكانوا يهابونها. فبينما هي يوماً تتشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً فاخطفها، فذهب بها.

فقال قريش: إنا لندرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا عامل رفيق و عندنا خشب، و قد كفانا الله الحية. فلما أجمعوا أمرهم في هدمها و بنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا تدخلوا فيها معر بغي و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد من الناس. و الناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (٥).

(١) انظر: السيرة (١/١٦٨).

(٢) رضماً: الرضم الحجارة يجعل بعضها على بعض.

(٣) احزأت: أى رفعت رأسها.

(٤) كشت: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٥) ذكره الطبري في تاريخه (١/٥٢٥)، البيهقي في الدلائل (٢/٦١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٣٢

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف و زهرة، و كان ما بين الركن الأسود و الركن اليماني لبني مخزوم و قبائل من قريش انضموا إليهم، و كان ظهر الكعبة لبني جمح و بني سهم، و كان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي، و لبني أسد بن عبد العزى بن قصي، و لبني عدى بن كعب رهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هدمها و فرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم في هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها و هو يقول: اللهم لم ترع، و يقال: لم نزع اللهم إنا لا نريد إلا الخير.

ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، و قالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً و رددناها كما كانت، و إن لم يصبه شيء هدمنا، فقد رضى الله ما صنعنا.

فأصبح الوليد من ليلته غادياً إلى عمله، فهدم و هدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم أفضوا إلى حجارة خضر، كالأسنة آخذ بعضها بعضاً.

و قال ابن إسحاق (١): فحدثني بعض من يروى الحديث: أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها، أدخل عتله بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

قال (٢): و حدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات و الأرض، و صورت الشمس و القمر، و حففتها بسبعة أملاك حفاء، لا تزول حتى يزول أخشابها، مبارك لأهلها في الماء و اللبن.

و حدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه: مكة بيت الله الحرام، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يحلها أول من أهلها. و زعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه و سلم بأربعين سنة إن كان ما يذكر حقاً، مكتوباً فيه: من يزرع خيراً يحصد غبطة، و من يزرع شراً يحصد ندامة، تعملون السيئات، و تجزون الحسنات!! أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب.

(١) انظر: السيرة (١ / ١٧٠ - ١٧١).

(٢) انظر: السيرة (١ / ١٧١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٣٣

قال ابن إسحاق «١»: ثم إن القبائل من قريش، جمعت الحجارة لبنيانها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تجاوزوا و تحالفوا، و أعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم و بنو عدى على الموت، و أدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم. فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، فتشاوروا و تناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية، أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و كان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه، أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم؛ ففعلوا. فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما رأوه، قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم و أخبروه الخبر قال صلى الله عليه و سلم:

«هلم إلى ثوبا». فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعا». ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه و سلم، ثم بنى عليه «٢».

و كانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، ثمانى عشرة ذراعا، كانت تكسى القباطي، ثم كسيت البرود. و أول من كساها الديباج، الحجاج بن يوسف. هذا قول ابن إسحاق «٣». و قال الزبير: أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير.

و ذكر جماعة سواهما منهم الدارقطني: أن نثلة بنت جناب، أم العباس بن عبد المطلب، كانت قد أضلت العباس يومئذ و هو صغير، فنذرت إن هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج، ففعلت ذلك حين وجدته.

و ذكر الزبير أن الذى أضلته نثلة بنت جناب إنما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس، و نذرت أن تكسو البيت إن وجدته، فكسته حين وجدته ثيابا بيضا، فالله تعالى أعلم.

(١) انظر: السيرة (١ / ١٧١).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣ / ٤٢٥)، مسند أبى داود الطيالسى (١١٣)، مستدرک الحاكم (١ / ٤٥٨)، دلائل النبوة للبيهقى (٢ / ٥٦، ٥٧)، مصنف عبد الرزاق (٥ / ٩٨، ١٠٠)، الهيثمى فى المجمع (٣ / ٢٩٢).

(٣) انظر: السيرة (١ / ١٧٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٣٤

قال ابن إسحاق «١»: و كانت قريش لا أدري أقبيل الفيل أم بعده ابتدعت أمر الحمس «٢»، رأيا رأوه و أداروه.

فقالوا: نحن بنو إبراهيم و أهل الحرمه و ولاة البيت، و قاطن مكة و ساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، و لا مثل منزلتنا، و لا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتم، و قالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم.

فتركوا الوقوف على عرفه و الإفاضة منها و هم يعرفون و يقرون أنها من المشاعر و الحج و دين إبراهيم، و يرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، و أن يفوضوا منها، إلا- أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، و ليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمه، و لا نعظم غيرها كما نعظمها، نحن الحمس، و الحمس أهل الحرم. ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل و الحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم و يحرم عليهم ما يحرم عليهم.

ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحمس أن يأثقتوا الأقط «٣»، ولا يسألوا السمن «٤» وهم حرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرما.

ثم رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب أحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يمسه هو ولا أحد غيره أبدا، فكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى.

فحملوا على ذلك العرب فدانت به، فوقفوا على عرفات و أفاضوا منها، و طافوا بالبيت عراة، أما الرجال فيطوفون عراة، و أما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا ثوبا مفرجا عليها، ثم تطوف فيه.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٧٣-١٧٧).

(٢) الحمس: جمع أحمس، وهو شديد الصلب.

(٣) الأقط: شيء يتخذ من المخيض الغنمي، و جمعه أقطان.

(٤) يسلثوا السمن: يقال سلأت السمن و استلأته إذا طبخ.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٣٥

فكانوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عليه حين أحكم له دينه و شرع له سنن حجه: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ الْآيَةَ [البقرة: ١٩٩]. يعني قريشا، و الناس العرب. فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات و الوقوف عليها و الإفاضة منها.

و أنزل عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم و لبوسهم عند البيت، حين طافوا عند البيت عراة و حرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ الْآيَةَ كُلَّهَا [الأعراف: ٣١-٣٢].

فوضع الله أمر الحمس، و ما كانت قريش ابتدعت منه عن الناس، بالإسلام حين بعث الله به رسوله «١». و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافق قومه على تغيير مشاعر الحج و العدول عن مواقف الناس.

قال جبير بن مطعم: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي، و إنه لواقف على بعيره بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقا من الله له «٢».

و قد تقدم ما أحدثوه في النسب، و ما أبطل الله من حكمه بقوله سبحانه: إِنَّمَا النَّسَبُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ [التوبة: ٣٧]، فأغنى ذلك عن إعادته.

**ذكر ما حفظ عن الأخبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شيء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهوائف**

قال ابن إسحاق «٣»: و كانت الأخبار من يهود، و الرهبان من النصارى، و الكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه. أما الأخبار من اليهود، و الرهبان من النصارى، فعما وجدوا في كتبهم من صفته و صفه زمانه، و ما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.



(١) انظر: السيرة (١/ ١٧٧).

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٧٧ - ١٨٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٣٦

و أما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع، إذ كانت لا تحجب عن ذلك، و كان الكاهن و الكاهنة، لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقى العرب لذلك فيه بالا، حتى بعثه الله و وقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها. فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و حضر مبعثه، حجت الشياطين عن السمع، و حيل بينها و بين المقاعد التى كانت تقعد فيها لاستراقه، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد.

يقول الله لنبىه صلى الله عليه و سلم حين بعثه يقص عليه خبرهم إذ حججوا: قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَنْ نَقُولَ الْبَاطِلَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا وَأَنَا لَمَسِينَا السَّمَاءَ فَوَحَّيْدَانَا مِلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [الجن: ١، ١٠].

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لثلاث يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجى و قطع الشبهة، فآمنوا به و صدقوا. ثم: وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

و قول الجن: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ الْآيَةَ [الجن]:

[٦]، هو أن الرجل من العرب من قريش و غيرهم كان إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال: إني أعوذ بعزير هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه.

و ذكر «١» أن أول العرب فرع للرمى بالنجوم، حين رمى بها، ثقيف، و أنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية، أحد بنى علاج، و كان أدهى العرب و أنكرها رأيا فقالوا له: يا عمرو، ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم؟

قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر و البحر، و تعرف

(١) انظر: السيرة (١/ ١٧٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٣٧

بها الأنواء من الصيف و الشتاء، لما يصلح الناس فى معاشهم، هى التى يرمى بها فهو و الله طى الدنيا، و هلاك هذا الخلق الذى فيها. و إن كانت نجوما غيرها، و هى ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق.

فما هو؟!.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لنفر من الأنصار: «ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به؟». قالوا: يا نبى الله، كنا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات ملك، ملكك، ملكك ولد مولود، مات مولود، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ليس ذلك كذلك، و لكن الله تبارك و تعالى، كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا، فسبح من تحتهم لتسبيحهم، فسبح من تحت ذلك، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبحوا. ثم يقول بعضهم لبعض: مم سببتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم. فيقولون: ألا- تسألون من فوقكم مم سببوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حملة العرش، فيقال لهم: مم سببتم؟

فيقولون: قضى الله في خلقه كذا و كذا؟ للأمر الذي كان. فيهبط به الخير من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيتحدثوا به، فسترقه الشياطين بالسمع على توهم و اختلاف، ثم يأتون به الكهان فيخطئون بعضا و يصيبون بعضا، ثم إن الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة» (١).

و ذكر أبو جعفر العقيلي بإسناد له، إلى لهيب بن مالك اللهبي قال: حضرت عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي أنت و أمي نحن أول من عرف حراسه السماء و زجر الشياطين، و منعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، و ذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، و كان شيخا كبيرا، قد أتت عليه مائة سنة و ثمانون سنة، و كان من أعلم كهاننا، فقلنا: يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها؟ فإننا قد فرعنا لها و خفنا سوء عاقبتها. فقال: اثنتوني بسحر، أخبركم الخبر، أ لخير أم ضرر، و لأمن أو حذر. قال: فانصرفنا عن يومنا، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه، فنادينا: يا خطر، يا خطر. فأوما إلينا أن أمسكوا فأمسكنا.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام باب تحريم الكهانة (٥٧١)، الترمذي في سننه (٣٢٢٤)، الإمام أحمد في المسند (٢١٨ / ١)، البيهقي في الدلائل (٢ / ٢٣٦، ٢٣٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٣٨

فانقض نجم عظيم من السماء، و صرخ الكاهن رافعا صوته: أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويحه ما حاله، بلبله بلباله، عاوده خباله، تقطعت حباله، و غيرت أحواله.

ثم أمسك طويلا و قال: يا معشر بني قحطان، أخبركم بالحق و البيان، أقسمت بالكعبة و الأركان، و البلد المؤتمن السدان، لقد منع السمع عتاء الجان، بثاقب، بكف ذى سلطان من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل و القرآن و بالهدى و فاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال: فقلنا: يا خطر، إنك لتذكر أمرا عظيما، فما ذا ترى لقومك؟. فقال:

أرى لقومي ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير بني الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الحمس

بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا له: يا خطر، و ممن هو؟ فقال: و الحياء و العيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش و لا في خلقه هيش يكون في جيش و أى جيش! من آل قحطان و آل أيش. فقلنا:

بين لنا من أى قريش هو؟. فقال: و البيت ذى الدعائم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، و قتل كل ظالم. ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان. ثم قال: الله أكبر، جاء الحق و ظهر، و انقطع عن الجن الخبر. ثم سكت و أغمى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلثة، فقال: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «سبحان الله، لقد نطق عن مثل نبوءة، و إنه ليعث يوم القيامة أمة و حده».

قال ابن إسحاق (١): و حدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغيطله، كانت كاهنة في الجاهلية، جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها (٢)، ثم قال: بدر ما بدر، يوم عقر و نحر. فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها، ثم قال: شعوب ما شعوب، تصرع فيه كعب لجنوب. فلما بلغ

(١) انظر: السيرة (١ / ١٨٠).

(٢) انقض تحتها: أى تكلم بصوت خفى.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٣٩

ذلك قريشا، قالوا: ما ذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو. فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر و أحد بالشعب، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه.

قال «١»: و حدثني علي بن نافع الجرشى أن جنبا «٢» بطننا من اليمن، كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم و انتشر في العرب قالت له جنب: انظر لنا في أمر هذا الرجل. و اجتمعوا له في أسفل جبله.

فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوق لهم قائما متكئا على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو ثم قال: أيها الناس، إن الله أكرم محمدا و اصطفاه، و طهر قلبه و حشاه، و مكثه فيكم أيها الناس قليل. ثم أسند في جبله راجعا من حيث جاء.

و حدثني من لا أتهم «٣»، أن عمر بن الخطاب بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل رجل من العرب يريد عمر، فلما نظر إليه عمر قال: إن الرجل لعلى شره ما فارقه، أو لقد كان كاهنا في الجاهلية، فسلم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فهل كنت كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد

خلت في و استقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ و ليت، فقال عمر: اللهم غفرا، قد كنا في الجاهلية على شر من هذا، نعبد الأصنام و نعتق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله و بالإسلام، قال:

نعم، و الله يا أمير المؤمنين، لقد كنت كاهنا في الجاهلية. قال: فأخبرني، ما جاء به صاحبك، قال: جاءني قبيل الإسلام بشهر أو شيعه، فقال: أ لم تر إلى الجن و إبلاسا «٤» و إياسها من دينها، و لحوقها بالقلاص «٥» و أحلاسها «٦»!

(١) انظر: السيرة (١ / ١٨٠).

(٢) جنبا: جنب من مزحش و هم عبد الله، و أنس الله، و زيد الله، و أوس الله، و جعفى و الحكم و جروة بنو سعد العشيرة بن مزحش، و مزحش هو مالك بن أدد و سموا جنبا لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء و يزيد ابني سعد العشيرة بن مزحش.

(٣) انظر: السيرة (١ / ١٨١).

(٤) إبلاسا: ألبس الرجل إذا سكت ذليلا أو مغلوبا.

(٥) القلاص: القلاص من الإبل: الفتية.

(٦) أحلاسها: جمع حلاس، و هو كساء جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرجل ليقيه من الدبر.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٤٠

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع و ليس بشعر، و أنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للجن و إبلاسا و شدا العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمن الجن كأنجاسها فقال عمر رضى الله عنه، عند ذلك، يحدث الناس: و الله إنى لعند و ثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش، قد ذبح لهم رجل من العرب عجلا، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قط أنفذ منه، و ذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه يقول: يا ذريح أمر نجيح، رجل يصيح يقول: لا إله إلا الله «١».

قال ابن هشام: و يقال: رجل يصيح بلسان فصيح يقول: لا إله إلا الله. و هذا الرجل الذى ظن به عمر رضى الله عنه، ما ظن، هو سواد بن قارب الدوسى «٢»، و كان يتكهن فى الجاهلية.

و قد ذكر خبره غير ابن إسحاق، فساقه سياقة أحسن من هذه و أتم، و ذكر فيه أنه كان نائما على جبل من جبال السراة ليلة من الليالى، فأتاه آت، فضره برجله و قال: قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لؤى بن غالب. قال: فرفعت رأسى و جلست فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و تطلباها و شدا العيس بأقتابها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كأذناها «٣» و أتاه فى الليلة الثانية، فضربه برجله، و قال: قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لؤى بن غالب. قال: فرفعت رأسى و جلست، فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و أخبارها و رحلها العيس بأكوارها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنوها مثل كفارها

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى فى كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر، رضى الله عنه (٧/ حديث رقم ٣٨٦٦).

(٢) هو: سواد بن قارب الدوسى. كذا قال الكلبي، و قال ابن أبى خيثمة: سواد بن قارب سدوسى من بنى سدوس. انظر ترجمته فى:

الاستيعاب الترجمة رقم (١١١٤)، الإصابة الترجمة رقم (٣٥٩٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٣٣٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٤٨)،

الوافى بالوفيات (٣٥/ ١٦)، التاريخ الكبير (٢٠٢/ ٤)، الأعلام (١٤٤/ ٣).

(٣) انظر الآيات فى: الاستيعاب (٢/ ٢٢٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٤١ فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كأدبارها و أتاه فى الليلة الثالثة بعد ما نام، فضربه برجله و

قال: قم يا سواد بن قارب أتاك رسول الله صلى الله عليه و سلم من لؤى بن غالب قال: فرفعت رأسى فجلست، فأدبر و هو يقول:

عجبت للجن و إبلاها و رحلها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم و ارم بعينيك إلى رأسها قال: فلما أصبحت اقتعدت بعيرى فأتيت مكة، فإذا رسول الله صلى الله عليه و

سلم قد ظهر، فأخبرته الخبر و بايعته. و فى بعض طرق حديثه أنه أنشد رسول الله صلى الله عليه و سلم شعرا منه فى معنى ما جاء به

رثيه «١»:

أتانى رثى بعد هدى و هجعة و لم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤى بن غالب

فرفعت أذيال الإزار و شمريت بى العرمس الوجنا هجول السباب

فأشهد أن الله لا شىء غيره و أنك مأمون على كل غائب

و أنك أذن المرسلين و سيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتىك من وحي ربنا و إن كان فيما جئت شيب الذوائب

و كن لى شفيعا حين لا- ذو قرابة بمغن فتلا- عن سواد بن قارب و لسواد بن قارب هذا مقام حميد فى قومه دوس، حين بلغهم وفاة

رسول الله صلى الله عليه و سلم، يثبتهم فى الدين و يحضهم على التمسك بالإسلام، سنذكره إن شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر

عن وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و ذكر الواقدى بإسناد له قال: كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا، و كانوا يتحاكمون إلى أصنامهم،

فيقال لأبى هريرة: هل كنت أنت تفعل ذلك؟ فيقول: قد و الله فعلت فأكثر، فالحمد لله الذى تنقذنى بمحمد صلى الله عليه و سلم.

قال أبو هريرة: فيينا الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يهتف:

يا أيها الناس ذوو الأجسام و مسندو الحكم إلى الأصنام

أكلكم أورره كالكمهام

(١) ذكرها فى الاستيعاب (٢/ ٢٢٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٤٢ ألا ترون ما أرى أمامي من ساطع يجلو دجى الظلام

ذاك نبي سيد الأنام من هاشم في ذروة السنام

مستعلن بالبلد الحرام جاء بهدم الكفر بالإسلام

أكرمه الرحمن من إمام

قال أبو هريرة: فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا، فلم تمض بهم ثلثة حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة. قال: فما أسلم الخثعميون حتى استأخر إسلامهم و رأوا عبرا عند صنمهم.

و ذكر الواقدي أيضا أن رجلا من الأنصار حدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: انطلقت أنا و صاحبان لى نريد الشام، حتى إذا كانا بقرعة من الأرض نزلنا بها، فبينما نحن كذلك لحقنا راكب، فكننا أربعة و قد أصابنا سغب شديد، و التفت فإذا أنا بظبية عضباء ترتع قريبا منى فوثبت إليها. فقال الرجل الذى لحقنا: خل سيلها، لا أبا لك، و الله لقد رأيتنا و نحن نسلك هذا الطريق و نحن عشرة أو أكثر فيختطف بعضنا بعضا، فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما يهاج بها أحد.

فأبيت و قلت: لا لعمر الله لا أخليها، فارتحلنا و قد شدتها معى، حتى إذا ذهب سدف من الليل إذا هاتف يهتف بنا و يقول:

يا أيها الركب السراع الأربعة خلوا سبيل النافر المفزعة

خلوا عن العضباء فى الوادى سعهلا تذبحن الظبية المروعة

فيها لأيتام صغار منفعه

قال: فخليت سبيلها، ثم انطلقنا حتى أتينا الشام، فقضينا حوائجنا، ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذى كنا فيه هتف بنا هاتف من خلفنا:

إياك لا تعجل و خذها من ثقه فإن شر السير سير الحققة

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٤٣ قد لاح نجم فضاء مشرقه يخرج من ظلما عسوف موبقه

ذاك رسول مفلح من صدقه الله أعلى أمره و حققه قال الرجل: فأتيت مكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام. فقال عمر: الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

و روينا عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي بإسناد متصل إليه قال: لقيت شيوخا من شيوخ طيئ المقدمين، فسألتهم عن قصة مازن يعنى مازن بن الغضوبة الطائي، و سبب إسلامه و وفوده على رسول الله صلى الله عليه وسلم و إقطاعه أرض عمان، و ذلك بمن الله و فضله.

و كان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سنابل. قال مازن: فعترت ذات يوم عتيرة، و هى الذبيحة، فسمعت صوتا من الصنم يقول: يا مازن أقبل أقبل، فاسمع ما لا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فآمن به كى تعزل، عن حر نار تشعل، و قودها بالجندل.

قال مازن: فقلت: إن هذا و الله لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتا أبين من الأول، و هو يقول: يا مازن اسمع تسر، ظهر خير و بطن شر، بعث نبي من مضر، بدين الله الأكبر، فدع نحيتنا من حجر، تسلم من حر سقر.

قال مازن: فقلت إن هذا و الله لعجب و إنه لخير يراد بى، و قدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: خرج بتهامة رجل يقول لمن أتاه: أجيئوا داعى الله، يقال له: أحمد.

فقلت: هذا و الله نبأ ما سمعت. ففرت إلى الصنم فكسرتة جذاذا و شددت راحلتى و رحلت، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الإسلام فأسلمت، فأنشأت أقول:

كسرت يا جر أجزاذا و كان لناربا نطيف به ضلا بتضلال

بالهاشمى هدانا من ضلالتناو لم يكن دينه منا على بال

يا راكبا بلغن عمرا و إخوتها أنى لمن قال ربي يا جر قالى و قلت: يا رسول الله، إنى امرؤ مولع بالطرب و شرب الخمر و بالهلوك إلى

النساء، وألحت على السنون، فأذهبن الأموال و أهزلن الذراري و الرجال، و ليس لى ولد، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد و يأتينى بالحياء، و يهب لى ولدا. فقال النبى صلى الله عليه و سلم: «اللهم أبدله

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٤٤

بالطرب قراءة القرآن، و بالحرام الحلال، و آتهم بالحياء، و هب له ولدا» (١).

قال مازن: فأذهب الله عنى كل ما أجد، و أخصبت عمان، و تزوجت أربع حرائر، و وهب الله لى حيان بن مازن، و أنشأت أقول:

إليك رسول الله سقت مطيتى تجوب الفيافى من عمان إلى العرج

لتشفع لى يا خير من وطئ الحصى فيغفر لى ربي فأرجع بالفلج

إلى معشر خالفت فى الله دينهم فلا رأيهم رأيتى و لا شرحهم شرحى

و كنت امرأ بالزغب و الخمر مولعاشبابى حتى أذن الجسم بالنهج

فأصبحت همى فى جهاد و نيتى فله ما صومى و لله ما حجى و مما يلحق بهذا الباب من حسان أخبار الكهان و إن كان بعد المبعث بزمان و لكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة فى الدلالة على صدق الرسول، و الإعلام بالغيب المجهول، و الإرشاد إلى سواء السبيل، ما ذكره أبو على إسماعيل بن القاسم فى أماليه بإسناد له إلى ابن الكلبي عن أبيه قال:

كان خنافر بن التوأم الحميرى كاهنا، و كان قد أوتى بسطة فى الجسم و سعة فى المال، و كان عاتيا، فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله عليه و سلم و ظهر الإسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها، و خرج بأهله و ماله و لحق بالشحر فحالف جودان بن يحيى الفرضمى، و كان سيد منيعا، و نزل بواد من أودية الشحر مخضب كثير الشجر من الأيك و العرين.

قال خنافر: و كان رئبى فى الجاهلية لا يغيب عنى، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة و ساءنى ذلك، فبينما أنا ليلة فى ذلك الوادى نائما إذ هوى هوى العقاب، فقال خنافر: قلت شصار؟ فقال: اسمع أقل. قلت: اسمع. فقال: عه تغنم، لكل مدة نهاية و كل ذى أمد إلى غاية. قلت: أجل. فقال: كل دولة إلى أجل ثم يتاح لها حول، انتسخت النحل و رجعت إلى حقائقها الملل، إنك سجير موصول و النصح لك مبذول.

إنى آنست بأرض الشام نفرا من أهل العزام حكاما على الحكام يذكرون ذا روتق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، و لا بالسجع المتكلف فأصغيت فزجرت، فعاودت فظلفت، فقلت: بم تهينمون و إلام تعترزون؟ فقالوا: خطاب كبار جاء من عند الملك الجبار، فاسمع يا شصار عن أصدق الأخبار، و اسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار.

قلت: و ما هذا الكلام؟ قالوا: فرقان بين الكفر و الإيمان، رسول من مضر، ابتعث

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٦، ٢٥٦)، الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٤٥

فظهر، فجاء بقول قد بهر، و أوضح نهجا قد دثر، فيه مواعظ لمن اعتبر، و معاذ لمن ازدجر، ألف بالآى الكبير.

فقلت: و من هذا المبعوث من مضر؟ قالوا: أحمد خير البشر، فإن آمنت أعطيت الشبر، و إن خالفت أصليت سقر. فأمنت يا خنافر، و أقبلت إليك أبادر، فجانب كل نجس كافر، و شايح كل مؤمن طاهر، و إلا فهو الفراق عن لا تلاق.

قلت: من أين أبغى هذا الدين؟ قال: من ذات الإحرين و النفر الميامين أهل الماء و الطين. قلت: أوضح. قال: الحق يثرب ذات النخل، و الحره ذات النعل، فهالك أهل الفضل و الطول و المواساة و البذل.

ثم أملس عنى فبت مذعورا أراعى الصباح، فلما برق لى النور امتطيت راحلتى و آذنت أعبدى و احتملت بأهلى، حتى وردت الجوف فرددت الإبل على أربابها بحولها و سقايها، و أقبلت أريد صنعاء، فأصبت فيها معاذ بن جبل أميرا لرسول الله صلى الله عليه و سلم،



فبايعته على الإسلام، و علمنى من القرآن. فمن الله على بالهدى بعد الضلالة، و العلم بعد الجهالة، و قلت فى ذلك:

ألم تر أن الله عاد بفضلله فأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا

و كشف لى عن حجتى عماهما و أوضح لى نهجى و قد كان داثرا

دعانى شصار للتى لو رفضتهاصليت جمرا من لظى الهوب واهرا

فأصبحت و الإسلام حشو جوانحى و جانبت من أمسى عن الحق نائرا

و كان مضلى من هديت برشده فله مغو عاد بالرشد آمرا

نجوت بحمد الله من كل قحمة تؤورث هلكا يوم شايحت شاصرا

فقد أمتنتى بعد ذاك يحابر بما كنت أعشى المنديات يحابرا

فمن مبلغ فتیان قومى ألوكة بأنى من أقتال من كان كافرا

عليكم سواء القصد لا- فل حدكم فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا و ذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم حدثه، أنه كان لمرداس أبى

عباس بن مرداس السلمى و ثن يعبده، و هو حجر يقال له: ضمارة، فلما حضر مرداسا الموت قال لعباس:

أى بنى اعبد ضمارة، فإنه ينفعك و يضررك. فبينما العباس يوما عند ضمارة، إذ سمع من جوف ضمارة مناديا يقول:

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمارة و عاش أهل المسجد

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٤٦ إن الذى ورث النبوة و الهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى

أودى ضمارة و كان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبى محمد فحرق العباس ضمارة، و لحق بالنبى صلى الله عليه و سلم فأسلم. و الأخبار

فى هذا الباب مما نقل من ذلك عن الكهان، أو سمع عند الأصنام، أو هتفت به هواتف الجان كثيرة جدا، و قد أتينا منها بما استحسناه

مما ذكره ابن إسحاق، أو ذكره سواه.

قال ابن إسحاق «١»: و حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا و هداه، لما

كنا نسمع من أحبار يهود.

كنا أهل شرك أصحاب أوثان، و كانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، و كانت لا تزال بيننا و بينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما

يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد و إرم، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله

محمددا صلى الله عليه و سلم أجنبناه حين دعانا إلى الله و عرفنا ما كانوا يتواعدوننا به، فبادرنا إليه، فأما به و كفروا به، ففينا و فيهم

نزلت هذه الآية من البقرة: وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ

مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة: ٨٩] «٢».

قال «٣»: و حدثنى صالح بن إبراهيم، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن قش، و كان من أصحاب بدر، قال كان لنا جار

من يهود فى بنى عبد الأشهل، فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل، فذكر القيامة و البعث و الحساب و الميزان و

الجنة و النار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: و يحكك يا فلان أو ترى هذا

كائنا، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة و نار، يجزون فيها بأعمالهم. قال: نعم و الذى يحلف به: ولود أن له بحظه من

تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غدا، فقالوا له: و يحكك يا فلان، و ما

آية ذلك؟ قال: نبى مبعوث من نحو هذه البلاد، و أشار بيده إلى مكة و اليمن. قالوا: و متى نراه؟ قال: فنظر إلى، و أنا من أحدثهم

سنا، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.



(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٢٥)، ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٨).

(٣) انظر: السيرة (١/ ١٨٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٤٧

قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل و النهار حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم و هو حى بين أظهرنا، فأما به و كفر به بغيا و حسدا. فقلنا له: و يحك يا فلان! أ لست بالذى قلت لنا فيه ما قلت؟! قال: بلى، و لكن ليس به! «١».

قال «٢»: و حدثني عاصم بن عمر، عن شيخ من بنى قريظة، قال: قال لى: هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن سعية و أسيد بن سعية و أسد بن عبيد، نفر من هذل إخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال:

فإن رجلا- من يهود من أهل الشام يقال له: ابن الهيبان، قدم علينا قبل الإسلام بيسير، فحل بين أظهرنا، لا و الله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا. فيقول: لا و الله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة. فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر أو مدين من شعير. فنخرجهما ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا، فو الله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب و نسقى، قد فعل ذلك غير مرة و لا مرتين و لا ثلاث، ثم حضرته الوفاة عندنا. فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود، ما ترون أنه أخرجنى من أرض الخمر و الحمير إلى أرض البؤس و الجوع؟ قلنا: أنت أعلم.

قال: فإنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، و هذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، و قد أظلم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء و سبى الذراري و النساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم و حاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية، و كنا شبابا أحداثا: يا بنى قريظة، و الله إنه للنبي الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس به. قالوا: بلى و الله، إنه لهو بصفته. فتزولوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم و أموالهم و أهاليهم «٣». قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

قال «٤»: و حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى، عن محمود، عن ابن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسى من فيه، قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ٤٦٧).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١٨٣-١٨٤).

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٢/ ٨٠-٨١)، و ذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر (١/ ١٣١).

(٤) انظر: السيرة (١/ ١٨٤-١٨٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٤٨

أهل قرية يقال لها: جى، و كان أبى دهقان قريبته، و كنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية، و اجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها، و لا يتركها تخبو ساعة، و كانت لأبى ضيعة عظيمة، فشغل فى بنان له يوما، فقال لى: يا بنى، إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب إليها فاطلعتها. و أمرنى فيها ببعض ما يريد، ثم قال لى: و لا تحتبس عنى، فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى و شغلتنى عن كل شىء من أمرى، فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها و هم يصلون، و كنت لا أدرى ما أمر الناس، لحبس أبى إياى فى بيته.

فلما سمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم، و رغبت فى أمرهم و قلت: هذا و الله خير من الدين الذى نحن عليه. فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس، و تركت ضيعة أبى فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا:

بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، و شغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟! قلت: يا أبت مررت بأناص يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت في دينهم، فو الله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك و دين آبائك خير منه، فقلت له: كلا و الله، إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيذا ثم حبسني في بيته، و بعث إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، فقدم عليهم تجار من النصارى، فأخبروني. فقلت لهم: إذا قضا حوائجهم و أرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذنوني بهم. الاكتفاء، الكلاعي ج ١ ١٤٨ ذكر ما حفظ عن الأخبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شيء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهواتف ..... ص : ١٣٥

ل: فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجئته فقلت له: إنني قد رغبت في هذا الدين، و أحببت أن أكون معك و أخدمك في كنيستك، و أتعلم منك، و أصلى معك. قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة و يرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه و لم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب و ورق. فأبغضته بغضا شديدا لما رأيت يصنع، ثم مات. و اجتمعت النصارى ليدفونه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء،

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٤٩

يأمركم بالصدقة و يرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئا. فقالوا لي: و ما علمك بذلك. فقلت: أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا و ورقا، فلما رأوها، قالوا: و الله لا ندفعه أبدا. فصلبوه و رجموه بالحجارة.

و جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس، رأى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا و لا أرغب في الآخرة، و لا أدأب ليلا و نهارا منه، فأحبته حبا لم أحبه شيئا قبله، فأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إنني كنت معك و أحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك و قد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بي، و بم تأمرني.

فقال: أي بني، و الله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه، لقد هلك الناس و بدلوا و تركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل «١» و هو فلان، و هو على ما كنت عليه.

فلما مات و غيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك، و أخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقم عندي.

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه. فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك، و أمرني باللحوق بك، و قد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بي؟ و بم تأمرني؟ فقال: يا بني، و الله ما أعلم رجلا على ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين «٢»، و هو فلان فالحق به.

فلما مات و غيب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، و ما أمرني به صاحبي فقال: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فو الله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصى بي: و بم تأمرني.

(١) الموصل: في الجانب الغربي من دجلة، و سميت بهذا الاسم؛ لأنها وصلت بين الفرات و دجلة، و شراب أهلها من ماء الدجلة. انظر: الروض المعطار (ص ٥٦٣)، نزهة المشتاق (١٩٩).

(٢) نصيبين: مدينة في ديار ربيعة العظمى، و هي من بلاد الجزيرة بين دجلة و الفرات، و هي قديمة عظيمة كثيرة الأنهار، و لها نهار

عظيم، يقال له الهرماس عليه فناصر حجارة، و أهلها قوم من ربيعة من بني تغلب، و افتتحها عياض بن غنم الفهري في خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثمان عشرة، و كانت مدينة رومية، فلما افتتحها عياض أسكنها المسلمين. انظر: الروض المعطار (ص ٥٧٧)، نزهة المشتاق (١٩٩)، آثار البلاد (٤٦٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥٠

قال: يا بنى، و الله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه، إلا رجلا بعمورية «١» من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته. فلما مات و غيب، لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبرى، فقال: أقم عندى. فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه و أمرهم، و اكتسبت حتى كانت لى بقرات و غنيمه، ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإلى من توصى بى؟ و بم تأمرنى؟.

قال: أى بنى، و الله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه و لكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين «٢» بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، و لا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد، فافعل. ثم مات و غيب. فمكثت بعمورية، ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بى نفر من كلب تجار. فقلت لهم: احملونى إلى أرض العرب و أعطيكم بقراتى هذه و غنيمتى هذه، فقالوا: نعم.

فأعطيتموها و حملونى معهم، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى، فباعونى من رجل يهودى عبدا، فكنت عنده فرأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى، و لم يحق فى نفسى. فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة، فابتاعنى منه، فاحتملنى إلى المدينة، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفه صاحبى فأقمت بها.

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم و أقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة، فو الله إنى لفى رأس عذق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل، و سيدى جالس تحتى، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه. فقال: يا فلان قاتل الله بنى قيلة، و الله إنهم الآن لمجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى.

(١) عمورية: فى بلاد الروم من ناحية بلاد طوس و تفسيره المشرق، و هى مدينة كبيرة مشهورة فى بلاد الروم و بلاد المسلمين، أزيه، غير أن الفتوح تتوالى عليها من عهد المسلمين و الروم، و لها سور حصين، و هى على نهر كبير يصب فى الفرات، و منها الطريق إلى طرسوس، و بين عمورية و الخليج مائة و خمسة و سبعين ميلا، و كانت منزلا لبعض ملوك الروم. انظر: الروض المعطار (ص ٤١٣)، نزهة المشتاق (٢٦٠).

(٢) حرتين: الحره كل أرض ذات حجارة سود متشيطه من أثر احتراق بركانى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥١

فلما سمعتها أخذتنى العرواء حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ما ذا تقول؟ فغضب سيدى فلكنى لكمة شديدة، ثم قال: ما لك و لهذا، أقبل على عملك. فقلت: لا شىء إنما أردت أن أستثبته عما قال. و قد كان عندى شىء جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو بقاء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، و معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، و هذا شىء كان عندى للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «كلوا». و أمسك يده فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئا، و تحول رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة و هذه هدية أكرمتك بها. فأكل رسول الله صلى الله عليه و سلم منها و أمر أصحابه فأكلوا معه. فقلت في نفسي هاتان ثنتان. ثم جئت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ببيع «١» الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه، على شملتان لى و هو جالس فى أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي؟ فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه و سلم أستدير به، عرف أنى أستثبت فى شىء وصف لى، فألقى الرداء عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبله و أبكى. فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تحول». فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس.

فأعجب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق، حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بدر و أحد. قال سلمان: ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كاتب يا سلمان». فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحياها له بالفقير «٢» و أربعين أوقية.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أعينوا أحاكم» فأعانونى بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، و الرجل بعشرين ودية، و الرجل بخمس عشرة و الرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت إلى ثلاثمائة ودية، فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتنى، أكن أنا أضعها بيدي».

(١) ببيع: أصل الببيع فى اللغة الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى و به سمي ببيع الغرقد، و الغرقد كبار العوسج و هو مقبرة أهل المدينة، و هى داخل المدينة. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٧٣).

(٢) أحياها له بالفقير: أى بالحفر و الغرس، بفقرات الأرض إذا حفرتها، و منها سميت البئر فقرا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥٢

ففقرت و أعاننى أصحابى حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الودى و يضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده حتى فرغت. فو الذى نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأدبت النخل و بقى على المال فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال: «خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان». قلت: و أين تقع هذه يا رسول الله مما على؟! قال:

«خذها فإن الله سيؤدى بها عنك». فأخذتها فوزنت لهم منها، و الذى نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الخندق حرا. ثم لم يفتنى معه مشهد «١».

و عن سلمان أنه قال: لما قلت: و أين تقع هذه من الذى على يا رسول الله؟! أخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلبها على لسانه. ثم قال: «خذها فأوفهم منها». فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية «٢».

و عنه أيضا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم حين أخبره خبره: أن صاحب عمورية قال له:

أيت كذا و كذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيظتين، يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا، يعترضه ذوو الأسقام. فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى، فسله عن هذا الدين الذى تبتغى، فهو يخبرك عنه.

قال سلمان: فخرجت حتى جئت حيث وصف لى، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيظتين إلى الأخرى، فغشيه الناس مرضاهم، لا يدعو لمريض إلا شفى، و غلبونى عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل، إلا منكبه فتناولته فقال: من هذا؟ و التفت إلى، فقلت:

يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفة دين إبراهيم. قال: إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا

الدين من أهل الحرم، فائته فهو يحملك عليه.

ثم دخل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم» (٣).

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٥/٤٤٣)، مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٣٣٥)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/١٦٩)، المعجم الكبير للطبراني (٦٠٦٥).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٥/٤٤٤)، مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٣٣٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/٣١٠).

(٣) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (١/٣٦٥)، طبقات ابن سعد (٤/١/٥٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/٣١٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٥٣

و من حديث غير ابن إسحاق، عن أبي سفيان بن حرب قال: خرجت أنا و أمية بن أبي الصلت، و آخر سقط اسمه من كتابي، تجارا إلى الشام. قال أبو سفيان: فكلمنا نزلنا منزلا أخرج أمية سفرا يقرأه علينا، فكنا كذلك حتى نزلنا بقريه من قرى النصارى، فأروه و عرفوه و أهدوا له فذهب معهم إلى بيعتهم، ثم رجع في وسط النهار، فطرح ثوبيه، و استخرج ثوبين أسودين، فلبسهما ثم قال: يا أبا سفيان، هل لك في عالم من علماء النصارى إليه تناهى علم الكتب تسله عما بدا لك؟ قال: قلت لا أرب لي فيه، و الله لئن حدثني ما أحب لا أثق به، و لئن حدثني ما أكره لأوجلن منه.

قال: و ذهب يخالفه شيخ من النصارى، فدخل علينا فقال، يعني له و للآخر الذي كان معه: ما منعكما أن تذهبا إلى هذا الشيخ؟ قلنا: لسنا على دينه. قال: و إن، فإنكما تسمعان عجا و تريانه. قال: قلنا: لا أرب لنا في ذلك. قال أنقفيان أنتما؟ قلنا: لا و لكن من قريش. قال: فما منعكما من الشيخ، فو الله إنه ليحبكم و يوصي بكم.

و خرج من عندنا، و مكث أمية عنا حتى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه، فو الله ما قام و لا نام حتى أصبح. قال: فأصبح كئيبا حزينا، ساقطا غبوقه على صبوحة ما يكلمنا، ثم قال: أ لا ترحلان؟ قلنا: و هل بك من رحيل؟ قال: نعم، فارحلا.

فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همه و بته. ثم قال ليله: أ لا تحدث يا أبا سفيان؟ قلت:

و هل بك من حديث! فو الله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك. قال: أما إن ذلك شيء لست فيه إنما ذلك شيء و جلت به من منقلبي. قلت: و هل لك من منقلب؟ قال: إي و الله لأموتن و لأحاسبن. قلت: فهل أنت قابل أمانى؟ قال: و على ما ذا؟ قلت: على أنك لا تبعث و لا تحاسب؛ فضحك ثم قال: بلى و الله يا أبا سفيان لنبعثن و لنحاسبن، و ليدخلن فريق في الجنة و فريق في النار. قلت: في أيتهما أنت أخبرك صاحبك. قال: لا علم لصاحبى بذلك في و لا في نفسه.

فكنا في ذلك ليلتنا، يعجب منا و نضحك منه، حتى قدمنا غوطه دمشق و إياها كنا نريد، فبعنا متاعنا و أقمنا بذلك شهرين، ثم ارتحلنا حتى نزلنا بتلك القرية من قرى النصارى، فلما أروه جاءوه فأهدوا له، و ذهب معهم إلى بيعتهم، حتى جاءنا مع نصف النهار، فلبس ثوبيه الأسودين، فذهب و لم يدعنا إليه كما دعانا أول مرة، ثم جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه، ثم رمى بنفسه على فراشه فو الله ما نام و لا قام، فأصبح

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ١٥٤

مبثوثا حزينا، لا يكلمنا و لا نكلمه ثم قال لي: أ لا ترحلان؟ قلت: بلى إن شئت. قال:

فارحلا.

فرحلنا فسرنا كذلك من بته و حزنه ليالي. ثم قال لي ليله: يا أبا سفيان، هل لك في المسير؟ و تخلف هذا الغلام يستأنس بأصحابنا و يستأنسون به؟ قلت له: ما شئت. قال:

فسرنا حتى برزنا. قال: هي يا صخر! قلت: ما لك؟ قال: هي عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: إي والله. قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟

قلت: نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها. قال: و كريم الطرفين، واسط في العشيّة؟

قلت: كريم الطرفين واسط في العشيّة. قال: فهل تعلم قرشياً أشرف منه؟ قلت: لا والله ما أعلم. قال: ومحوج هو؟ قلت: لا بل ذو مال.

قال: فكم أتى له؟ قلت: هو ابن سبعين نظر إليها قد قاربها، هو لها، هو ابنها. قال: فالسن والشرف أزرى به؟ قلت:

وما لهما أزرى به؟ لا والله بل هما زاده خيرا. قال: هو ذاك هل لك في المبيت؟ قلت:

هل لك فيه حاجة؟ قال: فاضطجعنا. حتى مر الثقل فسرنا حتى نزلنا فكنا في المنزل وبتنا.

ثم رحلنا، فلما كان الليل قال: يا أبا سفيان. قلت: ليك. قال: هل لك في البارحة؟ قلت: هل لي. قال: فسرنا على ناقتين ناقتين، حتى

إذا برزنا قال: يا صخر، إيه عن عتبة. قلت: إيه عنه. قال: أيجتنب المحارم والمظالم ويأمر بصله الرحم ويصلها؟

قلت: ويفعل. قال: ومحوج؟ قلت: ومحوج.

قال: هل تعلم قرشياً أسود منه؟ قلت: والله ما أعلمه. قال: أو كم أتى له؟ قلت:

سبعون هو لها هو ابنها قد واقعها. قال: فإن السن والشرف أزرى به. قلت: لا والله ما أزرى به ولكنهما زاده، وأنت قائل شيئاً فقله.

قال: والله لا تذكر حديثي حتى يأتي ما هو آت. قلت: والله لا أذكره. قال: الذي رأيت أصابني فإني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء.

قلت: أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر؟ قال: هو رجل من العرب. قلت:

قد علمت فمن أي العرب؟ قال: هو من أهل بيت تحجه العرب. قلت: فينا بيت تحجه العرب. قال: لا، هم إخوانكم وجيرانكم من

قريش. قال: فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط. و خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة، و كنت أرجو أن أكون أنا هو.

قلت: فإذا كان ما كان فصفه لي؟ قال: بلى، هو شاب حين دخل في الكهولة بدء أمره، إنه يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرحم و

يأمر بصلتها، وهو محوج ليس ينازع

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥٥

شرفا كريم الطرفين، متوسط في العشيّة أكثر جنده من الملائكة قلت: وما آية ذلك؟

قال: قد رجف بالشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثمانون رجفة كلها فيهم مصيبة عامة، و بقيت رجفة عامة، فيها مصيبة يخرج على

أثرها.

قال أبو سفيان: قلت: و إن هذا هو الباطل، لئن بعث الله رسولا، لا يأخذه إلا شريفا مسنا. قال: والذى يحلف به إن هذا لهكذا يا أبا

سفيان. هل لك في المبيت. فبتنا حتى مر بنا الثقل، فرحلنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان، أدر كنا الخير من خلفنا:

أصاب الشام بعدكم رجفة دمر أهلها وأصابتهم فيها مصيبة عظيمة. قال: كيف ترى يا أبا سفيان؟ قلت: أرى والله ما أظن صاحبك إلا

صادقا.

و قدمنا مكة فقضيت ما كان معي، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة تاجرا، فمكثت بها خمسة أشهر، ثم أقبلت حتى قدمت مكة

فبينما أنا في منزلي، جاءني الناس يسلمون علي، حتى جاءني في آخرهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، و عندي هند جالسة

تلاعب صبية لها، فسلم علي و رحب بي و سألتني عن سفري و مقدمي، ثم انطلق.

فقلت: والله إن هذا الفتى لعجب، ما جاءنا أحد من قريش له معي بضاعة، إلا سألتني عنها و ما بلغت و والله إن له معي لبضاعة، ما هو

بأغناهم عنها، ثم ما سألتني فقالت: أو ما علمت بشأنه؟ قلت و فرغت: ما شأنه؟! قالت: والله إنه ليزعم أنه رسول الله. قال:

فوقدنى ذلك و ذكرنى قول النصراني، و وجمت حتى قالت لي: ما لك؟ فانتبهت و قلت:

إن هذا والله الباطل، لهو العقل من أن يقول هذا. قالت: بلى والله إنه ليقوله، و يؤتى عليه و إن له لصاحبة معه على أمره. قلت: هو



والله باطل.

فخرجت فينا أنا أطوف إذ لقيته، فقلت: إن بضاعتك قد بلغت و كان فيها خير، فأرسل إليها فخذها، و لست آخذها فيها ما آخذ من قومك قال: فإني غير آخذها حتى تأخذ مني ما تأخذ من قومي. قلت: ما أنا بفاعل. قال: فوالله إذا لا آخذها. قلت: فأرسل إليها. فأخذت منها ما كنت آخذ، و بعثت إليه ببضاعته.

و لم أنشب أن خرجت تاجرا إلى اليمن فقدمت الطائف فنزلنا على أمية، فتغديت معه ثم قلت: يا أبا عثمان، هل تذكر حديث النصراني؟ قال: أذكره. قلت: فقد كان، قال: و من؟ قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ثم قصصت عليه خبر هند. قال: فالله يعلم أنه تصبب عرقا ثم قال: يا أبا سفيان لعله، و إن صفته لهيه، و لئن ظهر و أنا حى لأبلىن الله في نصرته عذرا. الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٥٦

و مضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاني هناك استهلاله، و أقبلت حتى قدمت الطائف فنزلنا على أمية بن أبي الصلت. قلت: قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك و سمعت.

قال: قد كان. قلت: فأين أنت؟ قال: ما كنت لأؤمن برسول ليس من ثقيف! قال أبو سفيان: فأقبلت إلى مكة و والله ما أنا منه ببعيد حتى جئت فوجدته هو و أصحابه يضربون و يقهرون، فجعلت أقول: فأين جنده من الملائكة؟! و دخلني ما دخل الناس من النفاسة. و وقع في هذا الحديث من قول أبي سفيان: أن عتبة بن ربيعة ذو مال، و وقع بعد ذلك من قول أبي سفيان أيضا أنه محوج، و لا يصح أن يجتمع الأمران، و أحدهما غلط من الناقل، و الله أعلم.

و المشهور من حال عتبة أنه كان فقيرا و كان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة و أبو طالب، فإنهما سادا بغير مال. و أما أمية بن أبي الصلت فرجل من ثقيف، لم يرض دين أهل الجاهلية، و لا وفقه الله للدخول في السمحة الحنيفة.

فكان كما روى عن عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمية بن أبي الصلت فقال: «أوتى علما فضيعة». و كما روى عن الحسن و قتادة أنهما قالا- في قول الله تعالى: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [الأعراف: ١٧٥] أنه أمية بن أبي الصلت.

و لغيرهما من العلماء في المعنى بهذه الآية قول أشهر من هذا، و هو أن المراد بها بلعام بن باعوراء، فالله تعالى أعلم. قال ابن إسحاق «١»: و اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه، و ينحرون له، و يعكفون عنده، فخلص منهم أربعة نفر نجيا «٢»، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا و ليكنتم بعضكم على بعض.

قالوا: أجل. و هم: ورقة بن نوفل، و عبيد الله بن جحش، و عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، و زيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض: تعلموا و الله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع و لا يبصر، و لا يضر و لا ينفع!! يا قوم: التمسوا لأنفسكم فإنكم و الله ما أنتم على شيء.

(١) انظر: السيرة (١/ ١٩١-١٩٢).

(٢) نجى: النجى جماعة يتحدثون سرا يخفون حديثهم عن غيرهم، و هو لفظ يستوى فيه الواحد و الاثنان و الجماعة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٥٧

فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفة دين إبراهيم.

فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية، و اتبع الكتب من أهلها. و ذكر الزبير بن أبي بكر بإسناد له إلى عروة بن الزبير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل.

فقال: «لقد رأيت في المنام عليه ثياب بيض، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض». و كان يذكر الله في شعره في



الجاهلية، و يسبحه و هو الذى يقول:

لقد نصحت لأقوام و قلت لهم أنا النذير فلا يغركم أحد

لا تعبدن إلها غير خالقكم فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له رب البرية فرد واحد صمد

سبحان ذى العرش سبحانا نعود له و قبل سبحة الجودى و الجمد

مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغى أن ينادى ملكه أحد

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله و يودى المال و الولد

لم تغن عن هرmez يوما خزائنه و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سليمان إذ تجرى الرياح له و الإنس و الجن فيما بينها برد

أين الملوك التى كانت لعزتها من كل أوب إليها و افد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوما كما وردوا و فى هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير، و البيت الأخير كذلك، و فيه آيات تروى لأمية بن أبى الصلت.

قال ابن إسحاق «١»: و أما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة، و معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة، فلما قدماها تنصر و فارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيا، و خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم بعده على امرأته أم حبيبة، و كان حين تنصر يمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول: فقحنا و صأصأتم. أى أبصرنا و أنتم تلتمسون البصر و لم تبصروا بعد.

و أما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر و حسنت منزلته عنده.

و ذكر الزبير: أن قيصر ملكه على أهل مكة، و كتب له إليهم كتابا. فأنفت قريش أن يدينوا لأحد، و صاح فيه ابن عمه أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد و الناس فى الطواف: إن قريشا لقاح لا تملك و لا تملك فمضت قريش على كلامه، و منعوا عثمان

(١) انظر: السيرة (١/ ١٩٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥٨

ما جاء يطلب، فرجع إلى قيصر و مات بالشام مسموما. يقال: سمه عمرو بن حفنة الغسانى الملك، و كان يقال لعثمان: هذا البطريق، و لا عقب له.

قال ابن إسحاق «١»: و أما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية و لا نصرانية و فارق دين قومه، فاعتزل الأوثان، و الميتة و الدم، و الذبائح التى تدبح على الأوثان و نهى عن قتل المؤودة، و قال: أعبد رب إبراهيم، و بادی قومه بعيب ما هم عليه.

قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة، و هو يقول: يا معشر قريش، و الذى نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى. ثم يقول: اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به، و لكن لا أعلمه. ثم يسجد على راحلته «٢».

و سأل ابنه سعيد بن زيد و ابن عمه عمر بن الخطاب بن نفيل رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنه يبعث أمه وحده» «٣».

و قال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه:

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات و العزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور  
 فلا عزى أدين و لا ابنتها و لا صنمى بنى عمرو أزور  
 و لا غنما «\*» أدين و كان ربنا فى الدهر إذ حلمى يسير  
 عجبت و فى الليالى معجبات و فى الأيام يعرفها البصير  
 بأن الله قد أفنى رجالا كثيرا كان شأنهم الفجور  
 و أبقى آخرين يبر قوم فيربل منهم الطفل الصغير  
 و بينا المرء يعثر ثاب يوما كما يتروح الغصن المطير «٤»  
 و لكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور

(١) انظر: السيرة (١/١٩٣).

(٢) ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا فى كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (٧/١٤٣).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢/١٢٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٢/٢٣٩)، المطالب العالى لابن حجر (٤٠٥٥).

(\* هكذا فى الأصول، و فى السيرة (١/١٩٤): «و لا هبلا».

(٤) ثاب: رجع. يتروح: يهتز و يحتضر، و ينبت ورقة بعد سقوطه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٥٩ فتقوى الله ربكم احفظوا متى ما تحفظوها لا تبوروا

ترى الأبرار دارهم جنان و للكفار حامية سكير

و خزى فى الحياة و إن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور و قال زيد بن عمرو بن نفيل، و ذكر ابن هشام: أن أكثرها لأمية بن أبى الصلت «١»، فى قصيدة له:

إلى الله أهدى مدحتى و ثنائيا و قولاً رصينا لا ينى الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه إله و لا رب يكون مدانيا

ألا أيها الإنسان إياك و الردى فإنك لا تخفى من الله خافيا

فإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا

حنانك إن الجن كانت رجائهم و أنت إلهى ربنا و رجائيا

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى أدين إليها غيرك الله ثانيا

و أنت من فضل من و رحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له اذهب و هارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان طاغيا

و قولاً له أنت سويت هذه بلا و تد حتى اطمأنت كما هيا

و قولاً له أنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذا بك بانبا «٢»

و قولاً له أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

و قولاً له من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

و قولاً له من ينبت الحب فى الثرى فيصبح منه البقل يهتز رايبا

و يخرج منه حبه فى رءوسه و فى ذاك آيات لمن كان واعيا

و أنت بفضل منك نجيت يونس و قد بات فى أضعاف حوت لياليا

و إني و إن سبحت باسمك ربنا لأكثر إلا ما غفرت خطايا  
فرب العباد ألق سبيا و رحمه على و بارك في بني و ماليا و قال زيد بن عمرو أيضا:  
و أسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقلا  
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا

(١) أمية بن الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة. انظر ترجمته في: الشعر و الشعراء (ص ٣٠٠).

(٢) أرفق إذا بك بانيا: هذا على التعجب، أي أرفقك بانيا؟.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦٠ و أسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا و يروي أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال: لبيك حقًا حقًا تعبدا و  
رقا، عدت بما عاذ به إبراهيم مستقبل القبلة و هو قائم، إذ قال: إني لك عان راغم، مهما تجشمني فإني جاشم، البر أبقى لا الخال،  
ليس مهجر كمن قال. و يقال: البر أبقى لا الحال «١».

و كان الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة. فنزل حرا مقابل مكة. و كان الخطاب عمه و أخاه لأمه، و كل به  
شبابا من شباب قريش و سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة. فكان لا يدخلها إلا سرا منهم، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب  
فأخرجوه و آذوه، مخافة أن يفسد عليهم دينهم و أن يتابعه أحد منهم على فراقه «٢».

و كان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رآته  
تهيا للخروج أو أرادته، آذنت به الخطاب بن نفيل، و كان الخطاب و كلها به و قال: إذا رأيتهم بأمر فأذنيني به «٣».

(١) انظر: السيرة (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١٩٧)، و هناك أورد شعر قاله في ذلك و هو:

لاهم إني محرم لا حله و إن بيتي أوسط المحلة عند الصفا ليس بذى مضله  
(٣) ذكره في السيرة و ذكر هناك شعر يعاتب في امرأته على ذلك و هو:

لا تحبسيني في الهوان صفي ما دابي و دابه

إني إذا خفت الهوان مشيع ذلل ركابه

دعموص أبواب الملوك و جائب للخرق نابه

قطاع أسباب تذلل بغير أقران صعابه

و إنما أخذ الهوان العير إذ يوهي إهابه

و يقول إني لا أذل بصك جنبه صلابه

و أخي ابن أمي ثم عمي لا يواتيني خطابه

و إذا يعاتبني بسوء قلت أعياني جوابه

و لو أشاء لقلت ما عندي مفاتحه و بابه انظر السير: (١/ ١٩٥-١٩٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦١

ثم خرج يطلب دين إبراهيم و يسأل الرهبان و الأحبار، حتى بلغ الموصل و الجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كلها، حتى انتهى إلى  
راهب بميفعة «١» من أرض البلقاء «٢»، كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب

دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، و لكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدین إبراهيم الحنيفية، فالحق به فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه.

و قد كان زيد رام اليهودية و النصرانية فلم يرض منها شيئا، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه. فقال ورقة بن نوفل بيكيه «٣»:

رشدت و أنعمت ابن عمرو و إنما تجنبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثلته و تركك أو ثان الطواغى كما هيا

و إدراكك الدين الذى قد طلبته و لم تك عن توحيد ربك ساهيا

فأصبحت فى دار كريم مقامها تعلق فيها بالكرامة لاهيا

تلاقى خليل الله فيها و لم تكن من الناس جبارا إلى النار هاويا

و قد تدرى الإنسان رحمة ربه و لو كان تحت الأرض سبعين واديا قال ابن إسحاق «٤»: و كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أثبت لهم يحسن الحوارى حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم إليهم فى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، و لو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، و لكن من الآن بطروا، و ظنوا أنهم يعزوننى و أيضا للرب، و لكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس، أنهم أبغضونى مجانا، أى باطلا، فلو قد جاء المنحمن هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب، روح القسط هو الذى من عند الرب خرج

(١) ميفعة: أصل الميفعة الموضع المرتفع من البقاع.

(٢) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبقاء بن سوريه من بنى عييل بن لوط و هو بناها، و بها كان اجتماع الحكمين أبى موسى و عمرو بن العاص، رضى الله عنهما، فكان من أمرهما ما كان، و قيل كان ذلك بدومة الجندل على عشرة أيام من دمشق. انظر: الروض المعطار (ص ٩٦، ٩٧).

(٣) انظر الأبيات فى: السيرة (١/ ١٩٨).

(٤) انظر: السيرة (١/ ١٩٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٦٢

فهو شهيد على، و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى، هذا قلت لكم لكيلا تشكوا.

و المنحمن بالسريانية هو محمد صلى الله عليه و سلم، و هو بالرومية البرقليطس.

قال ابن هشام: و بلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبنا عندهم، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قبله و لم يكسرها، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه و سلم يمشى فعرث، فقال ابنه: تعس الأبعد. يريد النبى صلى الله عليه و سلم، فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبى و اسمه فى الوضائع. يعنى الكتب. فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم، فوجد ذكر النبى صلى الله عليه و سلم، فأسلم فحسن إسلامه و حج. و هو الذى يقول:

إليك تعدو قلقا و ضينها معترضا فى بطنها جنيها

مخالفا دين النصرارى دينها

و قد جاءت أحاديث حسان بما وقع من صفة النبى صلى الله عليه و سلم فى التوراة، لم يذكر ابن إسحاق منها شيئا. فمن ذلك ما

ذكره الواقدي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في الفرقان: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، يفتح بها أعينا عمياً و آذانا صماً وقلوباً غلفاً.

قال عطاء: ثم لقيت كعب الأخبار فسألته فما اختلفا فى حرف! و ذكر الواقدي أيضاً، عن النعمان السبئى قال: و كان من أخبار اليهود باليمن، فلما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبى كان يختم على سفر يقول: لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنى قد خرج يثرب، فإذا سمعت به فافتحه.

قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السفر، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه ما تحل و ما تحرم، وإذا فيه أنك خير الأنبياء و أمتك خير الأمم و اسمك أحمد صلى الله عليك و سلم، و أمتك الحمادون، قربانهم دماؤهم و أناجيلهم صدورهم، لا يحضرون الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٦٣.

قتالا إلا و جبريل معهم، يتحنن الله إليهم كتحنن الطير على أفراده.

ثم قال لى: إذا سمعت به فاخرج إليه و آمن به و صدق به. فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوماً فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «يا نعمان حدثنا»، فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم، ثم قال: «أشهد أنى رسول الله» «١»، و يقال: إن النعمان هذا هو الذى قتله الأسود العنسى و قطعه عضواً عضواً و هو يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، و أنك كذاب مفتر على الله عز و جل. ثم حرقه بالنار.

## ذكر المبعث

قال ابن إسحاق «٢»: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين و كافة للناس. و كان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به و التصديق له و النصر على من خالفه، و أخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم و صدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق.

فيه يقول الله تعالى لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي أَى ثَقُلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي قَالُوا أَ قَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: ٨١]. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له و النصر و أدوا ذلك إلى من آمن بهم و صدقهم من أهل هذين الكتابين.

و عن عائشة رضى الله عنها، أن أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته و رحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، و حب الله إليه الخلو، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده «٣».

(١) أخرجه البخارى (٤/ ٨٨، ٧/ ١٠٣)، مسلم كتاب الإيمان (١٧٨)، البيهقى فى الدلائل (١/ ١٤٢)، السيوطى فى الدر المنثور (١/ ٢٧٣)، ابن كثير فى البداية (٦/ ١٩٠)، العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ١٤٢)، أبو نعيم فى الدلائل (١٦٥).

(٢) انظر: السيرة (١/ ١٩٩).

(٣) انظر الحديث فى: البخارى فى صحيحه كتاب بدء الوحي (١/ ٢٢)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (١/ ٢٥٢)، مسند الإمام أحمد (٦/ ١٥٣، ٢٣٢، ٢٣٣). مستدرک الحاكم (٣/ ١٨٣، ١٨٤).

وعن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته وابتدائه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت و يفضى إلى شعاب مكة و بطون أوديتها، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحجر ولا شجرة إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت حوله عن يمينه و شماله و خلفه فلا يرى إلا الشجر و الحجارة، فمكث كذلك يرى و يسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامه الله و هو بحراء في رمضان «١».

و عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، يحدث كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا، و كان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية، و التحنث: التبرر.

فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته «٢».

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته، و ذلك الشهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره و معه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني و أنا نائم بنمط «٣» من ديباج فيه كتاب «٤»، فقال: اقرأ.

قلت: «ما أقرأ» فغتنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: «ما أقرأ» فغتنى «٥» به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: «ما أقرأ» فغتنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: «ما ذا أقرأ؟»، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع، قال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات (١/ ١٥٧)، البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٤٦)، الحاكم في المستدرک (٤/ ٧٠).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٢).

(٣) النمط: هو ضرب من البسط.

(٤) كتاب: قال في الروض الأنف: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَبْرِيْلُ حِينَ قَالَ لَهُ: اقرأ.

(٥) فغتنى: قال ابن الأثير: الغت و الغط سواء كأنه أراد عصرني عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة، كما يجد من يغمس في الماء قهرا.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦٥

مِنْ عَلَقٍ أقرأ وَ رَبِّكَ الْمَكْرُمِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ١، ٥]، فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني و هبت من نومي، «فكأنما كتبت في قلبي كتابا».

فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله و أنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، و أنا جبريل.

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم و ما أتأخر، و جعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي و ما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا مكة و رجعوا إليها و أنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني و انصرف عنه راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضييفا إليها. فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعث رسلي في طلبك فبلغوا مكة و رجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عمي و اثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولى له فليثبت، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة.

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال له: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبه ولتؤذنه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله. (١).

ويروى عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن عم، أ تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: «نعم». قالت: فإذا جاءك فأخبرني به،

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٤٦، ١٤٩)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٨٨، ٥٨٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦٦

فجاءه جبريل كما كان يصنع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني»، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام فجلس عليها، قالت:

هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى، فتحول فقعد على فخذي اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول فاجلس في حجرى، فتحول فجلس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: «نعم»؛ فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: «لا». قالت: يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان (١). ويروى أن خديجة أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، وابتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في رمضان.

يقول الله عز وجل: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ [البقرة: ١٨١]، وقال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر]:

[١] إلى خاتمة السورة.

وقال: حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [الدخان: ١، ٤]، وقال: إِنَّ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ [الأنفال: ٤٢]، يعنى ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر، وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان.

هكذا أورد ابن إسحاق (٢) رحمه الله هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل في شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي صورة هذا الاستشهاد نظر. فإن ظاهر قوله سبحانه: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عموم نزول القرآن بجملته فيه. وكذلك قوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ.

ولم يقع الأمر في إنزاله على رسوله صلى الله عليه وسلم هكذا، بل أنزله الله عليه في رمضان وفي غيره متفرقا، آيات و سورا، بحسب سؤال السائلين، أو أحداث المحدثين، أو ما شاء الله من هداية العالمين.

وقد قيل في قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ أَى



(١) انظر الحديث في: الجامع الكبير (٢/ ٧٢١).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٠٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦٧

الذي أنزل في شأنه القرآن، أى نزل الأمر من الله عز وجل، بصيامه كتابا يتلى و قرآنا لا يدرس ولا يبلى.

كما يقال: «نزل القرآن بالصلاة» أى نزل جزء منه بفرضها و «نزل القرآن في عائشة» رضى الله عنها، و إنما نزلت منه آيات ببراءتها من الإفك. و مثل هذا الإطلاق موجود في الأحاديث والآثار كثيرا.

و لنسلم أن معنى قوله: «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» أى ابتدئ فيه إنزاله، فقد قيل ذلك و ليس بعيد في المفهوم و لا مما تضيق عنه سعة الكلام، ثم نجري ذلك المجرى الآيتين الأخيرتين، و هما: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ»، و «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، و إن بعد ذلك فيهما لما ورد من الآثار المصححة لحكم عمومهما حسبما نذكره بعد، فما بال الآية الأخرى التى هى: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ» تنتظم في هذا النظام، و قد أعقبها مفسرا بأن المعنى بذلك يوم بدر، و هو الحق؟!.

و هل كان يوم بدر إلا في السنة الثانية من الهجرة، و بعد اثنتى عشرة سنة من البعث و نزول الوحي، أو بعد خمس عشرة سنة، على ما ورد من الخلاف في مدة مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة، و ما زال القرآن المكي و المدني ينزل في ماضى تلك السنين!.

فإن كان ابن إسحاق عنى ما ذكرناه عنه و نسبناه إليه فقد بينا وجه رده و استوفينا التنبيه عليه، و إن كان عنى غير ذلك فقصر عنه تحرير عبارته أو سقط على الناقل من كلامه ما كان يفى لو بقى بإفهامه، فالله تعالى أعلم. و الرجل أولى منا بأن يصيب و يسلم، إلا أنه لا ينكر أن يغلط هذا البشر.

و نعوذ بالله أن نقصد بهذا الاعتداء على ذى علم أو الغرض من ذى حق، فإن العلماء هم آباؤنا الأقدمون و هدايتنا المتقدمون، بأنوارهم نسرى فنبصر و نستبصر، و إلى غاياتهم نجري فطورا نصل و أطوارا نقصر، فلهم دوننا قصب السبق، و لهم علينا فى كل الأحوال أعظم الحق، إذا أصابوا اعتمدنا، و إذا أخطأوا استفدنا، و إذا أفادوا استمددنا، فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء، و وفقنا لتوفية حقوق الأئمة و العلماء.

و بعد: فمن أحسن ما يتقلد في تلك الآيات الثلاث التى صدر بها كلامه، مما يحفظ حكم عمومها و يطابق ظاهر مفهومها، ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين، أن القرآن أنزل جملة واحدة في شهر رمضان إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا إلى حين وفاته.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٦٨

و قيل للشعبي: شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، أ ما كان ينزل في سائر السنة؟

قال: بلى، و لكن جبريل عليه السلام، كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ما أنزل في ماضى السنة فيمحو الله ما يشاء و يثبت.

قال ابن إسحاق «١»: ثم تمام الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هو مؤمن بالله مصدق لما جاءه منه، قد قبله بقبوله و تحمل منه ما حملة على رضا العباد و سخطهم. و للنبوة أثقال و مؤنة لا يحملها، و لا يستطيع بها إلا أهل القوة و العزم من الرسل بعون الله و توفيقه، لما يلقون من الناس و ما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل.

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله على ما يلقي من قومه من الخلاف و الأذى.

و آمنت به خديجة بنت خويلد، و صدقت بما جاءه من الله، و آزرته على أمره. فكانت أول من آمن بالله و رسوله و صدق بما جاء

منه.

فخفف الله بذلك عن رسوله، لا- يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه و تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته و تخفف عليه و تصدقه و تهون عليه أمر الناس. يرحمها الله «٢».

ثم فتر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم الوحي حتى شق عليه و أحزنه. فجاءه جبريل بسورة و الضحى، يقسم له ربه جل و علا، و هو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودعه و لا قلاء.

فقال: وَ الضُّحَى وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى، يقول: ما حرمك فتر كك، و ما أبغضك منذ أحبك، وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى أَى لما عندي من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا، وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى مِنَ الْفَلَجِ فِي الدُّنْيَا وَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى «٣».

يعرفه بما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، و منه عليه في يتمه و عيلته و ضلالته، و استنفاذه من ذلك برحمته، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرُ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ أَى لا تكن جباراً و لا متكبراً و لا فحاشاً فظاً على الضعفاء من بعاد الله، وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ اذكرها و ادع إليها «٤».

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٠٥).

(٣) انظر: السيرة (١/ ٢٠٦).

(٤) انظر: السيرة (١/ ٢٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٦٩

فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر ما أنعم الله به عليه و على العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن به إليه من أهله. و افترضت عليه الصلاة، فصلى صلوات الله و سلامه عليه و رحمته و بركاته.

قالت عائشة رحمها الله: افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله أتمها في الحضر أربعاً و أفرها في السفر على فرضها الأولى ركعتين «١».

و عن بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه جبريل و هو بأعلى مكة فهزم له بعقبه في ناحية الوادى فانفجرت له منه عين، فتوضأ جبريل و رسول الله صلى الله عليه و سلم ينظر، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه و سلم كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به و صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بصلاته، ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم خديجة فتوضأ ليريه كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها ثم صلى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته «٢».

و عن نافع بن جبير بن مطعم، و كان كثير الرواية عن ابن عباس، قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر. ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق. ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم و صلاتك بالأمس «٣».

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (١/ ٤٦٤)، سنن أبى داود (١١٩٨)، النسائى (١/ ٢٢٥)، أحمد فى المسند (٦/ ٢٧٢).

(٢) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (١/ ٥٣٥، ٥٣٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٢٢٣، ٢٢٤)، و ذكره السهيلي فى الروض الأنف (١) ٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (١/ ٣٩٣)، سنن الترمذى (١٤٩)، مسند الإمام أحمد (٣٠٨١)، مستدرک الحاكم (١/ ١٩٣).

و ذكره السهيلي فى الروض الأنف (١/ ٢٨٤)، و قال: هذا الحديث لم يكن ينبغى له أن يذكره فى هذا الموضوع، لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٠

قال ابن إسحاق (١): «ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم و صلى و صدق بما جاءه من الله تبارك و تعالى، على بن أبى طالب رضى الله عنه، و هو ابن عشر سنين يومئذ. و كان مما أنعم الله به عليه أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام. و ذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه، و كان من أيسر بنى هاشم: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه»، قال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلًا فاصنعا ما شئتما، و يقال: عقيلًا و طالبًا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا فضمه إليه، و أخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيًا فاتبعه على و آمن به و صدقه، و لم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم و استغنى عنه (٢)».

و ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، و خرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبى طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصليان فقال لرسول الله: يا ابن أخى، ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟! قال: «أى عم، هذا دين الله و دين ملائكته و رسله، و دين أبينا إبراهيم». أو كما قال صلى الله عليه وسلم. «بعثنى الله به رسولا إلى العباد، و أنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة و دعوته إلى الهدى، و أحق من أجبني إليه و أعاننى عليه». أو كما قال.

فقال أبو طالب: أى ابن أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى و ما كانوا عليه، و لكن و الله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت (٣)».

– الإسراء، و ذلك بعد ما نبئ بخمسة أعوام، و قد قيل: إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام و نصف، و قيل: بعام، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى، و أول أحوال الصلاة.

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٠٨ – ٢٠٩).

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ١٦٢).

(٣) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/ ٣١٣).

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧١

و ذكروا أنه قال لعلى: أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت برسول الله و صدقت بما جاء به و صليت معه لله و اتبعته. فرعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

قال ابن إسحاق (١): «ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول ذكر أسلم و صلى بعد على بن

أبي طالب، و عن غير ابن إسحاق أن زيدا أصابه في الجاهلية سباء فاشتره حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد و قيل: بل وهبه لها، فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه و تنباه، و ذلك قبل أن يوحى إليه، و كان حارثة أبوه قد جزع عليه جزعا شديدا و بكى عليه حين فقده، فقال:

بكيت على زيد و لم أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدرى و إنى لسائل أغالكك بعدى السهل أم غالكك الجبل

و يا ليت شعري هل لك الدهر أوبة فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها و تعرض ذكرها إذا غربها أفل

و إن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزنى عليه و ما وجل

سأعمل نص العيس فى الأرض جاهدا و لا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتى أو تأتى على منيتى فكل امرئ فإن و إن غره الأمل ثم إن أناسا من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم و عرفوه، فأعلموا أباه و وصفوا له موضعه و عند من هو. فخرج أبوه حارثة و عمه كعب ابنا شراحيل لفدائه.

و قدما مكة فسألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه فقالا: يا ابن عبد المطلب بن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله و جيرانه، تفكون العانى و تطعمون الأسير، جئناك فى ابنا عبدك، فامنن عليه و أحسن إلينا فى فدائه. قال: «من هو؟» قالوا: زيد بن حارثة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، و إن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا».

قالا: قد زدتنا على النصف و أحسنت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم. قال: «من هذا؟» قال: أبى و هذا عمى.

قال: «فأنا من قد علمت و رأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما». قال زيد: ما أنا بالذى اختار عليك أحدا، أنت منى مكان الأب و العم، فقالا: و يحكك يا زيد! أ تختار

(١) انظر: السيرة (١/ ٢١٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٢

العبودية على الحرية، و على أبيك و عمك و أهل بيتك! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبدا. فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه إلى الحجر فقال: «يا من حضر، اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى و أرثه». فلما رأى ذلك أبوه و عمه طابت نفوسهما، فانصرفوا «١».

فدعى: زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ الآية [الأحزاب: ٤]. فدعى من يومئذ زيد بن حارثة «٢».

قال ابن إسحاق «٣»: ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة، و اسمه عتيق، و قيل: عبد الله، و عتيق لقب، لحسن وجهه و عتقه، فيما قال ابن هشام. و اسم أبى قحافة عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى.

فلما أسلم أظهر إسلامه و دعا إلى الله و إلى رسوله. و كان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا، و كان أنسب قريش لقريش و أعلم قريش بها و بما كان فيها من خير و شر، و كان رجلا تاجرا ذا خلق و معروف، و كان رجال قومه يأتونه و يألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه و تجارته و حسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه و يجلس إليه.

قال «٤»: فأسلم بدعائه فيما بلغنى، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، و الزبير بن العوام بن

خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، و سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، و طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين استجابوا له فأسلموا و صلوا.

فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فيما بلغني «ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة و نظر و تردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم عنه حين ذكرته له و ما تردد فيه» «٥».

(١) انظر الحديث في: معجم الطبراني الكبير (٥/٦٦، ١٢/١١٤)، تفسير ابن كثير (٣/٤٦٩) كنز العمال للمتقى الهندي (٣٦٤٩٣)، (٣٦٤٩٦).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/٢٧٤).

(٣) انظر: السيرة (١/٢١١).

(٤) انظر: السيرة (١/٢١٢٩).

(٥) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (١/١٠٨، ٣/٢٧)، الدلائل للبيهقي (٢/١٦٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٧٣

قال «١»: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا و صدقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و صدقوا بما جاءه من الله، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

و أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد أبي جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيص بن كعب بن لؤي.

و أخواه قدامة و عبد الله ابنا مظعون، و عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي.

و امرأته فاطمة بنت عمه الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب، و أسماء بنت أبي بكر الصديق، و عائشة بنت أبي بكر الصديق و هي صغيرة، و خباب بن الأرت حليف بنى زهرة، و عمير بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، و عبد الله بن مسعود الهذلي، حليف بنى زهرة، و جماعة سوى هؤلاء سماهم ابن إسحاق «٢».

قال: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال و النساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة و تحدث به، ثم إن الله عز و جل أمر رسوله صلى الله عليه و سلم أن يصدع بما جاءه منه و أن ييادي الناس بأمره و يدعو إليه، و كان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره و استسر به إلى أن أمره الله بإظهار ثلاث سنين فيما بلغني، من مبعثه، ثم قال الله له: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر: ٩٤]، ثم قال: وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: ١١٤، ١١٥]. و في موضع آخر: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الحجر: ٨٩].

قال «٣»: و كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب و استخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم ناس من المشركين و هم يصلون، فناكروهم و عابوا

(١) انظر: السيرة (١/٢١٢).

(٢) انظر: السيرة (١/٢١٢ - ٢١٦).

(٣) انظر: السيرة (١/ ٢١٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٤

عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير «١» فشجبه. فكان أول دم هريق فى الإسلام. فلما بادرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام و صدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه و لم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم و عابها. فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه، و أجمعوا خلافه و عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون. و حذب «٢» على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب و منعه و قام دونه و مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمره الله مظهرا له، لا يرده عنه شىء.

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا- يعتبهم من شىء أنكروه عليه، من فراقهم و عيب آلهتهم، و رأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه و قام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرفهم إلى أبى طالب، عتبة و شيبه ابنا ربيعة بن عبد شمس و أبو سفيان بن حرب، و أبو البختري بن هشام، و الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى، و الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى، و أبو جهل بن هشام بن المغيرة، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و العاص بن وائل، و من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا و عاب ديننا و سفه أحلامنا و ضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، و إما أن تخلى بيننا و بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، و ردهم ردا جميلاً، فانصرفوا عنه. و مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله و يدعو إليه، ثم شرى الأمر «٣» بينه و بينهم، حتى تباعد الرجال و تضاعفوا، و أكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها، فتدامروا فيه و حض بعضهم بعضاً عليه. ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً و شرفاً و منزلةً فينا، و إنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، و إنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله و إياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. أو كما قالوا له.

(١) لحى بعير: اللحي العظم الذى على الخد، و هو من الإنسان العظم الذى تثبت عليه اللحية.

(٢) حذب: أى عطف عليه و منعه، يقال: فلان حذب على فلان، إذا كان عاطفاً عليه مانعاً له.

(٣) شرى الأمر: أى كثر و استفحل، يقال: شرى البرق إذا كثر لمعانه، و يقال: شرى الرجل إذا غضب.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٥

ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراق قومه و عداوتهم، و لم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا خذلانه. و ذكر أن أبا طالب حين قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له: يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا و كذا، للذى قالوا له فأبق على و على نفسك و لا تحملنى من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعنه فيه بداء، و أنه خاذله و مسلمه، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام معه، فقال له: «يا عم، و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته!»، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كى! ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه، فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشىء أبداً «١».

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم و إسلامه، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذك فلك عقله و نصره و اتخذه ولداً، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك و دين آباءك و فرق جماعة قومك و سفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل كرجل، قال: و الله لبئس ما



تسومونى! أ تعطونى ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابني تقتلونهم! هذا و الله ما لا- يكون أبدا. فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف:

و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك و جهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال له أبو طالب: و الله ما أنصفونى، و لكنك قد أجمعت خذلانى و مظاهرة القوم على، فاصنع ما بدا لك أو كما قال. فحقب الأمر و حميت الحرب و تنابذ القوم و بادى بعضهم بعضا «٢».

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٤٨)، الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٩٠٩)، و قال: هذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين مات سنة ثمان و عشرين و مائة، و قد وجدت للحديث طريقا أخرى بسند حسن لكن بلفظ: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك، على أن تستشعلوا لى منها شعله» يعنى الشمس، و قد خرجته فى الأحاديث الصحيحة (٩٢). (٢) قال فى السيرة بعد أن ذكر ما أورد ابن هشام هنا: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرض بالمطعم ابن عدى، و يعم من خذله من بنى عبد مناف، و من عاداه من قبائل قريش، و يذكر ما سألوه، و ما تباعد من أمرهم:

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٦

قال «١»: ثم إن قريشا تدامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين أسلموا معه. فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم. و منع الله تبارك و تعالى، رسوله منهم بعمه أبى طالب، و قد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم و بنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه و سلم و القيام دونه، فاجتمعوا إليه و قاموا معه و أجابوه إلى ما دعاهم إليهم، إلا ما كان من أبى لهب.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم و حذبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و فضل رسول الله صلى الله عليه و سلم فيهم و مكانه منهم ليشد لهم رأيهم و ليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمخفر فعبد مناف سرها و صميمها «٢»

فإن حصلت أشراف عبد مناف فافقى هاشم أشرافها و قديمها

و إن فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها و كريمها

تداعت قريش غثها و سمينها علينا فلم تظفر و طاشت حلومها «٣»

و كنا قديما لا نفر ظلامه إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

ألا قل لعمر و الوليد و مطعم ألا ليت حظى من حياطتكم بكر

من الخور حبجاب كثير رغاؤه يرش على الساقين من بوله قطر

تخلف خلف الورد ليس بلا حق إذا ما علا الفياء قيل له و بر

أرى أخويننا من أبينا و أمنا إذا سثلا قالوا إلى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر و لكن تجرما كما جرجمت من رأس ذى علق صخر

أخص خصوصا عبد شمس و نوفلاهما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما أغمزنا للقوم فى أخويهما فقد أصبحا منهم أكفهما صفر

هما أشركا فى المجد من لا أبا له من الناس إلا أن يرس له ذكر



و تيم و مخزوم و زهرة منهم و كانوا لنا مولى إذا بغى النصر

فو الله لا تنفك منا عداوة و لا منهم ما كان من نسلنا شفر

فقد أسفحت أحلامهم و عقولهم و كانوا كجفر بئس ما صنعت جفر انظر: السيرة (١/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٢٠).

(٢) سرها و صميمها: أى خالصها و كريمها.

(٣) غثها و سمينها: الغث اللحم الضعيف، و السمين الما قبل أو العكس. طاشت حلومها: أى ذهبت عقولها.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٧٧ و نحى حماها كل يوم كريهه و نضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذوى و إنما بكنافنا تندى و تنمى أرومها ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، و كان ذا سن فيهم، و قد

حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، و إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم

هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل و أقم لنا رأيا نقول فيه، قال: بل أنتم

فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: و الله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمنه «١» الكاهن و لا سجع. قالوا: فنقول:

مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون و عرفناه، فما هو بخنقه و لا تخالجه «٢» و لا- و سوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال ما هو

بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه و هزجه و قريضه و مقبوضه و مبسوطه فما هو بالشعر قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا

السحار و سحرهم، فما هو بنفته و لا عقده «٣»، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: و الله إن لقوله لحلاوة و إن أصله لعذق «٤» و إن

فرعه لجناة، و ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، و إن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين

المرء و أبيه، و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته، و بين المرء و عشيرته، ففرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين

قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، و ذكروا لهم أمره، و صدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه و

سلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها «٥».

فلما خشى أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التى يعوذ فيها بحرم مكة و بمكانه منها، و تودد فيها أشرف قومه،

و هو على ذلك يخبرهم و غيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك

دونه.

و أولها:

(١) زمزمه الكاهن: أى كلام خفى لا يهيم.

(٢) التخالج: اختلاج الأعضاء و تحركها عن غير إرادته.

(٣) نفته و عقده: هذه إشارة إلى ما كان يفعل الساحر إذ كان يأخذ خيطا فيعقده ثم ينفث عليه بلا ريق.

(٤) العذق: الكثير الشعب و الأطراف، و من رواه عذق فمعناه كثير الماء، و العذق: كل غصن له شعب، و أيضا هو النخلة عند أهل

الحجاز. انظر: اللسان (مادة عذق).

(٥) انظر: السيرة (١/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٧٨ و لما رأيت القوم لاود فيهم و قد قطعوا كمل العرى و الوسائل «١»

و قد صارحونا بالعداوة و الأذى و قد طاوعوا أمر العدو المزابل

و قد حالقوا قوما علينا أظنه يعضون غيظا خلفنا بالأنامل «٢»

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحه و أبيض غضب من تراث المقاول

و أحضرت عند البيت رهطى و إخوتى و أمسكت من أثوابه بالوسائل  
 قياما معا مستقبلين رتاجه لى حيث يقضى حلفه كل نافل  
 و حيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمفضى السيول من إساف و نائل  
 موسم الأعضاء أو قصراتها مخيسه بين السديس و بازل  
 ترى الودع فيها و الرخام و زينه بأعناقها معقوده كالعثاكل  
 أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل  
 و من كاشح يسعى لنا بمعيه و من ملحق فى الدين ما لم نحاول  
 و ثور و من أرسى ثبيرا مكانه و راق ليرقى فى حراء و نازل  
 و بالبيت حق البيت من بطن مكه و بالله إن الله ليس بغافل  
 و بالحجر الأسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى و الأصائل  
 و موطن إبراهيم فى الصخر وطأة على قدميه حافيا غير ناعل  
 و أشواط بين المروتين إلى الصفا و ما فيهما من صورة و تماثل  
 و من حج بيت الله من كل راكب و من كل ذى نذر و من كل راجل  
 و بالمشعر الأقصى إذا عمدوا له إلال إلى مفضى الشراج القوابل «٣»  
 و توقافهم فوق الجبال عشية يقيمون بالأيدى صدور الرواحل  
 و ليلة جمع و المنازل من منى و هل فوقها من حرمة و منازل  
 و جمع إذا ما المقربات أجزنه سراعا كما يخرجن من وقع وابل «٤»  
 و بالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل  
 و كنده إذ هم بالحصاب عشية تجيز بهم حجاج بكر بن وائل  
 حليفان شدا عقد ما اختلفا له وردا عليه عاطفات الوسائل

(١) الوسائل: جمع وسيله، و هى الوصلة و القربه، و قيل: هى المنزله عند الملك.

(٢) أظنه: جمع ظنين، و هو المتهم الذى تظن به التهمه.

(٣) إلال: بالفتح هو جبل بعرفات، و سمي إلال لأن الحجاج إذا رأوه الوا فى السير و اجتهدوا ليدركوا الموقف.

(٤) المقربات: الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها. وابل: المطر الشديد.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٧٩ و حطمهم سمر الصفاح و سرحه و شبرقه و خد النعام الجوافل «١»

فهل بعد هذا من معاذ لعائذو هل من معيد يتقى الله عاذل

يطاع بنا الأعدا و ودوا لو أناتسد بنا أبواب ترك و كابل

كذبتهم و بيت الله نترك مكه و نظعن إلا أمركم فى بلابل

كذبتهم و بيت الله نبزى محمدا و لما نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و ينهض قوم فى الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل «٢»

و حتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأنكب المتحامل

و إنا لعمر و الله إن جد ما أرى لتلتبس أسيفنا بالأمان  
بكفى فتى مثل الشهاب سميذع أخى ثقة حامى الحقيقة باسل «٣»  
و ما ترك قوم لا أبأ لك سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل «٤»  
و أبيض يستسقى الغمام بكفه ثمال اليتامى عصمه للأرامل  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمة و فواضل «٥»  
جزى الله عنا عبد شمس و نوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل  
بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

(١) سمر: يحتمل أن يكون أصله سمرا بفتح فضم و هو من شجر الطلح. الصفاح: هو جمع صفح، و هو عرض الجبل، و يقال: أسفله حيث يسيل ماؤه، سرحه: السرح: شجر. شبرقة: الشبرق بالكسر نبات غض، و قيل: شجر منبته نجد و تهامة، و ثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم و واحدته شبرق. و خد النعام: الوخد ضرب من سير الإبل و هو سعة الخطوة فى المشى.  
(٢) الروايا: الإبل التى تحمل الماء. الصلاصل: واحدتها صلصلة و هى الصوت و ذات الصلاصل: الزادات التى فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل.  
(٣) سميذع: السيد من الرجال. الباسل: الأسد لكرهه منظره و قبحه، و البساله الشجاعه، و الباسل الشديد، و قيل الشجاع، و الجمع بسلاء و بسلا.

(٤) جاء فى السيرة قبل هذه البيت بيت آخر و هو:  
شهورا و أياما و حولا مجرما علينا و تأتى حجة بعد قابل  
و ما ترك قوم ..... مواكل انظر: السيرة (١/٢٢٦).  
(٥) ذكر بعد هذا البيت فى السيرة أبيات آخر لم يذكرها هنا. انظرها فى: السيرة (١/٢٢٧-٢٢٨).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٨٠ لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بنى خلف قيضا بنا و الغياطل «١»  
و نحن الصميم من ذؤابة هاشم و آل قصى فى الخطوب الأوائل  
و سهم و مخزوم تمالوا و ألبوا علينا العدى من كل طمل و خامل  
فبعد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركو فى أمركم كل واغل «٢»  
لعمرى لقد و هنتم و عجزتم و جئتم بأمر مخطئ للمفاصل «٣»  
فإن يك قوما نثر ما صنعتهم و تحتلبوها لقحة غير باهل «٤»  
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرناو بشر قصيا بعدنا بالتخاذل  
و لو طرقت ليلا قصيا عظيمة إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل  
و لو صدقوا ضربا خلال بيوتهم لكننا أسى عند النساء المطفال  
فإن نك كعب من لوى صميمة فلا بد يوما مرة من ترايل «٥»  
فكل صديق و ابن أخت نعه لعمرى وجدنا غبه غير طائل  
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة براء إلينا من معقة خاذل «٦»  
و نعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حمائل  
أشم من الشم البهاليل يتتمى إلى حسب فى حومة المجد فاضل «٧»

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحب المواصل  
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلهاو زينا لمن والاه رب المشاكل  
فمن مثله في الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل  
حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إليها ليس عنه بغافل «٨»

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٢٨).

(٢) الواغل: هو الداخل على القوم فى شربهم و هو الذى يهجم على الشراب ليشرب معهم و ليس منهم.

(٣) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت بيتان لم يذكرهما. انظرهما فى: السيرة (١/ ٢٢٨).

(٤) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت أبيات لم يذكرها هنا، انظرهما فى: السيرة (١/ ٢٢٩).

(٥) هذا البيت لم يذكره فى السيرة.

(٦) ذكر فى السيرة بعد هذا البيت أبيات لم يذكرها هنا، انظرها فى: السيرة (١/ ٢٢٩).

(٧) أشم: قيل: جبل أشم أى طويل الرأس. البهاليل: جمع بهلول و هو العزيز الجامع لكل خير، و قيل: هو الحى الكريم.

(٨) الأبيات التى وردت هنا بعد هذا البيت غير موجود فى السيرة بهذا الترتيب فقد ذكرها هناك بترتيب آخر و هو:

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٨١ فأيده رب العباد بنصره و أظهر دينا حقه غير باطل

فو الله لو لا أن أجيء بسبب تجر على أشياخنا فى القبائل

لكننا ابتعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد فى أرومة تقصر عنها سورة المتطاول

حدثت بنفسى دونه و حميته و دافعت عنه بالذرا و الكلاكل و القصيدة أطول من هذا، و إنما تركنا ما تركنا منها اختصارا.

و ذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها «١»، قال: و حدثنى من أثق به قال: أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى

الله عليه و سلم فشكوا إليه ذلك، فصعد المنبر فاستسقى، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق. فقال

رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم حوالينا و لا علينا». فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليتها كالإكليل «٢»، فقال رسول الله

صلى الله عليه و سلم: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره»، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت لقوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل قال: «أجل» «٣».

فو الله لو لا أن أجيء بسبب تجر على أشياخنا فى المحافل

لكننا ابتعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد فى أرومة تقصر عنها سورة المتطاول

حدثت بنفسى دونه و حميته و دافعت عنه بالذرا و الكلاكل

فأيده رب العباد بنصره و أظهر دينا حقه غير باطل

رجال كرام غير ميل نماهم إلى الخير آباء كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤي صقيبة فلا بد يوماً مرة من تزايل انظر: السيرة (١/ ٢٣٠).

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٣٠).

(٢) الإكليل: هو شبه عصابة مزينة بالجواهر، وقيل: يريد أن الغيم تقشع عنها و استدار بأفاقها، وقيل: هو منزل من منازل القمر و هي أربعة أنجم. انظر: اللسان (مادة كلل).

(٣) انظر الحديث في: صحيح البخاري (٢/ ١٥، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٨/ ٩٢)، مسلم كتاب الاستسقاء (٨/ ٩)، النسائي (٣/ ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧)، سنن ابن ماجه-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٨٢

قال ابن إسحاق (١): فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب و بلغ البلدان، ذكر بالمدينة، و لم يك حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر و قبل أن يذكر من الأوس و الخروج، و ذلك لما كانوا يسمعون من أخبار يهود، و كانوا لهم حلفاء و معهم فى بلادهم.

فلما وقع ذكره بالمدينة و تحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف، قال أبو قيس بن الأسلت الأوسى، و كان يحب قريشا، و كان يقيم فيهم السنين بامرأته أرنب بنت أسد ابن عبد العزى بن قصى، قصيدة يعظم فيها الحرمه، و ينهى قريشا عن الحرب و يذكر فضلهم و أحلامهم، و يأمرهم بالكف بعضهم عن بعض و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يذكرهم بلاء الله عندهم و دفعه الفيل عنهم فقال:

و يا راكبا إما عرضت فبلغن مغلغلة عنى لؤي بن غالب (٢)

رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على النأى محزون بذلك ناصب

و قد كان عندى للهموم معرس و لم أقض منها حاجتى و مآربى

أعيدكم بالله من شر صنعكم و شر تباغيكم و دس العقارب

و إظهار أخلاق و نجوى سقيمة كوخز الأثافى وقعها حق صائب (٣)

فذكرهم بالله أول و هلهو و إحلال إحرام الأطباء الشواذب (٤)

– (١٢٦٩)، مسند الإمام أحمد (٣/ ١٠٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٦١، ٢٧١، ٢٣٦)، البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤/ ٢٢١)، الدر المنثور للسيوطى (٦/ ٢٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٣/ ١٢)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٢/ ٥٩٠)، نصب الرأية للزيلعى (٢/ ٢٣٩)، فتح البارى (٢/ ٤١٣، ٥٠١، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٩، ٥٠٤/ ١٠، ١١/ ١٤٣)، صحيح ابن خزيمة (١٤٢٣، ١٧٨٩)، شرح السنة

للبيهقى (٤/ ٤١٤)، كتر العمال للمتقى الهندى (٢٣٥٤٠، ٢٣٥٤٨)، إتحاف السادة المتقين للزبيدى (٧/ ١٩٥)، البداية و النهاية لابن كثير

(٣/ ١٠٧، ٨٩/ ٥، ١٠٢/ ٦، ١٠٦)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٨٩، ١٣٩/ ٦، ١٤٤)، طبقات ابن سعد (١/ ١٧، ٢/ ٤٢)، المعجم الكبير

للطبرانى (١٠/ ٣٤٦)، مصنف ابن أبى شيبة (١٠/ ٢١٩، ٣٤٦، ٤٨١/ ١١).

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٣٢).

(٢) مغلغلة: قال السهيلي: المغلغلة: الداخل إلى أقصى ما يراد بلوغه منها أى محمولة من بلد إلى بلد و قيل: المسرعة من الفلغلة و هي

سرعة السير. انظر: اللسان (مادة غلغل).

(٣) الوخز: الطعن الغير نافذ، و قيل: هو الطعن النافذ فى جنب المطعون. الأشافى: جمع إشفى، و هي حديدة يفرز بها الإسكافى.

(٤) إحرام الأطباء: التى يحرم صيدها فى الحرم. الشواذب: المضمرات، و قيل: الشاذب الضامر اليابس من الناس و غيرهم.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٨٣ و قل لهم و الله يحكم حكمه ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة هي الغول للأقسين أو للأقارب  
تقطع أرحاما و تهلك أمه و تبرى السديف من سنام و غارب «١»  
فإياكم و الحرب لا تغلقنكم و حوضا و خيم الماء مر المشارب «٢»  
تزين للأقوام ثم يرونها بعاقبة إذ بينت أم صاحب «٣»  
تحرق لا تشوى ضعيفا و تنتحى ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب  
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب  
و كم قد أصابت من شريف مسود طويل العماد ضيفه غير خائب  
و ماء هريق فى الضلال كأنما أذاعت به ريح الصبا و الجنائب «٤»  
يخبركم عنها امرؤ حق عالم بأيامها و العلم علم التجارب  
فبيعوا الحراب لمحارب و اذكروا حسابكم و الله خير محاسب  
ولى امرئ فاختر دينا فلا يكن عليكم رقيبا غير رب الثواقب  
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم لنا غاية قد يهتدى بالذوائب  
و أنتم لهذا الناس نور و عصمة تؤمون و الأحلام غير عواذب  
و أنتم إذا ما حصل الناس جوهم لكم سره البطحاء شم الأرانب «٥»  
تصنون أجسادا كراما عتيقة مهذبة الأنساب غير أشائب  
ترى طالبى الحاجات نحو بيوتكم عصائب هلكى تهتدى بعصائب

(١) تبرى: تقطع. السديف: هو اللحم الذى يكون فى أعلى ظهر الإبل، و هو ما يسمى بالسنام، و الغارب: أعلى الظهر.

(٢) ذكر فى السيرة قبل هذا البيت بيتان لم يذكرهما هنا و هما:

و تستبدلوا بالأتحمية بعدها شليلا و أصداء ثياب المحارب

و بالمسك الكافور غربا سوابغا كأن قتيرها عيون الجنادب انظر: السيرة (١/ ٢٣٤).

(٣) بينت: أى ظهر أمرها و اتضح. أم صاحب: قال السهيلي فى الروض الأنف: أى عجوز كأم صاحب لك إذا لا يصحب الرجل إلا الرجل فى سنه.

(٤) ريح الصبا: ريح معروفة تقابل الدبور، و قيل: الصبا ريح و مهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل و النهار، و ينحتها الدبور، و قيل: الصبا ريح تستقبل البيت. انظر: اللسان (مادة صبا).

(٥) سره: قيل: سره الشىء، خيره و أعلاه. الشم: ارتفاع فى قصبه الأنف مع استواء أعلاه و إشراف الأرنبة قليلا. الأرانب: جمع أرنبة و هى القصبه التى فيها ثقب الأنف.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٨٤ لقد علم الأقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجبابب «١»

فقوموا فصلوا ربكم و تمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخشاب

فعندكم منه بلاء و مصدق غداة أبى يكسوم هادى الكتاب

كتيبته بالسهل تسمى و رجله على القاذفات فى رءوس المناقب «٢»

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود إله بين ساف و حاصب

فولوا سراعا هارين و لم يؤب إلى قومه ملحش غير عصائب

فإن تهلکوا نهلك و تهلک عصائب يعاش بها قول امرئ غير كاذب ثم إن قريشا اشتد أمرهم، للشقاء الذى أصابهم، فى عداوة رسول الله صلى الله عليه و سلم و من أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله صلى الله عليه و سلم سفهاءهم، فكذبوه و آذوه و رموه بالشعر و السحر و الكهانة و الجنون، رسول الله صلى الله عليه و سلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم، و اعتزال أوثانهم، و فراقه إياهم على كفرهم.

فحدث عروة بن الزبير أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم و قد اجتمع أشرفهم يوما فى الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط! سفه أحلامنا و شتم آباءنا و عاب ديننا و فرق جماعتنا و سب آلهتنا، لقد صبرنا معه على أمر عظيم. أو كما قالوا. فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول.

قال: فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أ تسمعون يا معشر قريش؟! و الذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح». قال:

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أن أشدهم وصاء فيه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فو الله ما كنت جهولا. قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى إذا كان الغد

(١) الجباب: بالضم هو المستوى من الأرض و هى هنا أسماء منازل بنى سميت به لأنه كروش الأضحى تلقى فيها أيام الحج.

(٢) القاذفات: أعالي الجبال، و قيل: هى كل ما أشرف من رءوس الجبال و أعاليها. المناقب: جمع منقبه، الطريق الضيق بين دارين أو جبلين لا يستطاع سلوكه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٨٥

اجتمعوا فى الحجر و أنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم و ما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه!.

فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه و سلم، فوثبوا إليه و ثبأ رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا و كذا، للذى يقول من عيب آلهتهم. فيقول رسول الله:

«نعم أنا الذى أقول ذلك». فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه، فقام أبو بكر دونه و هو يبكى و يقول: أ تقتلون رجلا أن يقول ربي الله!! ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط «١».

### ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق «٢»: و حدثنى رجل من أسلم، كان واعية، أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه و سلم عند الصفا فأذاه و شتمه و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه و التضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه و سلم. و مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك. ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبث حمزة ابن عبد المطلب أن أقبل متوحشا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف و سلم و تحدث معهم، و كان أعز فتى فى قريش و أشده شكيمة.

فلما مر بالمولاة، و قد رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بيته قالت له: يا أبا عماره، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا من



أبي الحكم بن هشام! و جدّه هاهنا جالسا فأذاه و سبه و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف على أحد، معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به. فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه بها شجّه منكرة، ثم قال: أ تشتمه، فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد على إن استطعت. فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل،

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٧٦)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/ ٦٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٥/ ١٥).  
(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٤٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٨٦

فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإنى و الله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا. و تم حمزة على إسلامه و على ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد عز و امتنع، و أن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه «١».

و عن محمد بن كعب القرظى، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، و كان سيّدا، قال يوما و هو جالس فى نادى قريش، و النبى صلى الله عليه و سلم جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه و أعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟

و ذلك حين أسلم حمزة و رأوا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يزيدون و يكثرّون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه.

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة و المكان فى النسب، و إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم و دينهم، و كفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منا بعضها. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قل يا أبا الوليد أسمع».

قال: يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، و إن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتىك رثيا لا تستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطب و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يسمع منه قال: «أ قد فرغت يا أبا الوليد؟» قال:

نعم. قال: «فاسمع منى». قال: أ فعل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ [فصلت: ١، ٤]. و مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها

(١) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (١/ ٤٠)، و فى الدلائل (١٩٤)، الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٦٧)، ابن عساكر فى التاريخ (١٢/ ٧٢٠).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٨٧

يستمتع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك». فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، و خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم (١).

قال ابن إسحاق (٢): ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه، و تفتن من استطاعت فنتته من المسلمين، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.

فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم و يعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لتكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، و عبت الدين، و شتمت الآلهة، و سفهت الأحلام، و فرقت الجماعة، فلما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا به، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك، و كانوا يسمون التابع من الجن رثيا، فريما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئت به أطلب أموالكم ولا

(١) انظر الحديث في: كنز العمال للمتقى الهندي (٣٥٤٢٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٦٢-٦٤).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٤٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٨٨

الشرف فيكم ولا الملك عليكم، و لكن الله بعثني إليكم رسولا- و أنزل على كتابا، و أمرني أن أكون لكم بشيرا و نذيرا، فبلغتكم رسالات ربي و نصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا و الآخرة، و إن تردوه على أصبر لحكم الله حتى يحكم الله بيني و بينكم». أو كما قال صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل شيئا مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضييق بلدا و لا أقل ماء و لا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، و لبيسط لنا بلادنا و ليخرق فيها أنهارا كأنهار الشام و العراق، و ليعث لنا من مضي من آباءنا، و ليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك و صنعت ما سألناك صدقناك و عرفنا به منزلتك من الله و أنه بعثك رسولا إلينا كما تقول.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، و قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا و الآخرة، و إن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم»، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول و يراجعنا عنك، و سله فليجعل لك جنانا و قصورا و كنوزا من ذهب و فضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق و تلتمس المعاش كما نلتمس، حتى نعرف فضلك و منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بفاعل و ما أنا بالذي يسأل ربه هذا و ما بعثت إليكم بهذا، و لكن الله بعثني بشيرا و نذيرا». أو كما قال: «فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا و الآخرة، و إن تردوه على أصبر لأمر الله حتى

يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن بك إلا أن تفعل. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل». قالوا:

يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك و نسألك عما سألتناك عنه و نطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به و يخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئنا به؟ إنه بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، و إنا و الله ما نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، و إنا و الله لا نتركك، و ما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا.

و قال قائلهم: نحن نعبد الملائكة و هي بنات الله. و قال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله و الملائكة قبلا.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٨٩

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم قام عنهم، و قام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و هو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول و يصدقوك و يتبعوك، فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم و منزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل. أو كما قال له، فو الله لا أو من لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه و أنا أنظر، حتى تأتينا، ثم تأتي معك بصك معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، و أيم الله لو فعلت ذلك ما طنت أنى أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، و لما رأى من مباحثتهم إياه.

فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، و شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، أو كما قال، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: و الله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه و سلم ينتظره، و غدا رسول الله صلى الله عليه و سلم كما كان يغدر، و كان بمكة و قبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركنين: الركن اليماني و الحجر الأسود و جعل الكعبة بينه و بين الشام.

فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي، و قد غدت قريش في أنديةهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه و سلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده. و قامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا و الله ما رأيت مثل هامته و لا قصرته، و لا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق «١»: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ذلك جبريل، لو دنا لأخذه» «٢».

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٤٦).

(٢) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٩٠

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه و الله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم و أصدقكم حديثا و أعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب و جاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر.

لا- و الله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة نفتهم و عقدهم. و قلتم: كاهن. لا و الله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة تخالجهم و سمعنا سجعهم. و قلتم: شاعر، لا- و الله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر و سمعنا أصنافه كلها هزجه و رجزه. و قلتم: مجنون. لا و الله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه و لا- و سوسته و لا- تخليطه، يا معشر قريش، انظروا في شأنكم فإنه و الله لقد نزل بكم أمر عظيم.

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه و بعثوا معه عقبه بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، و قالوا لهما: سلاهم عن محمد و صفا لهم صفته و أخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، و عندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء.  
فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و وصفا لهم أمره و أخبراهم ببعض قوله، و قالوا لهم: إنكم أهل التوراة و قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا!.

فقال لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، و إن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، و سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبأه؟ و سلوه عن الروح ما هو؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، و إن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر بن الحارث و عقبه بن أبي معيط حتى قدما مكة، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد. أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء، فإن أخبركم عنها فهو نبي، و إن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.  
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألوه عن تلك الأشياء، فقال لهم: «أخبركم بما سألتكم عنه غدا»، و لم يستثن، فانصرفوا عنه، و مكث رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله عز و جل، إليه في ذلك و حيا و لا يأتيه جبريل، حتى أرجف آل مكة، و قالوا: وعدنا محمد غدا، و اليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما  
الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٩١

سألناه عنه. و حتى أحزن رسول الله صلى الله عليه و سلم مكث الوحي عنه و شق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم و خبر ما سأله عنه من أمر الفتية و الرجل الطواف و الروح.  
فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لجبريل حين جاءه: «لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا». فقال له جبريل: وَ مَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا [مريم: ٦٤] (١).

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بما عرفوا من الحق، و عرفوا صدقه فيما حدث و موقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سأله عما سأله عنه، حال الحسد منهم له بينهم و بين اتباعه و تصديقه، فعتوا على الله و تركوا أمره عيانا و لجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت:  
٢٦] أى اجعلوه لغوا و باطلا، و اتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه و خاصمتموه غلبكم.

فقال أبو جهل بن هشام يوما و هو يهزأ برسول الله صلى الله عليه و سلم و ما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمد أننا جنود الله الذين يعدونكم في النار و يحبسونكم فيها تسعة عشر، و أنتم أعظم الناس عددا و كثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟!.

فأنزل الله في ذلك من قوله: وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا [المدثر:  
٣١] إلى آخر القصة (٢).

فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالقرآن و هو يصلى يتفرقون عنه و يأبون أن يستمعوا له،

فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن و هو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، و إن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته و سمع هو شيئاً دونهم أصاح يستمع له «٣».

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٢٥٢)، ابن حجر فى فتح البارى (٨/ ٢٨٤).

(٢) ذكره الشوكانى فى فتح القدير (٥/ ٤٧١)، و قال: أخرجه ابن جرير و ابن مردويه عن ابن عباس و لم يذكر له إسناداً.

(٣) ذكره الطبرى فى تفسيره (١٥/ ١٦٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٩٢

و قال عبد الله بن عباس «١»: إنما نزلت هذه الآية: وَ لَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَ لَا تُخَافُتْ بِهَا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا [الإسراء: ١١٠] من أجل أولئك النفر «٢».

يقول: لَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ فَيَتَفَرَّقُوا عَنْكَ وَ لَا تُخَافُتْ بِهَا فَلَا يَسْمَعُهَا مِنْ يَحِبُّ أَنْ يَسْمَعَهَا مِمَّنْ يَسْتَرِقُ ذَلِكَ دُونَهُمْ، لَعَلَّهُ يَرْعَى إِلَى بَعْضِ مَا يَسْتَمِعُ فَيَنْتَفِعُ بِذَلِكَ.

و كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود فيما حدث به عروة بن الزبير «٣» قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: و الله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود:

أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال:

دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، و قريش فى أنديةها، حتى قام عند المقام ثم قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رافعا بها صوته الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ. ثم استقبلها يقرأها، و تأمموه فجعلوا يقولون: ما قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد.

فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه و جعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه و قد أثروا بوجهه. فقالوا: هذا الذى خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، و لئن شئتم لأعاديهم بمثلها قالوا: لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون «٤».

و ذكر الزهرى «٥» أن أبا سفيان بن حرب و أبا جهل بن هشام و الأحنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يصلى من الليل فى بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، و كل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا و قال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح البخارى حديث رقم (٧٤٩٠)، صحيح مسلم كتاب الصلاة (١/ ١٤٥)، سنن الترمذى (٣١٤٦).

(٣) انظر: السيرة (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره (٧/ ١٤٧)، الطبرى فى تاريخه (٢/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٥) انظر: السيرة (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٩٣

يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأحنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ما ذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفوسى رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء!! فمن يدرك هذه؟! والله لا تؤمن به أبدا ولا تصدقه. فقام عنه الأحنس وتركه «١».

قال ابن إسحاق «٢»: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله قالوا يستهزءون به: قلوبنا في أكنة لا نفقه ما تقول، وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول، ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك، فاعمل بما أنت عليه إنا عاملون بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئا، فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا إلى قوله: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْبَارِهِمْ نُفُورًا [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

أى كيف فهموا توحيدك ربك، إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم؟ أى أنى لم أفعّل. نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلّا رجلا مسحورا [الإسراء: ٤٧]. أى ذلك ما تواصلوا به من ترك ما بعثك به إليهم. انظرو كيف ضربوا لكم الأمثال فضلوا فلا يشيطعون سبيلا [الإسراء: ٤٨]، أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك، فلا يصيبون

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٥/ ٨١).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٦١-٢٦٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٩٤

به هدى ولا يعتدل بهم فيه قول وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمنبعثون خلقا جديدا [الإسراء: ٤٩] أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا وذلك ما لا يكون. قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة [الإسراء: ٥٠، ٥١] أى الذى خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه. وسئل ابن عباس عن قول الله عز وجل: أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ما الذى أراد الله به؟ فقال: الموت.

قال ابن إسحاق «١»: ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، و برمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، منهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم.

فكان بلال بن رباح وهو ابن حمامة لبعض بنى جمح «٢» مولدا من مولديهم، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، فكان أمية بن خلف يخرج إذا حميت الظهيرة فيطره على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحد أحد.

و كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال! «٣» ثم يقبل على أمية ومن



يصنع ذلك به من بنى جمع فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا.  
أى: لأتخذن قبره منسكا و مسترحما، و الحنان: الرحمة. حتى مر به أبو بكر الصديق يوما و هم يصنعون ذلك به فقال لأمية: أ لا تتقى الله فى هذا المسكين؟! حتى متى؟!!

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٦٢).

(٢) بنى جمع: ينتسبون إلى جمع بن عمرو، و هو بطن من العدنانية. انظر: معجم قبائل العرب (١/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) قال ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ١٠٧): قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحى، و إسلام من أسلم إنما كان بعد نزول: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فكيف يمر ورقة بلال و هو يعذب؟ و فيه نظر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٩٥

قال: أنت الذى أفسدته فأنقذه. فقال أبو بكر: أفعل: عندى غلام أسود أجلد منه و أقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، و أخذ بلالا فأعتقه «١».

و أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم، عامر ابن فهيرة، و أم عيسى «٢»، و زبيرة «٣»، فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات و العزى. فقالت: كذبوا و بيت الله، ما تضر اللات و العزى و لا تنفعان. فرد الله إليها بصرها «٤».

و أعتق النهديّة و ابنتها، و كانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما أبو بكر و قد بعثتهما سيدتهما بطحين لها و هى تقول: و الله لا أعتقكما أبدا. فقال أبو بكر: حلا يا أم فلان. فقالت: حل أنت، أفسدتهما فأعتقتهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا و كذا.

قال: قد أخذتهما، و هما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: أو ذلك إن شئتما «٥».

و مر بجارية بنى نوفل حى من بنى عدى، و عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام و هو يومئذ مشرك، فابتاعها أبو بكر فأعتقها. و قال له أبوه أبو قحافة: يا بنى، إنى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا. جلداء يمنعونك و يقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أبت إنى إنما أريد ما أريد.

فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه و فيما قال أبوه: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْخُسِيِّ فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ [الليل: ٧] «٦».

(١) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (١/ ١٤٨)، ابن سعد فى الطبقات (١/ ٢٤٣).

(٢) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب (٤/ ٥٠٠): أم عيسى، قال الزبير: كانت فتاة لبنى تيم بن مرة فأسلمت، و كانت ممن يعذب فى الله فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

(٣) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب (٤/ ٤٠٦): زبيرة: مولاة أبى بكر الصديق، هى أحد السبعة الذين كانوا يعذبون فى الله، فاشتراهم أبو بكر و أعتقهم. انظر ترجمتها فى: أسد الغابة الترجمة رقم (٦٩٤٨)، الإصابة الترجمة رقم (١١٢٢٢).

(٤) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ١٠٧).

(٥) ذكره ابن كثير فى البداية (٣/ ١٠٧).

(٦) ذكره الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٢٢١)، الحاكم فى المستدرک (٢/ ٥٢٥)، و ابن كثير فى تفسيره (٨/ ٤٤٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ١٩٦

و كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه و أمه، و كانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهره يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر



بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغني:

«صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» (١). فأما أمه فقتلواها وهي تأبى إلا الإسلام.

و كان أبو جهل الفاسق الذي يغرى بهم، في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل له شرف و منعة قد أسلم أئبه و أخزاه فقال: تركت دين أبيك و هو خير منك! لنسفنن حلمك و لنفيلن رأيك و لنضعن شرفك. و إن كان تاجرا قال: و الله لنكسدن تجارتك و لنهلكن مالك. و إن كان ضعيفا ضربه و أغرى به.

و قال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس «٢»: أ كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم و الله، إن كانوا ليضربون أحدهم و يجيعونه و يعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له: اللات و العزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. حتى إن جعل ليمر بهم فيقولون له: أ هذا جعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. افتداء منهم مما يلغون من جهده «٣».

### ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق «٤»: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، و ما هو فيه من العافية بمكانه من الله و من عمه أبي طالب، و أنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد،

(١) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٣/ ٣٨٣)، المطالب العالیه لابن حجر (٤٠٣٤)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٧٣٦٦)، حلیة الأولیاء لأبی نعیم (١/ ١٤٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٥٩).  
(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٦٥).

(٣) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٧١). و قال: و في مثل هذا أنزل الله تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَيْدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ الآية، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة و العذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله و قوته.

(٤) انظر: السيرة (١/ ٢٦٦ - ٢٦٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ١٩٧

و هي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه «١».

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة و فرارا بدينهم إلى الله. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

و كان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل، و الزبير بن العوام، و عبد الرحمن بن عوف، و مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، و أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي معه امرأته أم سلمة، و عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، و عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة، و سهل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر، و أبو سبرة بن أبي رهم، و يقال: بل أبو حاطب بن عمرو. و يقال: هو كان أول من قدمها.

و كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين، ثم خرج جعفر بن أبي طالب و تابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من

خرج بأهله و منهم من خرج بنفسه.  
فكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها، ثلاثة و ثمانين رجلاً، إن كان  
عمار بن ياسر فيهم، و هو يشك فيه.  
و كان مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة و حمدوا  
جوار النجاشي، و عبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً قال:  
يا راكبا بلغن عنى مغلغلة من كان يرجو بلاغ الله و الدين «٢»  
كل امرئ من عباد الله مضطهد يبطن مكة مقهور و مفتون  
أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجى من الذى و المخزاة و الهون  
فلا تقيموا على ذل الحياة و خزي فى الممات و غيب غير مأمون  
إننا تبعنا رسول الله و اطرقوا قول النبى و عالوا فى الموازين  
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغواو عائذا بك أن يعلوا فيطغونى و قال عبد الله بن الحارث أيضاً، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم و  
يعاتب بعض

(١) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ٦٦).

(٢) مغلغلة: بفتح العين هى الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٩٨

قومه فى ذلك:

أبت كبدى لا أكذبك قتالهم على و تأباه على أناملى

و كيف قتالى معشرا أدبوكم على الحق ألا تأشبهه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم فأضحوا على أمر شديد البلابل «١»

فإن تك كانت فى عدى أمانة عدى بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيهم بحمد الذى لا يطبى بالجعائل

و بدلت شبلا شبل كل ضعيفة بذى فجر ماوى الضعاف الأرامل «٢» و قال عبد الله بن الحارث أيضاً:

و تلك قريش تجحد الله حقه كما جحدت عاد و مدين و الحجر «٣»

فإن أنا لم أبرق فلا يسعنى من الأرض بر ذو فضاء و لا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد أبين ما فى النفس إذ بلغ النفر فسمى عبد الله يرحمه الله، المبرق بيته الذى قال.

و قال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف و هو ابن عمه، و كان يؤذيه فى إسلامه، و كان أمية شريف قومه فى زمانه ذلك:

أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه و من دونه الشрман و البرك أكتع «٤»

أ أخرجتنى من بطن مكة آمنوا أسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

تريش نبالا لا يواتيك ريشهاو تبرى نبالا ريشها لك أجمع

و حاربت أقواما كراما أعزوه أهلكت أقواما بهم كنت تفرع

ستعلم إن نابتك يوماً ملمة و أسلمك الأوباش ما كنت تصنع و تيم بن عمرو، الذى يدعو عثمان، هو جمع بن عمرو، كان اسمه تيمًا.

قال ابن إسحاق «٥»: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنوا و اطمأنوا

(١) حر أرضهم: هي الأرض الكريمة. البلايل: شدة الهم والوساوس في الصدور و حديث النفس.

(٢) لا يطبى: أى لا يستمال ولا يستدعى. الجعائل: جمع جعالة و هي الرشوة.

(٣) الحجر: هو اسم ديار ثمود بوادى القرى من المدينة و الشام، و قيل: هو من وادى القرى على يوم بين جبال و بها قامت منازل ثمود. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢١).

(٤) الشرم: لجة البحر، و قيل: موضع فيه: و قيل: هو أبعد قعره و الشروم غمرات البحر واحدها شرم. انظر: اللسان (مادة شرم). البرك: هو جماعة الإبل الباركة، و قيل: اسم موضع.

(٥) انظر: السيرة (١/ ٢٧٥ - ٢٧٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ١٩٩

بأرض الحبشة، و أنهم قد أصابوا بها دارا و قرارا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدن إلى النجاشى، فيردهم عليهم، ليفتنوهم فى دينهم، و يخرجوهم من دارهم، التى اطمأنوا بها و أمنوا فيها.

فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة، و عمرو بن العاص و جمعوا لهما هدايا للنجاشى و لبطارقته ثم بعثوهما.

فقال أبو طالب، حين رأى ذلك من رأيهم و ما بعثوهما فيه، آياتا يحض النجاشى على حسن جوارهم و الدفع عنهم:

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر و عمرو و أعداء العدو الأقارب

و هل نالت أفعال النجاشى جعفر و أصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب «١»

تعلم فإن الله زادك بسطة و أسباب خير كلها بك لازب

و أنك فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعداى نفعها و الأقارب و ذكر ابن إسحاق: من حديث «٢» أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه و

سلم، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، تعنى مع زوجها الأول أبى سلمة، جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا، و عبدنا الله تعالى لا

نؤذى و لا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جليدين، و أن يهدوا للنجاشى

هدايا مما يستظرف من متاع مكة، و كان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدم كثيرا، و لم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا

لهم، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة، و عمرو بن العاص، و أمروهما بأمرهم، و قالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن

تكلمنا النجاشى فيهم، ثم قدما إلى النجاشى هداياه، ثم أسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما إلى النجاشى، و نحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن

يكلماه، و قالوا لكل بطريق: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا فى دينكم، و جاءوا بدين

مبتدع، لا نعرفه نحن و لا أنتم، و قد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم

(١) أبيت اللعن: هذه تحية العرب فى الجاهلية للملوك. المجانب: أراد به الداخل فى حماه.

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٢)، مجمع الزوائد (٦/ ٢٤، ٢٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٠٠

إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا و لا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا «١»، و أعلم بما عابوا عليهم؛

فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشى فقبلها، ثم قالوا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم

يدخلوا في دينك، جاءوا بدين ابتدعوه، لا- نعرفه نحن و لا- أنت، و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا، و أعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه.

قالت: و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، و عمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهما النجاشي. فقالت بطارقتها: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليردهم إلى بلادهم و قومهم.

فغضب النجاشي، ثم قال: لاها الله، إذا لا- أسلمهم إليهما، و لا يكاد قوم جاوروني و نزلوا بلادى، و اختاروني على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، و رددتهم إلى قومهم، و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، و أحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول و الله ما علمنا، و ما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، و قد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، و لم تدخلوا به فى دينى و لا فى دين أحد من هذه الملل؟.

قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب، قال: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أماتته و عفافه، فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام.

(١) أعلى بهم عينا: أى أبصر بهم، و قيل: أى عينهم و أبصارهم فوق عين غيرهم.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٠١

فصدقناه و آمننا به، و اتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، و حرمانا ما حرم علينا، و أحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، و فتونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا و ظلمونا، و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا، خرجنا إلى بلادك، و اخترناك على من سواك و رغبتنا فى جوارك، و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم.

قال: فاقرأه على صدر من: كهيعص، فبكى و الله النجاشي حتى أخضل لحيته، و بكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما يتلى عليهم.

ثم قال لهم النجاشي: إن هذا و الذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة «١» واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا و لا يكادون. فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: و الله لآتينه عنهم غدا بما أستأصل به خضراءهم «٢». قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، و كان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاما، و إن كانوا قد خالفونا. قال: و الله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما، فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه، و لم ينزل مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما ذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ فقالوا: نقول و الله ما قال الله، و ما جاءنا به نبينا، كائنا فى ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر ابن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا، نقول: عبد الله و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت «٣» بطارقتها حوله حين قال ما قال، فقال: و إن نخرتم و الله، اذهبوا فأنتم شيوم

بأرضى أى آمنون، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، فما أحب أن لى دبرا من ذهب و أنى

(١) مشكاة: أى الثقب الذى يوضع فيه الفتيل و المصباح، و هى الكوة غير النافذ.

(٢) استأصل به خضراءهم: أى جماعتهم و قوتهم و معظمهم، و قيل: شجرتهم التى تفرعوا منها.

(٣) تناخرت: أى تكلمت و كأنه كلام من غضب و نفور.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٠٢

أذيت رجلا منكم. و يقال دبرا، و هو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام.

ردوا عليهما هداياهما فلا- حاجة لى بها، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فأخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به، و أقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت: فو الله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه فو الله ما علمتنا حزنا قط كان أشد من حزن حزنه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى فىأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه.

و سار إليه النجاشى و بينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام: أنا قالوا: فأنت.

و كان من أحدث القوم سنا، فنفخوا له قربة فجعلنها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: و دعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه و التمكين له فى بلاده. فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى، فلمع بثوبه يقول: ألا أبشروا فقد ظهر النجاشى و أهلك الله عدوه فو الله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها.

و رجع النجاشى، و قد أهلك الله عدوه و مكن له فى بلاده و استوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الزهرى «١»: فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث، فقال: هل تدرى ما قوله: «ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فأخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه» قلت: لا و الله.

قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه، و لم يكن له ولد إلا النجاشى، و كان للنجاشى عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، و كانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشى و ملكنا أخاه، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، و إن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكهم من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا.

فعدوا على أبى النجاشى فقتلوه و ملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا و نشأ

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٧٩- ٢٨١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٠٣

النجاشى مع عمه، و كان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه و نزل منه بكل منزلة، فلما رأأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: و الله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، و إنا لنتخوف أن يملكه علينا، و إن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه.

فمشوا إلى عمه، فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى أو لتخرجه من بين أظهرنا، فإننا قد خفناه على أنفسنا. قال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس و أقتله اليوم! بل أخرجته من بلادكم.

فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه فى سفينة فانطلق به حتى إذا كان العشى من ذلك اليوم

هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فأصابته صاعقه فقتلته.

ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو محقق ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه قال بعضهم لبعض: تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره الذي بعتموه غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه.

قالت: فخرجوا في طلبه و طلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج و أقعدوه على سرير الملك، فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي و إما أن أكلمه في ذلك. فقالوا: لا نعطيك شيئاً. قال: إذا و الله أكلمه. قالوا: فدونك.

فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاماً من قوم بالسوق بستمائه درهم، فأسلموا إلى غلامي و أخذوا دراهمي، حيث إذا سرت أدركوني فأخذوا غلامي و منعوني دراهمي.

فقال لهم النجاشي: لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء! قالوا: بل نعطيه دراهمه «١».

و كان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه و عدله في حكمه رحمه الله تعالى، و عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

و ذكر ابن إسحاق «٢» أيضاً، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن الحبشة اجتمعت، فقالوا للنجاشي، يعني عند ما وافق جعفر بن أبي طالب على قوله في عيسى ابن مريم:

(١) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٢٣-١٢٤).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٤

إنك فارقت ديننا. و خرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر و أصحابه و هياً سفناً و قال: اركبوا فيها و كونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، و إن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله و يشهد أن عيسى عبده و رسوله و روحه و كلمته ألقاها إلى مريم.

ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، و خرج إلى الحبشة و صفوا له، فقال: يا معشر الحبشة، أ لست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا:

خير سيرة. قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا و زعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله. قال النجاشي، و وضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى لم يزد على هذا شيئاً. و إنما يعني على ما كتب. فرضوا و انصرفوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و سلم، فلما مات النجاشي صلى الله عليه و استغفر له «١».

قال ابن إسحاق «٢»: و لما قدم عمرو بن العاص، و عبد الله بن أبي ربيعة على قريش، و لم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و ردهما النجاشي بما يكرهون، و أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و كان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و بحمزة حتى عازوا قريشا. الاكتفاء، الكلاعي ج ١ ٢٠٤ ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة ..... ص : ١٩٦

ان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة و صلينا معه «٣».

و قال ابن مسعود في رواية البكائي عن غير ابن إسحاق: إن إسلام عمر كان فتحاً، و إن هجرته كانت نصراً، و إن إمارته كانت رحمة،

و لقد كنا و ما نصلى عند الكعبة، حث أسلم عمر، و ذكر مثل ما تقدم نصا إلى آخره.

(١) وردت من الأحاديث الكثير في صلاة النبي صلى الله عليه و سلم على النجاشي، و منها ما أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤/٣٦٠، ٣٦٣) عن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن أحاكم النجاشي قد مات فاستغفروا له».

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٢)، ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٧٠). الحاكم في المستدرک (٣/ ٨٣، ٨٤). الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٥.

### ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حدث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه، أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: و الله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، و قد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على، و هو على شركه، قالت: و كنا نلقى منه البلاء أذى لنا و شدة علينا، فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله! فقلت: نعم، و الله لنخرجن في أرض الله، آذيتونا و قهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجا! فقال: صحبكم الله! و رأيت له رقة لم أكن أرها، ثم انصرف و قد أحزنه فيما أرى خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا و رفته علينا! قال: أطمعت في إسلامه؟

قالت: نعم. قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب! قالت: ياسا منه لما كان يرى منه من غلظته و قسوته عن الإسلام «١».

قال ابن إسحاق «٢»: و كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الحبشة.

قال: و كان إسلامه فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت، و أسلم زوجها سعيد بن زيد، و هم مستخفون بإسلامهم من عمر، و كان نعيم بن عبد الله النحام من بنى عدى قد أسلم، و كان يستخفى بإسلامه فرقا من قومه، و كان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن.

فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و رهطا من أصحابه، قد ذكروا له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا، قريبا من أربعين بين رجال و نساء، و مع رسول الله صلى الله عليه و سلم عمه حمزة، و أبو بكر الصديق، و على بن أبي طالب، في رجال من المسلمين.

فلقبه نعيم فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش و سفه أحلامها و أعاب دينها و سب آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: و الله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أتري بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض، و قد قتلت محمدا! أ فلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم.

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨٢-٢٨٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٦.

قال: أي أهل بيتي؟ قال: خنتك و ابن عمك سعيد بن زيد و أختك فاطمة، فقد و الله أسلما و تابعا محمدا على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عائدا إلى أخته و خنته، و عندهما خباب معه صحيفة فيها «طه» يقرؤهما إياها، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخدها، و قد سمع عمر قراءة خباب، فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قالوا: ما سمعت شيئا. قال: بلى و الله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه.



و بطش بختنه سعيد، فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته و ختته: نعم أسلمنا و آمنا بالله و رسوله، فاصنع ما بدا لك!

و لما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم و ارعوى، و قال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد. و كان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي، و حلف لها بألته ليردنها إليها إذا قرأها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس على شركك، و إنه لا يمسه إلا الطاهر. فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، و فيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال: يا عمر، و الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس و هو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فإله الله يا عمر. فقال له عند ذلك: فدلتني يا خباب على محمد حتى آتته فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً بالسيف فرجع و هو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، و إن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ائذن له. فأذن له الرجل. و نهض إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجرته أو بمجمع رداءه ثم جبذه جبذة شديدة. و قال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب، فو الله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة!»، فقال عمر: يا رسول الله، جئت لأؤمن بالله و رسوله و بما جاء من عنده. قال: فكبر رسول

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٧

الله صلى الله عليه و سلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن عمر قد أسلم. ففترقوا من مكانهم و قد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، و عرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه و سلم و ينتصفون بهما من عدوهم «١». فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر.

و قد روى غيرهم إن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً و كنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها و أشربها، و كان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة «٢»، فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت: لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرأ فأشرب منها، فجئته فلم أجد، فقلت: فلو أنى جئت الكعبة فظفت بها سبعا أو سبعين. فجئت أريد ذلك فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يصلى، و كان إذا صلى استقبال الشام و جعل بينه و بينها الكعبة، فكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود و الركن اليماني، فقلت حين رأيت: و الله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أستمع ما يقول.

فقلت: لئن دنوت منه لأروعه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويدا و رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني و بينه إلا- ثياب الكعبة. فلما سمعت القرآن رق له قلبي! فبكيت و دخلني الإسلام، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاته ثم انصرف، و كان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين، و كانت طريقه حتى يخرج المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب و بين دار ابن أزره.

فتبعته حتى إذا دخل بينهما أدركته، فلما سمع حسى عرفني، فظن أنى إنما تبعته لأؤذيه فنهمني ثم قال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟» قلت: جئت لأؤمن بالله و برسوله و بما جاء به من عند الله، فحمد الله رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «قد هداك الله يا عمر»، ثم مسح صدرى و دعا لى بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم بيته «٣».

(١) انظر الحديث في: طبقات ابن سعد (٣/ ٩١)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢١٩).

(٢) الحزورة: هي الآن قطعة من المسجد في مكة.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٢٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٨

قال ابن إسحاق «١»: فالله أعلم أى ذلك كان.

و ذكر محمد بن عبد الله بن سنجر الحافظ فى إسلام عمر رضى الله عنه، زيادة لم يذكرها ابن إسحاق، فروى بإسناد له إلى شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب:

خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمتم خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، قال: قلت: كاهن علم ما فى نفسه فقرأ: وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ [الحاقة: ٤٢] إلى آخر السورة. قال: فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع.

قال ابن إسحاق «٢»: و حدثنى نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحى. فغدا عليه و غدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل، و أنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت و دخلت فى دين محمد؟! فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، و اتبعه عمر، و اتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، و هم فى أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، قال: يقول عمر من خلفه: كذب و لكنى أسلمت و شهدت أن لا- إله إلا- الله وحده لا- شريك له و أن محمدا عبده و رسوله، و ثاروا إليه، فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم.

قال: و طلع فقعد، و قاموا على رأسه و هو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، فبيناهم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلّة حبرة و قميص موسى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم. هكذا عن الرجل. فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت و هو يقاتلونك؟ جزاه الله خيرا. قال: أى بنى، ذلك العاص بن وائل السهمى، لا جزاه الله خيرا «٣».

(١) انظر: السيرة (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٨٦).

(٣) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ١٢٩ - ١٣٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٠٩

و هذا الدعاء عليه و له مما زاده ابن هشام عن غير ابن إسحاق.

و عن بعض آل عمر قال عمر «١»: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أى الناس أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه و سلم حتى آتته فأخبره أنى قد أسلمت، قال: قلت: أبو جهل. و كان عمر ابنا لحنتمة بنت هشام بن المغيرة، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إلى فقال: مرحبا و أهلا يا ابن أختى، ما جاء بك؟ قلت: جئتك أخبرك أنى قد آمنت بالله و برسوله محمد و صدقت بما جاء به، فضرب الباب فى وجهى و قال: قبحك الله و قبح ما جئت به.

و فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عمر رضى الله عنه، قال حين أسلم.

الحمد لله ذى المن الذى وجبت له علينا أياذ كلها عبر

و قد بدأنا فكذبنا فقال لناصدق الحديث نبى عنده الخبر

و قد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ربي عشية قالوا قد صبا عمر

لما دعت ربها ذا العرش جاهده و الدمع من عينها عجلان يتندر

أيقنت أن الذى تدعوه خالقها تكاد تسبقنى من عبرة درر

فقلت أشهد أن الله خلقنا و أن أحمد فينا اليوم مشتهر

نبى صدق أتى بالحق من ثقته و فى الأمانة ما فى عوده خور قال ابن إسحاق «٢»: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمانا و قرارا، و أن النجاشى قد منع من لجا إليه منهم، و أن عمر قد أسلم فكان هو و حمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه، و جعل الإسلام يفسوا فى القبائل، اجتمعوا و ائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على نبى هاشم و بنى المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم، و لا يبيعوهم شيئا و لا يبتاعوا منهم.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفه ثم تعاهدوا و توثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفه فى جوف الكعبه توكيدا على أنفسهم.

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه و اجتمعوا إليه و خرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم، و لقي هندا

(١) انظر: السيره (١/ ٢٨٧).

(٢) انظر: السيره (١/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١٠

بنت عتبه بن ربيعه حين فارق قومه و ظاهر عليم قريشا، فقال لها: يا بنت عتبه، هل نصرت اللات و العزى و فارقت من فارقهما و ظاهر عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبه.

و قال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك و اجتمعوا عليه:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤيا و خصا من لؤى بنى كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدانبا كموسى خط فى أول الكتب

و أن عليه فى العباد محبه و لا خير ممن خصه الله بالحب

و أن الذى لصقتكم من كتابكم لكم كائن نحسا كراغية السقب «١»

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى و يصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب

و لا تبتغوا أمر الوشاة و تقطعوا أو اصرنا بعد الموده و القرب

و تستجلبوا حربا عوانا و ربما أمر على من ضاقه حلب الحرب

فلسنا و رب البيت نسلم أحمد العزاء من عض الزمان و لا كرب

و لما تبين منا و منكم سواف و أيد أترت بالقساسيه الشهب «٢»

بمعترك ضنك ترى كسر القنابه و النسور الطخم يعكفن كالشرب

كأن مجال الخيل فى حجراته و معمه الأبطال معركة الحرب «٣»

أليس أبونا هاشم شد أزره و أوصى بنيه بالطعان و بالضرب

و لسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نتشكى ما قد ينوب من النكب

و لكننا أهل الحفاظ و النهى إذا طار أرواح الكمأة من الرعب فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إليهم شىء إلا سرا، مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش.

و قد كان أبو جهل فيما يذكرون، لقي حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة و هى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الشعب فتعلق به و قال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ فقال له أبو البخترى: طعام كان لعمته عنده، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟

خل سبيل الرجل.

(١) كراغية السقب: الراغية من الرغاء بضم أوله و هو أصوات الإبل. و السقب ولد الناقة.

(٢) تب: تنفصل. السوالف: صفحات الأعناق. أثرت: يعنى قطعت. القساسية: سيوف تنسب إلى قساس و هو جعل لبنى أسد فيه معدن الحديد.

(٣) مجال الخيل: إجاله الفرسان إياها. حجراته: أى النواحي. معمعة: الصوت.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١١

فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخترى لحي بغير فضربه، فشجه و وطئه وطأ شديدا، و حمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك و هم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه فيشمتوا بهم.

و رسول الله صلى الله عليه و سلم على ذلك يدعو قومه ليلا و نهارا و سرا و جهرا، مباديا لأمر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس. فجعلت قريش حين منعه الله منها و قام عمه و قومه من بنى هاشم و بنى المطلب دونه و حالوا بينهم و بين ما أرادوا من البطش به، يهمزونه و يستهزؤون به و يخاصمونه و جعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم، و فيمن نصب لعداوته، منهم من سمى لنا، و منهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار.

فكان من سمى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب و امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب، و إنما سماها الله عز و جل حمالة الحطب أنها كانت فيما بلغنى، تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يمر.

و كان أبو لهب يقول فى بعض ما يقول: يعدنى محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنه بعد الموت، فما ذا وضع فى يدي بعد ذلك! ثم ينفخ فى يديه و يقول: تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد!

فأنزل الله عز و جل فيهما: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ سَيِّئِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ [المسد: ١، ٥] «١».

قال ابن إسحاق «٢»: فذكر لى أن أم جميل حين سمعت ما نزل فيها و فى زوجها من

(١) ذكره الشوكاني فى فتح القدير (٥/ ٧٤٥).

و روى البخارى فى سبب نزول هذا السورة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش: فقال: أرايتم إن حدثتكم أن العدم مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى؟» قالوا: نعم، قال: «فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب أ لهذا جمعتنا؟ تبا لك فأنزل الله تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ إِلَى آخِرِهَا.

و فى رواية فقام ينفخ يديه و هو يقول: تبا لك سائر اليوم أ لهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ.

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٩١-٢٩٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢١٢

القرآن، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعهُ أبو بكر الصديق وفى يدها فهر «١» من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إنى لشاعرة، ثم قالت: مذمما عصينا وأمره أبينا وعن غير ابن إسحاق: ودينه قلينا، ثم انصرفت. فقال أبو بكر: يا رسول الله، أ ما تراها رأتك؟ فقال: «ما أرتنى، لقد أخذ الله ببصرها عنى» «٢».

و كانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسونه، فكان عليه السلام، يقول: «أ لا تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش! يسون ويهجون مذمما وأنا محمد!» «٣».

و أمية بن خلف الجمحى، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه، فأنزل الله فيه: وَيُلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٌ [الهمزة: ١] إلى آخر السورة «٤».

و العاص بن وائل السهمى، كان خباب بن الأرت، قد باع منه سيوفا عملها له و كان قينا بمكته، فجاءه يتقاضاه، فقال له: يا خباب، أ ليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟! قال: بلى. قال: فأظننى إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب أثر عند الله منى ولا أعظم حظا فى ذلك!.

فأنزل الله فى ذلك: أفرأيت الذى كَفَرَ بآياتنا وقال لأوتين مالا و ولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلاً ما يقول و نمُدُّ له مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَ نرِثُهُ ما يقول و يأتينا فرداً [مريم: ٧٧، ٨٠] «٥».

(١) الفهر: حجر على مقدار ملء الكف.

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ١٩٥)، تفسير ابن كثير (٨ م ٥٣٦، ٣٥٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٧/ ١٤٤)، المطالب العالیه لابن حجر (٣/ ٣٩٩). مستدرک الحاكم (٢/ ٣٦١).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المناقب (٣٥٣٣)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٤٤، ٣٦٩).

(٤) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ١٣٥).

(٥) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب البيوع (٢٠٩١)، صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين (٤/ ٣٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢١٣

و لقي أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى، فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذى بعثك، فأنزل الله تعالى: وَ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ [الأنعام: ١٠٨]، فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم و جعل يدعوهم إلى الله «١».

و النضر بن الحارث بن كلدة، من شياطين قريش ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينصب له العداوة، و كان قدم الحيرة و تعلم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله و دعا فيه إلى الله و حذر قومه ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، خلفه فى مجلسه إذا قام ثم قال: أنا و الله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهل فأنأ أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن رستم الشيد و اسبنديار و ملوك فارس، ثم يقول: بما ذا محمد أحسن حديثا منى؟ و الله ما محمد بأحسن حديثا منى، و ما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتبتها كما اكتبتها، فأنزل الله عز و جل فيه:

وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اُكْتَبَتْهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً

[الفرقان: ٥، ٦] وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن، و أنزل أيضا فيه: وَيَلُّ لِكَلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِطِرُ مُشِيئًا كَبِيرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّضَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الجاثية: ٧، ٨] «٢». و هو القائل: سأنزل مثل ما أنزل الله! فيما ذكر ابن هشام.

قال ابن إسحاق «٣»: و جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني، يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث فجلس معهم في المجلس، و فيه غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه و عليهم: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ [الأنبياء: ٩٨، ١٠٠] «٤». ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم و أقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس، فقال له الوليد: و الله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا و ما قعد، و قد زعم محمد أنا

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢٠٧/٧).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (١٣٦/٣).

(٣) انظر: السيرة (١/٢٩٤ - ٢٩٥).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٧٥/٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢١٤

و ما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم، فقال ابن الزبير: أما و الله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيزا و النصارى تعبد عيسى ابن مريم. فعجب الوليد و من كان معه من قول ابن الزبير، و رأوا أنه قد احتج و خاصم.

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين و من أمرتهم بعبادته». فأنزل الله عليه: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ [الأنبياء: ١٠١]، أى عيسى و عزيزا و من عبدوا من الأخبار و الرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله «١».

و نزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة و أنها بنات الله: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ إِلَى قَوْلِهِ:

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [الأنبياء: ٢٩، ٢٦] «٢».

و أنزل فيما ذكر من أمر عيسى أنه يعبد من دون الله و عجب الوليد و من حضر من حجته و خصومته: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَ إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَ اتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ [الزخرف: ٥٧، ٦١]، أى ما وضعت على يديه من إحياء الموتى و إبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة، يقول: فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَ اتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ.

و الأحنس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة، و كان من أشرف القوم و ممن يستمع منه، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرد عليه، فأنزل الله فيه: وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ [ن: ١٠، ١٣]، إلى قوله: زَنِيمٍ.

و لم يقل: «زنيمة» ليعب في نسبه، إن الله لا يعب أحدا بنسبه و لكنه حقق بذلك نعته



(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٧/ ١٠٤)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣١٧)، مستدرک الحاكم (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٩٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١٥

ليعرف، و الزنيم العديد للقوم «١». قال الخطيم التميمى، فى الجاهلية:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع «٢» و الوليد بن المغيرة، قال: أنزل على محمد و أترك و أنا كبير قريش و سيدها، و يترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف و نحن عظيم القريتين! فأنزل الله فيه، فيما بلغنى: وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى قَوْلِهِ: وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [الزخرف: ٢٠، ٢٢].

و أبى بن خلف الجمحى و عقبه بن أبى معيط، و كانا متصافين حسنا ما بينهما، فكان عقبه بن أبى معيط قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و سمع منه، فبلغ ذلك أبا فأتى عقبه فقال: أ لم يبلغنى أنك جالست محمدا و سمعت منه؟! ثم قال: وجهى من وجهك حرام أن أكلمك، و استغلظ من اليمين، إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتنفل فى وجهه.

ففعل ذلك عدو الله عقبه، فأنزل الله فيه: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا [الفرقان: ٢٧، ٢٩].

و مشى أبى بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعظم بال قد ارفقت فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما [أرم] «٣»؟! ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله و إياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار» «٤»، فأنزل الله فيه: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ [يس: ٧٨، ٨٠].

و اعترض رسول الله صلى الله عليه و سلم [و هو يطوف بالكعبة] «٥»، فيما بلغنى، الأسود بن المطلب

(١) العديد للقوم: الذى يعد فى الناس و ليس منهم.

(٢) الأكارع: جمع كراع بضم الكاف بمعنى الأطراف.

(٣) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «أرى»، و ما أوردناه من السيرة. و أرم: أى بليت.

(٤) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٦/ ٢٨٣)، الطبرى فى تفسيره (٢٣/ ٢١)، الحاكم فى المستدرک (٢/ ٤٢٩)، الواحدى فى أسباب النزول (٣٠٨).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل و ما أوردناه من السيرة، و المصنف ينقل منها.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١٦

و الوليد بن المغيرة، و أمية بن خلف، و العاص بن وائل، و كانوا ذوى أسنان فى قومهم، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد و تعبد ما نعبد فنشرك نحن و أنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، و إن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه!.

فأنزل الله فيهم: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، السورة كلها، أى إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم، لكم دينكم ولى دين.



و أبو جهل بن هشام، لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم، قال يا معشر قريش:

هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا. قال: عجوة يثرب بالزبد! والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها تزقما «١»!.

فأنزل الله فيه: إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ [الدخان: ٤٣]، و وقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و رسول الله يكلمه و قد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك مر به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم و جعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أضجره، و ذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد و ما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا، و تركه، فأنزل الله فيه: عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى إِلَى قَوْلِهِ: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ [عبس: ١، ١٤] «٢».

أى: إنما بعثتك بشيرا و نذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه و لا تتصد به لمن لا يريد.

قال ابن إسحاق «٣»: و لما بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ذلك كان باطلا، فلم يدخل أحد منهم، إلا بجوار أو مستخفيا. و ذكر موسى بن عقبه أن رجوع هؤلاء الذين رجعوا كان قبل خروج جعفر و أصحابه إلى أرض الحبشة، و أنهم الذين خرجوا أولا قبله ثم رجعوا حين أنزل الله سورة النجم.

(١) لتزقمنها تزقما: أى تبتلعها ابتلاعا.

(٢) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (٥ / ٣٣١)، تفسير الطبرى (٣٠ / ٣٣)، فتح القدير للشوكانى (٥ / ٥٤٤)، المستدرک للحاكم (٢ / ٥١٤).

(٣) انظر: السيرة (١ / ٣٠٠ - ٣٠٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢١٧

قال: و كان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرناه و أصحابه، و لكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود و النصرارة بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم و الشر.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد اشتد عليه ما ناله و أصحابه من أذاهم و تكذيبهم، و أحزنه ضلالتهم و كان يتمنى هداهم فلما أنزل الله تعالى سورة «النجم» قال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ [النجم: ١٩، ٢٠]، ألقى الشيطان عندها على لسانه كلمات حين ذكر الطواغيت فقال: و إنهم لمن الغرائق العلى و إن شفاعتهن لهى التى ترتجى «١».

كان ذلك من سجع الشيطان و فتنته، ف وقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة و ذلت بها ألسنتهم و تباشروا بها و قالوا: إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول و دين آبائه. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم آخر «و النجم» سجد و سجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا، فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه.

فعجب الفريقان كلاهما من اجتماعهم فى السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان و لا يقين، و لم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين.

و أما المشركون فاطمأنت نفوسهم إلى النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه لما ألقى الشيطان فى أمانة النبى صلى الله عليه و سلم فسجدوا لتعظيم آلهتهم.

و فشت تلك الكلمة فى الناس و أظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة و من بها من المسلمين، عثمان بن مظعون و أصحابه، و حدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفيه، و حدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة. فأقبلوا سراعا و قد نسخ الله ما ألقى الشيطان و أحكم الله آياته، و قال عز من قائل: و ما

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ

(١) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٢/٦٦)، وأشار إلى أن هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وقد جرح روايتها. و ذكره القاضي عياض في الشفاء (٢/١١٦-١٢٣) وقال: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب روايته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلمته.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢١٨

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الحج: ٥٢، ٥٤].

فلما بين الله قضاءه فبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلاتهم و عداوتهم للمسلمين فاشتدوا عليهم. فهذا الذي ذكره ابن عقبة لم يستطع أحد ممن رجع من أرض الحبشة أن يدخل مكة إلا بجوار أو مستخفيا، كما ذكر ابن إسحاق.

قال: فكان جميع من قدم مكة منهم ثلاثة و ثلاثين رجلا، دخل منهم بجوار، فيمن سمي لنا: عثمان بن مظعون الجمحي، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، و أبو سلمة بن عبد الأسد بجوار خاله أبي طالب.

فأما عثمان «١» فإنه لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من البلاء، و هو يغدو و يروح في أمان الوليد، قال: و الله إن غدوى و رواحي آمنة بجوار رجل من أهل الشرك، و أصحابي و أهل ديني يلقون من البلاء و الأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، و فت ذمتك و قد رددت إليك جوارك، قال: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا و لكني أرضى بجوار الله و لا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فرد على جوارى علانية كما أجزتك علانية.

فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان جاء يرد على جوارى. قال:

صدق، قد وجدته و فيا كريم الجوار، و لكني أحببت أن لا أستجير بغير الله. ثم انصرف عثمان، و لبى بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد «٢»:

(١) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص القرشي الجمحي، يكنى أبا السائب، و أمه سخيلة بنت العنيس بن أهبان بن حذافة بن جمح، و هى أم السائب و عبد الله. انظر ترجمته في: الاستيعاب (٣/١٦٥) الترجمة رقم (١٧٩٨).

(٢) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، و يكنى لبيد بن عقيل و كان من شعراء الجاهلية و أدرك لبيد الإسلام و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم في وفد بني كلاب فأسلموا و رجعوا إلى بلادهم. انظر ترجمته في: الشعر و الشعراء (ص ٦٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢١٩ ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان: صدقت. قال:

و كل نعيم لا محالة زائل قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول.

قال لبيد: يا معشر قريش، و الله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم! فقال رجل من القوم: إن هذا سفية في سفهاء معه فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك منه.

فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها و الوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال:

أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة، قال: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله: وإنني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك. فقال: لا «١».

و أما أبو سلمة بن عبد الأسد، فإنه لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال بني مخزوم فقالوا: يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟

فقال: إنه استجار بي وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي. فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم وليا و ناصرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك.

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما قال، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يحرضه على ذلك: و إن امرأ أبو عتيبة عمه لفي روضة ما إن يسام المظالم

أقول له و أين منه نصيحتي أبا معتب ثبت سوادك قائما «٢»

و لا تقبلن الدهر ما عشت خطئة تسب بها إما هبطت المواسما

و ول سبيل العجز غيرك منهم فإنك لم تخلق على العجز لازما

(١) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٠٣، ١٠٤)، ابن الأثير في أسد الغابة (٣/٥٩٨، ٥٩٩).

(٢) ثبت سوادك: يريد كثر قومك و لا تقللهم بفراقك و السواد الشخص.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٢٠ و حارب فإن الحرب نصف و لن ترى أخوا الحرب يعصى الخسف حتى يسالما

و كيف و لم يجنوا عليك عظيمة و لم يخذلوك غانما أو مغارما

جزى الله عنا عبد شمس و نوفلاو تيما و مخزوما عقوقا و مأثما

بتفريقهم من بعد ود و ألفة جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتهم و بيت الله نبزى محمداو لما تروا يوما لدى الشعب قائما و كان أبو بكر رضى الله عنه، كما حدثت عائشة رضى الله عنها، حين

ضاقت عليه مكة و أصابه فيها الأذى، و رأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه ما رأى، قد استأذن

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له، فخرج مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة، أخو بني

الحارث بن عبد مناة بن كنانة، و هو يومئذ سيد الأحابيش فقال: أين يا أبا بكر؟

قال: أخرجني قومي و آذوني و ضيقوا على. قال: لم؟ فوالله إنك لتزين العشيرو و تعين على النوائب و تفعل المعروف و تكسب

المعدوم، فارجع فأنت في جوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبا قحافة فلا

يعرضن له أحد إلا بخير، قالت: فكفوا عنه.

و كان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلى فيه، و كان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان و

العبيد و النساء يعجبون لما يرون من هيئته، فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له: إنك لم تجر هذا ليؤذينا، إنه رجل إذا

صلى و قرأ ما جاء به محمد يرق و كانت له هيئة و نحو، فنحن نتخوف على صبياننا و نساتنا و ضعفنا أن يفتنهم، فائته فأمره أن يدخل

بيته فليصنع فيه ما شاء، فمشى ابن الدغنة فقال: يا أبا بكر، إنى لم أجرك لتؤذى قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به و تأذوا

بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت، قال: أو أرد عليك جوارك و أرضى بجوار الله؟ قال: فاردد على جوارى. قال: قد

رددته عليك. فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبا قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم «١».

وعن القاسم بن محمد أن أبا بكر لقيه سفية من سفهاء قريش و هو عامد إلى الكعبة، فحشا على رأسه التراب، فمر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال أبو بكر: ألا ترى

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب الكفالة (٢٢٩٧)، مسند الإمام أحمد (١٩٨ / ٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢١

ما يصنع هذا السفية؟ قال: أنت فعلت هذا بنفسك، و هو يقول: أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك! «١».

قال ابن إسحاق «٢»: ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم و بنى المطلب نفر من قريش، و لم يبيل أحد فيها أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل، و ذلك أنه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبنى هشام و اصلا، و كان ذا شرف فى قومه، فكان فيما بلغنى ليلا بالبعير قد أوقره طعاما، حتى إذا أقبله فى فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه ليدخل الشعب عليهم، و يأتى به قد أوقره [بزا] «٣» فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أمية بن المغيرة، و أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام و تلبس الثياب و تنكح النساء، و أخوالك حيث قد علمت لا يباعون و لا يبتاع منهم و لا ينكحون و لا ينكح إليهم، أما إنى أحلف بالله، أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا.

فقال: و يحك يا هشام، فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. و الله لو كان معى رجل آخر لقمتم فى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا. قال: من هو؟ قال: أنا.

قال له زهير: ابغنا ثالثا.

فذهب إلى المطعم بن عدى فقال له: يا مطعم، أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف و أنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما و الله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال: و يحك فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيا. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: ابغنا ثالثا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟

قال: زهير بن أبى أمية. قال: ابغنا رابعا.

(١) انظر: السيرة (٣٠٦ / ١).

(٢) انظر: السيرة (٣٠٦ / ١ - ٣٠٨).

(٣) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل، و فى السيرة: بزا. و قال السهيلي فى الروض الأنف: بزا بالزى المعجمة و فى غير نسخة الشيخ أبى بحر: براء، و فى رواية يونس: بزا أو براء، على الشك من الراوى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٢

فذهب إلى أبى البخترى بن هشام، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدى. فقال:

و هل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبى أمية و المطعم ابن عدى و أنا معك. قال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه و ذكر له قرابتهم و مكانهم.

فقال: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم سمي له القوم.

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم و تعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها. و قال زهير: أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أئديتهم، و غدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أ نأكل الطعام و نلبس

الثياب و بنو هاشم هلكى لا يباعون و لا يبتاع منهم! و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل، و كان فى ناحية المسجد: كذبت و الله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت و الله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها و لا نقر به. قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها و مما كتب فيها. و قال هشام بن عمرو نحو من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل تشوور فيه غير هذا المكان. و أبو طالب جالس فى ناحية المسجد، و قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم. و كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلت يده فيما يزعمون.

و ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب: «يا عم، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا- أثبتته و نفت منها القطيعة و الظلم و البهتان». قال: أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: فو الله ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا و كذا، فهل صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهاوا عن قطيعتنا، و إن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخى. قال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا، فعند ذلك شرا، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا «١».

(١) ذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى (١/ ٢٥٠، ٢٥١)، ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ٩٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٣

قال ابن إسحاق «١»: فلما مزقت الصحيفة و بطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك الذين قاموا فى نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بحرنا صنع ربنا على نأيهم و الله بالناس أروء «٢»  
فخبرهم أن الصحيفة مزقت و أن كل ما لم يرضه الله مفسد  
تراوحها إفك و سحر مجمع و لم يلف سحر آخر الدهر يصعد «٣»  
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا على ملأ يهدى لحزم و يرشد  
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم مقاوله بل هم أعز و أمجد  
أعان عليها كل صقر كأنه إذا ما مشى فى رفرى الدرع أحرى  
جرى على جل الخطوب كأنه شهاب بكفى قابس يتوقد  
من الأكرمين من لؤى بن غالب إذا سيم خسفا وجهه يتربد  
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه نسقى الغمام و نسعد  
عظيم الرماد سيد و ابن سيد يحض على مقرى الضيوف و يحشد  
و يا بنى لأفياء العشيرة صالحا إذا نحن طفنا فى البلاد و يمهد  
ألظ بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمد  
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا على مهل و سائر الناس رقد  
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا و سر أبو بكر بها و محمد  
متى شرك الأقوم فى جل أمرنا و كنا قديما قبلها نتودد

(١) انظر: السيرة (١/ ٣٠٩).

(٢) بحرنا: يقصد به من هاجر من المسلمين فى البحر.

(٣) ذكر بعد هذا البيت، أبيات آخره لم يذكرها هنا و هي:

تداعى لها من ليس فيها بقرقظاثرها فى رأسها يتردد

و كانت كفاء رقة بأثيمة ليقطع منها ساعد و مقلد

و يظعن أهل المكين فيهبوا فرائضهم من خشية الشر ترعد

و يترك حراث يقرب أمره أيتهم فيهم عند ذاك و ينجد

و تصعد بين الأخشين كتيبة لها حدج سهم و قوس و مرهد

فمن ينش من حضار مكة عزه فعزتنا فى بطن مكة أ تلد

نشأنا بها و الناس فيها قلائل فلم ننفكك نرداد خيرا و نحمد

و نطعم حتى يترك الناس فضلهم إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد انظر: السيرة (١/ ٣٠٩-٣١٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٢٤ و كنا قديما لا نقر ظلامه و ندرک ما شئنا و لا نشدد

فيا لقصى هل لكم فى نفوسكم و هل لكم فيما يجىء به غد

فإنى و إياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود أسود هنا اسم جبل كان قتل فيه قتيل لم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول

هذه المقالة، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القائل و لعرف بالجاني، و لكنه لا يتكلم، فذهبت مقالتهم تلك مثلا.

قال ابن إسحاق (١): فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة و يدعوهم إلى النجاة مما هم فيه،

و جعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس و من قدم عليهم من العرب.

فكان طفيل بن عمرو الدوسى (٢) و كان رجلا شريفا شاعرا لبيبا يحدث أنه قدم مكة و رسول الله صلى الله عليه و سلم بها، فمشى إليه

رجال من قريش فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا (٣)، فرق جماعتنا و شت أمرنا، و

إنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل و بين أبيه، و بين الرجل و بين أخيه و بين الرجل و بين زوجته، و إنا نخشى عليك و على

قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه و لا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا و لا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا (٤) فرقا

من أن يبلغنى شيء من قوله، و أنا لا أريد أن أسمع، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يصلى عند

الكعبة، فقمتم قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت فى نفسى: و ائكل أمى! و الله إنى لرجل لبيب

شاعر و ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل، فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته، و إن كان قبيحا

تركته.

(١) انظر: السيرة (١/ ٣١٢-٣١٣).

(٢) هو: الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسى من دوس. انظر ترجمته فى:

الاستيعاب الترجمة رقم (١٢٨٣)، طبقات ابن سعد (١/ ١٧٥)، طبقات خليفة (١٣/ ١١٤)، تاريخ خليفة (١١١) الجرح و التعديل (٤/

٤٨٩)، العبر (١/ ١٤)، تاريخ ابن عساكر (٧/ ٦٢).

(٣) أعضل بنا: أى أشد أمره و لم يوجد له وجه.

(٤) كرسفا: الكرسف يعنى القطن.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٢٥

فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا



لى كذا و كذا، فو الله ما برحوا يخوفوننى امرئ حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى فسمعت قولاً حسناً، فاعرض على أمرئ، فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام و تلا على القرآن، فلا و الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه و لا- أمراً أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق، و قلت: يا نبي الله، إنى امرؤ مطاع فى قومى و إنى راجع إليهم و داعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: اللهم اجعل له آية.

فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت على ثنية تطلعننى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح. قلت: اللهم فى غير وجهى، إنى أخشى أن يظنوا أنها مثله وقعت فى وجهى لفراقى دينهم. قال: فتحول فوق فى رأس سوطى، فجعل أهل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق، و أنا أهبط إليهم من الثنية حتى جثتهم، فلما نزلت أتانى أبى و كان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عنى يا أبا فلست منك و لست منى.

قال: لم يا بنى؟ قلت: أسلمت و تابعت دين محمد. قال: أى بنى فدينى دينك. فقلت:

فاذهب فاغتسل و طهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت. فذهب فاغتسل و طهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتني صاحبتى فقلت لها: إليك عنى فلست منك و لست منى. قالت: لم بأبى أنت و أمى؟! قلت: فرق بينى و بينك الإسلام و تابعت دين محمد. قالت: فدينى دينك. قلت: فاذهبنى إلى حنا ذى الشرى.

قال ابن هشام «١»: و يقال: حمى ذى الشرى، فتطهرى منه، و كان ذو الشرى صنماً لدوس و الحنا حمى حموه له، به و شل من ماء يهبط من جبل. فقالت: بأبى أنت و أمى، أ تخشى على الصبية من ذى الشرى شيئاً؟ قلت: لا أنا ضامن لذلك. فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطنوا على، ثم جث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فقلت يا نبي الله، إنه غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم و ارفق بهم.

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، و مضى بدر و أحد و الخندق، ثم قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى، و رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا

(١) انظر: السيرة (١/ ٣١٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٦

برسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فأسهم لنا مع المسلمين، ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى فتح الله عليه مكة قلت: يا رسول الله، ابعثنى إلى ذى الكفين، صنم عمرو بن حممة، حتى أحرقه.

قال ابن إسحاق «١»: فخرج إليه فجعل و هو يوقد عليه النار يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادك أميلاً دنأ أقدم من ميلادك

إنى حشوت النار فى فؤادك «٢»

ثم رجع، فكان بالمدينة حتى قبض الله رسوله، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة و من أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة و معه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤياً و هو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه: إنى قد رأيت رؤياً فاعبروها لى. رأيت أن رأسى حلق، و أنه خرج من فمى طائر، و أنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها و أرى ابنى يطلبنى طلباً حثيثاً ثم رأيت حبس عنى.

قالوا: خيراً؛ قال: أما أنا و الله فقد أولتها. قالوا: ما ذا؟ قال: أما حلق رأسى فوضعه، و أما الطائر الذى خرج من فمى فروحى، و أما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى و أعيب فيها، و أما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى فإنى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى،



فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة، و جرح ابنه جراحة شديدة ثم [استبل] «٣» منها ثم قتل عام اليرموك في زمان عمر شهيدا «٤». و ذكر ابن هشام «٥» أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة «٦» خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد

(١) انظر: السيرة (١/٣١٤).

(٢) انظر: الأبيات في الاستيعاب الترجمة رقم (١٢٨٣)، الإصابة الترجمة رقم (٤٢٧٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٦١٣).

(٣) ما بين المعقوفتين ورد في الأصل: «استقل»، و ما أوردناه من السيرة. و استبل منها: يقال بل و أبل و استبل المريض من مرضه إذا أفاق و برىء.

(٤) ذكره بنحوه ابن عبد البر في الاستيعاب الترجمة رقم (١٢٨٣)، ابن حجر في الإصابة (٢٨٧/٣) بنحوه مختصرا، ابن لأثير في أسد الغابة (٧٨/٣)، ابن كثير في البداية و النهاية (٣/٩٩).

(٥) انظر: السيرة (١/٣١٧-٣١٩).

(٦) قال في كتاب الشعر و الشعراء (١٥٤): هو من سعد بن ضبيعة بن قيس، و كان أعمى، و يكنى أبا بصير، و كان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٧

الإسلام، و قال قصيدة يمدحه فيها، نذكرها بعد. فلما كان بمكة أو قريبا منها اعتراضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم.

فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى: و الله إن ذلك لأمر ما لى فيه من أرب. فقال: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمر «١». فقال: أما هذه فو الله إن فى النفس منها لعلالات، و لكنى منصرف فأترى منها عامى هذا ثم آتية فأسلم.

فانصرف فمات فى عامه ذلك و لم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ما ذكر ابن هشام فى قصة الأعشى، و ظاهره يقتضى أن قصده كان إلى مكة و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حينئذ لم يهاجر بعد.

و يعارض هذا الظاهر ما ذكر من تحريم الخمر، فإن أهل النقل مجمعون على أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد أن مضى بدر و أحد و نزل تحريمها فى سورة المائدة و هى من آخر ما نزل من القرآن فإن صح أن خروج الأعشى كان قبل الهجرة كما فى ظاهر الخبر فعل المشرك الذى لقيه و أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر، أراد بهذا القول تنفيره عن الإسلام و إبعاده عنه، مع ما كان من كراهية رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا للخمر و تنزيه الله إياه عنها.

ألا تراه ليلة الإسراء لما عرضت عليه آنية الخمر و اللبن اختار اللبن فقبل له: هديت للفترة، لو أخذت الخمر غوت أمتك. و الإسراء إنما كان بمكة فى صدر الإسلام. و قد يمكن أن يكون قصد الأعشى إلى المدينة بعد الهجرة و بعد تحريم الخمر فتلقاه بعض المشركين من قريش ممن لم يكن أسلم بعد.

و لعل هذا هو الأولى بدليل قوله فى قصيدته الآتية بعد:

ألا أيهذا السائلى أين يمت فإن لها فى أهل يثرب موعدا و الله أعلم بالحقيقة فى ذلك كله، و القصيدة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى قوله:

(١) قال السهيلي فى الروض الأنف (٢/١٣٦): هذه غفلة من ابن هشام، و من قال بقوله: فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضيت بدر و أحد، و حرمت فى سورة المائدة و هى من آخر ما نزل، و فى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، و غنته القيتان: ألا يا حمز للشرف النواء، فبقر خواصر الشارفين، و اجتنب أسمنتها، و قوله للنبي صلى الله عليه و

سلم:

هل أنتم إلا- عبيد لآبائي، و هو ثمل، ... الحديث، فإن صح خبر الأعشى و ما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، و إنما كان بالمدينة، و يكون القائل له: أ ما علمت أنه يحرم الخمر من المنافقين أو من اليهود، فالله أعلم.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٢٨ أ لم تغتمض عيناك ليلئ أرمداو بت كما بات السليم مسهدا «١»

و ما ذاك من عشق النساء و إنماتناسيت قبل اليوم خلئ مههدا

و لكن أرى الدهر الذى هو خائن إذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا

كهولا و شبابا فقدت و ثروة فلله هذا الدهر كيف تردد

و ما زلت أبغى المال مذ أنا يافع وليدا و كهلا حين شبت و أرمدا

و أبتذل العيس المراقيل تعتلى مسافة ما بين النجير فصرخدا «٢»

ألا أيهدا السائلى أين يمت فإن لها فى أهل يثرب موعدا

فإن تسألنى عنى فيا رب سائل حفى عن الأعشى به حيث [أصهدا] «٣»

أجدت برجليها النجاء و راجعت يداها خنفا لينا غير أحردا

و فيها إذا ما هجرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا «٤»

و آليت لا آوى لها من كلاله و لا من حفى حتى تلاقى محمدا

متى ما تناخى عند باب ابن هشام تراحى و تلقى من فواضله ندا

نبيا يرى ما لا ترون و ذكره أغار لعمرى فى البلاد و أنجدا «٥»

له صدقات ما تغب و نائل و ليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجدك لم تسمع وصاء محمد نبى الإله حين أوصى و أشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى و لاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للموت الذى كان أرسدا

فإياك و الميتات لا تقربنها و لا تأخذن سهما حديدا لتقصدا

و ذا النصب المنسوب لا تنسكته و لا تعبد الأوثان و الله فاعبدا «٦»

و لا تقربن حرة كان سرها عليك حراما فانكحن أو تأبدا

(١) الأرمدا: الذى يشتكى عينيه من الرمدا. المسهد: الذى منع النوم.

(٢) العيس: الإبل البيض يخالطها حمرة. المراقيل: مأخوذ من الإرقال و هو السرعة فى السير. النجير:

موضع فى حضر موت فى اليمن. صرخدا: موضع بالجزيرة.

(٣) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «أصعدا»، و ما أوردناه من السيرة. و أصهدا: أى ذهب.

(٤) العجرفية: أى تخليط من غير استقامة. الحرباء: بكسر فسكون دويبة تكون فى أعلى الشجرة.

(٥) أغار لعمرى: معناه بلغ الغور و هو منخفض من الأرض. أنجدا: بلغ النجد و هو ما ارتفع من الأرض.

(٦) النصب: حجارة كان يذبحون لها. النسك: الدم كانوا يعثرون عند أصناهم ثم يطلون رءوس الأصنام بدماء العتائر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٢٩ و ذا الرحم القربى فلا تقطعنه لعاقبة و لا الأسير المقيدا

و سبح على حين العشيات و الضحى و لا تحمد الشيطان و الله فاحمدا

و لا تسخرن من بائس ذى ضرارة و لا تحسبن المال للمرء مخلدا قال ابن إسحاق «١»: و قد كان عدو الله أبو جهل مع عداوته رسول الله صلى الله عليه و سلم و بغضه إياه، يذله الله إذا رآه.

حدثني «٢» عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي، و كان واعية، قال: قدم رجل من إراش «٣» بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها، فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد من قريش و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس في ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام، فإني غريب ابن سبيل و قد غلبني على حتى.

فقال له أهل ذلك المجلس: أ ترى ذلك الرجل؟ لرسول الله صلى الله عليه و سلم يهزأون به لما يعلمون بينه و بين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه فهو يؤديك عليه.

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حتى لي قبله و أنا غريب ابن سبيل، و قد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حتى منه، فأشاروا لي إليك فخذ لي حتى منه يرحمك الله.

قال: انطلق إليه. و قام معه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما رأوه قام معه قالوا للرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع.

قال: و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى جاءه ف ضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ فقال:

محمد. فاخرج إلي. فخرج إليه و ما في وجهه من رائحة، لقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا حقه. قال نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذي له. فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيرا، فقد و الله أخذ لي حتى. و جاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا و يحكك، ما ذا رأيت؟ قال: عجبا من العجب! و الله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج

(١) انظر: السيرة (١/ ٣١٨).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٣١٨ - ٣١٩).

(٣) إراش: هو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث ابن بنت مالك و هو والد أنمار الذي ولد بجيله و ختنم.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٠.

إليه و ما معه روحه، فقال: أعط هذا الرجل حقه. قال: نعم، لا يبرح حتى أخرج إليه حقه. فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك! ما لك؟ و الله ما رأينا مثل ما صنعت قط، قال: و يحكم! و الله ما هو إلا أن ضرب على بابي و سمعت صوته فملت رعبا، ثم خرجت إليه و إن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته و لا قصرته و لا أنيابه لفحل قط، و الله لو أبيت لأكلني «١».

و ذكر الواقدي عن يزيد بن رومان قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم جالسا في المسجد معه رجال من أصحابه أقبل رجل من بني زبيد يقول: يا معشر قريش، كيف تدخل عليكم المادة أو يجلب إليكم جلب أو يحل تاجر بساحتكم و أنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم. يقف على الحلق حلقه حلقه.

حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في أصحابه، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: و من ظلمك؟

فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرة إبله، فسامه أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لأجله سائم، قال: فأكسد على سلعتي و ظلمني. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و أين أجمالك؟» قال: هي هذه بالحزورة. فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم معه و قام أصحابه، فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فرها. فساوم الزبيدي حتى ألحقه برضاه، فأخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم فباع جملين منها بالثمن، و أفضل بعيرا باعه و أعطى أرامل بن عبد المطلب ثمنه، و أبو جهل جالس في ناحية من السوق لا يتكلم. ثم أقبل إليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا عمرو، إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى منى ما تكره». فجعل يقول: لا أعود يا محمد، لا أعود يا محمد، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أقبل عليه أمية بن خلف و من حضر من القوم، فقالوا: ذلت في يدى محمد، فما أن تكون تريد أن تتبعه و إما رعب دخلك منه. قال: لا أتبعه أبدا، إن الذى رأيت منى لما رأيت معه، لقد رأيت رجالا عن يمينه و شماله معهم رماح يشرعونها إلى، لو خالفته لكانت إياها. أى لأنوا على نفسى.

و ذكر محمد بن إسحاق (٢) عن أبيه قال: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب أشد قريش، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة، فقال له: يا ركانة، ألا تتقى الله و تقبل ما أدعوك إليه؟! قال: لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فقم

(١) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ٩٤ - ٩٥).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٣١٩ - ٣٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٣١

حتى أصارعك. فقام إليه ركانة فصارعه، فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئا، ثم قال: عد يا محمد. فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، إن ذا للعجب أصرعنى!! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و أعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله و اتبعت أمرى»، قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتىنى». قال:

ادعها. فدعا بها، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: «ارجعى إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها»، فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بنى عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط. ثم أخبرهم بالذى رأى و صنع (١).

قال ابن إسحاق (٢): ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك، من النصارى، يقال: إنهم من أهل نجران، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه فى المسجد، فجلسوا إليه و كلموه و سألوه، و رجال من قريش فى أنديةهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم إلى الله و تلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له و آمنوا به و صدقوه و عرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش، فقالوا لهم: خبيكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم و صدقتموه! ما نعلم ركبا أحمق منكم. أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه و لكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا.

فيقال و الله أعلم: فيهم نزلت هؤلاء الآيات: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ إلى قوله: لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ [القصص: ٥٢، ٥٥].

فقال (٣): و قد سألت الزهري فقال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلت فى النجاشى و أصحابه. و الآيات من المائدة قول الله عز و جل: وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٠٣)، دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٢٥٠)، أبى داود فى المراسيل (٣٠٨)، البيهقى فى السنن الكبرى (١٠/ ١٨).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٣) انظر: السيرة (١ / ٣٢١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٢

لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه، خباب و عمار و أبو فكيهة يسار و صهيب و أشباههم هزت بهم قريش و قال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أ هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى و الحق! لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه و ما خصهم الله به دوننا.

فأنزل الله عليهم: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنعام: ٥٢، ٥٤] «١».

و هؤلاء أيضا، و من قال بقولهم هم الذين عنى الله سبحانه بقوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ [الأحقاف: ١١].

قال ابن إسحاق (٢): و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له: جبر، عبد لبنى الحضرمي، و كانوا يقولون: و الله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني، فأنزل الله في ذلك من قولهم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [النحل: ١٠٣] «٣».

و كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعوه، فإنما هو رجل أبت، لو قد مات لقد انقطع ذكره و استرحتم منه، فأنزل الله عز و جل، في ذلك من قوله: إِنَّا

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب الفضائل (٤ / ٤٦)، سنن ابن ماجه (٢٧٧ / ٤١٢٧)، تفسير الطبري (٧ / ١٢٧).

(٢) انظر: السيرة (١ / ٣٢٢).

(٣) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٢ / ٣٥٧)، الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٣٥)، تفسير الطبري (١٤ / ١١٩، ١٢٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٣

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر: ١، ٤] «١»، أى أعطيناك ما هو خير من الدنيا و ما فيها. و الكوثر العظيم. و قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الكوثر الذى أعطاك الله؟ قال: «نهر كما بين صنعاء إلى أيلة آيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل». قال عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة. قال: «أكلها أنعم منها» «٢».

و دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما إلى الإسلام، فقال له زمعه بن الأسود و النضر بن الحارث و الأسود بن عبد يغوث و أبى بن خلف و العاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس و يرى معك؟ فأنزل الله في ذلك: وَقَالُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْسُونَ [الأنعام: ٨، ٩] «٣».

و مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوليد بن المغيرة و أمية بن خلف و أبى جهل، فهمزوه و استهزؤا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله عليه: لَا وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأنعام: ١٠] «٤».

ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق «٥»: ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

- (١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمى (٧/١٤٣)، أسباب النزول للواحدى (ص ٤٠٤).
- (٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٠/٣٦٠، ٣٦١).
- (٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/١٤٧).
- (٤) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/١٤٨).
- (٥) انظر: السيرة (٢/٥-٧).

قلت: و لم يذكر ابن إسحاق تحديد السنة التي وقع فيها الإسراء، و قد تعرض ابن كثير في البداية و النهاية لذلك، فقال: ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة، و أما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين، و روى البيهقي من طريق موسى بن عقبة، عن الزهري أنه قال: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة ... ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي أنه قال: فرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ببيت المقدس ليلة أسرى به-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٤

و هو بيت المقدس من إيلياء، و قد فشا الإسلام مكة في قريش و في القبائل كلها.

فكان من الحديث فيما بلغني، عن مسراه صلوات الله عليه و سلامه، عن عبد الله بن مسعود، و أبي سعيد الخدري، و عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، و معاوية بن أبي سفيان، و أم هانئ بنت أبي طالب، و الحسن بن أبي الحسن، و ابن شهاب الزهري، و قتادة و غيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسرى به. و كان في مسراه و ما ذكر منه بلاء و تمحيص و أمر من الله في قدرته و سلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب و هدى و رحمة و ثبات لمن آمن و صدق.

و كان من أمر الله على يقين، فأسرى به كيف شاء و كما شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره و سلطانه العظيم و قدرته التي يصنع بها ما يريد.

فكان عبد الله بن مسعود، فيما بلغني عنه، يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق، و هي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرهما في منتهى طرفها، فحمل عليه، ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السموات و الأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم و موسى و عيسى في نفر من الأنبياء عليهم السلام قد جمعوا له، فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، و إناء فيه خمر، و إناء فيه ماء، قال:

فسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء فغرق و غرقت أمته، و إن أخذ الخمر فغوى و غوت أمته، و إن أخذ اللبن هدى و هديت أمته. قال:

«فأخذت إناء اللبن فشربت، فقال له جبريل: هديت و هديت أمتك يا محمد» (١).

قال «٢»: و حدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أنا نائم في الحجر

- قبل مهاجره بستة عشر شهراً. فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذى القعدة، و على قول الزهري و عروة يكون في ربيع الأول. ثم ذكر عن جابر، و ابن عباس قالوا: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، و فيه بعث و فيه عرج به إلى السماء و فيه هاجر و مات. و فيه انقطاع، ثم ذكر أن المقدسي أورد حديثاً لا يصح سند: أن الإسراء كان ليلة السابع و



العشرين من رجب و الله أعلم. انظر: المنتظم لابن الجوزى (حاشية ٢٦ / ٣) تحقيقنا.

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٢٨ / ٥)، ابن حجر فى فتح البارى (٧ / ٢٥٦)، الهيمى فى المجمع (١ / ٧٨)، السيوطى فى الخصائص الكبرى (١ / ٢٦٨، ٢٦٩).

(٢) انظر: السيرة (٧ / ٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٣٥

جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه، فجلست فلم أر شيئا، فعدت لمضجعى، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا، فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى، فقامت معه فخرج بى إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل و الحمار، فى فخذه جناحان يحفز بهما رجليه. يضع يديه فى منتهى طرفه، فحملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى و لا أفوته» (١).

و فى حديث قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال: ألا تستحى يا براق مما تصنع! فوالله ما ركبك عبد الله قبل محمد أكرم عليه منه. فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته» (٢).

و فى حديث الحسن من انتهاء جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس و إمامته فيه بمن وجد عنده من الأنبياء، على جميعهم السلام، نحو ما تقدم من ذلك فى حديث ابن مسعود.

قال: ثم أتى يناءين فى أحدهما خمر و فى الآخر لبن، فأخذ إناء اللبن و ترك إناء الخمر، فقال له جبريل: هديت للفطرة و هديت أمتك و حرمت عليكم الخمر.

و ذكر تحريم الخمر هنا غريب جدا، و الذى عليه العلماء أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد سنين من الهجرة.

قال الحسن: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا و الله الأمر البين «٣»، و الله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة و شهرا مقبله، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة و يرجع إلى مكة! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، و ذهب الناس إلى أبى بكر، فقالوا: هل لك يا أبى بكر فى صاحبك! يزعم أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس و صلى فيه و رجع إلى مكة.

فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس.

فقال أبو بكر: و الله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه

(١) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (١٥ / ٣، ٤).

(٢) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (٣٣٣١)، تفسير الطبرى (١٥ / ١٢، ١٣)، فتح البارى لابن حجر (٧ / ٢٤٧)، مسند الإمام أحمد (٣ / ١٦٤).

(٣) الأمر البين: هو الأمر العظيم أو الشنيع، و قيل: هو العجب.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٣٦

ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد ما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله، أحدث هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «نعم». قال: يا نبي الله، فضفه لى فإنى قد جئته.

قال الحسن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فرغ لى حتى نظرت إليه»، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر، و يقول أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول الله. كلما وصف له منه شيئا قال: صدقت أشهد رسول الله. حتى إذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر:



و أنت يا أبا بكر الصديق أشهد أنك. فيومئذ سماه الصديق.

قال الحسن: و أنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا [الإسراء: ٦٠]، فهذا حديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ما دخل فيه من حديث قتادة «١».

قال ابن إسحاق «٢»: و حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم و لكن أسرى بروحه «٣».

و كان معاوية بن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله صادقة «٤».

فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله:

وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْخَبَرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ [الصفوات: ١٠٢] ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا و نياما.

(١) ذكر البخاري في صحيحه (٤٧١٦) كتاب التفسير باب وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، من حديث ابن عباس، قال: هي رؤيا عين رأيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به و الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم. و أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٢١، ٣٧٠)، الترمذي في كتاب التفسير (٣١٣٤)، الحاكم في المستدرک (٢/٣٦٢).

(٢) انظر: السيرة (٩/٢).

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/١٥).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٣/١٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٧

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تنام عيني و قلبي يقظان» «١». فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه و عاين ما عاين من أمر الله، على أي حاله كان نائما أو يقظان، كل ذلك حق و صدق.

و زعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم و موسى و عيسى حين رأهم في تلك الليلة صلوات الله على جميعهم، فقال: «أما إبراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم، و لا صاحبكم أشبه به منه، و أما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة، و أما عيسى ابن مريم فرجل أحمر بين القصير و الطويل، سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء و ليس فيه ماء، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي» «٢».

قال ابن هشام «٣»: و كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب، قال: كان علي إذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لم يكن بالطويل الممغط و لا القصير المتردد، كان ربعة من القوم، و لم يكن بالجعد القلط و لا- بالسبط كان جعدا رجلا، و لم يكن بالمطهم و لا بالمكثم، و كان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش و الكند دقيق المسربة أجرد شثن الكفين و القدمين، إذا تمشى تقلع كأنما يمشى في صلب، و إذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، و هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين أجود الناس كفا و أجراً الناس صدرا و أصدق الناس لهجة و أوفى الناس بدمه و أليهم عريكة و أكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه و من خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله، صلى الله عليه وسلم «٤».

(١) انظر الحديث في: تفسير الطبري (١٣/١٥).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (١٥/١٢).

(٣) انظر: السيرة (٢/١١).

(٤) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (٣٦٣٨)، وقال: حديث حسن غريب ليس إسناده بمتصل.

وقال أبو عيسى: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين، يقول: سمعت الأصمعى يقول فى تفسير صفه النبى صلى الله عليه وسلم: الممغط: الذهاب طولاً، وقال: سمعت أعرابياً يقول فى كلامه تمغط فى نشابته، أى مدها مداً شديداً. والمتردد: الداخل بعضه فى بعض قصراً. وأما القطط: فالشديد الجعودة.

والرجل: الذى فى شعره حجونه، أى تشن قليل. وأما المطهم: فالبادن الكثير اللحم. والمكثم:

المدور الوجه. والمشرب: الذى فى بياضه حمرة. والأدعج: الشديد سواد العين. والأهدب:

الطويل الأشفار. والكتد: مجتمع الكتفين وهو الكامل. والمسربة: هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب من الصدر إلى السربة. والشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين. والتقلع: أن-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٣٨

قال ابن إسحاق «١»: وكان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى، نام عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام وناما، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح و صلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت معكم صلاة الغداة الآن كما ترين، ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردايه، فتكشف عن بطنه و كأنه قبطية مطوية، فقلت: يا نبى الله، لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك و يؤذوك، قال: والله لأحدثنهموه. فقلت لجارية لى حبشية: و يحك، اتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعى ما يقول للناس و ما يقولون له، فلما خرج إلى الناس أخبرهم فعبجوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد، فإننا لم نسمع بمثل هذا قط؟ قال: آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا، فأنفرهم حسن الدابة، فند لهم بعير فدللتهم عليه و أنا موجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كانت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما و لهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه و شربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، و آية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء و الأخرى بقاء، فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل، كما وصف لهم، و سألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه، و أنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوا و لم يجدوا فيه ماء، و سألوا الآخرين و هم بمكة فقالوا: صدق و الله، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر و ند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه «٢».

قال ابن إسحاق «٣»: و حدثنى من لا أتهم، عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج، و لم أر شيئاً قط أحسن منه، و هو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة يقال له:

- يمشى بقوة. و الصبب: الحدور، يقال: انحدرنا فى صبوب و صبب. و قوله: جليل المشاش: يريد رءوس المناكب. العشرة: الصحبة. و العشير: صاحب. و البديهة: المفاجأة، يقال: بدهته بأمر أى فجأته.

(١) انظر: السيرة (٢/١٢-١٣).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (١٥/٢)، تفسير ابن كثير (٥/٣٩)، مجمع الزوائد للهيثمى (١/٧٦، ٩/٤٢)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/١٧٤).

(٣) انظر: السيرة (٢/١٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٣٩

إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ [المدثر: ٣١]، فلما دخل بي قال: «من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أو قد بعث؟

قال: نعم، فدعا لي بخير». وقاله «١».

قال «٢»: وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثم تلقنتي الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقي ملك إلا ضاحكا مستبشرا، يقول خيرا و يدعو به، حتى لقيني ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا و دعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، و لم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: من هذا الملك الذي قال لي مثل ما قالت الملائكة و لم يضحك و لم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم. فقال جبريل: أما إنه لو كان ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك، و لكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلت لجبريل، و هو من الله بالمكان الذي وصف لكم مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ [التكوير: ٢١] ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك أر محمدا النار، فكشف عنها غطاءها ففارت و ارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى. فقلت لجبريل: مره فليردها إلى مكانها. فأمره، فقال لها: اخبي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه، فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل، حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها «٣».

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه «٤» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا و يسر به، و يقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب، و يقول لبعضها إذا عرضت عليه أف، و يعبس بوجهه، روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢ / ٣٩٠)، تفسير ابن كثير (٥ / ٢٠، ٢٢)، البداية و النهاية (٣ / ١١٠، ١١١)، الكامل فى الضعفاء لابن عدى (٥ / ٧٩).

(٢) انظر: السيرة (٢ / ١٤).

(٣) لم أقف على تخريجه، بهذا اللفظ فيما بين يديه من مصادر.

(٤) تقدم تخريجه.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤٠

مرت به روح المؤمن منهم سر بها و إذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها و كرهها.

قال: ثم رأيت رجالا- لهم مشافر كمشافر «١» الإبل، فى أيديهم قطع من نار كالأفهار «٢» يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدهامهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما.

ثم رأيت رجالا- لهم بطون لم أر مثلها قط، بسبيل آل فرعون، يمرون عليهم كالإبل المهيومة «٣» حتى يعرضوا على النار، يطئونهم لا يقدرن على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

ثم رأيت رجالا- بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن و يتركون السمين الطيب، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، و يذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن.

ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم. قال: ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم، و يحيى بن زكريا.

قال: ثم أصدع بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب، ثم أصدع بي إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل، فسألته من هو؟ فقال: هذا إدريس. قال: يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم:

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا [مريم: ٥٧].

قال: ثم أصدع بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس و اللحية عظيم العثون لم أر كهلا أجمل منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحجب في قومه: هارون بن عمران.

قال: ثم أصدع بي إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أفنى كأنه من رجال شنوءة فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران.

(١) مشافر: جمع شفر، و هو للبعير كالشفة للإنسان و الجعقل للفرس. انظر: اللسان (مادة شفر).

(٢) الأفهار: جمع فهر بكسر فسكون و هو الحجر قدر ما يدق به الجوز و نحوه و تصغيرها فهير. انظر: اللسان (مادة فهر).

(٣) المهيومة: العطشى، و قيل: هو من الداء، و قيل: الهيم الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤١

ثم أصدع بي إلى السماء السابعة فإذا كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أر رجلا أشبه بصاحبكم و لا صاحبكم أشبه به منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألته لمن أنت؟ و قد أعجبتني فقالت: لزيد بن حارثة. فبشر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم زيدا.

و من حديث عبد الله بن مسعود «١» أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد. فيقولون: أو قد بعث؟ فيقول: نعم. فيقولون حياها الله من أخ و صاحب. حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران، و نعم الصاحب كان لكم، سألتني: كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة في كل يوم.

قال: إن الصلاة ثقيلة و إن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فسله أن يخفف عنك و عن أمتك. فرجعت فسألته ربي فوضع عني عشرا، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألته ربي فوضع عني عشرا ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه، فأرجع فأسأل حتى انتهيت إلى أن وضع عني ذلك إلا خمس صلوات في كل يوم و ليلة.

ثم رجعت على موسى فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي و سألته حتى استحيت منه، فلما أنا بفاعل. فمن أداهن منكم إيمانا و احتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة «٢».

قال ابن إسحاق «٣»: فأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم على أمر الله صابرا محتسبا مؤديا إلى قومه النصيحة، على ما يلقي منهم من التكذيب و الأذى و الاستهزاء، و كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه، و كانوا ذوى أسنان و شرف في قومهم: الأسود بن

المطلب الأسدي، أبو زمعة، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه

(١) انظر: السيرة (١٧/٢).

(٢) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١/٢٥٩).

(٣) انظر: السيرة (١٩/٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤٢

و استهزئه به فقال: «اللهم أعم بصره و أكله ولده» (١).

و الأسود بن عبد يغوث الزهري، و الوليد بن المغيرة المخزومي، و العاص بن وائل السهبي، و الحارث بن الطلائع الخزاعي. فلما تمادوا في الشر و أكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ و أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: ٩٤، ٩٦].

فأتى جبريل عليه السلام، رسول الله صلى الله عليه وسلم و هم يطوفون بالبيت، فقام و قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى، و سيأتى بعد أنه أصيب له يوم بدر ثلاثة من ولده، ابناه زمعة و عقيل و ابن ابنه الحارث بن زمعة، فاستوفى الله سبحانه بذلك فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم إجابة دعوته عليه بالعمى و الثكل.

ثم مر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه جبناء، و عن غير ابن إسحاق أنه لما نزل: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر: ٩٥] نزل جبريل عليه السلام، فحنا ظهر الأسود بن عبد يغوث الزهري، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي فقال له جبريل: خله عنك، ثم حناه حتى قتله.

قال ابن إسحاق: و مر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله أصابه قبل ذلك بسنين و هو يجر سبله، فانتقض به فقتله. و مر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقه فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. و مر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخص قيحا فقتله (٢).

قال (٣): و كان نفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبو لهب، و الحكم بن أبي العاص بن أمية، و عقبه بن أبي معيط، و عدى ابن حمراء الثقفي، و ابن الأصداء الهذلي، و كانوا جيرانه لم يسلم أحد منهم إلا الحكم.

فكان أحدهم فيما ذكر لي، يطرح عليه رحم الشاء و هو يصلى، و كان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/١٠٥)، تفسير الطبري (١٤/٤٨)، تفسير ابن كثير (٤/٤٧٠).

(٢) انظر الحديث في: تفسير ابن كثير (٤/٤٧٠)، تفسير الطبري (١٤/٤٨).

(٣) انظر: السيرة (٢/٢٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤٣

صلى. فكان صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟! ثم يلقيه في الطريق (١).

قال ابن إسحاق (٢): ثم إن خديجة بنت خويلد و أبا طالب هلكا في عام واحد، فتتبع علي رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، و كانت له وزير صدق على الإسلام، يسكن إليها، و بهلك أبي طالب عمه، و كان له عضدا و حرزا في أمره و منعه و ناصر على قومه، و ذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضاه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم بيته و التراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هي تبكي، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لها: «لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك.» و يقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» (٣).

قال: و لما اشتكى أبو طالب و بلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض: إن حمزة و عمر قد أسلما، و قد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه و لنعطه منا فإننا و الله ما نأمن أن يبتزونا» (٤) أمرنا. فمشوا إلى أبي طالب فكلموه، و هم أشراف قومه، عتبة و شيبة ابنا ربيعة، و أبو جهل ابن هشام، و أمية بن خلف، و أبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، و قد حضر ك ما ترى و تخوفنا عليك، و قد علمت الذي بيننا و بين ابن أخيك، فادعه و خذ له منا و خذ لنا منه ليكف عنا و نكف عنه و ليدعنا و ديننا و ندعه و دينه، فبعث إليه أبو طالب فجاء فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك و ليأخذوا منك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب و تدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم و أبيك، و عشر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، و تخلعون ما تعبدون من دونه.

(١) انظر الحديث في: طبقات ابن سعد (١/ ٢٠١)، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٤، ١٣٥).

(٢) انظر: السيرة (١/ ٢٧).

(٣) انظر الحديث في: تاريخ الطبري (١/ ٥٥٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٢٢).

(٤) يبتزونا: البز هو السلب و معناه يسلبوننا إياه و يغلبوننا عليه.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٤٤

قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أ تريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهها واحدا؟! إن أمر ك لعجب. ثم قال بعضهم لبعض: و الله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقوا و امضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه. ثم تفرقوا» (١). فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه و سلم: و الله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا. فلما قالها طمع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه فجعل يقول له: أى عم، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يا ابن أخي و الله لو لا- مخافة السب عليك و على بنى أبيك من بعدى، و أن تظن قريش أنى إنما قتلها جزعا من الموت لقتلتها، لا أقولها إلا لأسرك به. فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفثيه فأصغى إليه بأذنيه، فقال: يا ابن أخي، و الله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لم أسمع» (٢).

و خرج مسلم بن الحجاج فى صحيحه من حديث المسيب بن حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل و عبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرضها عليه و يعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«أما و الله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» (٣).

فأنزل الله عز و جل: ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمُشركين و لو كانوا أولى قُربى من بعيد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم [التوبة: ١١٣]. و أنزل فى أبى طالب فقال لرسوله صلى الله عليه و سلم: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ



هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص: ٥٦].

و في الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبا طالب كان يحوطك

(١) انظر الحديث في: المستدرک للحاكم (٢/ ٤٣٢)، تفسير الطبري (٢٣/ ٧٩)، البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨٨)، أسباب النزول للواحدى (ص ٣٠٩).

(٢) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٢٣).

(٣) انظر الحديث في: صحيح البخارى (٢/ ١١٩)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣٩)، طبقات ابن سعد (١/ ١/ ٧٧)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٦)، الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٤)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٢)، تفسير الطبري (١١/ ٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٤٥

و ينصرک و يغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح» (١).

و فيه أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه» (٢).

و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، و هو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه» (٣). و يروى أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع إليه ووجه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه و قلب العرب، فيكم السيد المطاع و فيكم المقدم الشجاع و الواسع الباع، و اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا احترتموه، و لا شرفا إلا أدرتموه، فلکم بذلك على الناس الفضيلة، و لهم به إليكم الوسيلة، و إنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب و قواما للمعاش و ثباتا للوطأة، صلوا أرحامكم و لا تقطعوها فإن فى صلة الرحم منسأة فى الأجل و زيادة فى العدد، و اتركوا البغى و العقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجبوا الداعى و أعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة و الممات، عليكم بصدق الحديث و أداء الأمانة، فإن فيها محبة فى الخاص و مكرمة فى العام، و إنى أوصيتكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش و الصديق فى العرب، و هو الجامع لكل ما أوصيتكم به، و قد جاء بأمر قبله الجنان و أنكره اللسان مخافة الشنآن، و أيم الله لكأنى أنظر إلى صعاليك العرب و أهل البر فى الأطراف و المستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته و صدقوا كلمته و عظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم (١٩٥)، مسند الحميدى (٤٦٠).

(٢) انظر الحديث في: صحيح البخارى (٥/ ٦٦، ٨/ ١٤٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/ ٥١٣)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٣٤٧)، كنز العمال للمتقى الهندى (٩٢/ ٣٤٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٢٥)، تفسير القرطبي (٨/ ١٦٣)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤١٧)، السلسلة الصحيحة للألبانى (١/ ٥٤).

(٣) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣٦٢)، مسند الإمام أحمد (١/ ٢٩٠)، مستدرک الحاكم (٤/ ٥٨١)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٥٦٦٨)، مسند أبو عوانة (١/ ٩٨)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٣٤٨)، كنز العمال للمتقى الهندى (٩١٥١٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٢٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٤٦

فصارت رؤساء قريش و صناديدها أذنانا و دورها خرابا و ضعفاؤها أربابا و إذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، و أبعدهم منه أخطأهم عنده، قد محضته العرب و دادها و أعطته قيادها، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة و لحزبه حماة، و الله لا يسلك أحد منهم سبيله إلا رشد، و لا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، و لو كان لنفسى مدة و لأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز و لدافعت عنه الدواهى.



## ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بعد مهلك عمه أبي طالب

قال ابن إسحاق (١): ولما هلك أبو طالب و نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه في حياته، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، و رجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ، سادة ثقيف و أشرفهم، و هم إخوة ثلاثه، عبد ياليل و مسعود و خبيب، بنو عمرو بن عمير بن عقده بن غيره بن عوف بن ثقيف، و عند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و كلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام و القيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك؛ و قال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك! و قال الثالث: و الله لا أكلمك أبدا! لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، و لئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلمك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم و قد يئس من خير ثقيف، و قد قال لهم فيما ذكر لى: إذ فعلتم ما فعلتم فاكموا على. و كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيذئروهم ذلك عليه. فلم يفعلوا، أغروا به سفهاءهم و عبيدهم يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس. قال موسى بن عقبه: و قعدوا له صفيين على طريقه، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفيهم جعل لا- يرفع رجليه و لا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموا رجليه. و زاد سليمان التيمي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه و هم يضحكون!

(١) انظر: السيرة (٢/ ٢٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٤٧

قال ابن عقبه: فخلص منهم و رجلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظل حبله منه و هو مكروب موجه، و إذا فى الحائط عتبه و شبيهه ابنا ربيعه، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله و رسوله. و ذكر ابن إسحاق (١): أن الحائط كان لهما، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطمان، يعنى فى ظل الحبله، قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، و قلته حيلتي، و هوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، و أنت ربي، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا- أبالى و لكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات، و صلح عليه أمر الدنيا و الآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، و لا حول و لا قوة إلا بك» (٢).

قال: فلما رآه ابنا ربيعه و ما لقى، تحركت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب، فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: له: كل. فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: بسم الله ثم أكل، فنظر عداس فى وجهه ثم قال له: و الله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أى البلاد أنت يا عداس و ما دينك؟ قال: نصرانى و أنا من أهل نينوى (٣). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلم أمن قريه الرجل الصالح يونس ابن متى؟ قال له عداس: و ما يدريك ما يونس ابن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخى كان نبيا و أنا نبى. فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه و يديه و قدميه. فلما

جاءهما عداس قال له: ويلك، مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه و قدميه؟ قال: يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبي. قالوا: و يحكك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه «٤».

(١) انظر: السيرة (٢/ ٣٠).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (١/ ٨٠، ٨١)، و ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١/ ٣٥٨).

(٣) نينوى: هى قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل و بسواد الكوفية، ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٤٨

و قد خرج البخارى و مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها، أنها قالت للنبي صلى الله عليه و سلم:

هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، و كان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت على وجهى و أنا مهموم، فلم أستفق إلا- و أنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادانى و قال: إن الله قد سمع قول قومك لك و ما ردوا عليك، و قد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». فنادانى ملك الجبال فسلم على فقال: يا محمد ذلك لك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين. فقال النبى صلى الله عليه و سلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً» «١».

و ذكر ابن هشام «٢» أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما انصرف عن أهل الطائف، و لم يجيئه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه و نصرته، سار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليحيره، فقال: أنا حليف و الحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بنى عامر لا- تجير على بنى كعب. فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك، ثم تسلم المطعم و أهل بيته، و خرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ادخل. فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فطاف بالبيت و صلى عنده ثم انصرف إلى منزله.

و لأجل هذه السابقة التى سبقت للمطعم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى، لتركتهم له.

و فى انصراف رسول الله صلى الله عليه و سلم من الطائف، راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف مر به نفر من الجن الذين ذكر الله تعالى، فى كتابه و رسول الله صلى الله عليه و سلم بنخله «٣» قد قام من جوف الليل يصلى، فمر به أولئك نفر من الجن فيما ذكر ابن إسحاق قال: و هم فيما ذكر لى سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته و لوا إلى

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٤/ ١٣٩)، صحيح مسلم كتاب الجهاد (١١٢)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٩/ ٨٨)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٥٨٤٨)، فتح البارى لابن حجر (٧/ ١٦٦)، كنز العمال للمتقى الهنذى (٣١٩٨٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٩).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٣١).

(٣) بنخله: موضع على ليله من مكة، و كان بها لقريش و بنى كنانة بعض الطواغيت التى كانت تعظمها مع الكعبة لأنهم قالوا: أ جعلَ اللَّلهُ إِلَهًا وَاِحدًا فكانت لهم بيوت تعظمها و تطوف بها كطوافها بالكعبة. انظر الروض المعطار (ص ٥٧٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٤٩

قومهم منذرين، قد آمنوا و أجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه و سلم «١»، قال عز من قائل: وَاِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ

نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَشْتَمُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِيَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ [الأحقاف: ٢٩، ٣١].

### ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب

قال ابن إسحاق (٢): ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه و فراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه و يمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به (٣).

قال ربيعة بن عباد الدؤلي: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا، و أن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، و أن تؤمنوا بي و تصدقوني و تمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، و خلفه رجل أحول و ضيء له غديرتان، عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، و ما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان إن هذا يدعوكم إلى أن تسلكوا اللات و العزى من أعناقكم، و حلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطيعوه و لا تسمعوا منه. قال ربيعة: فقلت لأبي: من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما قال؟ قال: هذا عمه

(١) انظر الحديث في: صحيح البخارى (٢٤٠ / ٤)، سنن الترمذى (٣٣٧٩).

(٢) انظر: السيرة (٣٣ / ٢).

(٣) انظر الحديث في: الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٩٣ / ٢)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢٥٧ / ٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٥٠

عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب (١).

و عن غير ربيعة (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كندة فى منازلهم، فدعاهم إلى الله، و عرض عليهم نفسه، فأبوا عليه (٣). و أتى كلبا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله و عرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول لهم: «يا بنى عبد الله: إن الله قد أحسن اسم أبيكم». فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم (٤).

و عرض نفسه على بنى حنيفه فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم (٥).

ذكر الواقدي بإسناد له عن عامر بن سلمة الحنفى، و كان قد أسلم فى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: نسأل الله عز و جل، أن لا يحرمنا الجنة، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ و بمجنة و بذى المجاز يدعوننا إلى الله عز و جل، و أن نمنع له ظهره حتى يبلغ رسالات ربه، و يشرط لنا الجنة، فما استجبنا له و لا ردنا جميلا، لقد أفحشنا عليه و حلم عنا. قال عامر: فرجعت إلى حجر فى أول عام فقال لى هوذة بن على: هل كان فى موسمكم هذا خبر؟ فقلت: رجل من قريش يطوف على القبائل، يدعوهم إلى الله وحده، و إلى أن يمنعوا ظهره حتى يبلغ رسالته ربه و لهم الجنة. فقال هوذة: من أى قريش؟ قلت: هو من أوسطهم نسبا من بنى عبد المطلب.

قال هوذة: أ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ قلت: هو هو. قال: أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا، فقلت: هاهنا قط من بين البلدان؟ قال: و غير ما هاهنا.

ثم وافيت السنة الثانية فقدمت حجرا، فقال: ما فعل الرجل؟ فقلت: رأيته على حاله في العام الماضي. قال: ثم وافيت في السنة الثالثة و هي آخر ما رأيته، و إذا بأمره قد أمر،

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٩٢، ٤٩٣)، مستدرک الحاكم (١/ ١٥)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٣٥)، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٨).

(٢) ذكر في السيرة (٢/ ٣٤) هذا الحديث عن ابن شهاب الزهري.

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٩)، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٦).

(٤) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤١٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٩)، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٦).

(٥) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٩)، تاريخ الطبري (١/ ٥٥٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٥١

و إذا ذكره كثير في الناس، و أسمع أن الخزرج تبعته، فقدمت حجرا، فقال لي هوذة: ما فعل الرجل؟ فقلت: رأيت أمره قد أمر و رأيت قومه عليه أشداء. فقال هوذة: هو الذي قلت لك، و لو أنا تبعناه كان خيرا لنا، و لكننا نضن بملكنا. و كان قومه قد توجهوا و ملكوه. قال عامر: فمر بي سليط بن عمرو العامري، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى هوذة، فضيفته و أكرمته و أخبرني من خبر هوذة، أنه لم يسلم، و قد رد ردا دون رد. قال:

فأخبرت سليطا خبري لهوذة، فأخبره سليط رسول الله صلى الله عليه و سلم و أسلم عامر بن سلمة، و مات هوذة بن علي سنة ثمان من الهجرة كافرا على نصرانته. و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى عبس إلى الإسلام فلم يقبلوا.

قال أبو وابصة العبسي فيما ذكر الواقدي: جاءنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في منزلنا بمنى، فدعانا إلى الله، فو الله ما استجبنا له، و ما خير لنا، و كان معنا ميسرة بن مسروق العبسي فقال لنا: أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل و حملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأي. فقال له القوم: من بين العرب نفعل هذا؟ قال: نعم من بين العرب، فأحلف بالله ليظهرن أمره، حتى يبلغ كل مبلغ. فقال له القوم: دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به.

و طمع رسول الله صلى الله عليه و سلم في ميسرة، فكلمه، فقال ميسرة: ما أحسن كلامك و أنوره، و لكن قومي يخالفونني، و إنما الرجل بقومه. فانصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم و خرج القوم صادرين إلى أهلهم، فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فدك فإن بها يهود، نسألهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود، فأخرجوا سفرا لهم فوضعوه، ثم درسوا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم، الأمي العربي يركب الحمار و يجتري بالكسرة، و ليس بالطويل و لا بالقصير، و لا بالجعد و لا بالبسط، في عينه حمرة مشرب اللون. قالوا: فإن كان هذا الذي دعاكم فأجيبوه، و ادخلوا في دينه، فإننا نحسده و لا نتبعه و لنا منه في مواطن بلاء عظيم، و لا يبقى في العرب أحد إلا تبعه أو قتله، فكونوا ممن يتبعه.

قال ميسرة: يا قوم و الله ما بقى شيء، إن هذا الأمر بين. قال القوم: نرجع إلى الموسم و نلقاه، و نرجع القوم إلى بلادهم، فأبى ذلك عليهم رجالهم، فلم يتبعه أحد منهم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة مهاجرا و حج حجة الوداع لقيه ميسرة، فعرفه فقال: يا رسول الله، و الله ما زلت حريصا على اتباعك منذ يوم رأيتك أنخت بنا حتى

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٥٢

كان ما كان، و أبي الله عز و جل، إلا ما ترى من تأخر إسلامي، و قد مات عامة النفر الذين كانوا معي، فأين مدخلهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من مات على غير الإسلام فهو في النار». فقال ميسرة: الحمد لله الذي تنقذني. فأسلم، فحسن إسلامه، و كان له عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مكان.

وعن ابن إسحاق (١): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، و عرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أ رأيت إن تابعتك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء». قال: أ فنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك (٢).

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم موسمهم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه بنى، يدعوننا إلى أن نمعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بنى عامر، هل لنا من تلاف، هل لذنا بها من مطلب؟ (٣) و الذى نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلى قط و إنها لحق، فأين رأسكم كان عنكم؟!.

وزاد الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قام عن بنى عامر وانصرف إلى راحلته ليركبها أتاه ببحرة، و نسبه الواقدي: ببحرة بن عبد الله بن سلمة، و رجلا معه فنخسوا به راحلته حتى سقط عنها، و يقال: قطعوا بطان راحلته.

قال: فقامت امرأة منهم يقال لها: ضباعة بنت قرط، و كانت قد أسلمت و كانت تحت عبد الله بن جدعان، فكرهته ففارقها و خلف عليها بعده هشام بن المغيرة، و هى أم ابنه سلمة، و صاحت: يا بنى عامر أ يؤذى محمد و أنا شاهدة؟! فقام إليهم غظيف

(١) انظر: السيرة (٢/ ٣٤-٣٥).

(٢) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٣٩، ١٤٠)، تاريخ الطبرى (١/ ٥٥٦).

(٣) قال السهيلي فى الروض الأنف (٢/ ١٨١): هو مثل يضرب لما فاته منها، و أصله: من ذنابى الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذنابه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٥٣

و غطفان ابنا سهيل و عذرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير، فضربوهم حتى هزموهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم صنعوا ما صنعوا: اللهم بارك على هؤلاء، و العن هؤلاء الآخريين. فأسلم الذين بارك عليهم جميعا و مات الذين لعن و هم كفار.

و ذكر الواقدي أيضا، من حديث جهم بن أبى جهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على بنى عامر يدعوهم إلى الله، فقام رجل منهم فقال له: عجبا لك و الله، أعيالك قومك ثم أعيالك أحياء العرب كلها، حتى تأتينا و تردد علينا مرة بعد مرة! و الله لأجعلنك حديثا لأهل الموسم.

و نهض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان جالسا فكسر الله عز وجل ساقه، فجعل يصيح من رجليه، و انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه. قال الواقدي بإسناد ذكره: و أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم غسان فى منازلهم بعكاظ، و هم جماعة كثيرة، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله تعالى، أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا.

قال: و أن تمنعوا لى ظهري حتى أبلغ رسالات ربي و لكم الجنة. فقال رجل منهم:

هذا و الله يا قوم الذى تذكر النصارى فى كتبها و الذى يقولون: بقى من الأنبياء نبى اسمه أحمد، فتعالوا تؤمن به و تتبعه فنكون من أنصاره و أوليائه، فإنهم يزعمون أنه يظهر على ما بلغ الخف و الحافر، فيجتمع لنا شرف الدنيا مع ما يكون بعد الموت.

قال القوم: فنكون نحن أول العرب دخل فى هذا الأمر فتنصب لنا العرب قاطبة و يبلغ ملوك بنى الأصفر فيخرجوننا من ديارهم، و لكننا نقف عنه و ننظر ما تصنع العرب، ثم ندخل فيما يدخل فيه الناس.

قال الرجل: يا محمد تأبى عشيرتى أن يتبعوا قولى فيك، و لو أطاعونى رشدوا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذه القلوب

بيد الله عز و جل. فانصرف عنهم، ثم عاد بعد ذلك إليهم فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: نرجع إلى من وراءنا ثم نلقاك قابلا. فرجعوا فوفد منهم نفر إلى الحارث بن أبي شمر، فذكروا له أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال الحارث: إياكم أن يتبعه رجل منكم، إذا بييد ملكي من الشام و يتهمني هرقل. قال: فأمسكوا عن ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال: و أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى محارب بن خصفة بعكاظ فوجدهم في محالهم فيهم شيخ منهم و هو جالس في أصحابه، فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن راحلته و دعا إلى الله الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٢٥٤

و طلب المنعة حتى يبلغ رسالات ربه، فرد على رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبح الرد و قال له: عجبا لك! يا أبا قومك أن يتبعوك، و تأتي إلى محارب تدعوهم إلى ترك ما كان عليه آباؤهم! اذهب فإنه غير متبعك رجل من محارب آخر الدهر. و يقبل إليه سفیه منهم فقال: يا محمد، ما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقا؟ فلعمري إنك لتدعى من العلم أعظم مما سألتك عنه، تزعم أن الله يوحى إليك و يكلمك.

فأسكت عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أقبل إليه رجل منهم يقال له: سلمة بن قيس، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم جالسا قريبا من منزلهم، فأراد أن يطرحه في البئر، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فتنحى عن البئر، فجعل سلمة يقول: لو وقعت في البئر استراح منك أهل الموسم. و أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بزمام راحلته يقودها و هم يرمونها بالحجارة حتى توارى عنهم و هو يقول: «اللهم إنك لو شئت لم يكونوا هكذا، و إن قلوبهم بيدك و أنت أعلم بهم، فإن كان هذا عن سخط بك على فلک العتبي، و لا حول و لا قوة إلا بك».

و ذكر قاسم بن ثابت بن حزم العوفى من حديث عبد الله بن عباس، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه قال: لما أمر الله رسوله صلى الله عليه و سلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج و أنا معه و أبو بكر الصديق؛ حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم و كان رجلا نسابه و مقدا في كل خير، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال:

و من رأى ربيعة؟ أمن هامتها أم من لهازمها: قالوا: بل من هامتها العظمى، قال: و أى هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذهل الأكبر «١».

فذكر الحديث فى مناسبة أبى بكر إياهم و مقاولته لهم، و انبراء دغفل بن حنظلة النسابة إليهم من بينهم و هو يومئذ غلام حين بقل وجهه، و موافقته لأبى بكر، حتى اجتذب أبو بكر زمام الناقة و رجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو حديث مشهور تركته لشهرته، مع أن المقصود فيما بعده.

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة و الوقار، فتقدم أبو بكر فسلم و كان مقدا فى كل خير، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقال: بأبى أنت و أمى هؤلاء غرر فى قومهم. و فيهم مفروق بن عمرو و هانئ بن قبيصة و المثنى بن حارثة و النعمان بن شريك، و كان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا و لسانا، و كانت له غدیرتان تسقطان على تربيتيه و كان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر.

(١) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ١٨٤-١٨٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٢٥٥

فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لتزيد على ألف و لن تغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد و لكل قوم جد، قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، و إنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، و إنا لثوثر الجياد على الأولاد و السلاح على اللقاح و النصر من عند الله، يدلينا مرة و يدلي



علينا، لعلك أخو قريش؟.

فقال أبو بكر: أو قد بلغكم أنه رسول الله؟ فيها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله، وإلى أن تتؤنى و تنصرونى، فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله و كذبت رسوله، و استغنت بالباطل عن الحق، و الله هو الغنى الحميد».

فقال مفروق: و إلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِبَائَهُمْ وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الأنعام: ١٥١].

فقال مفروق: و إلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الَّتِي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠].

فقال مفروق: دعوت و الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال، و لقد أفكك قوم كذبوك و ظاهروا عليك. و كأنه أراد أن يشركه فى الكلام هانى بن قبيصة.

فقال: و هذا هانى بن قبيصة شيخنا و صاحب ديننا.

فقال هانى: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، و إنى أرى أن تركنا ديننا و اتباعنا إياك على دينك، لمجلس جلسته إلينا ليس له أول و لا آخر، زلة فى رأى و قلة نظر فى العاقبة، و إنما تكون الزلة مع العجلة، و من ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا، و لكن ترجع و نرجع و تنظر و ننظر. و كأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال:

و هذا المثنى بن حارثة شيخنا و صاحب حربنا.

فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، و الجواب هو جواب هانى بن قبيصة

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٥٦

فى ترك ديننا و اتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول و لا آخر و إنما منزلنا بين صريى اليمامة و السمامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان؟ فقال: أنهار كسرى و مياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور و عذره غير مقبول، و أما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور و عذره مقبول، و إنا إنما نزلنا على عهد أخذنا علينا كسرى أن لا نحدث حدثا و لا نؤوى محدثا، و إنى أرى أن هذا الأمر الذى تدعوننا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن تؤويك و نصرك مما يلى مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق، و إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أ رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم و ديارهم و أموالهم و يفرشكم نساءهم أ تسبحون الله و تقدسونه؟» فقال النعمان: اللهم لك ذا.

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَازُنِيهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب: ٤٥]. ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن، أية أخلاق فى الجاهلية! ما أشرفها! بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض و بها يتحاجزون فيما بينهم «١».

قال ابن إسحاق «٢»: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله و إلى الإسلام و يعرض عليهم نفسه و ما جاء به من الله تعالى من الهدى و الرحمة، و لا يسمع بقادم مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله و عرض عليه ما عنده.

و قدم سويد بن صامت «٣» أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الله و



إلى الإسلام فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي.

(١) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٣٥).

(٣) هو: سويد بن الصامت الأوسى، لقي النبي صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز من مكة في حجة حجها سويد على ما كانوا يحجون عليه في الجاهلية. انظر ترجمته في: الاستيعاب (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦) الترجمة رقم (١١٢١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٥٧

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان «١»، يعنى حكمة لقمان.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعرضها على فعرضها عليه. فقال: «إن هذا الكلام حسن و الذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله على هو هدى و نور».

فتلا عليه القرآن و دعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، و قال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل بعث. فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لراه قد قتل و هو مسلم «٢».

و كان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده و شعره و شرفه و نسبه و هو القائل: الاكتفاء، الكلاعى ج ١ ٢٥٧ ذكر عرض رسول

الله صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب ..... ص : ٢٤٩

ألا رب من تدعو صديقا و لو ترى مقاتله بالغيب ساءك ما يفرى

مقالته كالشهد ما كان شاهداو بالغيب مأثور على ثغرة النحر

يسرك باديه و تحت أديمه نيمه غش تبرى عقب الظهر «٣»

تبين لك العينان ما هو كاتم من الغل و البغضاء بالنظر الشزر

فرشنى بخير طال ما قد برينتى و خير الموالى من يريش و لا يبرى و لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة و معه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: هل لكم فى خير مما جئتم له؟ فقالوا له: و ما ذاك؟ قال:

أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أذعهم إلى أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئا و أنزل على الكتاب. ثم ذكر لهم الإسلام و تلا عليهم القرآن.

(١) قال السهيلي فى الروض الأنف (٢/ ١٨٣): مجلة لقمان و هى الصحيفة و كأنها مفصلة من الجلال و الجلالة: أما الجلالة فمن صفة المخلوق، و الجلال من صفة الله تعالى و قد أجاز بعضهم أن يقاس المخلوق: جلا و جلالة و أنشد:

فلا ذا جلال هبته لجلاله و لا ذا ضياع هن يتركن للفقر و لقمان كان نوبيا من أهل آئله، و هو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا و ابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج و غيره، و قد قيل فى اسمه غير ذلك، و ليس بلقمان بن عاد الحميرى. انتهى.

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٤١٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٤٧).

(٣) ذكر هذا البيت ابن عبد البر فى الاستيعاب (٢/ ٢٣٦) فذكر شرطه الأول كما ورد هنا أما الثانى:

...منحية شر يفترى عقب الظهر و انظر الأبيات أيضا فى أسد الغابة الترجمة رقم (٢٣٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٥٨

فقال إياس بن معاذ، و كان غلاما حدثا: أى قوم، هذا و الله خير لكم مما جئتم له.

فياخذ أبو الحيسر جفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس و قال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، و قام عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و انصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بعث بين الأوس و الخزرج «١».

ثم لم يلبث إياس أن هلك، فأخبر من حضر من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله و يكبره و يحمده و يسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم ما سمع.

### بدء إسلام الأنصار و ذكر العقبة الأولى

قال ابن إسحاق «٢»: فلما أراد الله إظهار دينه و إعزاز نبيه و إنجاز موعوده له، خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في الموسم الذي لقي فيه نفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالى يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله و عرض عليهم الإسلام و تلا عليهم القرآن.

و كان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، و كانوا أهل كتاب و علم، و كانوا هم أهل شرك و أصحاب أوثان، و كان قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: «إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد و إرم».

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه و سلم أولئك نفر و دعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا و الله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه.

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٥/٤٢٧)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٢٠، ٤٢١)، المستدرک للحاكم (٣/١٨٠، ١٨١).

(٢) انظر: السيرة (٢/٣٨).

الافتاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٥٩

فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام و قالوا له: إنا تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا و صدقوا «١».

و هم فيما ذكر لي «٢»، ستة نفر من الخزرج: منهم من بنى النجار: أسعد بن زرارة أبو أمامة «٣»، و عوف بن الحارث بن رفاعه و هو ابن عفراء «٤». و من بنى زريق: رافع بن مالك بن العجلان «٥»، و من بنى سلمة: قطبة بن عامر بن حديده «٦» و عقبه بن عامر بن نابی «٧»، و جابر بن عبد الله بن رئاب «٨».

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم؛ فلم يبق دار من دور الأنصار إلا و فيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه و سلم.

حتى إذا كان العام المقبل وافي الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فيهم من الستة المسمين قبل: أبو أمامة و عوف و رافع و قطبة و عقبه، و من غير الستة من الخزرج أيضاً:

(١) انظر الحديث في: عيون الأثر لابن سيد الناس (١/٢٦٢)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٣٣، ٤٣٤)، تاريخ الطبري (١/٥٨٨).

(٢) انظر: السيرة (٢/٣٩ - ٤٠).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٠)، الإصابة الترجمة رقم (١١١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٩٨).

- (٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٢٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤١٢٨).
- (٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٧٣٩)، الإصابة الترجمة رقم (٢٥٥٠)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٥٩٨)، الثقات (٣/ ١٢٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٧٤)، تقريب التهذيب (١/ ٢٤١)، الجرح و التعديل (٣/ ٢١٥٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٢)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٩)، دائرة معارف الأعلمى (١٨/ ٢٠٢).
- (٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢١٤٠)، الإصابة الترجمة رقم (٧١٧٣)، أسد الغابة الترجمة (٤٣٠٨)، الثقات (٣/ ٣٤٧)، الطبقات الكبرى (٩/ ١٥٩)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٥)، الاستبصار (١٦٣).
- (٧) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٨٤٤)، الإصابة الترجمة رقم (٥٦١٩).
- (٨) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٨٩)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٢٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٤٦)، طبقات خليفة الترجمة رقم (٦٢٣)، التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٧)، الجرح و التعديل (٢/ ٤٩٢)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (٢٥)، تهذيب الكمال (١٨٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٤٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٠)، تذهيب التهذيب (١/ ٩٩)، خلاصة تذهيب الكمال (٥٠)، شذرات الذهب (١/ ٨٤)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٨٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦٠

ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقى «١»، و عبادة بن الصامت «٢»، و يزيد بن ثعلبة «٣» من بنى غصين من بلى حليف لهم، و العباس بن عبادة بن نضلة العجلانى «٤»، و معاذ بن الحارث بن رفاعه «٥»، و هو ابن عفراء، و من الأوس: أبو الهيثم بن مالك بن التيهان «٦»، و عويم بن ساعدة «٧»، فلقوه بالعقبه، و هى العقبة الأولى.

قال عبادة بن الصامت: كنت ممن حضر العقبة الأولى، و كنا اثنى عشر رجلا، بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على بيعه النساء و ذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا، و لا نسرق و لا نزنى و لا نقتل أولادنا و لا نأتى بهتانا نفتريه بين أيدينا و أرجلنا و لا نعصيه فى معروف. قال: «فإن وفيتم فلکم الجنة، و إن غشيتم من ذلك شيئا فأصبتكم بحد فى الدنيا فهو كفارة له، و إن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب و إن شاء غفر» «٨».

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٧١٠)، الإصابة الترجمة رقم (٢٤٤٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٥٣١)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٦٧)، الوافى بالوفيات (١٤/ ٣٨)، الاستبصار (٤٧)، الجرح و التعديل (٣/ ٢٠٣٨).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٨٠)، الإصابة الترجمة رقم (٤٥١٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٧٩١).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٧٩١)، الإصابة الترجمة رقم (٩٢٤١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٥٣٦)، الثقات (٣/ ٤٤٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٣٥)، الطبقات الكبرى (١/ ٢٢٠).

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٨٥)، الإصابة الترجمة رقم (٢٥٢٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٧٩٨)، الوافى بالوفيات (١٦/ ٦٣٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٩٥)، الثقات (٣/ ٢٨٨).

(٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٤٥٠)، الإصابة الترجمة رقم (٨٠٦٨).

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٤٦)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٦٨٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٣٣١)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢١٠)، التاريخ لابن معين (٢/ ١٤٨)، تنقيح المقال (٣/ ٢٤).

(٧) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٧٥)، الإصابة الترجمة رقم (٦١٢٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤١٣٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ٣٠)، مشاهير علماء الأمصار (١٠٧)، حلية الأولياء (٢/ ١١)، تهذيب الكمال (١٠٦٨)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٧٤)، خلاصة تذهيب الكمال (٣٠٦).

(٨) انظر الحديث في: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (٣٨٩٢، ٣٨٩٣)، صحيح-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦١

قال ابن إسحاق (١): «فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الإسلام و يفقههم فى الدين، فكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة، و كان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبى أمامة، و كان يصلى بهم، و ذلك أن الأوس و الخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض (٢)».

### إسلام سعد بن معاذ و أسيد بن حضير على يدى مصعب بن عمير رضى الله عنه

ذكر ابن إسحاق عن سمي من شيوخه (٣) أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل و دار بنى ظفر، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر، فجلسا فيه و اجتمع إليهما رجال ممن أسلم. فلما سمع بذلك سعد بن معاذ (٤) و أسيد بن حضير (٥) و هما يومئذ سيدا قومهما بنى عبد الأشهل، و كلاهما مشرك على دين قومه، قال سعد لأسيد: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما و انههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لو لا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي و لا أجد عليه مقدا.

- مسلم كتاب الحدود (٣/ ٤٣)، مسند الإمام أحمد (٥/ ٣١٦)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٢٤٦، ٢٤٧)، مستدرک الحاكم (٢/ ٦٢٤).

(١) انظر: السيرة (٢/ ٤٣).

(٢) انظر الحديث في: تاريخ الطبرى (١/ ٥٥٩)، فتح البارى لابن حجر (٧/ ٢٦٤).

(٣) انظر: السيرة (٢/ ٤٤).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٩٦٣)، الإصابة الترجمة رقم (٣٢١٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٠٤٦)، طبقات خليفة (٧٧)، التاريخ الكبير (٤/ ٦٥)، الجرح و التعديل (٤/ ٩٣)، تهذيب الكمال (٤٧٧)، العبر (١/ ٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨١)، خلاصة تهذيب الكمال (٦٣٥)، شذرات الذهب (١/ ١١).

(٥) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٥٤)، الإصابة الترجمة رقم (١٨٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٧٠)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢١)، تهذيب الكمال (١/ ١١٣)، تقريب التهذيب (١/ ٧٨)، خلاصة تهذيب الكمال (١/ ٩٨)، الوافى بالوفيات (٩/ ٢٥٨)، سير الإعلام (١/ ٢٩٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٧)، الجرح و التعديل (٢/ ١١٦٣)، الأنساب (١/ ٢٧٨)، الرياض المستطابة (٢٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦٢

فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه. قال: فوقف عليهما متشمتا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته و إن كرهته كف عنك ما تكره. قال: أنصفت، ثم ركز حربته و جلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام و قرأ عليه القرآن، فقالا فيما ذكر عنهما: و الله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه و تسهله، ثم قال: ما أحسن هذا و أجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر و تطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى.

فقام فاغتسل و طهر ثوبيه و تشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما:

إن ورائي رجال- إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إليكما الآن، سعد ابن معاذ. ثم انصرف إلى سعد و قومه و هم جلوس فى ناديبهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما وقف على النادى قال له

سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا، و قد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت. و قد حدث أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، و ذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك «١».

فقام سعد مغضبا مبادرا متخوفا للذي ذكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربه من يده ثم قال: و الله ما أراك أغنيت شيئا. ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتا ثم قال: يا أبا أمامه، و الله لو لا ما بيني و بينك من القرابة ما رمت هذا مني، أغشانا في دارينا بما نكره!

و قد قال أسعد لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك و الله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا و رغبت فيه قبلته و إن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربه و جلس، فعرض عليه الإسلام و قرأ عليه القرآن.

قالا: عرفنا و الله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه و تسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم و دخلتم في هذا الدين؟

قالا: نغتسل فتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين. فقام فاغتسل

(١) ليخفروك: أخفروه أي نقض عهده و خاس به و غدره، و أخفر الذمة لم يف بها.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٦٣

و طهر ثوبيه و تشهد شهادة الحق و ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادى قومه و معه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا، أفضلنا رأيا و أيمننا نقيبه «١». قال: فإن كلام رجالكم و نسائك حرام على حتى تؤمنوا بالله و رسوله.

قال: فو الله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل و لا امرأة إلا مسلما أو مسلمة.

و رجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا و فيها رجال و نساء مسلمون «٢»، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد و خطمة و وائل و واقف، و تلك أوس الله، و هم من الأوس بن حارثة.

و ذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت «٣» و كان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه و يطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم و مضى بدر و أحد و الخندق، و قال فيما رأى من الإسلام و ما اختلف الناس فيه من أمره:

أرب الناس أشياء المت يلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس إما إن ضللنا فيسرنا لمعروف السبيل

فلو لا ربنا كنا يهودا ما دين اليهود بذي شكول «٤»

و لو لا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل

و لكننا خلقنا إذ خلقنا حيفا ديننا عن كل جيل «٥»

نسوق الهدى ترسف مدعنات مكشفة المناكب في الجلول

(١) أيمننا نقيبه: النقيبه أيمن النعل، و قال ابن بزرج: اللهم نقيبه أي نفاذ رأى، و رجل ميمون النقيبه:

مبارك النفس، مظفر بما يحاول. انظر: اللسان (مادة نقب).

(٢) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٤٢).

(٣) انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٢٦).

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف: شكول جمع شكل، و شكل الشيء بالفتح هو مثله، و الشكل بالكسر الدل و الحسن، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول أى: ليس له نظير في الحقائق و لا مثيل يعضده من الأمر بالمعروف المقبول.

(٥) خنيفا: من حنف إذا مال، أى مائلا عن الأديان الباطلة، و الميل هو الصنف من الناس.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦٤

### ذكر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق (١): «ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، و خرج من خراج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله ما أراد من كرامته و النصر لنبيه و إعزاز الإسلام و أهله و إذلال الشرك و أهله.

حدث كعب بن مالك (٢)، و كان ممن شهد العقبة و بايع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين و قد صلينا و فقهننا، و معنا البراء بن معرور (٣) سيدنا و كبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا و خرجنا من المدينة قال لنا البراء: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيا و والله ما أدري أ توافقوني عليه أم لا. فقلنا: و ما ذاك؟ قال: رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر، يعنى الكعبة، و أن أصلى إليها. فقلنا: و الله ما بلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام، و ما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها. فقلنا له: لكننا لا نفعل.

فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام و صلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، فلما قدمناها و قد كنا عينا عليه ما صنع، قال لى: يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فإنه و الله لقد وقع فى نفسى منه شيء لما رأيت من خلافكم إياى فيه، فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و كنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عنه فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. فقال: هل تعرفان العباس عمه؟ قلنا: نعم. و قد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرا.

قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه و هذا كعب بن مالك، فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم:

(١) انظر: السيرة (٢/ ٤٨ - ٤٩).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٢٣١)، الإصابة الترجمة رقم (٧٤٤٧)، شذرات الذهب (١/ ٥٦)، تهذيب الكمال (١١٤٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٠، ٤٤١)، خلاصة تهذيب الكمال (٣٢١)، طبقات خليفة (١٠٣).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٧١)، الإصابة الترجمة رقم (٦٢٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٩٢)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٦)، شذرات الذهب (١/ ٩)، العبر (٣/ ١)، الاستبصار (١٤٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦٥

الشاعر؟ قال: نعم. فقال له البراء بن معرور: يا نبى الله، إني خرجت فى سفرى هذا و قد هدانى الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، و خالفنى أصحابى فى ذلك، حتى وقع فى نفسى منه شيء فما ذا ترى يا رسول الله؟



قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه و سلم و صلى معنا إلى الشام. قال: و أهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، و ليس كما قالوا، نحن أعلم به منهم «١».

قال كعب «٢»: ثم خرجنا إلى الحج و واعدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج و كانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم لها، و معنا عبد الله بن عمرو بن حرام «٣»، أبو جابر، سيد من ساداتنا أخذناه معنا و كنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا فكلمناه و قلنا: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا و شريف من أشرافنا، و إنا نرغب بك أن تكون حطبا للنار غدا.

ثم دعواناه إلى الإسلام و أخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه و سلم إيانا العقبة، فأسلم و شهد معنا و كان نقيبا. فمنا تلك الليلة مع قومنا في رجالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه و سلم نتسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة و نحن ثلاثة و سبعون رجلا و معنا امرأتان من نساتنا، نسيبة بنت كعب أم عماره «٤»، إحدى نساء بنى مازن بن النجار، و أسماء بنت [عمرو بن عدى بن نابتى] «٥»، أم منيع «٦»، إحدى نساء بنى سلمه، فاجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى جاءنا و معه العباس و هو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له.

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٦١)، صحيح ابن خزيمة (٤٢٩)، الهيثمى فى المجمع (٦/ ٤٢، ٤٣).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٤٩ - ٥٠).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٦٣٣)، الإصابة الترجمة رقم (٤٨٥٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٠٨٦)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٢٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٠٥)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٤)، حلية الأولياء (٢/ ٤)، الأعلام (٤/ ١١).

(٤) انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٦٢٤)، الإصابة الترجمة رقم (١٢١٨٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٧٥٥٠)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٧٤)، خلاصة تذهيب الكمال (٤٩٩).

(٥) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «عدى بن عمرو»، و التصحيح من السيرة و الاستيعاب.

(٦) انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٦٣)، الإصابة الترجمة رقم (٦٧١٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٢٧٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٦٦

فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج، و كانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج، خزرجهما و أوسها، إن محمدا منا حيث قد علمتم و قد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه و منعة فى بلده، و إنه قد أبى إلا- الانحياز إليكم و اللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه و مانعوه ممن خالفه فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز و منعة من قومه و بلده. فقلنا له: قد سمعنا ما قلت. فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فتلا- القرآن و دعا إلى الله و رغب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم و الذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن و الله أهل الحروب و أهل الحلقة و رثناها كابرنا عن كابر.

فاعترض القول، و البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا و بين الرجال حبلا و نحن قاطعوها، يعنى اليهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟.

قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: بل الدم الدم، و الهدم الهدم، أنا منكم و أنتم منى، أحارب من حاربتكم و أسالم من



سالمتم. قال كعب: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، من الخزرج: أبو أمامة أسعد بن زرارة، و سعد بن الربيع «١»، و عبد الله بن رواحة «٢»، و رافع بن مالك

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٩٣٦)، الإصابة الترجمة رقم (٣١٦١)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٩٩٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ٧٧)، تاريخ خليفة (٧١)، الجرح و التعديل (٤/ ٨٢-٨٣)، الاستبصار (١١٤).  
 (٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٥٤٨)، الإصابة الترجمة رقم (٤٦٩٤)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٩٤٣)، الثقات (٣/ ٢٢١)، حلية الأولياء (١/ ١١٨، ١٢١)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٢)، تهذيب الكمال (٢/ ٦٨١)، تقريب التهذيب (١/ ٤١٥)، خلاصة تذهيب (٢/ ٥٥)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٦٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٠)، الأعلام (٤/ ٨٦).  
 الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٦٧

ابن العجلان، و البراء بن معرور، و عبد الله بن عمرو بن حرام، و عبادة بن الصامت، و سعد بن عبادة بن دليم «١»، و المنذر بن عمرو «٢». و من الأوس: أسيد بن حضير، و سعد ابن خيثمة «٣»، و رفاعه بن عبد المنذر «٤». قال ابن هشام «٥»: و أهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان و لا يعدون رفاعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، و أنا كفيل على قومي»، قالوا: نعم «٦».

و حدث «٧» عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة، أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج: هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تباعون على حرب الأحمر، و الأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة و أشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو و الله إن فعلتم خزي الدنيا و الآخرة، و إن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال و قتل الأشراف فهو و الله خير الدنيا و الآخرة، قالوا: فإننا

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٩٤٩)، الإصابة الترجمة رقم (٣١٨١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٠١٢)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٢)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (٢٠١)، تهذيب الكمال (٤٧٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٧٥)، خلاصة تذهيب الكمال (٢١٣٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٨).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٥٢٣)، الإصابة الترجمة رقم (٨٢٤٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥١١٤)، الثقات (٣/ ٣٨٦)، الاستبصار (١٠٠)، الأعلام (٧/ ٢٩٤)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٩٥).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٩٣٤)، الإصابة الترجمة رقم (٣١٥٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٩٨٦)، شذرات الذهب (١/ ٩)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٦)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٢١٦)، الأعلام (٣/ ٨٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢١٣).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٧٨٠)، الإصابة الترجمة رقم (٢٦٧٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٦٩٢)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء (١/ ١٣٥، ١٨٥)، الوافي بالوفيات (١٤/ ١٧١)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٢)، تقريب التهذيب (١/ ٢٥١)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٦)، خلاصة تذهيب (١/ ٣٢٧).

(٥) انظر: السيرة (٢/ ٥٤).

(٦) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٦٢)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٩٢)، تاريخ الطبري (١/ ٥٦٢، ٥٦٣).

(٧) انظر: السيرة (٢/ ٥٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٦٨

نأخذ على مصيبة الأموال و قتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن و فينا؟  
قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك. فبسط يده فبايعوه «١».

قال عاصم: و الله، ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه و سلم في أعناقهم.

و قال غيره: ما قاله إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم. فإله أعلم أى ذلك كان.

قال ابن إسحاق «٢»: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، و بنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

و فى حديث معبد بن كعب عن أخيه عبد الله، عن أبيه قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم البراء بن معروف، ثم بايع القوم، فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صرح الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباب، و هى المنازل، هل لكم فى مذمم و الصباء معه قد اجتمعوا على حربكم.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هذا أذب العقبة هذا ابن أزيب، و يقال ابن أزيب، أسمع أى عدو الله، أما و الله لأفرغن لك»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ارفضوا إلى رحالكم»، فقال له العباس بن عباد بن نضلة: و الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لم أومر بذلك، و لكن ارجعوا إلى رحالكم». فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، و تبايعونه على حربنا، و إنه و الله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا و بينهم منكم. فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء، و ما علمناه. و صدقوا، لم يعلموه، و بعضنا ينظر إلى بعض.

ثم قام القوم و فيهم الحارث بن هشام المخزومى «٣»، و عليه نعلان له جديدان فقلت

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٤٨)، مسند الإمام أحمد (٤/ ١١٩، ١٢٠)، تاريخ الطبرى (١/ ٥٦٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٦٢).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٥٦-٥٧).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٤٥٢)، الإصابة الترجمة رقم (١٥٠٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٩٧٩)، تهذيب الكمال (٢٢٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١١٦)، خلاصة تهذيب الكمال (٦٩)، تهذيب ابن عساكر (٤/ ٨)، العقد الثمين (٤/ ٣٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٦٩

له كلمة، كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر ما تستطيع و أنت سيد من ساداتنا أن تتخذ مثل نعلى هذا الفتى من قريش؟! فسمعها الحارث فخلعهما من رجله، ثم رمى بهما إلى فقال: و الله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت و الله الفتى، فاردد إليه نعليه. قلت: و الله لا أردهما، فأل و الله صالح، و الله لئن صدق الفأل لأسلبنه «١».

و فى حديث غير كعب أنهم أتوا عبد الله بن أبي سلول، فقالوا: مثل ما ذكر كعب من القول، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا، و ما علمته كان، فانصرفوا عنه.

و نفر الناس من منى، فتنطس «٢» القوم الخبر، فوجدوه قد كان، و خرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بأذخر و المنذر بن عمرو أخوا بني ساعدة، و كلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجز القوم، و أما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج «٣» رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة، يضربونه و يجذبونه بجمته، و كان ذا شعر كثير.

قال سعد: فوالله، إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلو من الرجال، قال فقلت فى نفسى: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا، فلما دنا منى، رفع يده فلكمنى لكمة شديدة، فقلت فى نفسى: لا والله، ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى إلى رجل ممن معهم، فقال لى: ويحك! أما بينك و بين أحد من قريش تجارة و لا عهد؟ فقلت: بلى و الله لقد كنت أجزى لجبير بن مطعم تجارة و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى، و للحارث بن حرب ابن أمية. قال: و يحك فاهتف باسم الرجلين و اذكر ما بينك و بينهما.

قال: ففعلت، و خرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما، و يذكر أن بينه و بينكما جوارا، قالا: و من هو؟ قال: سعد بن عبادَةَ، قالا: صدق و الله، إن كان ليجز لنا تجارنا و يمنعهم

(١) انظر الحديث فى: مستدرک الحاكم (٣/ ١٨١)، فتح البارى لابن حجر (٣/ ٢٦٢).

(٢) تنطس القوم: تنطس عن الأخبار أى بحث و كل مبالغ فى شىء متنطس و تنطست الأخبار تجسستها. انظر: اللسان (مادة تنطس).

(٣) النسج: هو سير يضفر على هيئة لأعنة النعال تشد به الرحال، و الجمع أنساع و نسوع و نسع، و القطعة منه نسعة، و قيل: هو سير مضفور يجعل زماما و غيره و قد تنسج عريضة تجعل على صدور البعير. انظر: اللسان (مادة نسج).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٧٠

أن يظلموا ببلده، قال: فجاء فخلصا سعدا من أيديهم، و كان الذى لكم سعدا سهيل ابن عمرو «١».

قال ابن هشام: و الذى أوى له أبو البحتري بن هشام.

قال ابن إسحاق «٢»: فكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب ابن مرداس «٣»، أخو بنى محارب بن فهر. قال:

تداركت سعدا عنوة فأخذته و كان شفاء لو تداركت منذرا

و لو نلته ظلت هناك جراحه و كان حقيقا أن يهان و يهدرا فأجابه حسان بن ثابت «٤» فقال:

و لست إلى عمرو و لا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلو لا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البرقاء يهوين حسرا

أ تفخر بالكتان لما لبسته و قد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصر

و لا تك كالثكلى و كانت بمعزل عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

و لا تك كالشاة التى كان حتفها بحفر ذراعها فلم ترض محفرا

و لا تك كالعاوى فأقبل نحره و لم يخشه سهم من النبل مضمرا

فإننا و من يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أرض خيبر قال «٥»: فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام، و فى قومهم بقايا من

شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم: عمرو بن الجموح، و كان ابنه معاذ شهد العقبة و بايع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و

كان عمرو سيدا من سادات بنى سلمة، و شريفا من أشرافهم، و كان

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٤٤، ٤٤٩)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٦٠، ٤٦٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٤٥)،

مستدرك الحاكم (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٥٨ - ٥٩).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٢٦٠)، الإصابة الترجمة رقم (٤١٩٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٥٦٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٧١)، الثقات (٣/ ٢٠٠)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٣٦٣)، تاريخ بغداد (١/ ٢٠٠).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب (١/ ٤٠٠) الترجمة رقم (٥٢٥)، الإصابة الترجمة رقم (١٧٠٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (١١٥٣).  
(٥) انظر: السيرة (٢/ ٦٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧١

قد اتخذ في داره صنما من خشب، يقال له: مناة، كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذها إليها يعظمه، و يطهره، فلما أسلم فتیان بنی سلمة، ابنه معاذ، و معاذ بن جبل في فتیان منهم ممن أسلم و شهد العقبة، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بنی سلمة، و فيها عذر الناس، منكسا على رأسه.

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم، من عدا على آلهتنا هذه الليلة، ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسله و طهره و طيبه، ثم قال: أما و الله، لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيتك، فإذا أمسى و نام عمرو، عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله و يطهره و يطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما، فغسله و طهره و طيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إني و الله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما أمسى و نام عمرو، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بنی سلمة فيها عذر من عذر الناس، و غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه.

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه، و كلمه من أسلم من قومه فقال حين أسلم و عرف من الله ما عرف يذكر صنمه ذلك، و ما أبصره من أمره، و يشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى و الضلالة:

و الله لو كنت إليها لم تكن أنت و كلب وسط بئر في قرن «١»

أف لملاقاك إليها مستدن الآن فتشناك من سوء الغبن «٢»

الحمد لله العلي ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتهن قال ابن إسحاق «٣»: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل بيعه العقبة لم يؤذن له في الحرب و لم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله تبارك و تعالی، و الصبر على الأذى و الصفا عن الجاهل، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتوهم عن دينهم و نفوهم

(١) القرن: بفتح القاف و الراء، قيل: هو شيء من لحاء شجر يفتل منه حبل، و قيل: الحبل من اللحاء، و قيل: هو الخصلة المفتولة من العهن.

(٢) مستدن: أي ذليل مستبعد، و قال السهيلي في الروض الأنف: هو من السدانة و هي خدمة البيت. و الغبن: يكون في الرأي تقول غبن رأى فلان كما تقول سفهت نفس فلان.

(٣) انظر: السيرة (٢/ ٧٤ - ٧٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٢

عن بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه و بين معذب في أيديهم و بين هارب في البلاد، منهم بأرض الحبشة، و منهم بالمدينة و في كل وجه.

فلما عتت قريش على الله وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، و كذبوا نبيه و عذبوا و نفوا من عبده و وحده و صدق نبيه و اعتصم بدينه، أذن الله تبارك و تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم في القتال و الامتناع و الانتصار ممن ظلمهم و بغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه في الحرب و إحلاله له الدماء و القتال لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير، و غيره من العلماء «١»، قول الله تبارك و تعالى: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا و إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ و لَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ و بِيَعُ و صِيَلَوَاتُ و مَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا و لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ و آتَوْا الزَّكَاةَ و أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ و نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ و لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ٣٩، ٤١].**

ثم أنزل الله عليه: **و قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ أَى حَتَّى لَا يَفْتِنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ و يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ [البقرة: ١٩٣] أَى و حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ لَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ.**

### بدء الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق «٢»: فلما أذن الله تبارك و تعالى لرسوله في الحرب، و بايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام و النصر له و لمن اتبعه و أوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أصحابه من قومه و من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة و الهجرة إليها و اللحق بإخوانهم من الأنصار، و قال: إن الله قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها، فخرجوا أرسالا و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة و الهجرة إلى المدينة «٣». فكان أول من هاجر إليها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من قريش من بنى مخزوم: أبو

(١) انظر الحديث في: سنن الترمذى (٣١٧١)، سنن النسائى الكبرى (٤١١ / ٦)، المستدرک للحاكم (٦٦ / ٢)، تفسير ابن كثير (٥ / ٤٣٠).

(٢) انظر: السيرة (٧٧ / ٢).

(٣) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣ / ١٦٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٧٣

سلمة بن عبد الأسد «١»، هاجر إليها قبل بيعه أصحاب العقبة بسنة، و كان قدم مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش و بلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا «٢».

قالت أم سلمة: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بغيره ثم حملنى عليه و حمل معى ابنى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى يقود بغيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أ رأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد؟! قالت: فترعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه، و غضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، فقالوا: لا و الله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. فتجادبوا بنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده! و انطلق به بنو عبد الأسد، و حبسنى بنو المغيرة عندهم، و انطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، ففرق بينى و بين زوجى و بين ابنى، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى، سنة أو قريبا منها. حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة! فرقتم بينها و بين زوجها و بين ولدها.

فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى، فارتحلت بغيرى ثم أخذت بنى فوضعتهم فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة و ما معى أحد من خلق الله، قلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى.

حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة «٣»، أخوا بنى عبد الدار، فقال: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى

بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت:

لا والله، إلا الله و بنى هذا! قال: والله مالك من مترك. فأخذ بخطام البعير يقودني معه يهوى بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٠٤٣)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٠٤٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٩٧٨)، تهذيب الكمال (١٦١٠)، تقريب التهذيب (٢/٤٣٠)، تهذيب التهذيب (١٢/١١٥).

(٢) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٧/٢٦٨)، تاريخ الطبري (١/٥٦٥).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٧٩٠)، الإصابة الترجمة رقم (٥٤٥٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٥٨٠)، الثقات (٣/٢٦٠)، تجريد أسماء الصحابة (١/٣٧٣)، تقريب التهذيب (٢/١٠)، تهذيب التهذيب (٧/١٢٤)، تهذيب الكمال (٢/٩١٠)، الجرح و التعديل (٦/١٠٥٥)، سير أعلام النبلاء (٣/١٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٤

المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله ثم استأخر عني فقال: اركبي، فإذا ركبت و استويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظرنا إلى قرية بنى عمرو بن عوف و كان أبو سلمة بها، قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت أم سلمة تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، و ما رأيت صاحبا كان أكرم من عثمان بن طلحة «١».

قال ابن إسحاق «٢»: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة، عامر بن ربيعة «٣» حليف بنى عدى بن كعب، معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة بن غانم «٤»، ثم عبد الله بن جحش بن رثاب من بنى غنم بن ذودان بن أسد بن خزيمه حليف بنى أمية ابن عبد شمس، احتمل بأهله و بأخيه أبي أحمد [عبد] «٥» بن جحش «٦»، و كان أبو أحمد رجلا ضرير يطوف مكة أعلاها و أسفلها بغير قائد، و كان شاعرا و كانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب، و كانت أمه أميمة بنت عبد المطلب.

فغلفت دار بنى جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة و العباس بن عبد المطلب و أبو جهل بن هشام فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبأبا ليس فيها ساكن، فتنفس الصعداء ثم قال:

و كل دار و إن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء و الحوب و لما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤي، فذكر ذلك عبد الله بن جحش، لما بلغه لرسول الله صلى الله عليه و سلم،

(١) ذكر هذه القصة ابن حجر في الإصابة (٨/٢٤٠)، البخارى فى التاريخ الكبير (٤/٨٠).

(٢) انظر: السيرة (٢/٧٧-٧٩).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٣٥)، الإصابة الترجمة رقم (٤٣٣٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٦٩٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٨٤).

(٤) انظر ترجمتها في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٥١٦)، الإصابة الترجمة رقم (١١٧١٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٧٢٦١).

(٥) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «عبيد»، و التصحيح من السيرة، و الاستيعاب.

(٦) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٨٨، ٢٨٦٠)، الإصابة الترجمة رقم (٩٥٠٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٦٦٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٥

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها؟» قال: بلى. قال: «فذلك لك».

فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمة أبو أحمد في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شيء أصيب منكم في الله. فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و كان بنو غنم بن ذودان أهل الإسلام قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم و نساءهم، فقال أبو أحمد بن جحش يذكر هجرة بني أسد بن خزيمه من قومه إلى الله تبارك و تعالى و إلى رسوله، و إيعابهم في ذلك حين دعوا إلى الهجرة:

و لو حلفت بين الصفا أم أحمد و مروتها بالله برت يمينها  
لنحن الأولى كنا بها ثم لم نزل بمكة حتى عاد غنا سمينها  
بها خيمت غنم بن ذودان و ابنتت و ما أرعدت غنم و خف قطينها  
إلى الله تعدو بين مثنى و واحد و دين رسول الله بالحق دينها و قال أبو أحمد أيضا:  
و لما رأنتى أم أحمد غاديا بدمه من أخشى بغيب و أرهب  
تقول فإما كنت لا بد فاعلا فيم بنا البلدان و لتنا يثرب  
فقلت لها ما يثرب بمظنه و ما يشأ الرحمن فالعبد يركب  
إلى الله وجهي و الرسول و من يقيم إلى الله يوما وجهه لا يخيب  
فكم قد تركنا من حميم مناصح و ناصحه تبكى بدمع و تندب  
يرى أن و ترا نأينا عن بلادنا و نحن نرى أن الرغائب نطلب «١»  
دعوت بني غنم لحقن دمائهم و للحق لما لاح للناس ملحب  
أجابوا بحمد الله لما دعاهم إلى الحق داع و النجاح فأوعبوا  
و كنا و أصحابا لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح و أجلسوا «٢»  
كفوجين أما منهما فموفق على الحق مهدي و فوج معذب  
طغوا و تمنوا كذبه و أزلهم عن الحق إبليس فخابوا و خيبوا

(١) الوتر: طلب الثأر، يريد أنه يستحق أن يطالبوا مخرجهم به. النأي: البعد. الرغائب: جمع رغبة، و هي من العطاء الكثير.

(٢) أجلسوا: يروى بالجيم و بالحاء المهملة فمن رواه بالحاء المهملة فمعناه أعانوا، و من واه بالجيم فمعناه أجدوا جلبة و هي الصياح.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٦ و رغنا إلى قول النبي محمد فطاب و لاة الحق منا و طيبوا

نمت بأرحام إليهم قريبه و لا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

فأى ابن أخت بعدنا يأمنكم و أية صهر بعد صهرى يرقب

ستعلم يوما أننا إذ تزايلوا و زيل أمر الناس للحق أصوب ثم خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و عياش بن أبي ربيعة المخزومي «١»، حتى قدما المدينة.

قال عمر رضى الله عنه: لما أردنا الهجرة إلى المدينة اتعدت أنا و عياش بن أبي ربيعة، و هشام بن العاص التناضب من أضاء بني غفار

«٢» فوق سرف، و قلنا: أننا لم يصبح عندها فقد حبس فليعض صاحباه. فأصبحت أنا و عياش عندها و حبس عنا هشام و فتن فافتن.



فلما قدمنا المدينة نزلنا بقاء، و خرج أبو جهل و الحارث أخوه إلى عياش، و كان ابن عمهما و أخاهما لأمهما حتى قدما علينا فقالا له: إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها بمشط حق تراك و لا تستظل من شمس حتى تراك. فرق لها، فقلت له: يا عياش، و الله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك لامتشطت! و لو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه. قلت: و الله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي و لا تذهب معهما. فأبى على إلا- أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبه ذلول، فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: و الله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا أ فلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ و أناخا ليتحول عليها، فلما استوتوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ثم دخلا به مكة، و فتناه فافتنت!

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٣٢)، الإصابة الترجمة رقم (٦١٣٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤١٤٥).

(٢) أضاءة بنى غفار: الإضاءة الماء المستنقع من سيل، و يقال: هو مسيل الماء إلى الغدير، و غفار قبيلة من كنانة على عشرة أميال من مكة. انظر: معجم البلدان (١/٢١٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٧

و في غير حديث عمر أنهما دخلا به مكة نهارا موثقا ثم قال: يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهاثنا هذا «١».

قال عمر رضی الله عنه، في حديثه: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا و لا عدلا و لا توبه، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم و كانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة أنزل الله تبارك و تعالی، فيهم و في قولنا و قولهم لأنفسهم: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم و أنبئوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون و اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعنة و أنتم لا تشعرون [الزمر: ٥٣] «٢».

قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة و بعث بها إلى هشام ابن العاص، قال: فقال هشام: لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه و أصوب و لا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. فألقى الله في قلبي أنها إنما نزلت فينا و فيما كنا نقول في أنفسنا و يقال فينا. فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة. هذا ما ذكر ابن إسحاق في شأن هشام.

و ذكر ابن هشام عمن يثق به «٣» أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال و هو بالمدينة: من لى بعياش ابن أبي ربيعة، و هشام بن العاص؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما. فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا، فلقي امرأة تحمل طعاما، فقال لها: أين تريدين يا أمه الله؟ فقالت: أريد هذين المسجونين تعنيهما، فتبعها حتى عرف موضعيهما، و كانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك.

ثم حملهما على بعيره و ساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت و في سبيل الله ما لقيت

(١) انظر: السيرة (٢/٨٢).

(٢) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٢/٤٣٥)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/١٤)، دلائل النبوة (٢/١٤٦)، تفسير الطبري (٢٤/١١)،

طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٤١)، كشف الأستار (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: السيرة (٢/ ٨٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٨

ثم قدم بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

ثم تتابع المهاجرون أرسالا، فنزل طلحة بن عبيد الله و صهيب بن سنان على خبيب ابن إساف. بالسيخ، و يقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

قال ابن هشام (٢): و ذكر لي أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثرت مالك عندنا و بلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك و نفسك! و الله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أ رأيتم إن جعلت لكم مالي أ تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإنني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب» (٣)!

قال ابن إسحاق (٤): و أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين، ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، و لم يتخلف معه أحد بمكة من المهاجرين، إلا من حبس أو فتن، إلا على بن أبي طالب و أبو بكر الصديق، و كان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له: لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبا. فيطمع أبو بكر أن يكونه (٥).

و لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعه و أصحاب من غيرهم بغير بلدهم، و رأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا و أصابوا منهم منعه، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، و عرفوا أنه مجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة، و هي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها، يتشاورون ما يصنعون في أمره.

فاعترض لهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بت (٦)، فوقف على باب الدار في

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٥٧)، و قال: من زيادات ابن هشام في السيرة.

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٨٤).

(٣) انظر الحديث في: الحلية لأبي نعيم (١/ ١٥١، ١٥٣)، مستدرک الحاكم (٣/ ٣٩٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ٢٢٧، ٢٢٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٧٣، ١٧٤)، المطالب العالیه لابن حجر (٣/ ٣٥٥٢).

(٤) انظر: السيرة (٢- ٨٧).

(٥) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٤٢)، و قال: رواه الطبراني و فيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي ضعفه أبو حاتم.

(٦) بت: بفتح الباء و تشديد التاء، الكساء الغليظ من صوف جيد أو خز يلبس كالعباءة و يدل على المكانة و الشرف، و جمعه بتوت.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٧٩

اليوم الذي اتعدوا له، و يسمى يوم الزحمة، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ؟

قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون و عسى أن لا يعدمكم منه رأيا و نصحا قالوا: أجل، فادخل. فدخل معهم و قد اجتمع فيها أشراف قريش و غيرهم.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، و إنا و الله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، فتشاوروا ثم قال قائل: احبسوه في الحديد و أغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرا و النابغة و من مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه. فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره.

فتشاؤروا ثم قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا و فرغنا منه فأصلحنا أمرنا و ألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأى، ألم تروا حسن حديثه و حلاوة منطقه و غلبته على قلوب الرجال لما يأتي به؟! والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من أحياء العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله و حديثه حتى يتابعوه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيا غير هذا، فقال أبو جهل: والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: و ما هو يا أبا الحكم، قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قاله الرجل، هو الرأى لا رأى غيره. فتفرق القوم على ذلك و هم مجمعون له. فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: لا- تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابهِ يرصدونه

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٨٠

حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: نم على فراشى و تسج بردى هذا الحضرمى الأخضر فم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم. و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينام فى برده ذلك إذا نام (١).

فاجتمعوا له و فيهم أبو جهل، فقال و هو على بابهِ: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب و العجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، و إن لم تفعلوا كان لكم فيه ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها! و خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخذ حفته من تراب فى يده ثم قال: نعم، أنا الذى أقول ذلك، أنت أحدهم.

و أخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، و جعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم و هو يتلو هؤلاء الآيات: يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ [يس: ٩].

حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من هؤلاء الآيات و لم يبق منهم رجل إلا و قد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال:

ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدا. قال: خبيكم الله! قد و الله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا، و انطلق لحاجته، أ فلا ترون ما بكم؟!

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقولون: والله، إن هذا لمحمد نائما عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على عن الفراش، فقالوا: و الله لقد صدقتنا الذى كان حدثنا (٢).

فكان مما أنزل الله من القرآن فى ذلك اليوم و ما كانوا أجمعوا له قول الله سبحانه:

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ [الأنفال: ٣٠] [٣].

- (١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٧٦)، طبقات ابن سعد (١/ ٢١٢).
- (٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٧٧)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥١٠).
- (٣) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٧)، مستدرک الحاكم (٣/ ٤).
- الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨١
- و أذن الله تبارك و تعالى، عند ذلك لنبه في الهجرة.

### ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبي بكر الصديق رضی الله عنه مهاجرين إلى المدينة

حدث «١» عروة بن الزبير، عن عائشة رضی الله عنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة و إما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة و الخروج من مكة من بين ظهرائي قومه، أتانا بالهجرة في ساعة كان لا- يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا من حدث.

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و ليس عند أبي بكر إلا أنا و أختي أسماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرج عني من عندك. فقال: يا نبي الله، إنما هما ابتئى، و ما ذاك فداك أبي و أمي؟.

فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج و الهجرة». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، قال: «الصحبة». قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ!

ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين الراحلتين قد كنت أعددتهما لهذا. و كان أبو بكر رجلا ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقال له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً»، قد طمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه، فابتاع راحلتين، فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك.

و استأجر عبد الله بن أريقط رجلا من بني الدليل بن بكر و كان مشركاً، يدلهما الطريق، و دفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق «٢»: و لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج أحد، إلا علي بن أبي طالب، و أبو بكر الصديق، و آل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه، و أمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت

(١) انظر: السيرة (٢/ ٩١).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٩٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨٢

عنده للناس، و لم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه و أمانته.

فلما أجمع عليه السلام الخروج أتى أبو بكر فخرجا من خوخة «١» لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور، جبل بأسفل مكة، فدخلاه.

و أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاراً ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، فكان يفعل ذلك، و أمر عامر بن فهيرة «٢» مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، فكان عامر يرعى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما، فاحتلبا و ذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة، تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفى عليه،

و كانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام بما يصلحهما.

و ذكر ابن هشام «٣» عن الحسن بن أبي الحسن قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر إلى الغار ليلا فدخل أبو بكر قبله فلمس الغار لينظر فيه سبع أو حية، يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه «٤».

و لما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها و أسفلها، و بعثوا القافة يتبعون أثره في كل وجه، فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هناك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع له لما انتهى إلى ثور. و شق على قريش خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، و جزعوا لذلك، فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم، و يرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم، و جعلوا مائة ناقه لمن رده عليهم، و لما انتهوا إلى فم الغار، و قد كانت العنكبوت ضربت على بابه بعشاش بعضها على بعض، بعد أن دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا، قال قائل منهم:

ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: و ما أربكم إلى الغار؟ إن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد!.

(١) خوخة: هي الكوة في الجدار تؤدي الضوء، و قيل: هي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب. انظر: اللسان (مادة خوخ).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٤٦)، الإصابة الترجمة رقم (٤٤٣٣)، تلقيح المقال (٢/ ٦٠٥٩).

(٣) انظر: السيرة (٢/ ٩٢-٩٣).

(٤) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ١٨٠)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٧٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨٣

قالوا: فنهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت، و قال: «إنها جند من جنود الله» «١».

و خرج أبو بكر البزار في مسنده من حديث أبي مصعب المكي، قال: أدركت زيد ابن أرقم، و المغيرة بن شعبه، و أنس بن مالك، يحدثون: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات في الغار، أمر الله تبارك و تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم، و أمر الله العنكبوت فנסجت على وجه الغار، و أمر الله عز و جل، حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار، و أتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا، معهم قسيهم و عصيهم، تقدم رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين، فرجع فقال لأصحابه: ليس في الغار شيء، رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد.

فسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ بهما عنه، فشمته عليهما و فرض جزاءهما، و اتخذت في حرم الله ففرخن. أحسبه قال: فأصل كل حمام في الحرم من فراخهما.

و ذكر قاسم بن ثابت فيما تولى شرحه من الحديث أن الله أنبت الرءاء على باب الغار لما دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أبو بكر رضى الله عنه، قال: و هي شجرة معروفة. قال غيره: تكون مثل قامة الإنسان، و لها زهر أبيض تحشى به المخاد للينه و خفته.

و حكى الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار، دعا بشجرة كانت أمام الغار، فأقبلت حتى وقفت على باب الغار، فحجبت أعين الكفار و هم يطوفون في الجبل.

و قال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما!» «٢».

و أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر معه في الغار ثلاثا، حتى إذا مضت الثلاثة و سكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ببيعيريهما، و أتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهم، و نسيت أن تجعل لها عصاما «٣»، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا

ليس

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر الحديث في: سنن الترمذي (٣٠٩٦)، مسند الإمام أحمد (١/ ٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٢٣)، الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٤٢)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٢٦١٤، ٣٢٥٦٨)، شرح السنة للبغوي (١٣/ ٣٦٦)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/ ٦٨، ١١١)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٨٦٨).

(٣) العصام: الحبل أو شبهه يشد على فم المزادة و نحوها ليحفظ باقيها أو تعلق منها في وتد.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨٤

فيها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاما، ثم تعلقها به، فكان يقال لها: ذات النطاق لذلك فيما ذكر ابن إسحاق «١».

و أما ابن هشام «٢» فذكر أنها إنما يقال لها: ذات النطاقين، و هو المشهور عنها رضى الله عنها، و ذكر أنه سمع غير واحد من أهل العلم يفسره بأنها شقت نطاقها باثنين، فعلفت السفره بواحد و انتطقت بالآخر.

قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراجلي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قدم له أفضلهما، ثم قال: اركب فداك أبي و أمي. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إني لا أركب بعيرا ليس لي.

قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت و أمي. قال: لا، و لكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟

قال: كذا و كذا. قال: قد أخذتها بذلك. فركبا و انطلقا، و أردف أبو بكر خلفه مولاة عامر بن فهيرة ليخدمهما في الطريق «٣».

قال «٤»: فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل، فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قلت: لا أدري و الله. فرفع أبو جهل يده و كان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمه طرح منها قرطي، ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، و إن الناس ليتبعونه يسمعون صوته و ما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحافأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن وجهه إلى المدينة «٥».

(١) انظر: السيرة (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ٩٣-٩٤).

(٣) انظر الحديث في: صحيح البخاري كتاب الإجارة (٢٢٦٣)، مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٧٣، ٤٧٥).

(٤) انظر: السيرة (٢/ ٩٤).

(٥) انظر الحديث في: الحاكم في المستدرک (٣/ ٩، ١٠)، ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ١٩٢-١٩٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨٥

و عن غير ابن إسحاق و هو عندنا بالإسناد من طرق، أن أم معبد هذه امرأة من بني كعب من خزاعة، و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو و أبو بكر و مولاة عامر بن فهيرة و دليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية «١» و كانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقى و تطعم، فسألوها لحما و تمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، و كان القوم مرملين مستتين، فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم



معبد؟» قالت:

شاة خلفها الجهد عن المغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال:

«أ تأذنين أن أحلبها؟» قالت: نعم، بأبي أنت و أمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فمسح بيده ضرعها و سمي الله و دعا لها في شاتها فتفاجت عليه و درت و اجترت، و دعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت و سقى أصحابه حتى رووا و شرب آخرهم، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها و بايعها و ارتحلوا عنها.

فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد «٢» يسوق أعزرا عجافا يتساوكن هزلا ضخامهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب و قال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد؛ و الشاء عازب حيال و لا حلوب في البيت؟ قالت: لا و الله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا و كذا. قال: صفيه لى يا أم معبد: قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءه أبلج الوجه حسن الخلق لم يعبه ثجله و لم تزر به صعلة و سيم قسيم في عينيه دمج و في و عج و في أشفاره غطف و في عنقه سطع و في صوته صحل و في لحيته كثافة، أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار و إن تكلم سما و علاه البهاء، أجمل و أبهاه من بعيد و أحسنه و أجمله من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر و لا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا يائس من طول و لا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو الأنصر الثلاثة منظرا و أحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله و إن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس و لا مفند.

(١) هي: عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة، أم معبد الخزاعية، و يقال: عاتكة بنت خالد بن مهاجرا. انظر ترجمتها في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٤٥٧)، الإصابة الترجمة رقم (١١٤٥١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٧٠٨٦).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٠٩)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٥٥١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٢٦٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٨٦

قال أبو معبد: هو و الله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، و لقد هممت أن أصحبه و لأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا «١». و أصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت بمكة علا يسمعون الصوت و لا يدرون من صاحبه، و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلها بالهدى فاهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى و سؤدد

ليهن بنى كعب مقام فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها و إنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزيد

فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر ثم مورد فلما سمع بذلك حسان بن ثابت جعل يجابو الهاتف و يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم و قدس من يسرى إليهم و يغتدى

ترحل عن قوم فضلت عقولهم و حل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم و أرشدهم من يتبع الحق يرشد

و هل يستوى ضلال قوم تسكعوا عمى و هداة يهتدى بمهتدى

لقد نزلت منهم على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله و يتلو كتاب الله فى كل مسجد



و إن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد و ذكر أبو منصور محمد بن سعد الماوردي بإسناد له إلى قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر معه يستخفيان في الغار فمرا بعد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال: والله ما لي شاة تحلب، غير أن هاهنا عناقا حملت أول الشاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتتنا بها». فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم حلب عسا فسقى أبا بكر، ثم حلب آخر فسقى الراعى، ثم حلب فشرب.

فقال العبد: من أنت؟ فو الله ما رأيت مثلك قط! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتراك إن

(١) انظر الحديث في: طبقات ابن سعد (١/١/١٥٥)، دلائل النبوة للبيهقي (١/٢٧٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/٥٦)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧/١٥٩، ١٨٦)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٩٤٣)، كنز العمال للمتقى الهندي (٤٦٣٠٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٨٧

حدثتك تكتم على؟ قال: نعم، قال: «فإني محمد رسول الله». قال: أنت الذى تزعم قريش أنك صابى؟ قال: «إنهم ليقولون ذلك». قال العبد: فإني أشهد أنك رسول الله، و أن ما جئت به الحق، و أنه ليس يفعل فعلك إلا نبي، ثم قال العبد: أتبعك؟ قال: «لا، حتى تسمع بنا أنا قد ظهرنا» (١).

و خرج البرقاني في مصافحته من حديث البراء بن عازب (٢) «رضى الله عنهما، و أورده الإمامان البخارى و مسلم في صحيحهما من حديثه قال: اشترى أبو بكر رضى الله عنه، من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء أن يحمله إلى أهلى. فقال له عازب: حتى تحدثنى كيف صنعت أنت و رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة و المشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحشنا يومنا و ليلتنا حتى أظهرنا و قام قائم الظهيرة، فرميت ببصرى هل أرى من ظل ناوى إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقيه ظل لها، فنظرت بقيه ظلها فسويته و فرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة و قلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أريد، يعنى الظل. فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: فلان، رجل من قريش سماه، فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟

قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لى؟ قال: نعم، فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، فضرب إحدى يديه على الأخرى فحلب لى كئيبه من لبن و قد رويت معى لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة على فمها خرقة، فصبيت على اللبن حتى برد أسفله، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد استيقظ، قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب حتى رضيت، و قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا و القوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم (٣) على فرس له،

(١) ذكره ابن حجر فى المطالب العالیه (٤٢٩٥).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٧٤)، الإصابة الترجمة رقم (٦١٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٨٩)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (٢٧٢)، جمهرة أنساب العرب (٣٤١)، العقد الفريد (٥/٢٨٢)، الوافى بالوفيات (١٠/١٠٤)، مرآة الجنان (١/١٤٥)، تقريب التهذيب (١/٩٤)، خلاصة تذهيب التهذيب (٤٦)، شذرات الذهب (١/٧٧، ٧٨)، طبقات الفقهاء (٥٢)، تاريخ الطبرى (١٠/١٩٢).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٩٢١)، الإصابة الترجمة رقم (٣١٢٢)، أسد الغابة-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٨٨

فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، و بكيت، قال: «لا تحزن إن الله معنا!».

قال: فلما دنا فكان بيننا وبينه قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب يا رسول الله صلى الله عليه و سلم قد بلغنا، و بكيت، قال: «ما بيكيك؟» فقلت: أما و الله ما على نفسي أبكى، و لكنى أبكى عليك، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم اكفناه بما شئت»، فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها و قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فو الله لأعمين على من ورائي من الطلب، و هذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر على إبلى و غنمي بمكان كذا و كذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا حاجة لي في إبلتك»، و دعا له، فانطلق راجعاً إلى أصحابه. و في حديث البخاري و مسلم: فجعل لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتمكم ما هنا. فلا يلقى أحداً إلا رده. قال: و وفي لنا «١».

و عن سراقه بن مالك بن جعشم فيما أورده ابن إسحاق «٢» قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقه لمن رده عليهم. قال: فبينما أنا جالس في نادي قومي أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: و الله لقد رأيت ركباً ثلاثة مروا على آفنا، إنى لأراهم محمداً و أصحابه، قال: فأومأت إليه، يعني أن أسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يتبعون ضالاً لهم. قال: لعله. ثم سكت.

فمكثت قليلاً. ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيدت لي إلى بطن الوادي و بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لامتي، ثم أخرجت قداحي، فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره: لا يضره. و كنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ المائة، فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عشر بي فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها

- الترجمة رقم (١٩٥٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢١٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢٨٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٦)، تهذيب الكمال (١/ ٤٦٦)، شذرات الذهب (١/ ٣٥)، الأعلام (٣/ ٨٠)، الأنساب (٧/ ١١٦)، العقد الثمين (٤/ ٥٢٣).  
(١) انظر الحديث في: صحيح البخاري (٤/ ٢٤٦، ٥/ ٤)، صحيح مسلم (٢٣١٠)، مسند الإمام أحمد (١/ ٢، ٣)، مصنف ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٢٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٧٨، ٤٨٥)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٥٢)، شرح السنة للبعوي (١٣/ ٣٦٩)، الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٣٩)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٨).  
(٢) انظر: السيرة (٢/ ٩٦-٩٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٢٨٩

فخرج السهم الذي أكره: لا يضره. فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فبينما فرسي يشتد بي عشر بي فرسي و ذهبت يداه في الأرض و سقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض و تبعها دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني و أنه ظاهر، فناديت القوم: أنا سراقه بن جعشم، انظروني أكلمكم، فو الله لا أريكم و لا يأتكم مني شيء تكرهونه.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي بكر رضى الله عنه: «قل له: ما تبغى؟» قال: تكتبوا لي كتاباً يكون آية بيني و بينك. قال: «اكتب يا أبا بكر».

فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إلي، فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و فرغ من حنين و الطائف خرجت و معي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح و يقولون: إليك إليك ما ذا تريد؟ فدنوت من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو على ناقته، و الله لكأنى أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي، أنا سراقه بن جعشم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يوم وفاء و بر ادن. فدنوت فأسلمت. ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلى الله عليه و

سلم عنه فما أذكره، إلا أنى قلت: يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضى و قد ملأتها لإبلى، هل لى من أجر فى أن أسقيها؟ قال: «نعم، فى كل ذات كبد حرى أجر» (١). ثم رجعت إلى قومى فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صدقتى.

و فى حديث آخر عن غير ابن إسحاق أن سراقه بن مالك بن جعشم هذا كان شاعرا مجيدا، و أنه قال يخاطب أبا جهل بن هشام بعد انصرافه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم:

أبا حكم و الله لو كنت شاهد الأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه  
علمت و لم تشكك بأن محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه  
عليك بكف القوم عنه فإننى أرى أمره يوما ستبدو معالمه  
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طرا يسالمة و ذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه شعرا نسبه إلى أبى بكر الصديق

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١٧٥ / ٤)، سنن ابن ماجه (٣٦٨٦)، مستدرک الحاكم (٣ / ٦١٩)، مسند الحميدى (٩٠٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٣ / ١٣١)، و قال: رواه أحمد و رجاله ثقات.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩٠

رضى الله عنه يذكر فيه مسيره مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و قصة الغار و أمر سراقه، و هو:

قال النبى و لم يجزع يوقرنى و نحن فى سدفة من ظلمة الغار

لا تخش شيئا فإن الله ثالثناو قد توكل لى منه بإظهار

و إنما كيد من تخشى بوادره كيد الشياطين كادته لكفار

و الله مهلكهم طرا بما كسبواو جاعل المنتهى منهم إلى النار

و أنت مرتحل عنهم و تاركهم إما غدوا و إما مدلج سارى

و هاجر أروضهم حتى يكون لناقوم عليهم ذوو عز و أنصار

حتى إذا الليل و ارتنا جوانبه و سد دون الذى نخشى بأستار

سار الأريقط يهدينا و أنيقه ينعين بالقرم نعيًا تحت أكوار

يعسفن عرض الثنايا بعد أطولهاو كل سهب رفاق الترب موار

حتى إذا قلت قد أنجدن عارضهما من مدلج فارس فى منصب وار

يردى به مشرف الأقطار معترزم كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى

فقال كروا فقلنا إن كرتامن دونها لك نصر الخالق البارى

إن يخسف الأرض بالأحوى و فارسه فانظر إلى أربع فى الأرض غوار

فهيل لما رأى أرساغ مقربه قد سخن فى الأرض لم تحفر بمحفار

فقال هل لكم أن تطلقوا فرسى و تأخذوا موثقى فى نصح أسرار

و أصرف الحى عنكم إن لقيتهم و أن أعور منهم عين عوار

فادع الذى هو عنكم كف عدوتنا يطلق جوادى و أنتم خير أبرار

فقال قولوا رسول الله مبتهلايا رب إن كان منه غير إخفار

فنجه سالما من شر دعوتناو مهر مطلقا من كلم آثار

فأظهر الله إذ يدعو حوافره و فاز فارسه من هول أخطار و سراقه بن مالك هذا الذى أظهر الله فيه هذا العلم العظيم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، قد أظهر الله فيه أثرا آخر من الآثار الشاهدة له عليه السلام بأن الله أطلعه من الغيب فى حياته ما ظهر مصداقه بعد وفاته.

روى سفیان بن عيينه، عن أبى موسى، عن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لسراقه بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواری كسرى؟!» (١) قال: فلما أتى عمر رضى الله عنه، بسواری كسرى و منطقته و تاجه دعا سراقه بن مالك فألبسه إياهما.

(١) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٨ / ٧)، كشف الخفاء للعجلونى (١ / ٦٧٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩١

و كان سراقه رجلا أذب كثير شعر الساعدين، و قال له: ارفع يديك فقل: الله أكبر! الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، و ألبسهما سراقه بن مالك بن جعشم أعرابيا من بنى مدلج!! و رفع بها عمر رضى الله عنه، صوته.

قال ابن إسحاق (١): و ذكر إسنادا رفعه إلى أسماء بنت أبى بكر، قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و خرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله، خمسة آلاف أو ستة، فدخل علينا جدى أبو قحافة و قد ذهب بصره، فقال: و الله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. فقلت: يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه ثم قال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، و فى هذا بلاغ لكم، و لا و الله ما ترك لنا شيئا، و لكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك (٢).

و ذكر ابن إسحاق الطريق التى سلك برسول الله صلى الله عليه و سلم و أبى بكر الصديق رضى الله عنه دليلهما عبد الله بن أريقط، و المناقل التى سار بهما عليهما إلى أن قدم بهما قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحى و كادت الشمس تعتدل (٣).

و قال غير ابن إسحاق: قدمها لثمان خلون من ربيع الأول.

و قال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول، و وصل المدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة منه. فالله تعالى أعلم.

و ذكر ابن إسحاق (٤): من حديث عبد الرحمن بن [عويم] (٥) بن ساعدة، قال:

حدثنى رجال من قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة توكلنا قدومه، فكنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظره، فو الله

(١) انظر: السيرة (٢ / ٩٥-٩٦).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٦ / ٣٥٠)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦ / ٥٩).

(٣) انظر: السيرة (٢ / ٩٨-٩٩).

(٤) انظر: السيرة (٢ / ١٠٠).

(٥) ما بين المعقوفتين ورد فى الأصل: «عويمر»، و التصحيح من السيرة و الاستيعاب.

و انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٤٥٦)، الإصابة الترجمة رقم (٦٢٤٤)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٣٧٢)، التاريخ الكبير (٥ / ٣٢٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩٢

ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا، و ذلك فى أيام حارة.

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من يهود و قد رأى ما كنا نصنع و أنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه و سلم علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء.

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو فى ظل نخلة و معه أبو بكر فى مثل سنه، و أكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل ذلك، و ركب الناس، و ما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك «١».

قال ابن إسحاق «٢»: فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم «٣»، أخى بنى عمرو بن عوف. و يقال: بل نزل على سعد بن خيثمة.

و يقول من يذكر نزوله على كلثوم أنه صلى الله عليه و سلم كان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة، لأنه كان عزبا لا أهل له، فمن هناك يقال: نزل عليه.

و كان يقال لبنت سعد: بيت العزاب، لأنه كان منزل المهاجرين منهم. فإله أعلم أى ذلك كان «٤».

و نزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، على خبيب بن إساف «٥»، أحد بنى الحارث ابن الخزرج بالسنج، و يقال: على خارجه بن زيد بن أبى زهير «٦» منهم.

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (٧/ ٢٨١، ٢٨٢)، طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٣)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٤٩٨، ٤٩٩)، شرح السنة للبغوى (٧/ ١٠٩).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ١٠٠).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٢٣٧)، الإصابة الترجمة رقم (٧٤٥٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٤٩٤)، طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٩)، تاريخ خليفة (٥٥)، الاستبصار (٢٩٣).

(٤) ذكره الطبرى فى تاريخه (١/ ٥٧١)، ابن كثير فى السيرة (٢/ ٢٧٠)، ابن سعد فى الطبقات (١/ ٢٣٣).

(٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٦٥١)، الإصابة الترجمة رقم (٢٢٢٤)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٤١٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٥٦)، الاستبصار (١٨٦)، تبصير المنتبه (٣/ ٩٢٧)، الطبقات الكبرى (٨/ ٣٦٠).

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٦٠٨)، الإصابة الترجمة رقم (٢١٤٠)، أسد الغابة-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩٣.

و أقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال و أيامها، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم الودائع التى كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه و سلم فنزل معه. فكان على رضى الله عنه، و إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين، يقول: كانت بقاء امرأة مسلمة لا زوج لها، فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيه شيئا معه فتأخذه. قال: فاستربت شأنه، فقلت لها: يا أمه الله، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ما هو، و أنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت:

هذا سهل بن حنيف، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى، فإذا أمسى عدا على أو ثان قوم فكسرهما ثم جاءنى بها فقال: احتطى بهذا! فكان على رضى الله عنه، يآثر ذلك فى أمر سهل بن حنيف، حين هلك عنده بالعراق «١».

قال ابن إسحاق «٢»: فأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بقاء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس، و أسس مسجدهم «٣»، ثم أخرجه الله تعالى، من بين أظهرهم يوم الجمعة. و بنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك،

فإنه أعلم.

فأدرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانواناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة «٤».

فأتاه عتبان بن مالك «٥»، وعباس بن عباد بن نضلة «٦»، في رجال من بني سالم، فقالوا: يا رسول الله، صلى الله عليك، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة لناقتة، فخلوا سبيلها».

– الترجمة رقم (١٣٣٠)، تجريد أسماء الصحابة (١/١٤٧)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٧، ٤/٤٤٦)، روضات الجنات (٣/٢٧٥)، الاستبصار (١/١١٥)، الثقات (٣/١١١).

(١) ذكره الصالحى فى السيرة الشامية (٣/٣٧٩)، ابن سيد الناس فى عيون الأثر (١/٣١٢).

(٢) انظر: السيرة (٢/١٠٢).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (٣٩٣٢).

(٤) ذكره الطبرى فى تاريخه (٧/٢)، ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/٢١٣، ٢/٢١٤).

(٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٤٢)، الإصابة الترجمة رقم (٥٤١٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٥٤١).

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب (١٣٨٥)، الإصابة الترجمة رقم (٢٥٢٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٧٩٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٩٤

فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى يياسة تلقاه زياد بن لبيد و فروة بن عمرو، فى رجال من بنى بياضة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إليها إلى العدد والعدة والمنعة. «قال:

خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها».

حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عباد و المنذر بن عمرو فى رجال منهم، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع و خارجة بن زيد بن أبى زهير، و عبد الله بن رواحة فى رجال من بلحارث، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى عدى بن النجار و هم أخواله دنيا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس و أبو سليط أسيرة بن أبى خارجة، فى رجال منهم، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها»، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده، و هو يومئذ مريد لغلادين يتيمن من بنى مالك بن النجار، فى حجر معاذ بن عفراء، فلما بركت و رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل و ثبت، فسارت غير بعيد، و رسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تحللت و رزمت و وضعت جرائنها، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته.

و نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بنى مسجده و مساكنه، و سأل عن المريد لمن هو؟

فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل و سهيل ابنى عمرو، و هما يتيما له و سأرضيهما منه، فاتخذ مسجدا، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يا بنى، و عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين فى العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون و الأنصار و دأبوا «١».



فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا و النبي يعمل لذاك منا العمل المضلل و حدث «٢» أبو أيوب قال: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيتى نزل فى السفلى و أنا

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (٣٩٠٦)، صحيح مسلم كتاب الجهاد (٣/ ١٢٩)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٨١)، سنن أبى داود حديث رقم (٤٥٣). سنن ابن ماجه (٧٤٢).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ١٠٦ - ١٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٩٥

و أم أيوب فى العلو، فقلت له: يا نبي الله بأبى أنت و أمى! إنى لأكره و أعظم أن أكون فوقك و تكون تحتى، فظاهر أنت فكن فى العلو و نزل نحن فنكون فى السفلى. فقال: «يا أبا أيوب، إن أرفق بنا و بمن يغشانا أن تكون فى سفلى البيت» «١».

فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقلت أنا و أم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء، تخوفا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه و سلم منه شىء فيؤذيه.

فكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا و أم أيوب موضع يده فأكلنا منه، نبتغى بذلك البركة، حتى بعثنا إليه بعشائه و قد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما، فرده رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم أر ليده فيه أثرا، فجئته فرعا فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت و أمى رددت عشاءك و لم أر فيه موضع يدك، و كنت إذا رددته علينا تيممت أنا و أم أيوب موضع يدك نبتغى بذلك البركة. قال: إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة و أنا رجل أناجى، فأما أنتم فكلوه. فأكلناه و لم نصنع له تلك الشجرة بعد «٢».

قال ابن إسحاق «٣»: و تلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس، و لم يوجب أهل هجرة من مكة بأهلهم و أموالهم إلى الله تبارك و تعالى و إلى رسوله صلى الله عليه و سلم، إلا أهل دور مسمون، بنو مظعون من بنى جمح، و بنو جحش ابن رثاب، حلفاء بنى أمية، و بنو البكير من بنى سعد بن ليث، حلفاء بنى عدى بن كعب، فإن دورهم غلقت بمكة هجرة، ليس فيها ساكن.

فأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، بنى له فيها مسجده و مساكنه. قال: و كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه و سلم ما لم يقل، أنه قام فيهم فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم تعلمن و الله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، ليس له ترجمان و لا حاجب يحجبه دونه: أ لم يأتك رسولى فبلغك و آيتك مالا و أفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟ فليظنن يمينا و شمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار و لو بشق تمره فليفعل، و من لم

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١٥)، صحيح مسلم كتاب الفتن (٣/ ١٧١).

(٢) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٠١)، مستدرک الحاكم (٣/ ٤٦٠)، و رواه أبو بكر بن أبى شيبة و ابن أبى عاصم كما فى الإصابة (١/ ٤٠٥).

(٣) انظر: السيرة (٢/ ١٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٩٦

يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته» «١».



قال ابن إسحاق (٢): ثم خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس مرة أخرى فقال: «إن الحمد لله أحمدوه و أستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك و تعالى، قد أفلح من زينه الله فى قلبه، و أدخله فى الإسلام بعد الكفر، فاختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث و أبلغه، أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، و لا تملوا كلام الله و ذكره، و لا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار و يصطفى، فقد سماه الله خيرته من الأعمال و مصطفاه من العباد، و الصالح من الحديث و من كل ما أوتى الناس الحلال و الحرام، فاعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و اتقوه حق تقاته، و اصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، و تحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، و السلام عليكم» (٣).

قال ابن إسحاق (٤): و كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم كتابا بين المهاجرين و الأنصار و ادع فيه يهود و عاهدتهم و أقرهم على دينهم و أموالهم، و اشترط عليهم و شرط لهم (٥).

- (١) انظر ذكر أول خطبة للنبي صلى الله عليه و سلم فى: المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٦٥)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣٩٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢١٣).
- (٢) انظر: السيرة (٢/ ١٠٩).
- (٣) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/ ٢١٤).
- (٤) انظر: السيرة (٢/ ١٠٩).
- (٥) ذكر ابن هشام فى السيرة نص ما اشترطه النبي صلى الله عليه و سلم على المهاجرين و الأنصار، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه و سلم، بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب، و من تبعهم، فلحق بهم، و جاهد معهم، إنهم أمه واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم، و هم يفتدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عوف على ربتهم يتعاقلون الأولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو ساعدة على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الحارث على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو جشم على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النجار على ربتهم يتعاقلون معاقليهم -
- الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩٧

- الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عمرو بن عوف على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النبت على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الأوس على ربتهم يتعاقلون معاقليهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل «و أن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، و إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، و إن أيديهم عليه جميعا، و لو كان ولد أحدهم، و لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، و لا ينصر كافر على مؤمن، و إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، و إنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر و الأسوة، غير مظلومين و لا متناصرين عليهم، و إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، إلا على سواء و عدل بينهم، و إن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، و إن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله، و إن المؤمنين المتقين على

أحسن هدى و أقومه، و إنه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن، و إنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، و إن المؤمنين عليه كافة، و لا يحل لهم إلا قيام عليه، و إنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثا و لا يؤويه، و أنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا- عدل، و إنكم مهما اختلفتم فيه من شىء، فإن مرده إلى الله عز و جل، و إلى محمد صلى الله عليه و سلم، و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و إن يهود بنى عوف أمه مع المؤمنين، لليهود دينهم، و للمسلمين دينهم، مواليهم و أنفسهم، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا- يوتغ إلا- نفسه، و أهل بيته، و إن اليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، و إن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه و أهل بيته، و إن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، و إن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، و إن البر دون الإثم، و إن موالى ثعلبة كأنفسهم، و إن بطانة يهود كأنفسهم، و إنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه و سلم، و إنه لا ينحجز على ثار جرح، و إنه من فتك فبنفسه فتك، و أهل بيته، إلا من ظلم، و إن الله على أبر هذا و إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، و إن بينهم النصح و النصيحة، و البر دون الإثم، و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه، و إن النصر للمظلوم، و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، و إن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم، و إنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، و إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى-

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٢٩٨

و آخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فقال فيما بلغنا و نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا فى الله أخوين أخوين. ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى. فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم، سيد المرسلين و إمام المتقين و رسول رب العالمين الذى ليس له خطير و لا نظير من العباد، و على بن أبى طالب أخوين.

ثم سمى ابن إسحاق نفرا ممن آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه و سلم من أصحابه تركنا ذكرهم اختصارا «١».

قال: و هلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرار، و المسجد يا بنى، أخذته الذبحة أو الشهقة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بئس الميت أبو أمامة ليهود و لمنافقى العرب، يقولون:

لو كان نبيا لم يمت صاحبه! و لا أملك لنفسى و لا لصاحبى من الله شيئا» «٢».

و لما مات أبو أمامة اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان أبو أمامة نقيهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذا كان منا حيث قد علمت، فاجعل منا رجلا مكانه يقيم فى أمرنا ما كان يقيم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أنتم أخوالى و أنا أولى بكم، فأنا نقيكم» «٣». و كره رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بنى النجار الذى يعدون على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم نقيهم.

- الله عز و جل، و إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و إن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة و أبره، و إنه لا تجار قريش و لا من نصرها، و إن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصلحونه و تلبسونه، فإنهم يصلحونه و يلبسونه، و إنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، و إن يهود الأوس، مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة».

قال ابن هشام: و يقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحاق: «و إن البر دون الإثم، لا- يكسب كاسب إلا على نفسه، و إن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة و أبره، و إنه لا

يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم، و إنه من خرج آمن، و من قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، و إن الله جار لمن بر و اتقى، و محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

انظر: السيرة (٢/ ١٠٩-١١٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٢٤، ٢٢٥)،  
(١) انظر السيرة (٢/ ١١٣-١١٦).

(٢) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (٣٤٩٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٥/ ٩٨)، مستدرک الحاكم (٤/ ٢١٤).

(٣) انظر الحديث فى: مستدرک الحاكم (٣/ ١٨٦)، طبقات ابن سعد (٣/ ٦١١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٩٩

قال ابن إسحاق (١): «فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة و اجتمع إليه إخوانه من المهاجرين و اجتمع أمر الأنصار، استحکم أمر الإسلام فقامت الصلاة و فرضت الزكاة و الصيام، و قامت الحدود و فرض الحلال و الحرام و تبوأ الإسلام بين أظهرهم، و كان هذا الحى من الأنصار الذين تبوءوا الدار و الإيمان».

و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع إليه الناس للصلاة فى حين مواقيتها بغير دعوة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بوقا كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس ففتح ليضرب به للمسلمين للصلاة. فيبيناهم على ذلك رأى عبد الله بن زيد أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله، إنه طاف فى هذه الليلة طائف، مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده، فقلت: يا عبد الله أ تبيع هذا الناقوس؟ قال: و ما تصنع به؟ قلت: ندعوا به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: و ما هو؟ قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أئدى صوتا منك».

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب و هو فى بيته، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يجرد رداءه و هو يقول: يا نبى الله و الذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فله الحمد» (٢).

و ذكر ابن هشام (٣) عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب بينا هو يريد أن يشتري خشبتين للناقوس عند ما ائتمر به النبى صلى الله عليه وسلم و أصحابه إذ رأى فى المنام أن لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا بالصلاة، فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى، فما راعه إلا

(١) انظر: السيرة (٢/ ١١٧).

(٢) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٤٩٩)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٣)، السنن الكبرى للبيهقى (١/ ٣٩١)، سنن الدارمى (١١٨٧)، سنن الترمذى (١٨٩)، سنن الدارقطنى (١/ ٢٤١)، تلخيص الحبير لابن حجر (٢/ ٢٠٨)، البخارى فى خلق أفعال العباد (ص ٤٨)، الإرواء للألبانى (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: السيرة (٢/ ١١٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٠

بلال يؤذن، و قد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره: «سبقك بذلك

الوحي» (١).

قال ابن إسحاق (٢): فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره و أظهر الله بها دينه و سره بما جمع من المهاجرين و الأنصار من أهل ولايته.

قال أبو قيس صرمه بن أبي أنس (٣)، أخو بني عدى بن النجار، يذكر ما أكرمهم الله تبارك و تعالى، به من الإسلام، و ما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم:

ثوى فى قریش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

و يعرض فى أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوى و لم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

و ألفى صديقا و اطمأنت به النوى و كان له عوننا من الله [هاديا] (\*)

يقص لنا ما قال نوح لقومه و ما قال موسى إذ أجاب المناديا

فأصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا و لا يخشى من الناس نائيا

بدلنا له الأموال من جل مالنا و أنفسنا عند الوغى و التآسيا

و نعلم أن الله لا شىء غيره و نعلم أن الله أفضل هاديا

نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعا و إن كان الحبيب المصافيا

أقول إذا أدعوك فى كل بيعة تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا

أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة حنانيك لا تظهر على الأعاديا

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة و إنك لا تبقى لنفسك باقيا

فو الله ما يدرى الفتى كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقيا

و لا تجعل النخل المقيمة ربه إذا أصبحت ربا و أصبح ثاويا و كان أبو قيس هذا رجلا قد ترهب فى الجاهلية و لبس المسوح و فارق

الأوثان و اغتسل من الجنابة و تطهر من الحائض من النساء و هم بالنصرانية، ثم أمسك عنها، و دخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل

عليه فيه طامث و لا جنب، و قال: أعبد رب

(١) انظر الحديث فى: مصنف عبد الرازق (١/٤٥٦).

(٢) انظر: السيرة (٢/١١٩).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٢٤٤)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٥٠١)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٦٤)، الأعلام

(٢٠٣/٣٠)، تبصرة المنتبه (٣/٩٩٨).

(\*) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل و ورد فى السيرة «باديا».

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠١

إبراهيم. حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم و حسن إسلامه و هو شيخ كبير، و كان قوالا بالحق معظما لله فى

جاهليته يقول فى ذلك أشعارا حسانا، هو الذى يقول (١):

يقول أبو قيس و أصبح غاديا ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

أوصيكم بالله و البر و التقى و أعراضكم و البر بالله أول

و إن قومكم سادوا فلا تحسدنهم و إن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا

و إن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا  
و إن ناب غرم فادح فارقوهم و ما حملوكم في الملمات فاحملوا  
و إن أنتم أعرتم فتعففوا و إن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا «٢» و قال أبو قيس أيضا «٣»:  
سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه و كل هلال  
عالم السر و البيان لدينليس ما قال ربنا بضلال  
و له الطير تستدير و تأوى في و كور من آمانات الجبال  
و له الوحش بالفلاة تراها في حقاف و في ظلال الرمال  
و له هودت يهود و دانت كل دين إذا ذكرت عضال  
و له شمس النصارى و قاموا كل عيد لديهم و احتفال  
و له الراهب الحبيس تراه رهن بؤس و كان ناعم بال  
يا بنى الأرحام لا تقطعوها و صلوها قصيرة من طوال  
و اتقوا الله في ضعف اليتامى ربما يستحل غير الحلال  
و اعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدى بغير السؤال  
ثم مال اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه و الى  
يا بنى النجوم لا تخزلوها إن خزل النجوم ذو عقال  
يا بنى الأيام لا تأمنوها و احذروا مكرها و مر الليالي  
و اعلموا أن أمرها لنفاد الخلق ما كان من جديد و بالي  
و اجمعوا أمركم على البر و التقوى و ترك الخنا و أخذ الحلال

(١) انظر الأبيات في: السيرة (٢/ ١١٩).

(٢) أعرتم: قال السهيلي: معناها افتقرتم، و قيل أعر: أى افتقر و فنى زاده كمعر تمعيرا، و أعرتم الأرض: لم يكن فيها نبات أو قل مأوها.

(٣) انظر الأبيات في: السيرة (٢/ ١٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٢

قال ابن إسحاق «١»: و نصب عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه و سلم العداوة بغيا و حسدا و ضغنا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم.

و انضاف إليهم رجال من الأوس و الخزرج، ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك و التكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره و اجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام و اتخذوه جنه من القتل، و نافقوا فى السر فكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبى صلى الله عليه و سلم و جحودهم الإسلام.

و كانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم و يتعنونه و يأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، إلا ما كان من عبد الله بن سلام و مخيريق فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل فى الحلال و الحرام كان المسلمون يسألون عنها. و كان من حديث عبد الله بن سلام «٢» و إسلامه، و كان حبرا عالما، قال: لما سمعت برسول الله صلى الله عليه و سلم عرفت صفته و اسمه و زمانه الذى كنا نتوكف له، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم المدينة، فلما نزل بقاء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل

حتى أخبر بقدومه و أنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، و عمى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، لما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت، فقالت لى عمى حين سمعت تكبيرتى:

خبيك الله! لو كنت سمعت موسى بن عمران قادمًا ما زدت!

فقلت لها: أى عمه، هو و الله أخو موسى بن عمران و على دينه، بعث بما بعث به.

فقالت: أى ابن أخى، أ هو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ فقلت لها:

نعم. فقالت: فذاك إذا، قال: ثم رحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت إلى أهلى فأمرتهم فأسلموا و كتمت إسلامى من يهود. ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت، و إنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك و تغيبنى عنهم، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا به بهتونى و عابونى.

(١) انظر: السيرة (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٥٧٩)، الإصابة الترجمة رقم (٤٧٤٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٩٨٦)، شذرات الذهب (١/ ٤٠، ٥٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢)، خلاصة تذهيب (٢/ ٦٤)، الوافى بالوفيات (١٧/ ١٩٨)، الأعلام (٤/ ٩٠)، الثقات (٣/ ٢٢٨)، الرياض المستطابة (١٩٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٣

قال: فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته، و دخلوا عليه فكلموه و سألوه ثم قال لهم: أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟ فقالوا: سيدنا و ابن سيدنا، و حبرنا و عالمنا.

فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود اتقوا الله و اقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوبًا عندكم فى التوراة باسمه و صفته، فإنى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم و أو من به و أصدقه و أعرفه. قالوا: كذبت. ثم وقعوا بى! فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ لم أخبرك يا نبى الله أنهم قوم بهت، أهل غدر و كذب و فجور؟! قال: فأظهرت إسلامى و إسلام أهل بيتى، و أسلمت عمى خالدة فحسن إسلامها «١».

قال ابن إسحاق «٢»: و كان من حديث مخيريق، و كان حبرا عالما غنيا كثير الأموال من النخل، و كان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته و ما يجد فى علمه، و غلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، و كان يوم السبت، قال: يا معشر يهود، و الله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه بأحد و عهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله.

فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، و قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله، فعامة صدقاته بالمدينة منها. و كان صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول: «مخيريق خير يهود» «٣».

قال «٤»: و حدثنى عبد الله بن أبى بكر، قال: حدثت عن صفيه ابنه حبي أنها قالت: كنت أحب ولد أبى إليه و إلى عمى أبى ياسر، لم ألقهما مع ولد لهما إلا أخذانى دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدا عليه أبى و عمى مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالىن كسالين ساقطين يمشيان الهوينى فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من الغم، و سمعت عمى أبى ياسر و هو يقول لأبى: أ هو هو؟ قال: نعم و الله.

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب الأنبياء (٣٣٢٩)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٥٣٠، ٥٣١)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/

(٢١١).

(٢) انظر: السيرة (٢/ ١٢٦).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٣٧، ٤/ ٣٦)، طبقات ابن سعد (١/ ٥٠٢)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٣٣٤).

(٤) انظر: السيرة (٢/ ١٢٦ - ١٢٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٠٤

قال: أتعرفه و تثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته و الله ما بقيت «١».

و كان هذان الأخوان الشقيان من أشد يهود للعرب حسدا لما خصهم الله برسوله صلى الله عليه و سلم، فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله عز و جل فيهما:

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَ اصْرَفُوهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ١٠٩].

و مر شأس بن قيس، و كان شيخا قد [عمى] «٢» عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأوس و الخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من ألفتهم و جماعتهم و صلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملائ بنى قيلة بهذه البلاد، لا و الله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

فأمر شابا من يهود كان معه فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعثت و ما كان فيه و أنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. و كان يوما اقتلت فيه الأوس و الخزرج و كان الظفر فيه للأوس، و كان عليها يومئذ حضير أبو أسيد بن حضير، و على الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقاتلا جميعا.

ففعل الشاب ما أمره به شأس، فتكلم القوم عند ذلك و تنازعوا و تفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب و هما أوس بن قيظى و جبار بن صخر فتاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة. و غضب الفريقان جميعا و قالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة و هى الحره، السلاح السلاح.

فخرجوا إليها، و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله! أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام و أكرمكم به و قطع به عنكم أمر الجاهلية و استنقذكم به من الكفر و ألف به بينكم.

فعرف القوم أنها نزعته من الشيطان و كيد من عدوهم فبكوا و عاتق الرجال من

(١) ذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر (١/ ٣٣٥).

(٢) ما بين المعقوفين كذا فى الأصل و ورد فى السيرة «عسا»، و عسا: أى اشتد و قوى، يريد أنه تمكن فى كفره فصعب إخراجه منه. انظر: السيرة (٢/ ١٦٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٠٥

الأوس و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم سامعين مطيعين، و قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس.

فأنزل الله تبارك و تعالى، فى شأن شأس و ما صنع: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [آل عمران:



[٩٩] «١».

و أنزل الله فى أوس بن قيطى و جبار بن صخر و من كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين و كيف تكفرون و أنتم تتلى عليكم آيات الله و فيكم رسوله و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون [آل عمران: ١٠٠، ١٠٣].

قال «٢»: و حدثت عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهط من يهود رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا له: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه فقال: خفض عليك يا محمد، و جاءه من الله بجواب ما سأله عنه: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد. فلما تلاها عليهم قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خلقه؟ كيف ذراعاه؟ كيف عضده؟

فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم أشد من غضبه الأول و ساورهم، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال أول مرة، و جاءه من الله تبارك و تعالى بجواب ما سأله عنه، يقول الله جل و علا: و ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ و الأَرْضُ جميعاً قُنُصُتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ و تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر: ٦٧] «٣».

(١) ذكره الطبرى فى تفسيره (١٦/٤).

(٢) انظر: السيرة (١٧٨/٢).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب التفسير (١٩/٤)، صحيح البخارى (٤٨١١)، تفسير ابن جرير (٣٧٨/١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٦

و دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص و كان من علمائهم و أحبارهم، و معه حبر من أحبارهم يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويلك يا فنحاص؟ اتق الله و أسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة و الإنجيل.

فقال فنحاص لأبى بكر: و الله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، و إنه إلينا لفقير، و ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، و إنا عنه لأغنياء و ما هو عنا بغنى، و لو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا و يعطيناه، و لو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، و قال: و الذى نفسى بيده لو لا العهد الذى بيننا و بينك لضربت رأسك أى عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: يا محمد، انظر ما صنع بى صاحبك.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبى بكر: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، إنه زعم أن الله فقير و أنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت الله مما قال فضربت وجهه.

فجحد ذلك فنحاص، و قال: ما قلت ذلك. فأنزل الله عز و جل، فيما قال فنحاص ردا عليه و تصديقا لأبى بكر: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَ قَتَلَهُمُ الْآيَاتُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [آل عمران: ١٨١] «١».

و نزل فى أبى بكر و ما بلغه فى ذلك من الغضب: وَ لَتَسْمِعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذىً كَثِيرًا وَ إِنِ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [آل عمران: ١٨٦].

و كان ممن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس و الخزرج فيما ذكروا و الله أعلم «٢»: من الأوس: جلاس بن سويد بن الصامت من بنى حبيب بن عمرو بن عوف، و هو القائل، و كان ممن تخلف عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر.

(١) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (١٢٩ / ٤)، تفسير ابن كثير (١٥٣ / ٢).

(٢) انظر: السيرة (١٢٧ / ٢ - ١٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٧

و كان فى حجره عمير بن سعد، خلف جلاس على أمه بعد أبيه، فقال له عمير:

و الله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ، و أحسنه عندى و أعزهم علىّ أن يصيبه شىء يكرهه، و لقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لفضحك، و لئن صمت عليها ليهلكن دينى، و لإحداهما أيسر على من الأخرى.

ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر له ما قال جلاس، فحلف جلاس لرسول الله صلى الله عليه و سلم بالله لقد كذب على عمير و ما قلت ما قال.

فأنزل الله فيه: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعِيدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ [التوبة: ٧٤] «١».

فزعوا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام و الخير. و أخوه الحارث بن سويد، قتل المجذر بن زياد البلوى. و ذلك أن المجذر فيما ذكر ابن هشام، قتل أباه سويد بن الصامت بعض الحروب إذ كانت بين الأوس و الخزرج، فلما كان يوم أحد طلب الحارث غرة المجذر ليقتله بأبيه، فقتله.

و ذكر ابن إسحاق «٢» أن سويدا إنما قتله معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعث. قال: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتل الحارث إن هو ظفر به ففاته فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك و تعالى فيه: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعِيدَ إِيْمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [آل عمران: ٨٦]. إلى آخر القصة.

و نبتل بن الحارث من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك، و هو القائل: إنما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه. فأنزل الله تعالى: وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلُّ أَدُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحِمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة: ٦١] «٣».

(١) ذكره الطبرى فى تفسيره (١٢٧ / ١٠)، ابن كثير فى تفسيره (١٢٠ / ٤).

(٢) انظر: السيرة (١٢٩ / ٢).

(٣) انظر الحديث فى: أسباب النزول للواحدى (ص ٢٠٦)، الشوكانى فى فتح القدير (٥٢٩ / ٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٨

و فيه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما ذكر: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ابن الحارث» «١»، و كان جسيما أدلم نائر شعر الرأس أحمر العينين.

و ذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إنه يجلس إليك رجل أدلم «٢» نائر شعر الرأس أسفع الخدين «٣» أحمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين، فاحذره. و كان تلك صفة نبتل بن الحارث فيما يذكرون.

و عمرو بن خدام، و عبد الله بن نبتل، و حارثة بن عامر بن العطف و ابنه زيد و مجمع و هم ممن اتخذ مسجد الضرار. و كان مجمع،

غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره، و كان يصلى بهم فيه، فلما كان زمان عمر بن الخطاب كلم فى مجمع ليصلى بقومه بنى عمرو بن عوف فى مسجدهم، فقال: لا، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار!.

فقال له مجمع: يا أمير المؤمنين، والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم، ولكنى كنت غلاما قارئاً للقرآن و كانوا لا قرآن معهم، فقدمونى أصلى بهم و ما أرى أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا. فزعموا أن عمر رضى الله عنه، تركه فصلى بقومه «٤».

و من الخزرج، ثم من بنى عوف: عبد الله بن أبى بن سلول، و كان رأس المنافقين و إليه يجتمعون. و هو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل. و سيأتى ذكر ذلك مستوفى و بيان سببه عند الانتهاء إلى غزوة بنى المصطلق، إن شاء الله تعالى.

و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة و سيد أهلها عبد الله بن أبى هذا، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس و الخزرج قبله و لا- بعده على رجل من أحد الفريقين، حتى جاء الإسلام، و معه فى الأوس رجل، هو فى قومه من الأوس شريف مطاع، أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعه بن زيد، و هو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد، و كان قد ترهب و لبس المسوح، فكان يقال له الراهب، فشقيا بشر فهما!.

أما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه و يملكوه عليهم، فجاءهم

(١) انظر: الحديث فى: البداية و النهاية (٣/ ٢٣٨).

(٢) أدلم: الرجل الأدلم: الطويل الأسود، و يقال: هو المسترخى الشفتين.

(٣) أسفع الخدين: أسفع من السفعة و هى حمرة تضرب إلى السواد.

(٤) انظر: السيرة (٢/ ١٣١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٠٩

الله تبارك و تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم و هم على ذلك، فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضغن و رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق و ضغن «١».

و حدث أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعود من شكوا أصابه على حمار عليه ألحاف فوفقه قطيفة فركبه فخطمه «٢» بجبل من ليف و أردفنى خلفه، فمر بعبد الله بن أبى و حوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمم أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلم ثم جلس فتلا القرآن و دعا إلى الله و ذكر به و حذر و بشر و أنذر، و عبد الله زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا، فاجلس فى بيتك فمن جاءك فحدثه إياه، و من لم يأتك فلا تغشه به و لا تأته فى مجلسه بما يكره.

فقال عبد الله بن رواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين: بل فاعشنا به و اثنتا فى مجالسنا و دورنا و بيوتنا، فهو و الله ما نحب و مما أكرمنا الله به و هداانا له.

فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل تذلل و يصرعك الذين تصارع

و هل ينهض البازى بغير جناحه و إن جد يوما ريشه فهو واقع «٣» قال: و قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة و فى وجهه ما قال عدو الله ابن أبى، فقال: و الله يا رسول الله، إنى لأرى فى وجهك شيئا: لكأنك سمعت شيئا تكرهه؟ قال: «أجل». ثم أخبره بما قال ابن أبى. فقال سعد: يا رسول الله، ارفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك و إنا لننظم له الخرز لتوجه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكا!.

و أما أبو عامر فأبى إلا الكفر و الفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، و أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قدم المدينة فقال: ما هذا الدين الذى جئت به؟ قال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم». قال: فأنا عليها. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنك لست عليها».

قال: إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها. قال: «ما فعلت و لكنى جئت بها بيضاء نقيه». قال: الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيدا، يعرض برسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) انظر: السيرة (٢/ ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) الاختطام: أن يجعل على رأس الدابة و أنفها حبل يمسك منه الراكب.

(٣) انظر الأبيات فى: السيرة (١٩١ - ١٩٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١٠

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أجل، فمن كذب يفعل الله ذلك به» (١).

فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للإسلام و لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تقولوا: الراهب، و لكن قولوا الفاسق» (٢). فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا!!

قال ابن إسحاق (٣): و كان ممن تعوذ بالإسلام و دخل فيه مع المسلمين و أظهره و هو منافق من أحبار يهود، من بنى قينقاع: سعد بن حنيف، و نعمان بن أوفى، و عثمان بن أوفى، و زيد بن اللصيت، و هو الذى قال حين ضلت ناقه رسول الله صلى الله عليه و سلم: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء و هو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم، و دل على ناقته و جاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله: «إن قائلا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء و هو لا يدري أين ناقته، و إنى و الله ما أعلم إلا ما علمنى الله، و قد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها». فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم و كما وصف (٤).

و كان هؤلاء المنافقون المسلمون و غيرهم ممن لم يسم يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين و يسخرون منهم و يستهزون بدينهم.

فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا.

فقام أبو أيوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس أحد بنى غنم بن مالك بن النجار، و كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية، فأخذ برجله فسحبته حتى أخرجه من المسجد، و هو يقول: أ تخرجنى يا أبا أيوب من مريد بنى ثعلبة!

ثم أقبل أبو أيوب أيضا، إلى رافع بن وداعة أحد بنى النجار فلبه بردائه ثم نثره نثرا شديدا ثم لطم وجهه و أخرجه من المسجد و هو يقول: أف لك منافقا خبيثا، أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

(١) انظر الحديث فى: المنتظم لابن الجوزى (٣/ ١٨٤)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٣٥١).

(٢) انظر الحديث فى: عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٣٥١). الاكتفاء، الكلاعى ج ١، ص ٣١٠ ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى الله

عليه و سلم و أبى بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرين إلى المدينة ..... ص: ٢٨١

(٣) انظر: السيرة (٢/ ١٣٥).

(٤) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٢٣٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣١١

وقام عماره بن حزم إلى زيد بن عمرو، و كان طويل اللحية، فأخذ بلحيته ففاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عماره يديه فلدمه بهما في صدره لدمه خر منها. قال: يقول: خدشتني يا عماره! قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وقام أبو محمد، رجل من بني النجار، و كان بدريا، إلى قيس بن عمرو فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد. و كان قيس غلاما شابا لا يعلم في المنافقين شاب غيره.

وقام رجل من بلحارث يقال له: عبد الله بن الحارث إلى رجل يقال له: الحارث بن عمرو و كان ذا جمه فأخذ بجمته يسحبه عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه من المسجد.

قال: يقول المنافق: لقد أغلظت يا ابن الحارث. فقال له: إنك أهل لذلك يا عدو الله لما أنزل الله فيك، فلا تقرب مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنك نجس. و قام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخى ذوى بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا و أف من «١» و قال: غلب عليك الشيطان و أمره.

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ، من المنافقين فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بإخراجهم «٢».

ففي هؤلاء من أحبار يهود و المنافقين من الأوس و الخزرج نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها، فيما بلغنى و الله أعلم.

وقدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وفد نصارى نجران، ستون راكبا، فدخلوا عليه المسجد حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب و أردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم يومئذ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم.

و حانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: دعوهم. فصلوا إلى المشرق، و كان فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم و ذو رأيهم و صاحب مشورتهم الذي لا يصدرون

(١) أف من: أى قال له أف، و هى كلمة تقال لكل ما يتفل و يضجر منه.

(٢) انظر: السيرة (٢/ ١٣٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣١٢

إلا عن رأيه، و اسمه عبد المسيح، و السيد ثمالهم و صاحب رحلهم و مجتمعهم و اسمه الأيهم، و أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل أسقفهم و حبرهم و إمامهم و صاحب مدراسهم و كان أبو حارثة هذا قد شرف فيهم و درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكان ملوكهم قد شرفوه و مولوه و أخدموه و بنوا له الكنائس و بسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه و اجتهاده في دينهم «١».

فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة [إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم] «٢» و إلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة، و يقال كوز بن علقمة، فعثرت بغلة أبى حارثة فقال كوز: تعس الأبعد. يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست: قال: و لم يا أخى؟ قال: و الله إنه للنبي الذى كنا نتظره. فقال له كوز: فما يمنعك منه و أنت تعلم هذا؟! قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا و مولونا و أكرمونا و قد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى.

فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث «٣».

و كان أبو حارثة هذا ممن كلم رسول الله صلى الله عليه و سلم هو و العاقب و السيد، و هم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم في عيسى عليه السلام، يقولون: هو الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، و يقولون: هو ولد الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا- كذبا ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض. سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب و الشهادة فتعالى عما يشركون. و يقولون: هو ثالث ثلاثة. و ما من إله إلا إله واحد.

ففى كل هذا من قولهم قد نزل القرآن مدحضا حججهم و مبطلا دعاويهم، و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل. قال الله العظيم: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة: ٧٢].

(١) انظر: السيرة (٢/ ١٨٠).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٣٨٢، ٣٨٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٥/ ٥٩)، طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١٣

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ تَبَيَّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [المائدة: ٧٢، ٧٥].

و قال عز من قائل: وَ قَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ مَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [التوبة: ٣٠، ٣١].

و لما كلموا رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرهم بالإسلام، فقال له حبران ممن كلمه منهم: قد أسلمنا. فقال لهما: «إنكما لم تسلما فأسلما». فقالا: بلى قد أسلمنا قبلك. فقال:

«كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير».

قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يجيبهما «١».

فأنزل الله فى ذلك من قولهم و اختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع و ثمانين آية منها.

فافتتح السورة بتزيه نفسه سبحانه مما قالوا، و توحيده إياها بالخلق و الأمر، ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر و جعلوا معه من الأنداد ليعرفهم بذلك ضلالتهم. فقال جل قوله و تعالى جده: الم الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا- فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران: ١، ٦].

ثم استمر سبحانه فيما شاء من التبيان لهم و الإعدار إليهم و الاحتجاج عليهم، و إرشاد عباده المؤمنين إلى سبيل الضراعة إليه بأن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، و أن يهب لهم من لدنه رحمة، و ما وصل بذلك من قوله الحق و ذكره الحكيم.

(١) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (٧/ ٦٩٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤١)، فتح القدير للشوكانى (١/ ٤٦٦).



الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣١٤

ثم استقبل لهم أمر عيسى و كيف كان بدء ما أراد به، فقال: إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

ثم ذكر امرأة عمران و نذرها لله ما فى بطنها محررا، أى تعبد له سبحانه لا ينتفع به لشيء من الدنيا، ثم ما كان من وضعها مريم و تعويذها إياها و ذريتها بالله من الشيطان الرجيم.

يقول الله تبارك و تعالى: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا أَي ضَمَهَا وَ قَامَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَبِيهَا وَ أُمِّهَا.

ثم قص خبرها و خبر زكريا و ما دعا به و ما أعطاه، إذ وهب له يحيى، ثم ذكر مريم و قول الملائكة لها: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. يقول الله جل و عز: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ أَي يَسْتَهْمُونَ عَلَيْهَا، أيهم يخرج سهمه يكفلها. وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ أَي مَا كُنْتَ مَعَهُمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ فِيهَا.

يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم، تحقيقا لنبوته و إقامة للحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه. ثم قال تعالى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَ جِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أى هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه، و إن هذه حالاته التى يتقلب بها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا و كبارا، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته، و تعريفا للعباد مواقع قدرته. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمَسَّ مِنِّي بَشْرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ.

أى يصنع ما أراد و يخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر. و يصور فى الأرحام ما يشاء و كيف يشاء بذكر و بغير ذكر. إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

ثم أخبرها بما يريد به من كرامته و تعليمه الكتاب و الحكمة و التوراة المنزلة على موسى قبله و الإنجيل المنزل عليه، و جعله رسولا إلى بنى إسرائيل، مؤيدا من الآيات بما

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣١٥

هو صادر عن إذنه موقوف على مشيئته تحقيقا لما أراد من نبوته، كإبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى بإذن الله، و غير ذلك مما أيدته الله به من العجائب المصدقة له، و أمره إياهم بتقوى الله و طاعته و قوله لهم: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ تَبَرَّأ مِنَ الَّذِي يَقُولُونَ فِيهِ وَ احْتِجَابًا لربه عليهم. فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ أَي هذا الهدى قد حملتكم عليه و جئتكم به. فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ إِلَى آخِرِ قَوْلِهِمْ.

ثم ذكر رفعه إياه إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقرؤا لليهود بصلبه، كيف رفعه و طهره منهم فقال: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فِي هَذِهِ الْجِلْبَابِ وَ تَلْمِذُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ الْقِصَّةُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنُ مِنَ الْمُحْتَرَبِينَ.

أى قد جاءك الحق من ربك فلا- ترتابن به و لا- تمترين فيه، و إن قالوا: كيف خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى و لا ذكر، فكان كما كان عيسى لحما و دما و شعرا و بشرا، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ أَي من بعد ما قصصت عليك من خبره و كيفية أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين.



نبتهل: ندعو باللعة، و نبتهل أيضا، نجتهد بالدعاء. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ أَى مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ مِنْ أَمْرِ عِيسَى وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. فدعاهم الله إلى النصف و قطع عنهم الحجة.

فلما أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم الخبر من الله عز و جل، فى شأن عيسى و فصل القضاء بينه و بينهم بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا نلظى فى أمرنا ثم نأتىك بما نريد أن نلظى فيما دعوتنا إليه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١٦

فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب، و كان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟

فقال: «و الله، يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمدا لنبى مرسل، و لقد جاءكم من خبر صاحبكم بالحق، و لقد علمتم ما لا عن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم و لا نبت صغيرهم، و إنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا ألف دينكم و الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم».

فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك و أن نتركك على دينك و نرجع إلى ديننا، و لكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أتونى العشيء أبعث معكم القوى الأمين». فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول: ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهاجرا، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه و يساره فجعلت أطاول له ليرانى، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ابن الجراح، فدعاه فقال: أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه. قال عمر:

فذهب بها أبو عبيدة «١».

و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة قدمها و هى أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء و سقم حتى جهدوا فما كانوا يصلون إلا و هم قعود، و صرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه و سلم فخرج عليهم صلوات الله عليه، و هم يصلون كذلك، فقال لهم:

«اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم». فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف و السقم التماس الفضل! «٢».

و كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ممن أصابته الحمى، و كذلك مولياها عامر بن فهيرة و بلال، قالت عائشة: فدخلت أعودهم قبل أن يضرب علينا الحجاب و هم فى بيت واحد و بهم ما لا يعلمه إلا الله من الوعك، فدنوت من أبى بكر فقلت له: كيف

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المغازى (٤٣٨٠)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (٥٥ / ٤).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين (١ / ١٢٠)، سنن النسائى (١٦٥٨)، سنن أبى داود (٩٥٠)، سنن ابن ماجه (١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١)، مسند الإمام أحمد (٢ / ١٩٣، ٣ / ٤٢٥، ٦ / ٦١، ٧١)، البداية و النهاية لابن كثير (٣ / ٢٢٤)، فتح البارى لابن حجر (٢ / ٦٨٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١٧ كل امرئ مصيح فى أهله و الموت أدنى من شراك نعله

فقلت: و الله ما يدرى أبى ما يقول، ثم دنوت إلى عامر فقلت: كيف تجدك يا عامر؟

فقال:

لقد وجدت الموت دون ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه قالت: و كان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته و قال:  
الآليت شعري هل أبيتن ليلة بواد و حولي إذخر و جليل

و هل أردن يوما مياه مجنئو هل يبدون لى شامة و طفيل قالت عائشة: فذكرت لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما سمعت منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم حب لنا المدينة كما حبت إلينا مكة أو أشد، و بارك لنا فى مداها و صاعها، و انقل و باءها إلى مهيعه» «١»، و هى الجحفه.

### شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب المشركين و ذكر مغازيه التى أعز الله بها الإيمان و المؤمنين

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم تهيأ لحربه و قام فيما أمره الله تبارك و تعالى به من جهاد عدوه و قتال من أمره الله بقتاله ممن يليه من مشركى العرب.  
و خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة.  
حتى بلغ ودان و هى غزوة الأبياء «٢»، يريد قريشا و بنى ضمرة من بكر بن عبد مناة ابن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، و كان الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمرى، و كان سيدهم فى زمانه ذلك.

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار (٣٩٢٦)، صحيح مسلم كتاب الحج (٢ / ٤٨٠)، مسند الإمام أحمد (٥ / ٣٠٩)، السنن الكبرى للبيهقى (٣ / ٣٣٢)، الترغيب و التهيب للمنذرى (٢ / ٢٢٦)، دلائل النبوة للبيهقى (٢ / ٥٦٩)، موطأ الإمام مالك (٢ / ١٤).

(٢) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدي (١ / ١١، ١٢)، طبقات ابن سعد (٢ / ١ / ٣، ٤)، تاريخ الطبرى (٢ / ٤٠٧)، البداية و النهاية (٣ / ٢٤٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣١٨

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و لم يلق كيدا، فأقام بها.  
و بعث فى مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى «١» فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد.

فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرّة، فلقى بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلّا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله.

و قال سعد فى رميته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسول الله أنى حميت صحابتي بصدور نبلى

أذود بها أوائلهم ذبادا بكل حزونه و بكل سهل

فما يعتد رام فى عدوسهم يا رسول الله قبلى فى آيات ذكرها ابن إسحاق، و ذكر ابن هشام أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.

ثم انصرف القوم عن القوم و للمسلمين حامية.

و فر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى «٢» و عتبة بن غزوان «٣»، و كانا مسلمين و لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار.  
و يقال: إن أبابكر الصديق رضى الله عنه قال فى غزوة عبيدة هذه:

(١) انظر ترجمته فى: الثقات (٣ / ٣١٢)، الاستبصار (١٥٨، ٣٠١)، تجريد أسماء الصحابة (١ / ٣٦٩)، الأعلام (٤ / ١٩٨)، سير أعلام

النبلاء (١/ ٢٥٦)، الإصابة ترجمة رقم (٥٣٩١)، أسد الغابة ترجمة رقم (٣٥٣٤).

(٢) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ١٤٤)، طبقات خليفة (٦١، ٦٧، ١٦٨)، التاريخ الكبير (٨/ ٥٤)، التاريخ الصغير (٦٠، ٦١)، المعارف (٢٦٣)، الجرح و التعديل (٨/ ٤٢٦)، حلية الأولياء (١/ ١٧٢، ١٧٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٩)، الإصابة ترجمة رقم (٨٢٠١)، أسد الغابة ترجمة رقم (٥٠٧٦).

(٣) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ٦٩)، التاريخ الكبير (٦/ ٥٢٠، ٥٢١)، المعارف (٢٧٥)، الجرح و التعديل (٦/ ٣٧٣)، حلية الأولياء (١/ ١٧١، ١٧٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٠٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٧)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٤)، الإصابة ترجمة رقم (٥٤٢٧)، أسد الغابة ترجمة رقم (٣٥٥٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣١٩ أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث أرقيت و أمر فى العشرة حادث «١»

ترى من لؤى فرقة لا يصدها عن الكفر تذكير و لا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه و قالوا لست فينا بما كآ

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا و هروا هريرا المحجرات اللواث «٢»

فكم قد متتنا فيهم بقرايه و ترك التقى شىء لهم غير كارث

فإن يرجعوا عن كفرهم و عقوقهم فما طيبات الحلّ مثل الخبائث

و إن يركبوا طغيانهم و ضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائث

و نحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها فى الفروع الأناث

فأولى برّب الراقصات عشية حراجيج تجرى فى السريح الرّناث

كأدم ظباء حول مكة عكف بردن حياض البئر ذات التباث

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم و لست إذا آليت قولاً بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث و كانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الإسلام.

و بعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة، و أنه بعث فى مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين، فلقى أبا جهل بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز مجدى بن عمرو الجهنى، و كان موادعا للفرقيين.

فانصرف بعض القوم عن بعض، و لم يك بينهم قتال.

و بعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه و سلم لأحد من المسلمين، و ذلك أن بعثه و بعث عبيدة كانا معا، فشبه ذلك على الناس.

و قد زعموا أن حمزة قال فى ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقا، فإله أعلم أى ذلك كان.

(١) الدماث: أى الرمال اللينة.

(٢) هروا: أى وثبوا كما تثب الكلاب. و المجحرات: أى الكلاب التى اجحرت، أى لجثت إلى مواضعها.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٢٠

فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا: فعبيدة بن الحارث أول من عقد له.

و الشعر المنسوب لحمزة رضى الله عنه:

ألا يا لقومى للتحكم و الجهل و للنقص من رأى الرجال و للعقل  
و للراكيينا بالمظالم لم نطأ لهم حرمت من سوام و لا أهل «١»  
كأنا تبلناهم و لا تبل عندنا لهم غير أمر بالعفاف و بالعدل «٢»  
و أمر بإسلام فلا يقبلونه و ينزل منهم مثل منزلة الهزل  
فما برحوا حتى انتدبت بغارة لهم حيث حلوا ابتغى راحة الفضل  
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبل  
لواء لديه النصر من ذى كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل  
عشية ساروا حاشدين و كلنا مراحله من غيظ أصحابه تغلى  
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا و عقلنا مدى غرض النبل  
فعلنا لهم جبل الإله نصيرنا و ليس لكم إلا الضلالة من جبل  
فتار أبو جهل هنالك باغيا فخاب ورد الله كيد أبى جهل  
و ما نحن إلا فى ثلاثين راكبا و هم مائتان بعد واحدة فضل  
فيال لؤى لا تطيعوا غواتكم و فيثوا إلى الإسلام و المنهج السهل «٣»

فإنى أخاف أن يصب عليكم عذاب فتدعوا بالندامة و التكل ثم غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ  
بواط «٤» من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا.

ثم غزاهم فسلك على نقب بنى ديار على فيفاء الحبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم  
مسجده صلى الله عليه و سلم، و صنع له عندها طعام فأكل منه و أكل الناس معه، فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك، و استقى له من  
ماء يقال له: المشرب المشترك.

ثم ارتحل حتى هبط بليل، ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع،  
فأقام بها جمادى الأولى و ليالى من

(١) السوام: أى الإبل الراعية، و قيل: هى المرسله فى المرعى.

(٢) تبلناهم: أى عاديناهم.

(٣) فيثوا: أى ارجعوا. و المنهج: أى الطريق الواضح.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢)، البداية و النهاية (٣/٢٤٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٢١

جمادى الآخرة. و وادع فيها بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا.

و بعث سريه فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين، فبلغ الخزار من أرض الحجاز، ثم رجع و لم  
يلق كيدا.

و لم يقيم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة «١» إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر  
الفهرى «٢» على سرح المدينة.

فخرج صلى الله عليه و سلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يدركه. و هى غزوة بدر الأولى.

ثم رجع إلى المدينة.

و بعث عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي «٣» في رجب مقفلة من تلك الغزاة، و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، و هم: أبو حذيفة بن عتبة، و سعد بن أبي وقاص، و عكاشة بن محصن، و عتبة بن غزوان، و عامر بن ربيعة، و واقد بن عبد الله التميمي، و خالد بن البكير، و سهيل بن بيضاء. و كتب له كتابا و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به، و لا يستكره من أصحابه أحدا.

فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة و الطائف، فترصد بها قريشا و تعلم لنا من أخبارهم».

فقال عبد الله: سمعا و طاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أمضى إلى نخلة أرصد فيها قريشا حتى آتية منهم بخبر، و قد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها، فلينطلق، و من كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فمضى و مضى معه أصحابه، لم يختلف عنه منهم أحد، و سلك على الحجاز حتى إذا

(١) راجع هذه الغزوة في: المغازي للواقدي (١/١٢، ١٣)، طبقات ابن سعد (٢/١، ٤، ٥)، تاريخ الطبري (٢/٤٠٨)، البداية و النهاية (٣/٢٤٦).

(٢) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٧٤٠٩)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٤٤٩).

(٣) انظر ترجمته في: الثقات (٣/٢٣٧)، صفوة الصفوة (١/٣٨٥)، حلية الأولياء (١/١٠٨، ١٠٩)، شذرات الذهب (١/٥٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/٣٠٢)، تهذيب التهذيب (٥/١٤٣)، الجرح و التعديل (٥/٢٢، ١٠١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٢٢

كان بمعدن فوق الفرع يقال له: بحران أضل سعد بن أبي وقاص و عتبه بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقانه، فتخلفا في طلبه.

و مضى عبد الله في بقيته أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زبيبا، و أدما، و تجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي، و عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي و أخوه نوفل، و الحكم بن كيسان، فلما رأهم القوم هابوهم، و قد نزلوا قريبا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، و كان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، و قالوا:

عمار لا بأس عليكم منهم، و تشاور القوم فيهم، و ذلك في آخر يوم من رجب، فقالوا:

و الله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمنعن منكم به، و لئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام.

فتردد القوم و هابوا ثم شجعوا أنفسهم و أجمعوا قتل من قدروا عليه منهم، و أخذ ما معهم.

فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، و استأسر عثمان بن عبد الله، و الحكم، و أفلت القوم نوفل فأعجزهم.

و أقبل عبد الله بن جحش و أصحابه بالغير و الأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة.

و عزل عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه و سلم خمس تلك الغنيمه و قسم سائرهما بين أصحابه، و ذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم فلما أحل الله الفئء بعد ذلك و أمر بقسمه و فرض الخمس فيه، وقع على ما كان عبد الله صنع في تلك العير.

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام» «١». فوقف العير و الأسيرين و أبي أن يأخذ من ذلك شيئا.

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم سقط في أيدي القوم و ظنوا أنهم قد هلكوا، و عنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، و قالت قريش: قد استحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، و سفكوا فيه الدم و أخذوا فيه الأموال، و أسروا فيه الرجال.

فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.  
وقالت يهود، تفاعل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٤٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٣٢٣

الله: عمرو: عمرت الحرب، و الحضرمي: حضرت الحرب، و واقد بن عبد الله: و قدت الحرب: فجعل الله تبارك و تعالى ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله على رسوله: يَسْتَمْلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلٌ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ [البقرة: ٢١٧].

أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، و عن المسجد الحرام، و إخراجكم منه أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، و الفتنة أكبر من القتل، أى قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل.

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر و فرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير و الأسيرين، و بعثت قريش في فدائهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا، حتى يقدم صاحبانا، يعنى سعد بن أبى وقاص و عتبة بن غزوان، فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحببيكم». فقدم سعد و عتبة، فأفدى الأسيرين عند ذلك منهم.

فأما الحكم فأسلم فحسن إسلامه، و أقام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استشهد يوم بئر معونة، و أما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا.

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش و أصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا فى الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنظم أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟

فأنزل الله تبارك و تعالى فيهم: إِنَّ الدِّينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ، وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة: ٢١٨]، فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء.

و قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى تلك الغزوة آياتا، و يقال بل عبد الله بن جحش، قالها حين قالت قريش: قد أحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم و أخذوا المال و أسروا الرجال:

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة و أعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمدو كفر به و الله راء و شاهد

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٣٢٤ و إخراجكم من مسجد الله أهله لثلا يرى فى البيت الله ساجد

فإننا و إن غيرتمونا بقتله و أرجف بالإسلام باغ و حاسد

سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا بنخله لما أوقد الحرب واقد

دما و ابن عبد الله عثمان بيننا نازعه غل من القيد عاقد

### غزوة بدر الكبرى «١»

قال ابن إسحاق «٢»: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة.

فندب المسلمين إليهم، و قال: «هذه غير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» (٣).

فانتدب الناس، فخف بعضهم و ثقل بعضهم، و ذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يلقى حرباً. و كان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار، و يسأل من لقي من الزكبان، تخوفاً، حتى أصاب من بعضهم خبراً باستنفار رسول الله صلى الله عليه و سلم له و لغيره، فحذر عند ذلك، و استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك، و يستنفرهم إلى أموالهم، فخرج ضمضم سريعاً.

و كانت عاتكة بنت عبد المطلب (٤) قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعها، فقالت لأخيها العباس: يا أخي، و الله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفزعتنى و تخوفت أن يدخل على قومك منها شر و مصيبة، فاكم عنى ما أحدثك، فقال لها: و ما رأيت؟.

(١) ذكرها ابن الجوزى فى المنتظم (٣/٩٧)، الواقدي فى المغازى (١/١٩)، ابن سعد فى الطبقات (٢/١/٦ ط الشعب)، الطبرى فى تاريخه (٢/٤٢١)، ابن كثير فى البداية و النهاية (٣/٢٥٦)، ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ (٢/١٤).  
(٢) انظر السيرة (٢/٢١١).

(٣) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١/٦)، الدر المنثور للسيوطى (٣/١٦٨)، تفسير ابن كثير (٣/٥٥٧)، تفسير القرطبي (٧/٣٧٣)، تفسير الطبرى (٩/١٢٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/٢٥٦).

(٤) انظر ترجمتها فى: طبقات ابن سعد (٨/٤٣)، المعارف (١١٨)، الإصابة ترجمة رقم (١١٤٥٥)، أسد الغابة ترجمة رقم (٧٠٨٨).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٢٥

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته: ألا- أنفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد و الناس يتبعونه، فبيناهم حوله، مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها، ألا أنفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس «١» فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة و لا دار إلا دخلتها منها فلقه.

قال العباس: و الله إن هذه لرؤيا، و أنت فاكتميتها و لا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة، و كان له صديقاً، فذكرها له و استكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت و أبو جهل فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآنى قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قال: قلت: و ما ذاك؟ قال: الرؤيا التى رأت عاتكة، فقلت: و ما رأيت؟.

قال يا بنى عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم؟ قال:

زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: أنفروا فى ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، و إن تمض الثلاث و لم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.

قال العباس: فوالله، ما كان منى إليه كبير، إلا أنى جحدت ذلك و أنكرت أن تكون رأيت شيئاً، ثم تفرقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى، فقالت: أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء و أنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيره بشىء مما سمعت؟ فقلت: قد و الله فعلت، و ما كنا منى إليه من كبير، و ايم الله لأتعرضن له فإن



عاد لأكفيكته.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة و أنا حديد مغضب، أرى أنه قد فاتني

(١) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة من شريقها. انظر: معجم البلدان (١/ ٨٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٢٦

أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيت، و كان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، فوالله، إنني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال، فأقع به، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، فقلت في نفسي: ماله، لعنة الله؟! أكل هذا فرقا مني أن أشاتم! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو [الغفاري] و هو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدعه و حول رحله و شق قميصه و هو يقول:

يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.  
قال: فشغلني عنه، و شغله عني ما جاء من الأمر.

فتجهز الناس سراعا و قالوا: أ يظن محمد و أصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا و الله ليعلمن غير ذلك.

فكانوا بين رجلين، إما خارج و إما باعث مكانه رجلا.

و أو عبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا- أن أبا لهب تخلف و بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة. و كانت عليه لأبي لهب أربعة آلاف درهم، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعته.

و أجمع أمية بن خلف القعود- و كان شيخا جليلا جسيما ثقيلًا- فأتاه عقبه بن أبي معيط و هو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجرة فيها نار و مجمر حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي، استجمر فإنما أنت من النساء! فقال: قبحك الله و قبح ما جئت به. ثم تجهز و خرج مع الناس.

و لما فرغوا من جهازهم و أجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم و بين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة، و قالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، فكد ذلك يثبتهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجي، و كان من أشراف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتیکم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه.

فخرجوا سراعا.

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه، و دفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار «١»، و كان أبيض، و كان أمام

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٨٠٢٠)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٩٣٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٢٧

رسول الله صلى الله عليه و سلم رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب- رضى الله عنه- و الأخرى مع بعض الأنصار، و جعل علي الساقه قيس بن أبي صعصعة أخوا بني مازن بن النجار، و كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام.

فسلك رسول الله صلى الله عليه و سلم طريقه من المدينة إلى مكة حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو «١»، و عدى بن أبي الزغباء «٢» الجهينيين إلى بدر يتجسسان له الأخبار عن أبي سفيان و غيره.

فمضيا حتى نزلا- بدرا، فأناخا إلى تل قريب من الماء، فسمعا جاريتين من جواري الحاضر تتلازما على الماء، و الملزومة تقول لصاحبها: إنما ترد العير غدا أو بعده فأعمل لهم ثم أقضيك. فقال مجدى بن عمرو، و كان على الماء: صدقت، ثم خلص بينهما.

فلما سمع بذلك عدى و بسبس، انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه.

ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا حتى ورد الماء، فقال لمجدي: هل أحسست أحدا؟

قال: لا، إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب! فأسرع إلى أصحابه فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحل بها، وترك بدرا بيساره.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى واديا يقال له: «ذفران»، فجزع فيه، ثم نزل.

و أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فأخبر الناس و استشارهم.

فقام أبو بكر الصديق فقال و أحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: «اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٨١٠)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٠٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤٨)، معرفة الصحابة (٣/ ١٧٥).

(٢) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٥٤٩٨)، أسد الغابة ترجمة رقم (٣٦١٣)، الثقات (٣/ ٣١٦)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٧٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٢٨

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا و دعا له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي» (١). و إنما يريد الأنصار، و ذلك أنهم عدد الناس، و أنهم حين بايعوه بالعقبه قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا و نساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، و أن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدو، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: و الله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال:

«أجل» (٢)، قال: فقد آمانا بك و صدقتك؛ و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، و أعطيناك على ذلك عهدنا و موثيقنا على السمع و الطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما يتخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد و نشطه ذلك، ثم قال: «سيروا و أبشروا فإن الله تبارك و تعالی قد وعدني إحدى الطائفتين، و الله لكأنى الآن انظر إلى مصارع القوم» (٣).

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من «ذفران» (٤) حتى نزل قريبا من بدر فركب هو و رجل من أصحابه، قيل: هو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، و عن محمد و أصحابه، و ما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا اخبر كما حتى تخبراني ممن أنتما؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أو ذاك بذاك، قال: «نعم»، قال الشيخ: فإنني بلغني أن محمدا و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا و كذا، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه

و سلم، و بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا و كذا، للمكان الذى به قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن من ماء» (٥). ثم انصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٣٥٦/٩)، دلائل النبوة للبيهقى (٣٧٧/٢)، (٣٨١).

(٢) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٥٢٣٣)، مسند الإمام أحمد (١/٢٥٥، ٢٨٤، ٣/٤٣٨، ٥/٢٨٦، ٣٧٢، ٣٨١)، الدر المنثور للسيوطى (٥/٢٠٥)، كنز العمال للمتقى الهندى (٣١٣٧٩).

(٣) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (٣/٧٢)، فتح البارى لابن حجر (٧/٣٣٦).

(٤) ذفران: واد قرب واد الصفراء و الذفر كل ريح من طيب أو نتن. انظر: معجم البلدان (٣/٦).

(٥) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/٢٦٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٢٩

قال: يقول الشيخ: ما من ماء! أمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب و الزبير بن العوام، و سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا راوية لقريش فيهما غلامان لبعضهم، فأتوا بهما فسألوهما، و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلى، فقالا: نحن سقاء قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، و رجوا أن يكونا لأبى سفيان، فضربوهما، فلما أذلقوهما قالوا: نحن لأبى سفيان، فتركوهما.

و ركع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سجد سجديته، ثم سلم و قال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، و إذا كذباكم تركتموهما! صدقا و الله، إنهما لقريش، أخبرانى عن قريش. فقالا: هم وراء هذا الكتيب الذى ترى». قال: «كم القوم؟» قال: كثير. قال: «ما عدتهم؟» قال: ما ندرى. قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قال: يوما تسعا و يوما عشرا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «القوم ما بين التسعمائة و الألف» (١).

ثم قال لهما: «من فيهم من أشرف قريش؟» قالوا: عتبة بن ربيعة، و شيبه بن ربيعة، و أبو البخترى بن هشام، و حكيم بن حزام، و نوفل بن خويلد، و الحارث بن عامر، و طعيمة بن عدى، و النضر بن الحارث، و زمعة بن الأسود، و أبو جهل بن هشام، و أمية ابن خلف، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و سهيل بن عمرو، و عمرو بن عبد ود.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس فقال: «هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها» (٢).

و أقبلت قريش؛ فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إنى أرى فيما يرى النائم، و إنى ليين النائم و اليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف و معه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة و شيبه بن ربيعة، و أبو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف و فلان، فعدد رجلا ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فيما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

(١) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (١٣/٢، ١١/٤)، تفسير الطبرى (٣/١٣١)، الدر المنثور للسيوطى (٣/١٦٦).

(٢) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/٢٧٧، ٢٧٨)، تاريخ الطبرى (٢/٢٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/٧٥، ٧٦)، دلائل النبوة للبيهقى (٣/٤٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣٠

فبلغت أبا جهل فقال: و هذا- أيضا- نبي آخر من بنى المطلب! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا.

قال: و لما رأى أبو سفيان قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم خرجتم لتمنعوا غيركم و رجالكم و أموالكم فقد نجاها إله، فارجعوا.

قال أبو جهل: و الله لا نرجع حتى نرد بدرًا، و كان موسما للعرب لهم به سوق كل عام، فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجزر، و نطعم الطعام،

و نسقى الخمر، و تعزف علينا القيان، و نسمع بنا العرب و بمسيرنا و جمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا.

و قال الأحنس بن شريق الثقفي: يا بنى زهرة، و كان حليفا لهم: قد نجى الله أموالكم و خلص لكم صاحبكم مخرمه بن نوفل، و إنما

نفرتم لتمنعوه و ماله، فاجعلوه بن جنبها و ارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعه، لا ما يقول هذا.

فرجعوا فلم يشهدا زهرى واحد، أطاعوه و كان فيهم مطاعا.

و لم يكن بقى من قريش بطن إلا قد نفر منهم ناس إلا بنو عدى بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأحنس،

فلم يشهد بدرًا من هذين القبيلين أحد.

و كان بين طالب بن أبى طالب و كان فى القوم، و بين بعض قريش محاوره، فقالوا:

و الله لقد عرفنا يا بنى هاشم و إن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد. فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، و قال:

لا هم إما يغزون طالب فى عصبه مخالفا محارب

فى مقب من هذه المقانب فليكن المسلوب غير السالب

و ليكن المغلوب غير الغالب

و مضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل و القلب بيدر فى العدو الدنيا إلى المدينة.

و بعث الله- عز و جل- السماء، و كان الوادى دهسا، فأصاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه منها ما لبد لهم الأرض و لم

يمنعهم من المسير، و أصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاءوا أدنى ماء من بدر نزلوا به.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣١

فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى قال: يا رسول الله، أ رأيت هذا المنزل، أ منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه و لا

نتأخر عنه؟ أم هو الرأى و الجرب و المكيدة؟

فقال: «بل هو الرأى و الحرب و المكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأنى أدنى ماء من القوم فننزله ثم

نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نتقاتل القوم، فنشرب و لا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لقد أشرت بالرأى» «١». فنهض رسول الله صلى الله عليه و سلم و من معه من الناس، فساروا

حتى إذا اتى ماء إلى القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت و بنى حوضا على القلب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

و قال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشا تكون فيه، و نعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله و أظهرنا على

عدونا، كان ذلك ما أحببنا، و إن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله

ما نحن بأشد حبا لك منهم، و لو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله- عز و جل- بهم يناصحنك و يجاهدون معك.

فأثنى رسول الله صلى الله عليه و سلم عليه خيرا و دعا له بخير، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه و سلم عريش فكان فيه.

و ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم تصوب من الكتيب الذى جاءوا منه، قال: «اللهم

هذه قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادك و تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتني به، اللهم أحنهم الغداة» «٢».

و قد كان خفاف بن إيماء بن رخصه الغفارى أو أبوه بعث إلى قريش حين مروا به ابنا له بجزائر أهداها لهم، و قال: إن أحببتم أن

نمدكم بسلاح و رجال فعلنا. فأجابوه: أن وصلتك رحم، قد قضيت الذى عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم،

و لئن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة!

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض رسول

(١) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٤/ ٤٢٦، ٤٢٧).

(٢) انظر الحديث في: صحيح مسلم (٣/ ٥٨)، مسند الإمام أحمد (٢٠٨، ٢٢١)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٤٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٣٢

الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «دعوهم». فما شرب منه يومئذ رجل إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا، والذي نجاني من يوم بدر «١».

و لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد.

فدار بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، و لكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد، و ضرب في الوادي حتى أبعث فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، و لكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم، و الله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، فروا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش و سيدها و المطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر، قال: و ما ذلك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، و تحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على بذلك إنما هو حليفى فعلى عقله و ما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظليّة - يعنى أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره.

ثم قام عتبة خطيباً فقال:

يا معشر قريش، إنكم و الله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً و أصحابه شيئاً، و الله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا و خلوا بين محمد، و بين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، و إن كان غير ذلك ألقاكم، و لم تعرضوا منه ما تريدون.

و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عتبة في القوم على جمل له أحمر فقال: «إن يك عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا» (٢).

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها فهو يهينها، فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا و كذا، للذي قال. فقال:

انتفخ و الله سحره حين رأى محمداً و أصحابه، كلا و الله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا

(١) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٣/ ٢٩٨)، الطبري في تاريخه (٢/ ٣٠).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (١/ ١١٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٧٥، ٧٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٣٣

و بين محمد و ما بعتبه ما قال: و لكنه قد رأى أن محمداً و أصحابه أكله جزور و فيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه.

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي، فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، و قد رأيت تارك بعينيك، فقم فانشد خفرتك، و مقتل

أخيكم.

فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ: وا عمراه، وا عمراه! فحميت الحرب و حقب أمر الناس و استوسقوا على ما هم عليه من الشر و أفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة.

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ و الله سحره، قال: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟!

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته، فلما ذلك اعتجر على رأسه بيرد له.

و خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي و كان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال:

أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه.

فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن قدمه بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد. زعم أن يبر يمينه، و أتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبه و ابنه الوليد بن عتبة حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، و هم: عوف و معوذ ابنا الحارث و أمهما عفراء، و عبد الله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قم يا عبيدة بن الحارث، و قم يا حمزة و قم يا علي» (١). فلما قاموا و دنوا منهم، قالوا: من أنتم، فقال عبيدة: عبيدة، و قال حمزة: حمزة، و قال علي: علي.

قالوا: نعم، أكفاء كرام.

فبارز عبيدة، و كان أسن القوم، عتبة، و بارز حمزة شيبه، و بارز علي الوليد.

فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله. و أما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، و اختلف عبيدة

(١) انظر الحديث في: سنن أبي داود (٢٦٦٥)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٣٤

و عتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، و كر حمزة و علي بأسيا فهدما على عتبة فذففا عليه، و احتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه. و ذكر ابن عتبة، أنه لما طلب القوم المبارزة فقام إليهم ثلاثة نفر من الأنصار، استحيا النبي صلى الله عليه و سلم من ذلك لأنه كان أول قتال التقى فيه المسلمون و المشركون و رسول الله صلى الله عليه و سلم شاهد معهم، فأحب النبي صلى الله عليه و سلم أن تكون الشوكة بيني عمه، فناداهم أن ارجعوا إلى مصافكم، و ليقيم إليهم بنو عمهم. فعند ذلك قام حمزة و علي و عبيدة.

ثم تراحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أصحابه أنه لا يحملوا حتى يأمرهم، و قال: «إن اكتنفتكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل» (١).

و رسول الله صلى الله عليه و سلم في العريش معه أبو بكر الصديق، و كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: أحد، أحد. و عدل رسول الله صلى الله عليه و سلم - يومئذ - صفوف أصحابه و في يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزیه - حليف بني عدى بن النجار - و هو مستثل من الصف - أي بارز - فطعن في بطنه بالقدح و قال: «استو يا سواد». فقال: يا رسول الله أوجعتني، و قد بعثك الله بالحق و العدل فأقدني. فكشف رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بطنه و قال: «استقد»، فاعتنقه فقبل بطنه، فقال له: «ما حملك على هذا يا سواد؟» (٢) قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك، فدعا له بخير، و قاله له.

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه و سلم الصفوف و رجع إلى العريش، فدخله و معه فيه أبو بكر، ليس معه فيه غيره، و رسول الله صلى



اللّه عليه و سلم يناشد ربه ما وعده من النصر و يقول فيما يقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد». و أبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

و خفق رسول الله صلى الله عليه و سلم خفقة و هو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله! هذا جبريل آخذا بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» (٣). يريد الغبار.  
و رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتله، فكان أول قتيل من المسلمين.

(١) انظر الحديث في: صحيح البخارى (٣٩٨٤، ٣٩٨٥)، سنن أبى داود (٢٦٦٣).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٧١)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣٢).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٨٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣٥

ثم رمى حارثة بن سراقة- أحد بنى عدى بن النجار- و هو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتله.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الناس فحرضهم، ثم قال: «و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» (١).

فقال عمير بن الحمام، أخو بنى سلمة و فى يده تمرات يأكلهن: بخ بخ! أما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده و أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

و قال- يومئذ- عوف بن الحارث و هو ابن عفراء: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ فقال: «غمسه يده فى العدو حاسرا» (٢). فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

و قاتل عكاشة بن محصن الأسدى حليف بنى عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده، فاتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاه جذلا من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة» (٣)، فلما أخذه هذه فعاد فى يده سيفا طويلا القائمة شديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، و كان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قتل فى الردة و هو عنده، قتله طليحة الأسدى.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ حفة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال: «شاهت الوجوه» (٤)، ثم نفحهم بها، ثم أمر أصحابه فقال: «شدوا»، فكانت الهزيمة عليهم.

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإمارة (٣/ ١٤٥)، مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧)، مستدرک الحاكم (٣/ ٤٢٦).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٧١).

(٣) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٩٨، ٩٩)، المغازى للواقدى (١/ ٩٣).

(٤) انظر الحديث في: صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (٢٨) رقم (٨١)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٠٣، ٣٦٨، ٢٨٦/٥)، مستدرک الحاكم (١/ ١٦٣، ١٥٧/٣)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٨٤، ١٨٤، ٤/ ٢٢٨)، دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ١٤١، ١٦/ ٢٤٠)، فتح البارى لابن حجر (٧/ ١٦٩، ٨/ ٣٢)، الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٧٤، ٢٢٤، ٢٢٦، ٣٤٥)، كنز العمال للمتقى الهندى (٣٦٩٧، ٢٩٩٢٤، ٢٩٩٢٥، ٣٠٢١٣، ٣٠٢٠٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧١، ٥٨٦، ٤/ ٦٩)، تفسير القرطبى (٨/ ٩٨، ١٦، ٢٦٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٨٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣٦

و جعل الله تلك الحصباء عظيما شانها، لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه.



و استولى عليهم المسلمون معهم الله و ملائكته يقتلونهم و يأسرونهم و يجدون النفر كل رجل منهم منكب على وجهه لا يدري أين يتوجه، يعالج التراب ينزعه من عينيه.

فقتل الله من قتل من صنديد قريش، و أسر من أسر من أشرافهم.

فلما وضع القوم أيديهم يأسرون و سعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم متوشح السيف فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه و سلم خوف كره العدو عليه، رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له:

«لكنك و الله يا سعد تكره ما يصنع القوم؟» «١» فقال: أجل و الله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استقبال الرجال.

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ لأصحابه: «إني قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم و غيرهم أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله، و من لقي أبا البختری بن هشام فلا يقتله، و من لقي العباس عم رسول الله فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها». فقال أبو حذيفة: أقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و عشيرتنا و نترك العباس! و الله لئن وجدته لألحمته السيف. فبلغت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص». قال عمر: و الله، إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأبى حفص. «أ يضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالسيف؟» «٢» فقال عمر: يا رسول الله، دعنى فلاضرب عنقه بالسيف، فو الله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ و لا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا رحمه الله.

و إنما نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل أبى البختری لأنه كان أكف القوم عنه بمكة، و كان لا يؤذيه و لا يبلغه عنه شىء يكرهه، و كان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم و بنى المطلب.

فلقبه المجذر بن زياد البلوى حليف الأنصار- يوم بدر- فقال له: إن رسول الله

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٢٨٤)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣٤)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢/ ١٢٦).

(٢) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/ ٣٤)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٣٩٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٣٧

صلى الله عليه و سلم قد نهانا عن قتلك، و مع أبى البختری زميل له خرج معه من مكة، قال: و زميلى؟

قال المجذر: لا و الله ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا بك و حدك.

قال: إذا و الله لأموتن أنا و هو جميعا، لا تحدث عنى نساء مكة إنى تركت زميلى حريصا على الحياة، و قال يرتجز:

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سيبله ثم اقتتلا فقتله المجذر، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: و الذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى فقاتلته فقتلته.

هذا الذى ذكر ابن إسحاق فى قتل أبى البختری «١».

و قال موسى بن عقبة: يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البختری و يأبى أعظم الناس إلا أن المجذر هو الذى قتله.

ثم أضرب ابن عقبة عن القولين، و قال: بل قتله- غير شك- أبو داود المازنى و سلبه سيفه فكان عند بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بنى أبى البختری.

و كان المجذر قد ناشده أن يستأسره، و أخبره بنهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتله، فأبى أبو البختری أن يستأسر و شد عليه

المجذر بالسيف و طعنه الأنصاري، يعنى أبا داود المازني، بين ثدييه فأجهز عليه فقتله.

و يومئذ قال المجذر فيما ذكروا:

إما جهلت أو نسيت نسبي فأثبت النسبة أنى من بلى  
الطاعنين برماح اليزنى و الضاربين الكبش حتى ينحنى  
بشر بيتهم من أبوه البخترى أو بشرن بمثلها منى بنى  
أنا الذى يقال أصلى من بلى أظعن بالصعدة حتى تنثنى  
و أعبط القرن بعضب مشرفى أرزم للموت كإرزام المرى  
فلا ترى مجذرا يفرى فرى

و قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة، و كان اسمى عبد عمرو، فلما أسلمت تسميت عبد الرحمن، فكان يلقانى فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟ فأقول نعم. فيقول: فإنى. لا أعرف الرحمن،

(١) انظر السيرة (٢/٢٣٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٣٨

فاجعل بينى و بينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا- تجيبنى باسمك الأول، و أما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. فقلت له: يا أبا على، اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. فقلت: نعم.

حتى إذا كان يوم بدر مرت به و هو واقف مع ابنه على أخذ بيده و معى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآنى قال: يا عبد عمرو. فلم أجبه فقال: يا عبد الإله.

فقلت: نعم. قال: هل لك فى فأنا خير لك من هذه الأدراع؟ قلت: نعم.

فطرح الأدراع من يدى و أخذت بيده و يد ابنه، و هو يقول: ما رأيت كاليوم قط! أ ما لكم حاجة فى اللبن؟ يريد الفداء.

و قال عبد الرحمن: قال لى أمية و أنا بينه و بين ابنه أخذ بأيديهما: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامه فى صدره؟ زائده قلت: ذلك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن: فو الله، إنى لأقودهما إذ رآه بلال، و كان هو الذى يعذبه بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد. فيقول بلال:

أحد أحد. فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوت، قال: قلت أى بلال أ بأسيرى!؟

قال: لا نجوت إن نجا. قلت: أ تسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا.

فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة، و أنا اذب عنه، فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق، و صاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت: انج بنفسك، و لا نجا به، فو الله ما أغنى عنك شيئا، فهبروهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا، ذهبت أدراعى و فجعنى بأسيرى.

و قاتلت الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس: و لم تقاتل فى يوم سواه، و كانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا و مددا لا يضربون، و كانت سماهم يوم بدر عمائم بيضاء، قد أرسلوها فى ظهورهم، و يوم حنين عمائم حمرا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٣٩

و ذكر ابن هشام «١» عن علي - رضى الله عنه - فى سيماهم يوم بدر مثل ما قال ابن عباس، إلا جبريل، فإن فى حديث علي أنه كانت عليه عمامة صفراء.

و قال ابن عباس: حدثنى رجل من غفار قال: أقبلت أنا و ابن عم لى حتى أصعدنا فى حيل يشرف بنا على بدر، و نحن مشركان ننظر لمن تكون الدبره فنتهب مع من ينتهب؛ فبينما نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمه الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم. فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، و أما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

و قال أبو أسيد الساعدى بعد أن ذهب بصره، و كان شهد بدرا: لو كنت اليوم ببدر و معى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة، لا أشك و لا أتمارى.

و قال أبو داود المازنى: إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى، فعرفت أنه قد قتله غيرى. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من عدوه أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى، و قال لهم: «انظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته، فإنى ازدحمت يوما أنا و هو على مأدبه لعبد الله بن جدعان و نحن غلامان و كنت أشف منه بيسير، فدفعته فوق على ركبتيه فجحشت فى إحداهما جحشا لم يزل أثره به» «٢».

(١) انظر السيرة (٢/ ٢٣٧).

(٢) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم (٣/ ١١٥) فى ذكر مقتل أبى جهل قصة أصح من هذا و هى فى صحيح البخارى، فقال: أخبرنا عبد الأول، قا: أخبرنا الداوودى، قال: أخبرنا ابن أعين، قال:

أخبرنا الفربرى، قال: حدثنا البخارى، قال: أخبرنا مسدد، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن، أنه قال: بينا أنا واقف فى الصف يوم بدر، فنظرت عن يمينى و عن شمالى، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضله منهما، فغمزنى أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبأ جهل؟ قلت: نعم، و ما حاجتك إليه يا ابن أخى؟ قال: بلغنى أنه يسب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و الذى نفسى بيده لئن رأيت لم يفارق سوادى سوداه حتى يموت الأعجل منا، قال:

فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فتعجبت لذلك ثم لم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت لهما: ألا- تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما:

أنا قتلته، قال: «مسحتما سيفيكما؟»، قال: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى السيفين، فقال:

«كلا كما قتله»، و قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٠

و كان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس و دنا بعضهم من بعض قال:

اللهم أقطعنا للرحم و آتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح، و أقبل يرتجز و هو يقول:

ما تنقم الحرب العوان منى بازل عامين حديث سننى

لمثل هذا ولدتنى أمى

و كان أول من لقيه ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمه، قال: سمعت القوم و أبو جهل فى مثل الحربه يقولون: أبو الحكم لا يخلصن إليه.

فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أظنت قدمه بنصف ساقه، فضربنى ابنه عكرمة على

عاتقى فطرح يدي فتعلقت بجلده من جنبي، و أجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامه يومى و إني لأسحبها خلفي، فلما آذنتى وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها و عاش بعد ذلك معاذ هذا- رحمه الله- إلى زمان عثمان رضى الله عنه. ثم مر بأبى جهل، و هو عقير، معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه و به رمق، و قاتل معوذ حتى قتل. فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتماسه فى القتلى. قال عبد الله: و قد كان ضبث بى مرة بمكة فأذاني و لكزني، فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له: أخزأك الله يا عدو الله! قال: و بما ذا أخزاني؟ أعمد من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قلت: لله و لرسوله. ثم احتزرت رأسه، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل. فقال: «آله الذى لا إله غيره؟» «أ» و كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: نعم، و الله الذى لا إله غيره. ثم ألقيت رأسه بين يديه، فحمد الله. و خرج مسلم فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف، قال: بينا أنا واقف فى الصف

- و قال ابن الجوزى هما: معاذ بن عمرو، و معاذ بن عفراء.

قلت: و الحديث أخرجه: البخارى فى صحيحه (٢٤٦/٦)، مسلم فى صحيحه كتاب الجهاد و السير (٣/٤٢)، أحمد فى المسند (١/١٩٣).

(١) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (٩/٦٢)، تاريخ الطبرى (٢/٣٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/٢٨٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤١

يوم بدر نظرت عن يميني و شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيت لو كنت بين اضلع منهما فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبأ جهل؟

قلت: نعم و ما حاجتك إليه يا ابن أختي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و الذى نفسى بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها.

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه.

فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال:

«أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قال:

لا، فنظر فى السيفين، فقال: «كلاكما قتله». و قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

و الرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، و معاذ بن عفراء.

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم بدر على القتلى، فالتمس أبأ جهل فلم يجده، حتى عرف ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم لا يعجزن فرعون هذه الأمة».

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً، بينه و بين المعركة غير كبير، مقنعا فى الحديد واضعا سيفه على فخذه، ليس به جرح و لا- يستطيع أن يحرك منه عضواً، و هو مكب ينظر إلى الأرض، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله و هو خائف أن ينوء إليه، فلما دنا منه و أبصره لا يتحرك ظن أنه مثبت جراحاً، فأراد أن يضربه بسيفه، فخاف أن لا يعنى شيئاً فأتاه من ورائه، فتناول قائم

سيف أبى جهل فاستله و هو مكب لا يتحرك، ثم رفع سابعه البيضاء عن قفاه، فضربه فوقع رأسه بين يديه، ثم سلبه، فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح و أبصر فى عنقه حدراً و فى يديه و كتفه مثل آثار السياط.

فأتى ابن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله، و الذى رأى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، زعموا:

«ذلك ضرب الملائكة».

و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القلب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية ابن خلف، فإنه انتفخ فى درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه فترايل، فأقروه و ألقوا عليه ما غيبه من التراب و الحجاره.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٢

و يقال: إنهم ألقوا فى القلب و وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أهل القلب، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم، كذبتونى و صدقتى الناس، و أخرجتمونى و آوانى الناس، و قاتلتونى و نصرنى الناس. يا أهل القلب، هل وجدت ما وعدكم ربكم حقا، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربي حقا».

فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلم قوما موتى؟

فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق».

قالت عائشة: و الناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، و إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد علموا» (١).

و فى حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نادى أصحاب القلب: يا رسول الله، أ تنادى قوما قد جيفوا. فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يحيونى» (٢).

و ذكر ابن عقبة نحو من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر.

و قال حسان بن ثابت:

عرفت ديار زينب بالكثير كخط الوحى فى الورق القشيب

تداولها الرياح و كل جون من الوسمى منهم سكوب

فأمسى رسمها خلقا و أمست يابا بعد ساكنها الحبيب

فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكتيب

و خبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب

بما صنع المليك غداة بدرلنا فى المشركين من النصيب

غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانها جرح الغروب

فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان و شيب

أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لقح الحروب

بأيديهم صوارم مرهفات و كل مجرب ماضى الكعوب

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٢٧٦ / ٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩٠ / ٦، ٩١)، مستدرک الحاكم (٢٢٤ / ٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٢٩٢ / ٣).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الجنة (٧٧ / ٤)، سنن النسائى (٢٠٧٤)، مسند الإمام أحمد (٣١ / ٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٣، بنو الأوس الغطارف و آزرتهابنو النجار فى الدين الصليب

فغادرنا أبا جهل صريعا و عتبه قد تركنا بالحبوب

و شبيهة قد تركنا فى رجال ذوى حسب إذا نسوا حسيب

يناديهم رسول الله لما قد فناههم كباكب فى القلب

ألم تجدوا كلامي كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت و كنت ذا رأى مصيب و لما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه و سلم - فيما ذكر - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك دخلك من شأن أبىك شىء؟» (١) أو كما قال صلى الله عليه و سلم.

قال: لا - والله يا رسول الله، ما شككت فى أبى و لا فى مصرعه، و لكنى كنت أعرف من أبى رأياً و حلماً و فضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه، و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له، أحزنى ذلك.

فدعا له رسول الله صلى الله عليه و سلم بخير و قال له خيراً.

و كان فى قریش فتية أسلموا و رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة، فلما هاجر إلى المدينة حبسهم أبأؤهم و عشائهم بمكة، و فتنهم فافتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً، فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا [النساء: 97].

و أولئك الفتية: الحارث بن زعمه بن الأسود، و أبو قيس بن الفاكه، و أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، و على بن أمية بن خلف، و العاص بن منه بن الحجاج.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع.

فاختلف فيه المسلمون، فقال من جمعه: هو لنا. و قال الذين كانوا يقاتلون العدو و يطلبونه: و الله لو لا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم.

و قال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه و سلم مخافة أن يخالف إليه العدو:

و الله، ما أنتم بأحق به منا، و لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، و لقد

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٢/ ٢٩٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٤

رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، و لكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كره العدو فقمننا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

فكان عبادة بن الصامت إذا سئل عن الأنفال، قال: فىنا معاشر أصحاب بدر أنزلت حين اختلفنا فى النفل و ساءت فيه أخلاقنا، فترعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله صلى الله عليه و سلم فقسمه بيننا عن بواء. يقول: على السواء. فكان فى ذلك تقوى الله و طاعة رسوله، و صلاح ذات البين.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله و على المسلمين، و بعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سويتنا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم خلفنى عليها مع زوجها عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم.

قال: فجئت و هو واقف بالمصلى و قد غشيه الناس و هو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، و شبيهه بن ربيعة و أبو جهل بن هشام، و زعمه بن الأسود، و أبو البخترى بن هشام، و أمية ابن خلف، و نبيه و منه ابنا الحجاج. قلت: يا أبة أحق هذا؟ قال: نعم و الله يا بنى.

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم قافلاً - إلى المدينة و معه الأسارى من المشركين، و فيهم عقبه بن أبى معيط و النضر بن الحارث، حتى إذا خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من مضيق الصفراء، نزل على كئيب يقال له: سير إلى سرحة به، فقسم هنالك

النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء، لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه و من معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذى تهتفوننا به؟ فوالله، إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرتها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «أى ابن أخى؟

أولئك الملاء» (١).

حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بالصفراء، قتل النضر بن الحارث، قتله على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية، قتل عقبه بن أبى معيط، فقال عقبه حين أمر بقتله: فمن للصبيبة يا محمد؟ قال: «النار» (٢).

(١) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٣٨ / ٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٣٠٥ / ٣).

(٢) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٣٨ / ٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٨٩ / ٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٥

فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، فى قول ابن عقبه و ابن إسحاق. و قال ابن هشام (١): قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه.

و قالت قتيلة أخت النضر بن الحارث لما بلغها مقتل أخيها:

يا راكبا إن الأثيل مظنة من صبح خامسة و أنت موفق (٢)

أبلغ بها ميتا بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق (٣)

منى إليك و عبرة مسفوجه جادت بواكفها و أخرى تخنق

هل يسمعنى النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أ محمد يا خير ضنء كريمه فى قومها و الفحل فحل معرق (٤)

ما كان ضرك لو مننت و ربما من الفتى و هو المغيظ المحنق

أو كنت قابل فدية فلينفقن بأعز ما يغلو به ما ينفق

فالنضر أقرب من أسرت قرابه و أحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه الله أرحام هناك تشقق قال ابن هشام: فيقال، و الله أعلم: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما بلغه هذا

الشعر قال: «لو بلغنى هذا قبل مقتله لمننت عليه» (٥).

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم، و قد كان فرقههم بين أصحابه، و قال: استوصوا

بالأسارى خيرا.

و كان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه و أمه فى الأسارى، قال: و كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، و

كانوا إذا قدموا غداءهم و عشاءهم خصونى بالخبز، و أكلوا التمر، لوصية رسول الله صلى الله عليه و سلم إياهم بنا، ما تقع فى يد رجل

منهم كسرة من الخبز إلا نفعنى بها، قال: فاستحى فأردها عليه فيردها على ما يمسيها!

قال: و مر بى أخى مصعب و رجل من الأنصار يأسرنى، فقال له: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال له أبو

عزيز - فيما ذكر ابن هشام - يا أخى،

(١) انظر السيرة (٢٤٩ / ٢).

(٢) الأثيل: تصغير أثل، و الأثل: هو شجر الطرفاء، ثم سمي به موضع قرب المدينة بين بدر، و وادى الصفراء. و مظنة: موضع لحصول



الظن.

(٣) النجائب: كرام الإبل. تخفق: تسرع.

(٤) صن: النسل و الولد. المعرق: الكريم الذي يأتي بنسل كرام.

(٥) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣/٣٠٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٣٤٦

هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت ففدته بها.

و ذكر قاسم بن ثابت في دلائله: أن قريشا لما توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة- في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون- و هو ينشد بأبعد صوت و لا يرى شخصه:

أزار الحنفيون بدرا وقبعه سينقض منها ركن كسرى و قيصرا

أبادت رجالا من لؤي و أبرزت خرائد يضر بن الترائب حسرا

فيا ويح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى و تحيرا فقال قائلهم: من الحنفيون؟ فقالوا: هو محمد و أصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين.

و كان أول من قدم مكة بمصاب قريش: الحيسمان بن عبد الله الخزاعي. فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، و شبيهة بن ربيعة، و أبو الحكم بن هشام، و أمية بن خلف، و زمعة بن الأسود، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، و أبو البختری بن هشام، فلما جعل يعدد أشرف قريش، قال صفوان بن أمية و هو قاعد في الحجر: و الله إن يعقل هذا، فسלוه عنى. قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالس في الحجر، و قد و الله رأيت اباه و أخاه حين قتلا.

و قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم: كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، و كان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس، و أم الفضل، و أسلمت، و كان العباس يهاب قومه، و يكره خلافهم، فكان يكتم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق في قومه، و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كتبه الله و أخزاه، و وجدنا في أنفسنا قوة و عزه، و كنت أعمل الأقداح في حجرة زمزم، فو الله، إنى لجالس فيها أنحت أقداحي و عندى أم الفضل جالسة، و قد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر حتى جلس إلى طناب الحجره ظهره إلى ظهري.

فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم.

فقال أبو لهب: هلم إلى فعندك لعمرى الخير، فجلس إليه و الناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: و الله، ما هو إلا أن لقينا القوم منحاهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا و يأسروننا كيف شاءوا، و أيم الله مع ذلك ما لمت الناس،

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٣٤٧

لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض، و إله ما تليق شيئا، و لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طناب الحجره بيدي ثم قلت: تلك و الله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، و ثاورته فاحتملني و ضرب بي الأرض، ثم برك على يضر بنى و كنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره فضربت به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة. و قالت أ تستضعفه أن غاب عنه سيده! فقام موليا ذليلا، فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

و ذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن العدسة قرحة كانت العرب تتشام بها، و يرون أنها تعدى أشد العدوى.

فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه، و بقى بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته، و لا يحاول دفنه، فلما خافوا السببة في تركه حفروا له ثم

دفعوه يعود في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيد، حتى واروه.

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه: إنهم لم يحفروا له و لكن أسندوه إلى حائط و قذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط، حتى واروه.

و يروى أن عائشة- رضی الله عنها- كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها.

و خرج البخارى فى صحيحه: أن أبا لهب رآه بعض أهله فى المنام بشحبه، أى حاله، فقال: ما لقيت بعدكم راحة، غير أنى سقيت فى مثل هذه- و أشار إلى النقرة بين السبابة و الإبهام- بعقوى ثوبيه.

و ثوبيه هذه أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أرضعت عمه حمزة و ابا سلمة بن عبد الأسد.

و روى غير البخارى أن الذى رأى أبا لهب من أهله هو أخوه العباس، و أنه قال:

مكثت حولاً بعد موت أبى لهب لا أراه فى نوم، ثم رأيت فى شرح حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عنى كل يوم اثنين.

و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين، فبشرت أبا لهب بمولده ثوبيه مولاته، فقالت له: أشعرت أن آمنه ولدت غلاماً لأخيكَ عبد الله؟ فقال لها: اذهبي فأنت حرة، فنفعه ذلك و هو فى النار، كما نفع أخاه ابا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و اجتهاده فى منعه و نصرته، فهو أهون أهل النار عذاباً.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٤٨

و يفعل الله ما يشاء مما يطابق سابق تقديره، و قد قضى الله- سبحانه- بإحباط عمل الكافرين، فمحال أن يقيم لهم يوم القيامة و زنا، أو ينالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نعيماً، إلا أنه ربما جعل التفاوت بين جماهيرهم و بين شاء منهم بمقدار العذاب، فيضاعفه على قوم أضعافاً، و يضع من شذائده عن آخرين تخفيفاً.

و كل عذاب الله شديد، فنعود برضا مولانا الكريم من سخطه، و بمعافاته من عقوبته.

و حدث محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً و أصحابه فيشتموا بكم، و لا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب عليكم محمد و أصحابه فى الفداء.

قال: و كان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقيل ابناه، و الحارث بن زمعة و هو ابن ابنه، و كان يحب أن يبكى عليهم، فسمع نائحة من الليل فقال لغلام له و قد ذهب يصره، انظر هل أحل النحب؟ هل بكت قريش على قتلاها؟

لعلى ابكى على أبى حكيمة- يعنى زمعة- فإن جوفى قد احترق!

فلما رجع إليه الغلام، قال: إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أ تبكى أن يضل لها بعير و يمنعها من النوم السهود

فلا تبكى على بكر و لكن على بدر تقاصرت الجدود فى أبيات ذكرها ابن إسحاق «١».

و قد تقدم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسود بن عبد المطلب هذا بأن يعمى الله بصره و يشكله ولده، فاستجيب له وفق دعائه، سبق العمى أولاً إلى بصره، ثم أصيب يوم بدر بمن سمي آنفاً من ولده، فتمت إجابة الله سبحانه رسوله فيه.

و كان فى الأسارى أبو وداعة السهمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال، و كأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه» «٢»، فلما قالت قريش: لا

(١) انظر السيرة (٢/ ٢٥٣).

(٢) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٩٠)، تاريخ الطبرى (٢/ ٤١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٤٩

تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عني، صدقتم لا تعجلوا. و انسل من الليل فقدم المدينة فأخذ اباه بأربعة آلاف درهم.

ثم بعث قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأحنف في فداء سهيل بن عمرو و كان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف، فلما قاولهم فيه مكرز و انتهى إلى رضاهم قالوا: هات الذي لنا، قال: اجعلوا رجلى مكان رجله، و خلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه. فخلوا سبيل سهيل، و حبسوا مكرزا مكانه عندهم، فقال مكرز:

فديت بأذواد ثمان سبا فتى ينال الصميم غرمها لا المواليا

رهنت يدي و المال أيسر من يدي على و لكنى خشيت المخازيا

و قلت سهيل خيرنا فاذهبوا به لأبنائنا حتى ندير الأمانيا و كان سهيل قد قام في قريش خطيبا عند ما استنفرهم أبو سفيان، فقال: يا لغالب أ تاركون أتم محمدا و الصبا من أهل يثرب يأخذون عيرانكم و أموالكم، من أراد مالا فهذا مالي، و من أراد قوة فهذه قوة. فيروى أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسر سهيل يوم بدر: يا رسول الله، انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أمثل به، فيمثل الله بي، و إن كنت نبيا! إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه» (١).

فصدق الله و رسوله، و كان لسهيل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في تثبيت أهل مكة على الإيمان مقام سيأتي ذكر حديثه في موضعه إن شاء الله.

و كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب أسيرا في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر، فقيل لأبي سفيان بن حرب: أفد عمرا ابنك. فقال: أ يجمع على دمي و مالي، قتلوا حنظلة و أفدى عمرا؛ دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم!

(١) انظر الحديث في: كنز العمال للمتقى الهندي (١٣٣٩٥، ١٣٤٤٧، ١٣٤٤٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٣١٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٥٠

فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف معتمرا، و معه مريه له، و كان شيخا مسلما في غنم له بالبيع، فخرج من هنالك معتمرا و لا يخشى الذي صنع به، لم يظن أنه يحبس بمكة، إنما جاء معتمرا، و قد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو. ثم قال:

أرھط ابن أكال أجيوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بنى عمرو لثام أذله لئن لم تفكوا عن أسيرهم الكبلا فأجابه حسان بن ثابت فقال:

و لو كان سعد يوم مكة مطلقا أكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعه تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا و مشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره، و سألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان، فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلى سبيل سعد.

و كان في الأسارى -أيضا- أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب، و كان صلى الله عليه وسلم يثنى عليه في صهره خيرا، و كان من رجال مكة المعدودين مالا- و أمانة و تجارة، و هو ابن أخت خديجة -رضى الله عنها- و هى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه، و كان لا يخالفها، فزوجه،

و كانت تعده بمنزلة ولدها.

فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته، آمنت به خديجة و بناته، فصدقته و دن بدينه، و شهدن أن الذي جاء به هو الحق، و ثبت أبو العاص على شركه.

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بأمر الله تبارك و تعالى و بالعداوة، قالوا: إنكم فرغتم محمدا من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبتك و نحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت. قال: لا ها الله، إذا لا أفارق صاحبتي، و ما أحب أن لى بها امرأة من قريش.

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه رقية أو أم كلثوم، فقالوا له: طلق ابنه محمد و نحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتومنى ابنة أبان بن سعيد بن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه بنت سعيد بن

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥١

العاص و فارقتها، و لم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها و هو انا له. و خلف عليها عثمان بن عفان بعده.

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة و لا يحرم، مغلوبا على أمره، و كان الإسلام قد فرق بين زينب ابنته و بين أبي العاص، إلا أنه كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها و هو على شركه، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب فى الأسارى، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبي العاص بمال و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقفة شديدة، و قال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، و تردوا عليها الذى لها فافعلوا» (١) قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه و ردوا عليها مالها.

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب إليه، أو وعده أبو العاص بذلك، أو شرطه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إطلاقه، و لم يظهر ذلك منه و لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ما هو. إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة و خلى سبيله، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه زيد بن حارثة، و رجلا من الأنصار، فقال: كونا بطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها، حتى تأتيا نى بها. فخرجا و ذلك بعد بدر بشهر أو سبعة، فلما قدم أبو العباس مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تتجهز.

قالت زينب: بينا أنا أتجهز بمكة لقيتني هند ابنة عتبة، فقالت: يا ابنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين للحوق بأبيك؟ قالت: ما أردت ذلك. قالت: أى ابنة عم لا تفعلنى، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندى حاجتك، فلا تضطنى منى فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال. قالت زينب: فوالله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، و لكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك، و تجهزت.

(١) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٢٦٩٢)، مسند الإمام أحمد (٢٧٦ / ٦)، السنن الكبرى للبيهقى (٣٢٢ / ٦)، مستدرک الحاكم (١ / ٤٥)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٣٩٧٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥٢

و لما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم إليها كنانة بن الربيع (١) أخو زوجها بعيرا فركبته، و أخذ قوسه و كنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها و هى فى هودج لها، و تحدث بذلك رجال قريش، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود الفهرى، فروعها هبار بالرمح و هى فى هودج لها، و كانت حاملا - فيما يزعمون - فلما ريعت

طرحت ذا بطنها.

و برك حموها كنانة و نثر كنانته ثم قال: و الله، لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما. فتكر كر الناس عنه، و أتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال: أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك. فكف، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية، و قد عرفت مصيبتنا و نكبتنا، و ما دخل علينا من محمد. فيظن الناس إذا خرجت إليه ابنته علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، و أن ذلك من ضعف و وهن، و لعمرى! ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، و ما لنا في ذلك من ثورة و لكن أرجع المرأة، حتى إذا هدأت الأصوات و تحدث الناس أن قد ردناها، فسلها سرا و ألحقها بأبيها. ففعل، فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة و صاحبه، فقدا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و لما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة فقالت لهم:

أفي السلم أعيار جفاء و غلظة و في الحرب أشباه النساء العوارك و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسريه بعثها بتحريق هبار بن الأسود أو الرجل الذي سبق معه إلى زينب إن ظفروا بهما، ثم بعث إليهم فقال: «إني كنت قد أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا الله عز و جل، فإن ظفرت بهما فاقتلوهما» (٢).

و أقام أبو العاص بمكة و أقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام، و كان رجلا مأمونا، بمال له و أموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته و أقبل قافلا لقيته سريه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ما معه و أعجزهم هاربا، فلما قدمت السريه بما أصابوا من ماله

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٧٤٧٩)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٥٠٦).

(٢) انظر الحديث في: مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٩ / ١٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٥٣

أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارتها، و جاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فكبر و كبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس: إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع.

فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما و الذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أذناهم».

ثم انصرف، فدخل على ابنته فقال: «أى بنية، أكرمي مثواه و لا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له» (١). و بعث إلى السريه الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، و قد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا و تردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، و إن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به» (٢). قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو و يأتي الرجل بالشنن و الإداوة، حتى إن الرجل ليأتي بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك و فيا كريما. قال: فإني أشهد لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و الله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم و فرغت منها، أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و حكى ابن هشام عن أبي عبيدة (٣)، أن أبا العاص لما قدم من الشام و معه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تسلم و تأخذ هذه

الأموال، فإنها للمشركين؟ فقال: بشس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

و من رسول الله صلى الله عليه و سلم على نفر من الأسارى من قريش بغير فداء، منهم أبو عزة عمرو ابن عبد الله الجمحي، كان متحاجا ذا بنات، فكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، لقد عرفت مالى من مال، و إنى لذو حاجة و ذو عيال، فامنن على. فمن عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا، فقال أبو عزة فى ذلك يمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) انظر الحديث فى: نصب الرأية للزيلعى (٣/ ٢١١)، سنن البيهقى (٩/ ٩٥)، مستدرک الحاکم (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٨٥)، مستدرک الحاکم (٣/ ٢٣٧).

(٣) انظر السيرة (٢/ ٢٦٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥٤

و يذكر فضله على قومه:

و من مبلغ عنى الرسول محمدا بأنك حق و المليك حميد

و أنت امرؤ تدعو إلى الحق و الهدى عليك من الله العظيم شهيد

و أنت امرؤ بوئت فىنا مباءة لها درجات سهلة و صعود

فإنك من حاربتة لمحارب شقى و من سالمته لسعيد

و لكن إذا ذكرت بدرا و أهله تأوب ما بى حسرة و قعود «١» و ذكر موسى بن عقبه أن المسلمين جهدوا على أبى عزة هذا عند ما أسر بيدر أن يسلم، فقال: لا، حتى أضرب فى الخزرجية يوما إلى الليل.

و ما وقع فى شعره و محاورته رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يقتضى التصريح برسالته، فلا أعلم له مخرجا، إن صح، إلا أن يكون ذلك من جملة ما قصد به أبو عزة أن يخدع رسول الله صلى الله عليه و سلم، فعاد على عدو الله ما ائتمر، و لم يخدع إلا نفسه و ما شعر، و ذلك أنه لما أخذت قريش قبل أحد فى الإعداد لحرب رسول الله صلى الله عليه و سلم طلبا بئأرهم فى يوم بدر قال صفوان ابن أمية لأبى عزة هذا: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فاخرج معنا، فقال:

إن محمدا قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاھر عليه. قال: بلى، فأعنا بنفسك، فلك الله علىّ إن رجعت أن أعينك، و إن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى، يصيبهن ما أصابهن من عز و يسر.

فخرج أبو عزة يسير فى تهامة و يدعو بنى كنانة و يقول:

أيا بنى عبد مناة الرزام أنتم حماة و أبوكم حام

لا تعدموني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل إسلام ثم كان من الأمر يوم أحد ما كان، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد الوقعة مرهبا لعدوه حتى انتهى إلى حمراء الأسد، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم فى وجهه ذلك أبا عزة الجمحي، فقال: يا رسول الله، أقلنى. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و الله لا تمسح عارضيك بمكة، تقول:

خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير» «٢». فضرب عنقه.

و ذكر ابن هشام- فيما بلغه عن سعيد بن المسيب- أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له: «إن

(١) ذكر قصته ابن حجر فى فتح البارى (١٠/ ٥٤٧)، العجلونى فى كشف الخفاء (٢/ ٥٠٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٣١٢، ٣١٣)،

ابن سيد الناس فى عيون الأثر (١/ ٤١٢).



(٢) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (١٠/٥٤٧)، السنن الكبرى للبيهقى (٩/٦٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٥٥

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، اضرب عنقه، يا عاصم بن ثابت» (١) فضرب عنقه.

و كان عمير بن وهب «٢» شيطاناً من شياطين قريش، و ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه بمكّة و يلقون منه عنتاً، و كان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر، فجلس عمير مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، فذكر أصحاب القلب و مصابهم، فقال له صفوان: فوالله، إن فى العيش خير بعدهم. فقال عمير: صدقت و الله، أما و الله لو لا دين على ليس له عندى قضاء و عيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة، ابني أسير فى أيديهم. فاغتمها صفوان فقال: على دينك أنا أقضيه عنك، و عيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شىء و يعجز عنهم، قال: عمير: فاكنتم عنى شأنى و شأنك، قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له و سم، ثم انطلق حتى قدم المدينة. فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر و يذكرون ما أكرمهم الله به و ما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، و هذا الذى حرش بيننا «٣» و حرزنا للقوم «٤» يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا بنى الله، هذا عدو الله عمير بن وهب، قد جاء متوشحاً سيفه. قال: «فأدخله على». فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبيه بها و قال لرجال من الأنصار كانوا معه: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فاجلسوا عنده و احذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم كذلك قال: «أرسله يا عمر، أدن يا عمير». فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، و كانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة» قال: أما و الله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد. قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما

(١) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (٩/٦٥)، مشكل الآثار للطحاوى (٢/١٩٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٥١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١/٣٠).

(٢) انظر ترجمته فى: الجرح و التعديل (٦/٢٠٩١)، الإصابة ترجمه رقم (٦٠٧٣)، أسد الغابة ترجمه رقم (٤٠٩٦)، البداية و النهاية (٣/١١٣، ٨/٥).

(٣) حرش بيننا: أى أفسد بيننا.

(٤) حرزنا للقوم: أى قدر عدونا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٥٦

بال سيف فى عنقك؟» فقال: قبجها الله من سيوف، و هل أغنت شيئاً! قال:

«أصدقنى، ما الذى جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك. قال: «بلى، قعدت أنت و صفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القلب من قريش، ثم قلت: لو لا دين على و عيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك و عيالك على أن تقتلنى له، و الله حائل بينك و بين ذلك». قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء و ما ينزل عليك من الوحي، و هذا أمر لم يحضره إلا أنا و صفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام و ساقنى هذا المساق. ثم شهد بشهادة الحق، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«فقهوا أخاكم فى دينه، و أقرئوه القرآن، و أطلقوا له أسيره» (١) ففعلوا.



ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، و أنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله و إلى الإسلام، لعل الله يهديهم، و إلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذى أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله صلى الله عليه و سلم فلحق بمكة. و كان صفوان حين خرج عمير يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر. و كان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدا و لا ينفعه بنفع أبدا، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام و يؤذى من خالفه أذى شديدا، فأسلم على يديه ناس كثير.

و عمير هذا أو الحارث بن هشام- يشك ابن إسحاق- هو الذى رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال: أين أى سراق؟ و مثل عدو الله فذهب. فأنزل الله- تبارك و تعالى- فيه: وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ [الأنفال: ٤٨] فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم و بين بنى بكر من الحرب، يقول الله عز و جل: فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ وَ نَظَرَ عَدُو اللَّهِ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَدْ أَيْدِ اللَّهِ بِهِمْ رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوهِمْ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَ صَدَقَ عَدُو اللَّهِ الْكذُوبَ، رأى ما لم يروا و قال: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧)، الخصائص الكبرى للسيوطى (١/ ٣٤٤)، تاريخ الطبرى (٢/ ٤٤، ٤٦)، المغازى للواقدي (١/ ١٢٥)، عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٤١٣، ٤١٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥٧

وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فِي صُورَةِ سِرَاقَةٍ لَا يَنْكُرُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ وَ التَّقَى الْجَمْعَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ فَأُورِدَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ.

و فى ذلك يقول حسان بن ثابت:

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ آوُوا نَبِيَهُمْ وَ صَدَقُوهُ وَ أَهْلَ الْأَرْضِ كَفَارًا  
إِلَّا خِصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفٌ لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارِ  
مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلَهُمْ لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مَخْتَارِ  
أَهْلًا وَ سَهْلًا فَفِي أَمْنٍ وَ فِي سَعَةٍ نَعَمَ النَّبِيِّ وَ نَعَمَ الْقَسَمِ وَ الْجَارِ  
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارًا لَا يَخَافُ بِهِمْ كَانُوا جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارِ  
وَ قَاسَمُوهُمْ بِهَا الْأَمْوَالِ إِذْ قَدِمُوا مَهَاجِرِينَ وَ قَسَمَ الْجَاهِدِ النَّارِ  
سَرْنَا وَ سَارُوا إِلَى بَدْرٍ لِحِينِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينِ الْعِلْمِ مَا سَارُوا  
دَلَاهِمُ بَغْرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنْ الْخَيْثُ لَمَنْ وَالَاهِ غَرَارِ  
وَ قَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأُورِدُهُمْ شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخَزْيُ وَ الْعَارِ

ثم التقينا فولوا عن سراتهم من منجدين و منهم فرقة غاروا و يروى أن قريشا رأوا سراقة المدلجى بعد وقعة بدر، و هو الذى تمثل لهم إبليس فى صورته يوم بدر كما تقدم، فقالوا له: يا سراقة، أحرمت الصف و أوقعت فينا الهزيمة؟! فقال: و الله ما علمت بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم، و ما شهدت معكم. فما صدقوه حتى اسلموا و سمعوا ما أنزل الله فى ذلك، فعلموا أنه كان إبليس تمثل لهم.

و لما انقضى أمر بدر، أنزل الله- تبارك و تعالى- فيه من القرآن «الأنفال» بأسرها.

و كان جميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين و الأنصار، من شهدها و من ضرب له بسهمه و أجره ثلاثمائة رجل و أربعة عشر رجلا، من المهاجرين ثلاثة و ثمانون رجلا: ثلاثة منهم ضرب لهم بسهامهم و أجورهم و لم يشهدوا، و هم: عثمان بن عفان،

تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرضها الذى توفيت فيه قبل أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه. قال: و أجرى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «و أجرى». و طلحة بن عبيد الله، و سعيد بن زيد، كانا بالشام فرجعا بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر، فضرب لكليهما بسهمه. قال: و أجرى يا رسول الله؟ قال: و أجرى.

و من الأوس: واحد و ستون، اثنان منهم ضرب لهما بسهميهما: عاصم بن عدى

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥٨

العجلانى، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج معه و ضرب له بسهم، و خوات بن جبير ضرب له، أيضا، بسهمه. و من الخزرج مائة و سبعون رجلا، منهم الحارث بن الصمة كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه. و استشهد يومئذ من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا: ستة من قريش: عبيد بن الحارث بن المطلب، و عمير بن أبى وقاص الزهرى، و ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بنى زهرة، و عاقل بن البكير حليف لبنى عدى، و مهجع مولى عمر بن الخطاب، و صفوان بن بيضاء. و من الأنصار ثمانية نفر، خمسة من الأوس: سعد بن خيثمة، و مبشر بن عبد المنذر من بنى عمرو بن عوف، و يزيد بن الحارث الذى يقال له: ابن فسحم من بنى الحارث ابن الخزرج، و عمير بن الحمام من بنى سلمة، و رافع بن المعلى من بنى جشم. و ثلاثة من الخزرج من بنى النجار: حارثة بن سراقة، و عوف و معوذ ابنا الحارث بن رفاعه منهم، و هم ابنا عفراء، رحمة الله على جميعهم و رضوانه.

و كان من المسلمين يوم بدر من الخيل فرس الزبير بن العوام، و فرس مرثد بن أبى مرثد الغنوى، و فرس المقداد بن عمرو البهرانى. و ذكر ابن إسحاق أن جميع من أحصى له من قتلى قريش من المشركين يوم بدر خمسون رجلا. و قال ابن هشام «١»: حدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا و الأسرى كذلك، و هو قول ابن عباس و سعيد بن المسيب. و فى كتاب الله تبارك و تعالى: أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا يَقُولُ لِأَصْحَابِ أَحَدٍ، و كان من أستشهد منهم سبعين رجلا، يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلى من أستشهد منكم يوم أحد: سبعين قتيلا و سبعين أسيرا.

و أنشدنى أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك من قصيدة له ينعى قتلى بدر:

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبه منهم و الأسود و كان مما قيل فى يوم بدر من الشعر: قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله، و من أهل العلم من ينكرها له:

(١) انظر السيرة (٢/٣٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٥٩ أ لم تر أمرا كان من عجب الدهرو للحين أسباب مبيئة الأمر

و ما ذاك إلا أن قوما أفادهم فخانوا تواص بالعقوق و بالكفر

عشية راحوا نحو بدر بجمعهم فكانوا رهونا للركية من بدر «١»

و كنا طلبنا العير لم نبع غير هافساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مشوية لنا غير طعن بالمتقفه السمر

و ضرب بيض يختلى الهام حدها مشهرة الألوان بينه الأثر

و نحن تركنا عتبه الغى ثاويوا شبيهة فى القتلى تجرجم فى الجفر

و عمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم فشقت جيوب النائحات على عمرو  
 جيوب نساء من لؤى بن غالب كرام تفر عن الذوائب من فهر  
 أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم و خلوا لواء غير محتضر النصر  
 لواء ضلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر  
 و قال لهم إذ عين الأمر واضحا برئت إليكم ما بى اليوم من صبر  
 فإنى أرى ما لا ترون و إننى أخاف عقاب الله و الله ذو قسر «٢»  
 فقدمهم للحين حتى تورطوا و كان بما لم يخبر القوم ذا خبر «٣»  
 فكانوا غداة البئر ألفا و جمعنا ثلاث مئين كالمسدمة الزهر «٤»  
 و فينا جنود الله حين يمدنا بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر  
 فشد بهم جبريل تحت لوائنا لى مأزق فيه مناياهم تجرى «٥» و قال على بن أبى طالب- رضى الله عنه- فى يوم بدر، و لم ير ابن هشام  
 أحدا يعرفها من أهل العلم بالشعر:  
 ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذى اقتدار و ذى فضل «٦»  
 بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هوانا من إسار و من قتل  
 فامسى رسول الله قد عز نصره و كان رسول الله أرسل بالعدل  
 فجاء بفرقان من الله منزل مبينة آياته لذوى العقل

(١) الرهون: جمع رهن. و الركية: البئر المطوية بالحجارة.

(٢) القسر: الغابة و القهر.

(٣) تورطوا: وقعوا فى هلكة.

(٤) المسدمة: الفحول من الإبل. و الزهر: جمع أزهر و أراد به البيض.

(٥) المأزق: الموضع الضيق فى الحرب.

(٦) أبلى رسوله: منّ عليه و صنع له صنعا حسنا.

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦٠ فأمّن أقوام بذاك و أيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل

و أنكر أقوام فراغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خبلا على خبل

و أمكن منهم يوم بدر رسوله و قوما غضابا فعلهم أحسن الفعل

بأيديهم ببعض خفاف عصوا بها و قد حادثوها بالجلاء و بالصقل

فكم تركوا من ناشئ ذى حمية صريع و من ذى نجدة منهم كهل

تبيت عيون النائحات عليهم تجود بإرسال الرشاش و بالوبل

نوائح تنعى عتبة الغى و ابنه و شبيهه تنعاه و تنعى أبا جهل

و ذا الرجل تنعى و ابن جدعان فيهم مسلبه حرى مبينة الشكل «١»

ثوى منهم فى بئر بدر عصابة ذوى نجدات فى الحروب و فى المحل

دعا الغى منهم من دعا فأجابه و للغى أسباب مرمقة الوصل

فأضحوا لى دار الجحيم بمعزل عن الشغب و العدوان فى أشغل الشغل و قال كعب بن مالك أخو بنى سلمة يذكر بدرا:

عجبت لأمر الله و الله قادر على ما أراد ليس لله قاهر  
 قضى يوم بدر أن نلقى معشر ابغوا و سبيل البغى فى النار جائر  
 و قد حشدوا و استنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر  
 و سارت إلينا لا تحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعا و عامر  
 و فينا رسول الله و الأوس حوله له معقل منهم عزيز و ناصر  
 و جمع بنى النجار تحت لوائه يمشون فى الماضى و النقع نائر  
 فلما لقيناهم و كل مجاهد لأصحابه مستبسل النفس صابر  
 شهدنا بأن الله لا رب غيره و أن رسول الله بالحق ظاهر  
 و قد عريت بيض خفاف كأنها مقاييس يزيها لعينيك شاهر  
 بهن أيدنا جمعهم فتبددوا و كان يلقى الحين من هو فاجر  
 فكب أبو جهل صريعا لوجهه و عتبه قد غادرته و هو عائر  
 و شبيهة و التيمى غادرن فى الوغى و ما منهم إلا بذى العرش كافر  
 فأمسوا و قود النار فى مستقرها و كل كفور فى جهنم صائر

(١) ذا الرجل: أراد به الأسود بن المطلب بن عبد المخزومي، الذى خرج من صفوف المشركين يريد أن يقتحم على المسلمين ليشرب من حوضهم، و قد عاهد الله أن يشرب منه أو يموت فضربه حمزة فقطع قدمه. و الحرى: المحترقة الجوف.  
 الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦١ تلظى عليهم و هى قد شب حميها بزبر الحديد و الحجارة ساجر  
 و كان رسول الله قد قال أقبوا فلولوا و قالوا إنما أنت ساحر  
 لأمر أراد الله أن يهلكوا به و ليس لأمر حمه الله زاجر و لضرار بن الخطاب الفهرى فى هذا الروى شعر، ذكر ابن إسحاق أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذى كتبناه آنفا، و الأظهر من مقتضى الشعر أن ضرارا هو الذى أجاب كعب بن مالك و نقض عليه. و هذا شعر ضرار:

عجبت لفخر الأوس و الحين دائر عليهم غدا و الدهر فيه بصائر  
 و فخر بنى النجار إن كان معشر أصيبوا بيد كلهم ثم صابر  
 فإن تك قتل غودرت من رجالنا فإننا رجال بعدهم سنغادر  
 و تردى بنا جرد عنا جيج و سطكم بنى الأوس حتى يشفى النفس نائر  
 و وسط بنى النجار سوف نكرها لها بالقنا و الدارعين زوافر  
 فترك صرعى تعصب الطير حولهم و ليس لهم إلا الأمانى ناصر  
 و تبكيهم من أهل يثرب نسوة لهن بها ليل عن النوم ساهر  
 و ذلك أنا لا تزال سيوفنا بهن دم ممن يحاربن مائر  
 فإن تظفروا فى يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم و هو ظاهر  
 و بالنفر الأخيار هم أولياؤه يحامون فى اللأواء و الموت حاضر  
 يعد أبو بكر و حمزة فيهم و يدعى على وسط من أنت ذاكر  
 أولئك لا من نتجت فى ديارها بنو الأوس و النجار حين تفاخر

ولكن أبوهم من لؤي بن غالب إذا عدت الأنساب كعب و عامر هم الطاعنون الخيل في كل معركة غداة الهياج الأطيون الأكاثر و من شعر حسان بن ثابت يعرض بالحارث بن هشام و فراره عن يوم بدر: الاكتفاء، الكلاعي ج ١ ٣٦١ غزوة بدر الكبرى ..... ص : ٣٢٤

إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام ترك الأحبة أن يقاتل دونهم و نجا برأس طمرة و لجام «١» فأجابه الحارث بن هشام- فيما ذكر- فقال:

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسى بأشقر مزبد و عرفت أني إن أقاتل واحداً قتل و لا ينكي عدوى مشهدى فصددت عنهم و الأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

(١) الطمرة: الفرس الكثير الجرى.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٦٢

و قال حسان بن ثابت أيضاً، و يقال: إنها لعبد الله بن الحارث السهمي، يشبه أنها من قصيدة:

مستشعري حلق الماذي يقدمهم جلد النحيزة ماض غير رعديد «١»

أعنى رسول الإله الحق فضله على البرية بالتقوى و بالجدود

و قد زعمتم بأن تحموا ذماركم و ماء بدر زعمتم غير مورود «٢»

ثم وردنا و لم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريح «٣»

مستعصمين بحبل غير منجذم مستحکم من حبال الله ممدود

فينا الرسول و فينا الحق نتبعه حتى الممات و نصر غير محدود و قال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة إبارتنا الكفار في ساعة العسر

قتلنا سراة القوم عند مجالنا فلم يرجعوا إلا بقاصم الظهر

فكم قتلنا من كريم مرزء له حسب في قومه نابه الذكر

تركناهم للعاويات ينبنهم و يصلون نارا بعد حامية القعر

لعمر ك ما حامت فوارس مالك و أشياعهم يوم التقينا على بدر و قال عبيدة بن الحارث بن المطلب في يوم بدر، يذكر مبارزته هو و

حمزة و عليّ عدوهم، و ما كان من إصابته رجله يومئذ. قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له:

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نائيا

بعته إذ ولي و شبيه بعده و ما كان فيها بكر عتبه راضيا «٤»

فإن تقطعوا رجلى فإني مسلم أرجى بها عيشا من الله دنيا

مع الحور أمثال التماثيل أخلصت مع الجنة العليا لمن كان عاليا

و بعث بها عيشا نعرفت صفوه و عالجه حتى فقدت الأدانيا «٥»

(١) مستشعري: لابس، تقول: استشعرت الثوب إذا لبسته. و الماذي: الدروع اللينة البيض.

و النحيزة: الطبيعة. و الرعديد: الجبان.

(٢) الرواء: التملؤ من الماء. و التصريد: تقليل الشرب.

(٣) الذمار: ما وجب على المرء أن يحميه.

(٤) بكر عتبة: يريد ولده الأول.

(٥) تعرقت: مزجت، تعرقت التراب إذا مزجته.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٦٣ و أكرمني الرحمن من فضل منه بثوب من الإسلام غطى المساويا

و ما كان مكروها إليّ قتالهم غداة دعا الأكتفاء من كان داعيا

لقيناهم كالأسد تعثر بالقنانقاتل في الرحمن من كان عاصيا

فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثنا حتى أزيروا المنانيا قال ابن هشام «١»: لما أصيبت رجل عبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب

هذا اليوم لعلم أني أحق منه بما قال حين يقول:

كذبتهم و بيت الله نبزى محمداو لما نطاعن حوله و نناضل

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل و لما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله قالت هند ابنة أوثان بن عباد بن

المطلب ترضيه و كانت وفاته بالصفراء، و بها دفن يرحمه الله تعالى:

لقد ضمن الصفراء مجدا و سؤدداو حلما أصيلا وافر اللب و العقل

عبيدة فابكيه لأضياف غربة و أرملة تهوى لأشعث كالجدل

و بكيه للأقوام في كل شتوة إذا احمر آفاق السماء من المحل

و بكيه للأيتام و الريح زفرف و تشتيت قدر طال ما أزيدت تغلي

فإن تصبح النيران قد مات ضوءها فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليل أو لملمتمس القرى و مستنبح أضحي لديه على رسل و قال طالب بن أبي طالب يمدح النبي صلى الله عليه و سلم، و يبكي

أصحاب القلب من قريش:

ألا إن عيني أنفدت ماءها سكباتيكي على كعب و ما إن ترى كعبا

ألا إن كعبا في الحروب تخاذلوا و أرادهم ذا الدهر و اجترحوا ذنبا

و عامر تبكي للملمات غدوة فيا ليت شعري هل أرى لهما قربا

هما أخواي لن يعدا لغية تعد و لن يستام جارهما غضبا

فيا أخويتنا عبد شمس و نوفل أفدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا

و لا تصحبوا من بعد و د و ألفة أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس و جيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعا

فلو لا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطئ التربا

أخا ثقة في النائبات مرزأكريما ثناه لا بخيلا و لا ذربا

(١) انظر السيرة (٢/ ٣٢٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٦٤ يطيف به العافون يغشون بابه يؤمون بهرا لا نزورا و لا صربا

فو الله لا تنفك نفسي حزينه تململ حتى تصدقوا الخرج الضربا و كانت وقعة بدر يوم الجمعة، لسبع عشرة من شهر رمضان، و كان

فراغ رسول الله صلى الله عليه و سلم منها في عقبه أو في شوال بعده.

فلما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم، فبلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر «١»، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدا، فأقام بها بقیة شوال و ذا القعدة و أفدى فى إقامته تلكك جل الأسارى من قريش «٢».

و كان أبو سفیان بن حرب حين رجع فل قريش من بدر نذر أن لا یمس رأسه ماء من جنابة حتى یغزو محمدا صلى الله عليه و سلم، فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبر یمینه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قنأة، على يريد أو نحوه من المدينة، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حیی بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن یفتح له و خافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، و كان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك و صاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه و سقاه و بطن له من خبر الناس، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا- منهم، فأتوا ناحية العريض فحرقوا بها أصوار نخل و قتلوا رجلا من الأنصار و حليفا له فى حرث لهما، ثم انصرفوا راجعين، و نذر بهم الناس، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فى طلبهم حتى بلغ قرقر الكدر، ثم انصرف و قد فاته أبو سفیان بن حرب و أصحابه، و طرحوا من أزوادهم يتخفون منها للنجاء، و كان أكثر ما طرحوه السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير، فسميت غزوة السويق، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا رسول، أطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم» «٣».

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم نجدا يريد غطفان، و هى غزوة ذى أمر، فأقام بنجد ثم رجع و لم يلق كيدا.

(١) و هذه الغزوة تعرف بغزوة: قرقر الكدر، كما فى الطبقات الكبرى (٢/ ٣١)، أو: قرارة الكدر، كما فى المغازى للواقدي (١/ ١٩٦). و تراجع هذه الغزوة فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٣٤٤)، المنتظم لابن الجوزي (٣/ ١٥٦).

(٢) انظر السيرة (٣/ ٥).

(٣) انظر الحديث فى: الدلائل للبيهقي (٣/ ١٦٦)، التاريخ للطبرى (٢/ ٥٠)، الكامل فى التاريخ (٢/ ٣٩، ٤٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦٥

ثم غزا قريشا حتى بلغ بحران «١»، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، ثم رجع منه إلى المدينة و لم يلق كيدا، و ذلك بعد مقامه به نحو من شهرين، ربيع الآخر و جمادى الأولى من سنة ثلاث.

## أمر بنى قينقاع

و كان فيما بين ما ذكر من غزو رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بنى قينقاع.

و كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و حاربوا فيما بين بدر و أحد.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم جمعهم فى سوقهم، ثم قال: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة و أسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم و عهد الله إليكم» «٢».

قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا قومك! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا و الله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

فقال ابن عباس «٣»: ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَ تَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئس المهاد قد كان لكم آية فى فِتْنَتِي النَّقْتَا فَيَتَّقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ [آل عمران: ١٢، ١٣].

و كان منشأ أمرهم: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق قينقاع " و جلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من



المسلمين على الصائغ فقتله، و كان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضب المسلمون فوق الشر بينهم و بين بنى قينقاع.

(١) ذكرها ابن الأثير فى الكامل (٢/ ١٤٢)، و الطبرى فى تاريخه (٢/ ٥٢)، و الواقدى فى المغازى (١/ ١٩٦، ١٩٧).

(٢) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٣/ ٤).

(٣) انظر السيرة (٣/ ٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦٦

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبى بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن فى موالى، و كانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا محمد أحسن فى موالى، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يقال لها: ذات الفضول، فقال له: «أرسلنى!» و غضب صلى الله عليه و سلم حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم قال: «و يحكك أرسلنى». قال: لا و الله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى، أربعمائه حاسر و ثلاثمائه دارع قد منعونى من الأحمر و الأسود تحصدهم فى غداة واحدة! إنى و الله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هم لك» (١).

و لما حاربت بنو قينقاع تشبث عبد الله بن أبى بأمرهم و قام دونهم، قال: مشى عبادة بن الصامت، و كان أحد بنى عوف، لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى، إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فخلعهم إليه و تبرأ إلى الله و إلى رسوله من حلفهم، و قال: يا رسول الله، أتولى الله و رسوله و المؤمنين، و أبرأ من حلف هؤلاء الكفار و ولايتهم.

ففيه و فى عبد الله بن أبى نزلت [هذه] القصة من المائدة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُرِيدُونَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا نَحْشَى أَنَّ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضَيِّبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ. ثم القصة فى قوله: إِنَّمَا وَجَّيَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ وَ ذَلِكَ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا، و تبرية، من بنى قينقاع و حلفهم و ولايتهم و مَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ [المائدة: ٥١-٥٦].

## سرية زيد بن حارثة «٢»

و لما كان من وقعة بدر ما كان، خافت قريش طريقهم التى كانوا يسلكون إلى

(١) انظر الحديث فى: تاريخ للطبرى (٢/ ٤٩)، الطبقات لابن سعد (٢/ ٢٩).

(٢) هذه السرية ذكرها الواقدى فى المغازى (١/ ١٩٧، ١٩٨)، و ابن سعد فى الطبقات (٢/ ٣٦)، و ابن الأثير فى التاريخ (٢/ ١٤٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦٧

الشام، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، و معه فضة كثيرة و هى عظم تجارتهم، و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم زيد بن حارثة فلقبهم على القردة- ماء من مياه نجد- فأصاب تلك العير و ما فيها و أعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت بقوله فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا فى أخذهم تلك الطريق:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلا د كأفواه المخاض الأوارك «١»  
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقا و أيدى الملائك  
إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولا لها ليس الطريق هنالك «٢»

### مقتل كعب بن الأشرف

و لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه و قتل من قتل من المشركين ببدر، قال كعب بن الأشرف و كان رجلا من طيء، ثم أحد بنى نبهان، و أمه من بنى النضير، حين بلغه هذا الخبر:

أحق هذا؟ أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان؟ فهؤلاء اشراف العرب و ملوك الناس، و الله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لى من ظهرها.

فلما تبين عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينشد الأشعار، و يبكى أصحاب القليب من قريش، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لى من ابن الأشراف؟ فقال له محمد بن مسلمة الأشهلي:

أنا لك به يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتله قال: فافعل إن قدرت على ذلك.

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل و لا يشرب إلا ما يعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له: لم تركت الطعام و الشراب؟ فقال يا رسول الله،

(١) الفلجات: العيون الجارية. و المخاض: الإبل الحوامل. و الأوارك: الإبل التى ترعى الأراك، و هو شجر السواك.

(٢) الغور: الأرض المنخفضة. و بطن عالج: أى موضع كثير الرمل.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٦٨

قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا. قال: إنما عليك الجهد، قال: يا رسول الله، لا بد لنا من أن نقول. قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك.

فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، و سلكان بن سلامة أبو نائلة، و عباد بن بشر و الحارث بن أوس، و كلهم من بنى عبد الأشهل، و أبو عبس بن جبر أخو بنى حارثة، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف سلكان بن سلامة و كان أخاه من الرضاعة، فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال: و يحك يا ابن الأشرف! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب و رمتنا عن قوس واحدة، و قطعت عنا السبل حتى ضاع العيال و جهدت الأنفس. فقال كعب: أنا ابن الأشرف! أما و الله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال له سلكان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاما و نرهنك و نوثق لك. قال: أترهنونى نساء كم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا و أنت أشب أهل يثرب و أعطهم. قال: أترهنونى أبناء كم؟ قال: لقد أردت أن تفضحننا، يسب ابن أحدنا فيقال: رهن فى وسق شعير! ثم قال له: إن معى أصحابا لى على مثل رأبى و قد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم و تحسن فى ذلك و نرهنك من الحلقة ما فيه و فاء و أراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها. قال: إن فى الحلقة لوفاء.

فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم و أمرهم أن يأخذوا السلاح و يجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى معهم صلوات الله عليه إلى بقيع الغرقد فى ليلة مقمرة، ثم وجههم و قال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم. ثم رجع إلى بيته.

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، و كان حديث عهد بعرس، فوثب فى ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتهما و قالت: إنك

امرؤ محارب، و إن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني. فقالت: و الله إنني لأعرف في صوته الشر. فقال لها كعب: لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب!

فنزل فتحدث معهم ساعة و تحدثوا معه، فقالوا له: هل لك يا ابن الأشرف إلى أن نتماشى إلى شعب العجوز فتحدث فيه بقيه ليلتنا هذه. قال: إن شئتم.

فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده، فقال: ما رأيت كالليله طيبا أعطر قط، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها، حتى اطمأن، ثم مشى ثم عاد لمثلها، فأخذ بفود رأسه.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٦٩

ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا. قال محمد ابن مسلمة: فتذكرت معولا كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا- تغني شيئا، فأخذته و قد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال: فوضعت في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت غايته فوقع عدو الله و قد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه بعض أسيافنا، فخرجنا حتى أسندنا في حره العريض و قد ابطأ علينا الحارث بن أوس صاحبنا و نرزه الدم، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه و سلم آخر الليل و هو قائم يصلي، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله، و تغل على جرح صاحبنا، ثم رجعنا إلى أهلينا فأصبحنا و قد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودى إلا و هو يخاف على نفسه.

و ذكر ابن عقبه أن كعب بن الأشرف لما قدم على قريش يستنفرهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له أبو سفيان و المشركون، نناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد و أصحابه؟ و أينا أهدى في رأيك و أقرب إلى الحق، فإننا نطعم الجزور الكوماء و نسقى اللبن على الماء و نطعم ما هبت الشمال.

فقال: ابن الأشرف: أنتم أهدى سبيلا فأنزل الله فيه و الله أعلم بما ينزل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النساء: ٥١].

و ذكر ابن إسحاق أن هذه الآية إنما نزلت في حبي بن أخطب و سلام بن أبي الحقيق و جماعة غيرهما من أحبار يهود، ليس ابن الأشرف المذكور فيهم، و هم الذين حزبوا الأحزاب من قريش و غطفان على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود و أهل العلم بالكتاب الأول فسلوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه و أنتم أهدى منه و ممن اتبعه. فأنزل الله تعالى فيهم الآية المذكورة. فإله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه. فوثب محيصة بن مسعود الأوسى على ابن سنيه من تجار يهود، و كان يلبسهم و يبايعهم فقتله، فلما قتله جعل أخوه حويصة بن مسعود و لم يكن أسلم يومئذ و كان أسن من محيصة، يضربه و يقول: أى عدو الله أقتلته، و أما و الله لرب شحم في بطنك من ماله فقال محيصة: و الله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك! قال: فو الله إن كان

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٠

لأول إسلام حويصة. قال: أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى؟ قال: نعم، و الله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها، قال: و الله إن دينا بلغ منك هذا العجب! فأسلم حويصة، و قال محيصة في ذلك:

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله لطبقت ذفراه بأبيض قاضب «١»

حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب «٢»

و ما سرنى أنى قتلتك طائعاو أن لنا ما بين بصرى و مأرب «٣» و ذكر ابن هشام أن هذا عرض لمحيصة بعد غزوة بنى قريظة و ظفر رسول الله صلى الله عليه و سلم بهم، و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دفع إليهم منهم كعب بن يهودا. قال: و كان عظيما فيهم،

ليقتله، فقال له أخوه حويصة و كان كافرا: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال: نعم. قال: أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنك للثيم. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. فعجب من قوله، ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا أنه جعل ينتفض من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لدين. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

### غزوة أحد «٤»

و كان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر و رجع فلهم إلى مكة، و رجع أبو سفيان بن حرب بغيرهم، مشى عبد الله بن أبي ربيعة و عكرمة بن أبي جهل و صفوان بن أمية في رجال ممن أصيب آباؤهم و أبناؤهم و إخوانهم يوم بدر فكلما ابا سفيان و من كانت له في تلك العير تجارة من قريش، و قالوا لهم: إن محمدا قد وترككم و قتل خياركم، فأعينوا بهذا المال على حربنا لنذكر منه ثارا بمن اصاب منا. ففعلوا.

ففيهم يقال: أنزل الله عز و جل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: ٣٦].

(١) طبقت: قطعت. و الزفران: عظام ناتان خلف الأذنين. و القاضب: القاطع.

(٢) الحسام: السيف القاطع.

(٣) بصرى: مدينة بالشام. و مأرب: مدينة باليمن.

(٤) انظر السيرة (٣/ ٢٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧١

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان و أصحاب العير، و حركوا لذلك من أطاعهم من القبائل و حرضوهم عليه و خرجوا بحدهم و جدتهم و أحابيشهم «١» و من تابعهم من بنى كنانة و أهل تهامة، و خرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة و أن لا يفروا، فخرج أبو سفيان بن حرب و كان قائد الناس بهند بنت عتبة، و كذلك سائر أشرف قريش و كبرائهم خرجوا معهم بنسائهم.

و كان جبير بن مطعم قد أمر غلامه و حشيا الحبشي بالخروج مع الناس و قال له: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق. فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت: ويها أبا دسمه، و هي كنيته، اشف و اشطف.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين - جبل بطن السبخة من قنأة على شفير الوادى مقابل المدينة.

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و المسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال عليه السلام:

«إنى قد رأيت و الله خيرا، رأيت بقرا تذبج، و رأيت فى ذباب سيفى ثلما، فأما البقر، فهى ناس من أصحابى يقتلون، و أما الثلم الذى فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل، و رأيت أنى أدخلت يدي فى درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة و تدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام و إن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها» «٢».

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج، و كان عبد الله بن أبي يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك، فقال رجل من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد و غيره ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جنبنا عنهم. فقال عبد الله بن أبي: يا رسول الله، أقم بالمدينة و لا- تخرج إليهم، فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، و لا دخلها علينا إلا أصابنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس و إن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم و رماهم الصبيان و النساء بالحجارة من فوقهم، و إن رجعوا رجعوا خائنين كما جاءوا.

(١) أحابيشهم: أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام.

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٥١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ١٠٧)، الدلائل للبيهقي (٣/ ٢٢٥، ٢٦٦)، تفسير الطبري (٤/ ٤٦، ٤٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٢

فلم يزل برسول الله صلى الله عليه و سلم الناس الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فلبس لأمته، و ذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من الصلاة، و قد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو، أخو بنى النجار، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم خرج عليهم و قد ندم الناس، فقالوا: يا رسول الله، استكرهناك و لم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليه و سلم عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» (١).

فخرج في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بين المدينة و أحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس، و قال: أطاعهم و عصاني، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس.

فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق و الريب، و اتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا قومكم و نبيكم عند ما حضر من عدوهم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، و لكننا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه و أبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه.

و مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى سلك في حره بنى حارثة، فذب فرس بذبته فأصاب كلاب سيف فاستله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يحب الفأل و لا يعتاف:

«يا صاحب السيف، شم سيفك، فإنى أرى السيوف ستسل اليوم» (٢).

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من رجل يخرج بنا على القوم من كذب، أى من قرب، من طريق لا تمر بنا عليهم»، فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة: أنا يا رسول الله.

فنفذ به في حره بنى حارثة و بين أموالهم حتى سلك في مال لمرعب بن قيظي، و كان منافقا ضيرير البصر، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه و سلم و من معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب و يقول: إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطي.

و ذكر أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا اصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر» (٣).

(١) انظر الحديث في: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٦٨)، تفسير الطبري (٤/ ٤٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٤).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٣

و مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره و عسكره إلى أحد و قال: «لا يقاتلن أحد حتى تأمره بالقتال» (١).

و قد سرحت قريش الظهر و الكراع في زروع كانت للمسلمين، فقال رجل من الأنصار: أترعى زرع بنى قيلة و لما نضارب!

و تعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال و هو فى سبعمائه رجل، و أمر على الرمأة عبد الله بن جبير أخوا بنى عمرو بن عوف، و هو معلم يومئذ بثياب بيض، و الرمأة خمسون رجلا فقال: انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك.

و ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين، و دفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار. و تعبأت قريش و هم ثلاث آلاف و معهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد و على الميسرة عكرمة بن أبى جهل.

و قد كان أبو عامر عبد عمرو بن صيفى من الأوس، خرج عن قومه إلى مكة مابعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يعد قريشا أن لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلا، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش و عبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق. و بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان يسمى فى الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه، قال: «لقد أصاب قومي بعدى شر! ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم» (٢) بالحجارة» (٣). و قال أبو سفيان- يومئذ- لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك: يا بنى عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، و إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإذا أن تكفونا لواءنا و إما أن تخلوا بيننا و بينه فكفكموه. فهموا به و تواعدوه قالوا: أ نحن نسلم إليك لواءنا! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع. و ذلك أراد أبو سفيان.

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب.

(١) انظر الحديث فى: الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦١).

(٢) راضخهم: رماهم.

(٣) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/ ٥١٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٧٤

و قاتل أبو دجانه «١» سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة، حتى أمعن فى الناس، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسييف عنده: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانه فقال: و ما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى» (٢). قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه، و كان أبو دجانه رجلا شجاعا يختال عند الحرب، و كان إذا أعلم بعصابه له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفيين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن» (٣).

و كان الزبير بن العوام قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السيف مع من سأله منه فمنعه إياه، فقال: وجدت فى نفسى حين سألته إياه فمنعني و أعطاه أبا دجانه، و قلت: أنا ابن صفيئ عمته و من قريش و قد قمت إليه فسألته إياه قبله فأعطاه إياه و تركنى! و الله لأنظرن ما يصنع، فأتبعه، فأخرج عصابه حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار:

أخرج أبو دجانه عصابه الموت! و هكذا كانت تقول له إذا تعصب لها، فخرج و هو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلي و نحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله و الرسول «٤» فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، و كان فى المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف عليه: فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانه



فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، و ضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، قال الزبير: فقلت الله و رسوله أعلم.

(١) انظر ترجمته في: أسد الغابة ترجمة رقم (٥٨٦٣)، الإصابة ترجمة رقم (٩٨٦٦)، تنقيح المقال (٣/ ١٥)، ربحانة الأدب (٧/ ٩٥)، معجم رجال الحديث (٢١/ ١٥١).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ١٢٣)، مستدرک الحاكم (٣/ ٢٣٠)، مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٦، ١٤/ ٤٠١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ١٠٩، ٩/ ١٢٤)، كنز العمال للمتقى الهندي (١٠٩٧٢، ١٠٩٧٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٥).

(٣) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٥).

(٤) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٥

و قال أبو دجانة: رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت إليه، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة.

و قاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد النفر الذين كانوا يحملون اللواء من بني عبد الدار، و كان جبير بن مطعم قد وعد غلامه و حشيا بالعتق إن قتل حمزة بعمه طعيمة ابن عدى المقتول يوم بدر، قال وحشى: فخرجت مع الناس و كنت رجلا حشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطئ بها شيئا، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شيء، فو الله إنى لأتهدأ له أريده و أستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى الغبشاني، فلما رآه حمزة قال له: هلم إلى يا بن مقطعة البظور. و كانت أمه ختانة بمكة، قال: فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه، قال: و هزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في ثنته حتى خرجت من بين رجله و ذهب لينوء نحوى فغلب و تركته و إياها حتى مات، ثم أتيتها فأخذت حربتي و رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، و لم تكن لى بغيره حاجه، إنما قتلته لأعتق.

فلما قدمت مكة عتقت، ثم أقمت حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف فكنت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب، فو الله إنى لفى ذلك إذ قال لى رجل: و يحكك إنه و الله ما يقتل أحدا من الناس دخل فى دينه، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أتشهد شهادة الحق، فلما رآنى قال: أو حشى؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة، فحدثته فلما فرغت قال: و يحكك! غيب عنى وجهك. فكنت أتنبه صلى الله عليه وسلم حيث كان لثلا يرانى حتى قبضه الله تعالى.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب خرجت معهم و أخذت بحربتي التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما فى يده السيف و ما أعرفه، فتهيات له و تهيا له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريد، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع فيه و شد عليه الأنصارى فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قد قتلت شر الناس!

و ذكر ابن إسحاق «١» بإسناد له إلى عبد الله بن عمر، و كان شهد اليمامة قال:

سمعت يومئذ صارخا يقول: قتله العبد الأسود.

(١) انظر السيرة (٣/ ٣٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٦



قال ابن إسحاق: فبلغني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان.

فكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يقول: قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

قال ابن إسحاق (١): وقاتل مصعب بن عمير (٢) دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل، قتله ابن قميئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا.

فلما قتل مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب، فقاتل على ورجال من المسلمين.

ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار و أرسل إلى على أن قدم الراية، فتقدم فقال: أنا أبو القصم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة: هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفيين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله.

ويقال: إن أبا سعد هذا خرج بين الصفيين و طلب من يبارزه مرارا فلم يخرج إليه أحد، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة و قتلانا في النار، كذبتهم و اللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم. فخرج إليه على فاختلفا ضربتين فقتله على. و قد قيل: إن سعد بن أبي وقاص هو الذى قتل أبا سعد هذا.

و قاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح (٣)، فقتل مسافع بن طلحة و أخاه الجلاس ابن طلحة، كلاهما يشعره سهما (٤) فيأتى أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بنى من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلا يقول رمانى: خذها و أنا ابن أبي الأفلح. فندرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، و كان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا و لا يمس مشرك أبدا، فتمم الله له ذلك حيا و ميتا حسب ما نذره عند مقتل عاصم على الرجيع - ماء لهذيل - إن شاء الله تعالى.

(١) انظر السيرة (٣/٣٤).

(٢) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٨٠٢٠)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٩٣٦).

(٣) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٤٣٦٥)، أسد الغابة ترجمة رقم (٢٦٦٥).

(٤) يشعره سهما: أى يصيبه به فى جسده، فيصير له مثل الشعار، و الشعار ما ولى الجسد من الثياب.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٧٧

و التقى يوم أحد حنظلة بن أبى عامر الغسيل و أبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن صاحبكم - يعنى حنظلة - لتغسله الملائكة فسلوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبتة، فقالت: خرج و هو جنب حين سمع الهاتفة. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لذلك غسلته الملائكة» (١).

ثم أنزل نصره على المسلمين و صدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر و نهكهم قتلا.

و قد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات، كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة، و كانت الهزيمة لا شك فيها.

فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا: و الله ما نجلس هنا لشيء، قد أهلك الله العدو، و إخواننا فى عسكر المشركين، فتركوا منازلهم التى عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتركوها، و تنازعوا و فشلوا، و عصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلا، و لم يكن نبل ينضحها و وجدت مدخلا عليهم، فكان ذلك سبب الهزيمة على المسلمين بعد أن كانت لهم.

قال الزبير بن العوام رضى الله عنه: و الله، لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة و صواحبها منكشفات هوارب، ما دون أخذهن قليل و لا كثير، إذا مالت الرماة إلى العسكر حتى كشفنا القوم عنه، و خلوا ظهورنا للخيل، فأتتنا من خلفنا، و صرخ صارخ: ألا إن محمدا قد

قتل، فانكفأنا و انكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

و انكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، و يقال: إن الصارخ هو الشيطان.

و كان يوم بلاء و تمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة. حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته و كلمت شفته و شج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه، و جعل صلى الله عليه و سلم يمسحه و هو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم و هو يدعوهم إلى ربهم» (٢).

(١) انظر الحديث في: السنن الكبرى للبيهقي (١٥ / ٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٣ / ٢٤٦)، إرواء الغليل للألباني (٣ / ١٦٧)، السلسلة الصحيحة للألباني (١ / ٥٨١).

(٢) انظر الحديث في: سنن ابن ماجه (٢٧ / ٤٠)، مسند الإمام أحمد (٣ / ٢٠٦)، الدر المنثور-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٨

فأنزل الله عليه في ذلك: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [آل عمران: ١٢٨].

و كان الذي كسر رباعيته و جرح شفته عتبة بن أبي وقاص و شجه عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته و جرح ابن قميئة و جنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في و جنته، و وقع صلوات الله عليه في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون و هم لا يعلمون، فأخذ على بن أبي طالب بيده و رفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما. و مص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجهه ثم ازدردده، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من مس دمه دمي لم تصبه النار» (١).

و قال صلى الله عليه و سلم: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فليُنظر إلى طلحة» (٢).

و نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه و سلم فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

و كان سعد بن أبي وقاص يقول: و الله، ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص- و هو أخوه- و إن كان ما علمت لسبي الخلق مبعضا في قومه، و لقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسوله» (٣).

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا نفسه؟» فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار، و بعض الناس يقولون: إنما هو عمارة بن زياد بن السكن، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا ثم رجلا، يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم جاءت فئه من المسلمين فأجهضوهم عنه،

- للسيوطي (٢ / ٧١)، إتحاف السادة المتقين (٧ / ٩٢)، تفسير ابن كثير (٢ / ٩٨)، فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣٦٦)، المغني عن حمل الأسفار للعراقي (٢ / ٣٥٢)، أخلاق النبوة (٧٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٢٣).

(١) انظر الحديث في: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٦ / ١١٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٢٤).

(٢) انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (١ / ٧٦)، السنة لابن أبي عاصم (٢ / ٦١٤)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٣٣٦٩)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٧ / ٨٠).

(٣) انظر الحديث في: موارد الظمان للهيتمي (٢٢١٢)، دلائل النبوة للبيهقي (٣ / ٢٦٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٣٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٧٩

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أدنوه مني» (١). فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات و خده على قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قاتلت أم عمارة نسيه بنت كعب المازنية، يومئذ قالت: خرجت أول النهار و أنا أنظر ما يصنع الناس و معي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو في أصحابه و الدولة و الريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقامت بأبش القتال و أذب عنه بالسيف و أرمى عن القوس، حتى خلصت الجراح إلى.

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جراحاً أجوف له غور فقلت: من أصابك بهذا، قالت: ابن قميئة أقمأه الله، لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضته أنا و مصعب بن عمير و أناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فضربني هذه الضربة، و لقد ضربته على ذلك ضربات، و لكن عدو الله كانت عليه درعان.

و ترس دون رسول الله صلى الله عليه و سلم أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره و هو منحني عليه، حتى كثر فيه النبل. و رمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل و يقول: «أرم فداك أبي و أمي» «٢» حتى إنه لناولني السهم ماله من نصل فيقول: «ارم به».

و رمى رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم أحد عن قوسه حتى اندقت سيثها.

و أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان «٣» فردها رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده فكانت أحسن عينيه و أحدهما.

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣٥).

(٢) انظر الحديث في: صحيح البخاري (٤/ ٤٧، ٥/ ١٢٤، ٨/ ٥٢)، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٤١، ٤٢)، سنن الترمذي (٢٨٢٩، ٣٧٥٣)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ١٦٢)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٢٧، ٨/ ٧٢).

(٣) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمه رقم (٧٠٩١)، أسد الغابة ترجمه رقم (٤٢٧٧)، طبقات خليفة (٨١، ٩٦)، تاريخ خليفة (١٥٣)، التاريخ الكبير (٧/ ١٨٤، ١٨٥)، تاريخ الفسوى (١/ ٣٢٠)، الجرح و التعديل (٧/ ١٣٢)، تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٢٠٠)، تهذيب الكمال (١١٢٣)، تاريخ الإسلام (٢/ ٥٠)، العبر (١/ ٢٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٧، ٣٥٨)، خالصه تهذيب الكمال (٣١٥)، شذرات الذهب (١/ ٣٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٨٠

و أصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهتم و جرح عشرين جراحه أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فخرج.

و أتى أنس بن النضر عم أنس بن مالك و به سمى، إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين و الأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا:

قد قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده! قوموا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، رحمه الله تعالى.

و روى حميد عن أنس، أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر، فقال:

غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه و سلم المشركين لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المشركين، و أعتذر إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، و الذي نفسى بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد! واهأ لريح الجنة. فقال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. فوجدناه بين القتلى و به بضع و ثمانون جراحة من ضربه بسيف و طعنه برمح و رمية بسهم، و قد مثلوا به حتى عرفته أخته بينانه.

قال أنس: كنا نقول أنزلت هذه الآية: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب: ٢٣] فيه و في أصحابه.

قال ابن إسحاق «١»: و كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة و تحدث الناس بقتله: كعب بن مالك الأنصاري، قال: عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمون أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلي أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به و نهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام و الحارث بن الصمة، و رهط من المسلمين. فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف و هو يقول: أين محمد: لا نجوت إن نجوت! فقال القوم: يا رسول الله، أ يعطف عليه رجل منا؟ فقال: «دعوه» «٢».

(١) انظر السيرة (٣/ ٤٦).

(٢) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٣/ ٦٢٤)، سنن ابن ماجه (٥٣٠)، مجمع الزوائد للهيثمى (٣/ ١٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٨١

فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربه من الحارث بن الصمة، يقول بعض القوم: فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله قطعته في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا.

و كان أبى بن خلف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول: يا محمد، إن عندى العوذ، فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أقتلك إن شاء الله» «١».

فلما رجع إلى قريش و قد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال: قتلنى و الله محمد! فقالوا له: ذهب و الله فؤادك! و الله إن بك بأس. قال: إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك. فو الله لو بصق على لقتلنى.

فمات عدو الله بسرف و هم قافلون به إلى مكة.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله يومئذ: «اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله» «٢». فسحقا لأصحاب السعير.

و لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته من المهراس، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه، فوجد له ريحا فعافه و لم يشرب منه، و غسل عن وجهه الدم فصب على رأسه و هو يقول: «اشتد غضب الله على من دمی وجه رسوله» «٣».

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذا علت عالية من قريش الجبل فقال: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا» «٤» فقاتل عمر بن الخطاب و رهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

و نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع، و قد كان بدن

(١) انظر الحديث في: تفسير القرطبي (٧/ ٣٨٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١/ ٣٢).

(٢) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٤/ ٢٧٥)، شرح السنة للبعوى (١٢/ ٣٣٧)، كنز العمال للمتقى الهندي (٢٩٨٨٥، ٢٩٨٨٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر الحديث في: تفسير الطبري (٤/ ٩٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٨٢

و ظاهر بين درعين فجلس تحته بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال صلى الله عليه وسلم:

«أوجب طلحة» «١».

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر - يومئذ - قاعدا من الجراح التي أصابته، و صلى المسلمون خلفه قعودا.

ولما خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، و ثابت بن قيس فى الآكام مع النساء و الصبيان، فقال أحدهما لصاحبه و هما شيخان كبيران: لا اب لك! ما ننتظر؟ فو الله إن بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافا ثم نلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله يرزقنا شهادة معه؟ فأخذا أسياهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس و لم يعلم بهما.

فأما ثابت فقتله المشركون، و أما حسيل فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه و هم لا يعرفونه، فقال حذيفة: أبى! قالوا: و الله إن عرفناه. و صدقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده عند رسول الله خيرا.

و كان ممن قتل يوم أحد مخيرق من أحبار اليهود، و قد تقدم خبره و كيف قال - يومئذ - ليهود: لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. فتعللوا عليه بأنه يوم السبت، فقال لهم: لا سبت لكم. و أخذ سيفه و عدته فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال: إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيهما يشاء. و فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مخيريق خير يهود» (٢).

و كان عمرو بن ثابت و قش أصيرم بنى عبد الأشهل يابى الإسلام على قومه، فلما

(١) انظر الحديث فى: سنن الترمذى (٣٧٣٨)، مسند الإمام أحمد (١٦٥ / ١)، السنن الكبرى للبيهقى (٣٧٠ / ٦، ٤٦ / ٩)، مستدرک الحاكم (٣ / ٢٥، ٣٧٣)، موارد الظمان للهيثمى (٢٢١٢)، الترغيب و التهيب للمنذرى (٢٨١ / ٢)، فتح البارى لابن حجر (٧ / ٣٦١، ١٢ / ٩١)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٦١١٢)، شرح السنة للبغوى (١٤ / ١٢٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ١ / ١٥٥)، السنة لابن أبى عاصم (٢ / ٦١٢)، كنز العمال للمتقى الهندى (٣٣٣٦٤)، دلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٢٣٨).

(٢) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢ / ١٨٣)، دلائل النبوة لأبى نعيم (١ / ١٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣ / ٢٣٧، ٤ / ٣٦)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٣ / ٢٤٥، ١٠ / ٨٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٨٣

كان يوم أحد بدا له فى الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغزا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فبينما رجال من بنى الأشهل يلتسمون قتلاهم فى المعركة إذا هم به، فقالوا: و الله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه و إنه لمنكر لهذا الحديث. فسألوه ما جاء بك عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ قال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله و برسوله و أسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى. ثم لم يلبث أن مات فى ايديهم، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه لمن أهل الجنة» (١).

و كان أبو هريرة يقول: حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول: أصيرم بنى عبد الأشهل؟

و كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، و كان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه و قالوا له: إن الله قد عذرك. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه و الخروج معك فيه، فو الله إنى لأرجو أن أظأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». و قال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة» (٢) فخرج معه فقتل، يرحمه الله.

و وقعت هند بنت عتبة (٣) و النسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يجدعن الاذان و الأنوف، حتى اتخذت هند من آذان

الرجال و أنوفهم خدما و قلائد، و أعطت خدمها و قلائدها و قرطها و حشيا قاتل حمزة، و بقرت عن كبد حمزة- رضى الله عنه- فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:  
نحن جزيناكم بيوم بدر و الحرب بعد الحرب ذات سعر «٤»  
ما كان عن عتبه لى من صبر و لا أخى و عمه و بكر

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩).

(٢) انظر الحديث فى: إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٣٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٧).

(٣) انظر ترجمتها فى: الإصابة ترجمه رقم (١١٨٦٠)، أسد الغابة ترجمه رقم (٧٣٥٠)، الثقات (٢/ ٤٣٩)، أعلام النساء (٥/ ٢٣٩)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣١٠)، أزمته التاريخ الإسلامى (١٠٠٨)، تليق فهم أهل الأثر (٣١٩)، و در السحابة (٨٢٤).  
(٤) السعر: أى الالتهاب.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٨٤ شفيت نفسى و قضيت ندرى شفيت وحشى غليل صدرى  
فشكر وحشى على عمرى حتى ترم أضلعى فى قبرى فأجابتها هند بنت أئاثه بن عباد بن المطلب، فقالت:  
خزيت فى بدر و بعد بدر يا منه وقاع عظيم الكفر  
صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر  
بكل قطاع حسام يفرى حمزة لى و على صقرى  
إذ رام شيب و أبوك غدرى فخصبا منه ضواحى النحر  
و نذرك السوء فشر نذر

و قد كان الحليس بن زبان أخو بنى الحارث بن عبد مناة، و هو يومئذ سيد الأحابيش، مر بأبى سفيان و هو يضرب فى شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح و يقول: ذق عقق، فقال الحليس: يا بنى كنانة، هذا سيد قرىش يصنع بابن عمه ما ترون لحما. فقال: و يحك، اکتبها عنى فإنها كانت زلة.

ثم إن أبى سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته:

أنعمت فعال، إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، اعل هبل. أى ظهر دينك.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قم يا عمر فأجبه، فقل: الله أعلى و أجل، لا سواء، قتالنا فى الجنة و قتالكم فى النار» «١».

و فى الصحيح من حديث البراء أن أبى سفيان قال: إنه لنا العزى و لا عزى لكم.

فقال النبى صلى الله عليه و سلم: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال قالوا: «الله مولانا و لا مولى لكم» «٢».

و فيه أيضا: أن أبى سفيان أشرف يوم أحد فقال: أفى القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه.

فقال: أفى القوم ابن أبى قحافة؟ قال: لا تجيبوه. قال: أفى القوم ابن الخطاب؟ فلما لم يجبه أحد قال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال:

كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك.

قال ابن إسحاق: فلما أجاب عمر أبى سفيان قال له: هلم إلى يا عمر، فقال رسول

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٨).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٤/ ٨٠)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٩٣)، دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٢١٣)، تهذيب تاريخ دمشق



لابن عساكر (٦ / ٣٩٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٨٥

الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «آيته فانظر ما شأنه» (١). فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر:

أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قميئه و ابن. لقول ابن قميئه لهم: إني قد قتلت محمدا، ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان فى قتلاكم مثل، والله ما رضيت و ما سخطت، و ما أمرت و ما نهيت.

و لما انصرف أبو سفيان و من معه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل: «نعم، هو بيننا و بينكم موعد» (٢).

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال: «أخرج فى آثار القوم فانظر ما ذا يصنعون و ما ذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، و الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم» (٣)؛ فخرج على فرآهم قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل و وجهوا إلى مكة.

و فرغ الناس لقتلاهم و انتشروا يبتغونهم، فلم يجدوا قتيلًا إلا و قد مثلوا به إلا حنظلة ابن أبى عامر فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له، و زعموا أن أباه وقف عليه قتيلًا فدفن صدره بقدمه و قال: قد تقدمت إليك فى مصرعك هذا، و لعمر الله إن كنت لو اصلا للرحم برا بالوالدة.

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع، أ فى الأحياء هو أم فى الأموات؟» (٤) فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل. فنظر فوجده جريحا فى القتلى و به رمق، قال فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أ فى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام و قل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، و أبلغ قومك السلام عنى و قل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خالص إلى نبيكم و منكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات. فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره.

(١) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٢ / ٩٠).

(٢) انظر الحديث فى: التاريخ لابن كثير (٤ / ٣٨)، تاريخ الطبرى (٢ / ٧١).

(٣) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢ / ٧١)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ١٣٨)، المغازى للواقدي (١ / ٢٩٨).

(٤) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٢٨٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٣٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٨٦

و فى سعد هذا يقول أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - و قد دخل عليه رجل و على صدره بنت لسعد جارية صغيرة يرشفها و يقبلها فقال الرجل: من هذه؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: بنت رجل خير منى، سعد بن الربيع، كان من النقباء ليلة العقبة و شهد بدرًا، و استشهد يوم أحد.

و خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثل به فجدع أنفه و أذناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى: «لو لا أن تحزن صفيئ و يكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع و حواصل الطير، و لئن أظهرنى الله على قريش فى مواطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم» (١).

فلما رأى المسلمون حزن الرسول صلى الله عليه وسلم و غيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: و الله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب. فأنزل الله تعالى، فيما قاله من ذلك رسوله صلوات الله عليه و سلامه: و إن عاقبتهم فعاقبوا



بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ [النحل: ١٢٦، ١٢٧]، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة.

و يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقف على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا» (٢). ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسول الله» (٣). ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى ببرده، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى، يوضعون إلى حمزة و صلى عليهم و عليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين و سبعين صلاة. و أقبلت صفيئة بنت عبد المطلب «٤» إليه، و كان أخاها لأبيها و أمها فقال رسول الله

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣٩ / ٤).

(٢) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٣٧١ / ١)، البداية و النهاية لابن كثير (٤٠ / ٤).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤٠ / ٤).

(٤) انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد (٤١ / ٨)، طبقات خليفة (٣٣١)، تاريخ خليفة (١٤٧)، المعارف (١٢٨)، تاريخ الإسلام (٣٨١٢)، الإصابة ترجمة رقم (١١٤١١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٨٧

صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها». فقال لها: يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي. قالت و لم؟ و قد بلغني أن قد مثل بأخي، و ذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن و لأصبرن إن شاء الله. فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «خل سبيلها». فأتته فنظرت إليه فصلت عليه و استرجعت و استغفرت له.

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن.

و زعم آل عبد الله بن جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن عبد الله بن جحش مع حمزة في قبره، و هو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب، و كان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة، إلا أنه لم يقرر عن كبده و جدع أنفه و أذناه، فلذلك يقال له: المجدع في الله. و كان في أول النهار قد لقي سعد بن أبي وقاص فقال له عبد الله: هلم يا سعد فلندع الله و ليزكر كل واحد منا حاجته في دعائه و ليؤمن الآخر. فقال سعد: يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله و أسلبه سلبه. فأمن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك و يقاتلني فيقتلني ثم يجدع أنفي و أذني، فإذا لقيتك غدا قلت لي: يا عبد الله، فيم جدع أنفك و أذناك؟ فأقول: فيك يا رب و في رسولك. فتقول لي: صدقت. فأمن سعد على دعوته.

قال سعد: كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي، لقد رأيتك النهار و إن أذنيه و أنفه معلقان في خيط، و لقيت أنا فلان من المشركين فقتلته و أخذت سلبه.

و ذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفاً منه، فقاتل به فكان ذلك السيف يسمى العرجون، و لم يزل هذا يتوارث حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار.

و احتمال ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنهم بها، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال: «ادفنوهم حيث صرعوا» (١).

و لما أشرف صلوات الله عليه و سلامه يوم أحد على القتلى قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إن ما من جريح يجرح في الله إلا و الله يبعثه

يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٩٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٨٨

دم و الريح ريح مسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» (١). و كانوا يدفنون الاثنين و الثلاثة في القبر الواحد.

و قال- يومئذ- حين أمر بدفن القتلى: «انظروا عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد» (٢).

و ذكر مالك بن أنس في موطنه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، و كان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن و هو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، و كان بين أحد و بين يوم حفر عنهما ست و أربعون سنة.

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم راجعا إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش، فلما لقيت الناس نعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت و استغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت و استغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت و ولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن زوج المرأة منها ليمكان» (٣) لما رأى من تثبتها على أخيها و خالها و صياحها على زوجها.

و مر رسول الله صلى الله عليه و سلم بدار من دور الأنصار فسمع البكاء و النوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكى له» (٤).

فلما رجع سعد بن معاذ و أسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه و سلم، ففعلن فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن و هن على باب المسجد يبكين عليه، فقال: «ارجعن

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤١، ٤٢)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١/ ٧).

(٢) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٥٦٢)، موطأ مالك (٢/ ٤٧٠ / ٤٩).

(٣) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٠١)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٦).

(٤) انظر الحديث في: سنن ابن ماجه (١٥٩١)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٠، ٨٤، ٩٢)، السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٧٠)، مستدرک

الحاكم (١/ ٣٨١، ٣/ ١٩٥)، المعجم الكبير للطبراني (٣/ ١٥٩، ١١/ ٣٩٢)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ١٢٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد

(٢/ ٣١، ٣/ ١٠، ١١)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٤)، مصنف عبد الرزاق (٤/ ٦٦٩٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢١٦، ٣٠١)، كنز

العمال للمتقى الهندي (٣٦٩٤٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٨٩

يرحمكن الله، فقد آسيتن» (١) «بأنفسكن» (٢). و قيل: إنه لما سمع بكاءهن قال: «رحم الله الأنصار، فإن المواساة منهم ما علمت لقدمه، مروهن فليصرفن».

و مر رسول الله في انصرافه بامرأة من بني دينار و قد أصيب زوجها و أخوها و أبوها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير

لها إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل! تريد صغيرة.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: «اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فو الله لقد صدقتي اليوم» (٣)، وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا فاعسلي عنه دمه، فو الله لقد صدقتي اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف و أبو دجانة» (٤).

و كان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذو الفقار. و نادى مناد يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: «لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا» (٥).

و كان يوم أحد السبت للنصف من شوال.

فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب العدو، و أذن مؤذنه: أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس.

فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، كان أبي خلفني على أخوات لي سبع و قال: «يا بني لا ينبغي لي و لا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، و لست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك.

فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه.

و إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ليلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة، و أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

(١) آسيتين: أي عزيتين و عاونتن.

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٧)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٧).

(٤) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٣/ ٢٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٧).

(٥) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٩٠

و شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخوان من بنى الأشهل فرجعا جريحين، قال أحدهما: فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي: أ تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! و الله ما لنا من دابة نركبها و ما لنا إلا جريح ثقيل. فخرجنا و كنت أيسر جرحا منه، فكان إذا غلب حملته عقبه و مشى عقبه، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

و انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه ذلك إلى حمراء الأسد، على ثمانية أميال من المدينة. فأقام بها الاثني و الثلاثة و الأربعاء ثم رجع إلى المدينة.

و قد مر به هنالك معبد بن أبي معبد الخزاعي، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم عيبة نصح رسول الله بتهامه، صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها، و معبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد، أما و الله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، و لوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثم خرج و رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد، حتى لقي ابا سفيان بن حرب و من معه بالروحاء و قد أجمعوا الرجعة إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقالوا: أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم و ندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط. فقال: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من الشعر. قال: وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل «١»

تردى بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل «٢»

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغمطت البطحاء بالجيل «٣»

(١) تهد: تسقط من الإعياء لهول ما رأت من صوت الجيش و كثرته. و الجرد: الخيل العتاق.

و الأبايل: الجماعات.

(٢) تردي: أى تسرع. و التنابلة: القصار. و الميل: أى الذى لا رمح له.

(٣) أبو حرب: هو أبو سفيان. و تغمطت: أى اهتزت و ارتجت. و الجيل: الصنف من الناس.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص ٣٩١، إني نذير لأهل البسل ضاحية لكل ذى إربة منهم و معقول

من جيش أحمد لا وخشا قنابله و ليس يوصف ما أندرت بالقييل فثنى ذلك أبا سفيان و من معه.

و مر به ركب من عبد القيس فقال: ابن تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: و لم؟

قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رساله أرسلكم بها إليه و أحمل لكم بهذه غدا زيبا بعكاظ إذا ما أتيموها؟ قالوا:

نعم. قال: فإذا وإفيموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه و إلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم و هم

هم بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان و أصحابه فقالوا: «حسبنا الله و نعم الوكيل» «١».

و يقال: إنهم لما هموا بالرجعة إلى المدينة ليستأصلوا - كما زعموا - بقيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم صفوان بن

أمية: لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا و قد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان، فارجعوا. فارجعوا.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم و هو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة: «و الذى نفسى بيده لقد سومت «٢» لهم حجارة لو

صبحوا بها لكانوا كأسس الذاهب» «٣».

و أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس جد

عبد الملك بن مروان أبأ أمه و أبأ عزة الجمحى، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره بيدر ثم من عليه، و قد تقدم ذكر ذلك

و ذكر مقتله إياه فى هذه الأخذة الثانية صدر غزوة أحد، و لجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله

عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعدها و توارى. فبعث النبى زيد بن حارثة و عمار بن ياسر و قال: «إنكما

ستجدانه بموضع كذا» «٤». فوجداه فقاتلاه.

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١/٣٢٦)، المعجم الكبير للطبرانى (١٢/١٢٨)، الدر المنثور للسيوطى (٢/١٠١، ١/٣٣٨)،

دلائل النبوة للبيهقى (٣/٣١٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١/٤٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٥٠)، السلسلة الصحيحة للألبانى

(١٠٧٩)، زاد المسير لابن الجوزى (٥/٣٣٦، ٥/٥٠٥)، تفسير ابن كثير (٥/١٩٦)، تفسير الطبرى (٤/١١٩، ٢٩/٩٥)، تاريخ بغداد للخطيب

البغدادي (١١ / ٨٦).

(٢) سومت: علمت.

(٣) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٥١).

(٤) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ٥١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٩٢

و كان يوم أحد يوم بلاء و مصيبة و تمحيص، اختبر الله به المؤمنين و محن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه و هو مستخف بالكفر فى قلبه، و أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

و كان مما أنزل الله- تبارك و تعالى- من القرآن فى شأن أحد ستون آية من آل عمران فى طاعته من أطاع، و نفاق من نافق، و صفة ما كان فى يومهم، و تعزية المؤمنين فى مصيبتهم و معاتبته من عاتب منهم.

يقول الله تبارك و تعالى- لنبىه صلى الله عليه و سلم: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. أى سمیع لما يقولون عليم بما يخفون.

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا - و الطائفتان: بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الأوس، و هما الجناحان، يقول الله تبارك و تعالى: وَاللَّهُ وَرِثُهُمَا أَى المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمته و عائذته حتى سلمتا و لحقتا بنيهما. و قيل: إنه لما أنزل الله- تعالى- فى هاتين الطائفتين قالتا: ما نحب أنألم نهم بما هممنا لتولى الله إيانا فى ذلك.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على و ليستعن بى أعنه على أمره و أذفع عنه حتى أبلغ به و أقويه على نيته.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ أَقَلَّ عِدَدًا و أضعف قوة فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ أى فاتقونى فإنه شكر نعمتى.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بلى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، أى إِنْ تَصَبَرُوا لعدوى و تطيعوا أمر و يأتوكم من وجههم هذا أمددكم بهذا العدد من الملائكة مسومين أى معلمين.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَ لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، أى ما سميت لكم من سميته من جنود ملائكتى إلا لتستبشروا بذلك و تطمئن قلوبكم إليه، لما أعراف من ضعفكم، و ما النصر إلا من عند الله لسلطانى و قدرتى، و ذلك أن العزة و الحكم لى لا إلى أحد من خلقى.

ثم قال لمحمد صلى الله عليه و سلم: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٩٣

ظَالِمُونَ، أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا- ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتى فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فإنهم ظالمون أى عصوا فاستوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى.

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم و البلاء الذى أصابهم و التمحيص لما كان فيهم و اتخاذ الشهداء منهم، فقال تعزية لهم و تعريفاً لهم فيما صنعوا و فيما هو صانع بهم: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ، أى قد مضت منى وقائع نعمة فى أهل التكذيب برسلى و الشرك، فى عاد و ثمود و قوم لوط و أصحاب مدين، فأروا مثلات قد مضت منى فيهم و لمن هو على مثل ما هم عليه: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ، أى نور و أدب لمن أطاعنى و عرف أمرى.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، أى لا تضعفوا و لا تبتسوا على ما أصابكم و أنتم الأعلون لكم تكون العاقبة و الظهور إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أى أن كنتم صدقتم نبى بما جاءكم به عنى.

إِنْ يَمْسَسِيكُمْ قَرْحٌ أَوْ جَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ أَوْ جَرَحٌ مِثْلُهَا وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ أَيْ نَصَرَفَهَا لِلْبَلَاءِ وَ التَّمْحِصِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ، أَيْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ فَتَصِيبُوا كِرَامَةَ ثَوَابِي وَ لَمْ أُخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ وَ ابْتَلَيْكُمْ بِالْمَكَارِهِ حَتَّى أَعْلَمَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، الْإِيمَانَ بِي وَ الصَّبْرَ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي.

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ أَيْ الشَّهَادَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ يَعْنِي الَّذِينَ اسْتَهْضُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إِلَى الْخُرُوجِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ يَوْمَ أَحَدٍ لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ، يَقُولُ: فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، أَيْ لِقَوْلِ النَّاسِ: قَتَلَ مُحَمَّدٌ. وَ انْهَزَامِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَ انْصِرَافِهِمْ عَنِ عَدُوِّهِمْ.

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قَتَلَ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَفَارًا كَمَا كُنْتُمْ، وَ تَرَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ وَ كِتَابَ رَبِّكُمْ وَ مَا خَلْفَ نَبِيِّهِ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَ عِنْدَكُمْ وَ قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنَى أَنَّهُ مَيِّتٌ عِنْدَكُمْ وَ مَفَارِقٌ لَكُمْ؟! وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ أَيْ يَرْجِعْ عَنِ دِينِهِ فَلَنْ يَضُرَّ الْاِكْتِفَاءَ، الْكَلَاعَى، ج ١، ص: ٣٩٤

اللَّهُ شَيْئًا أَيْ لَنْ يَنْقُصَ ذَلِكَ عِزَّ اللَّهِ وَ لَا مَلِكُهُ وَ لَا سُلْطَانَهُ وَ لَا قُدْرَتَهُ وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ أَيْ مِنْ أَطَاعَهُ وَ عَمِلَ بِأَمْرِهِ. وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ أَيْ مِنْ أَرَادَ الدُّنْيَا خَاصَّةً أَتَاهَا مِنْهَا مَا كَتَبَ لَهُ وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ، وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَ سَعَى لَهَا سَعِيهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ آتَاهَا مِنْهَا مَا وَعَدَ بِهِ مَعَ مَا يَجْرَى عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ مِنْ رِزْقِهِ الْمَقْدَرِ لَهُ، وَ ذَلِكَ هُوَ جِزَاءُ الشَّاكِرِينَ أَيْ الْمُتَّقِينَ.

وَ كَذَلِكَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَا ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَيْسَاءُوا، أَيْ وَ كَمَ مِنْ نَبِيٍّ أَصَابَهُ الْقَتْلُ وَ مَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَنْصَارِهِ، فَمَا وَهَنُوا لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ وَ مَا ضَعُفُوا عَنِ عَدُوِّهِمْ وَ مَا اسْتَيْسَاءُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ عَنِ اللَّهِ وَ عَنِ دِينِهِمْ، وَ ذَلِكَ هُوَ الصَّبْرُ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.

وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أَيْ فَقُولُوا مِثْلَ مَا قَالُوا، وَ اعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ بِذُنُوبِكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ كَمَا اسْتَغْفَرُوا، وَ امضُوا عَلَى دِينِكُمْ كَمَا امضُوا عَلَى دِينِهِمْ وَ لَا تَرْتَدُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ رَاجِعِينَ، وَ سَلُوهُ كَمَا سَأَلُوهُ أَنْ يَثْبُتَ أَقْدَامَكُمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَكُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ كَانَ وَ قَدْ قَتَلَ نَبِيِّهِمْ، وَ لَمْ يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلْتُمْ.

فَاتَاهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِمْ وَ حُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ الَّتِي بِهِ وَعَدَهُمْ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ أَيْ عَنِ عَدُوِّكُمْ فَتَذْهَبَ دُنْيَاكُمْ وَ آخِرَتُكُمْ. بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ صِدْقًا عَنِ قُلُوبِكُمْ فَاعْتَصِمُوا بِهِ وَ لَا تَنْتَصِرُوا بغيره، وَ لَا تَرْجِعُوا كَفَارًا عَلَى أَعْقَابِكُمْ مَرْتَدِينَ عَنِ دِينِهِ.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ الَّذِي بِهِ كُنْتَ أَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ جِزَاءَ لِهَمِّهِمْ بِمَا أَشْرَكُوا بِي، فَلَا تَنْظُنُوا أَنَّ لَهُمْ عَاقِبَةَ نَصْرٍ وَ لَا ظُهُورًا عَلَيْكُمْ مَا اعْتَصَمْتُمْ بِي

الاكتفاء، الْكَلَاعَى، ج ١، ص: ٣٩٥

وَ اتَّبِعْتُمْ أَمْرِي، وَ إِنَّمَا أَصَابَكُمْ مِنْهُمْ مَا أَصَابَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ قَدِمْتُمُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ خَالَفْتُمْ بِهَا أَمْرِي وَ عَصَيْتُمْ فِيهَا نَبِيِّي. وَ لَقَدْ صَدَقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحَسَّنْتُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، أَيْ لَقَدْ وَفَيْتُمْ لَكُمْ مَا وَعَدْتُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ إِذْ تَحَسَّنْتُمْ بِالسُّيُوفِ أَيْ تَسْتَأْصِلُونَهُمْ قِتْلًا بِإِذْنِي وَ تَسْلِيطِي أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَفَى أَيْدِيَهُمْ عِنْدَكُمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ أَيْ تَخَالَفْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ وَ عَصَيْتُمْ بِتَرْكِ أَمْرِ نَبِيِّكُمْ، يَعْنِي الرَّمَاءَ الَّذِينَ عَاهَدُوا إِلَيْهِمْ أَلَّا يَفَارِقُوا



مكانهم فخالفوا أمره حتى أتى المسلمون من قبلهم من بعيد ما أراكم ما تُجِبُونَ أى الفتح لا شك فيه و هزيمة القوم عن نسائهم و أموالهم مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا أى النهب و مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ أى الذين جاهدوا فى الله و لم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ثُمَّ صَدَّرَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أى أنه سبحانه و إن عاقب من يشاء من عباده ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا و موعظة، فإنه غير مستوف كل ماله فيهم من الحق بما أصابوا من معصية، فضلا من الله و رحمته.

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم و هو يدعوهم و لا يعطفون عليه فقال: إِذْ تُصَيِّدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَعَمَ أى كربا بعد كرب بقتل من قتل من إخوانكم و علو عدوكم عليكم و ما وقع فى أنفسكم حين سمعتم أنه قتل نبيكم لِكَيْلًا- تَحَزَّنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الظهور على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ بِمَا فَرَجَتْ عَنْكُمْ مِنَ الكرب بوقاية نبيكم و كشف كرب الشيطان فى الصراخ بقتله بينكم، فكان هذا هو الذى فرج الله به عنهم ما تابع عليهم من الغم، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم و المصيبة التى أصابتهم فيمن قتل منهم.

ثم قال تعالى بعد آيات ذكر فيها ما ذكر من قصة أحد و ما أصابكم يَوْمَ التَّمَيِّ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنِ اللَّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ يعنى عبد الله بن أبى و الراجعين عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين سار إلى عدوه عن المشركين. يقول الله تبارك و تعالى: هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَ قَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرُؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٣٩٦

ثم قال لنيبه عليه السلام يرغب المؤمنين فى الجهاد و يهون عليهم القتلى: وَ لَا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم و مأكلهم و حسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد و لا ينكلوا عن الحرب» قال الله تبارك و تعالى: فأنا أبلغهم عنكم» «١»؛ فأنزل الله- عز ذكره- على رسوله صلى الله عليه و سلم هذه الآيات: وَ لَا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى آخِرِهَا.

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكره و عشا» «٢».

و سئل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات: وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا فقال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فيطلع الله إليهم اطلاعة، فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. ثم يطلع الله إليهم اطلاعه فيقول: يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث نشاء، ثم يطلع إليهم اطلاعه فيقول: يا عبادى، ما

(١) انظر الحديث فى: سنن أبو داود (٢٥٢٠)، مسند الإمام أحمد (١/٢٦٦)، السنن الكبرى للبيهقى (٩/١٦٣)، مستدرک الحاكم (٢/

٨٨، ٢٩٧)، دلائل النبوة للبيهقى (٣/٣٠٤)، مصنف ابن أبى شيبة (٥/٢٩٤)، الدر المنثور للسيوطى (٢/٩٥)، زاد المسير لابن الجوزى



(١/ ٤٩٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٤١)، تفسير الطبري (٤/ ١١٣)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٦٨).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٦)، مستدرک الحاكم (٢/ ٧٤)، المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٤٠٥)، مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠)، إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٣٨)، موارد الظمان للهيثمي (١٦١١)، الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٩٦)، مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ٢٩٤، ٢٩٨)، كنز العمال للمتقى الهندي (١١٠٩٩)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٣٢٣)، تفسير الطبري (٢/ ٣٤، ١١٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٩٧

تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا، إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله: «أ لا أبشرك يا جابر؟» «أ» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «إن أبأك حيث أصيب بأحد أحياء الله، ثم قال: ما تحب يا عبد الله ابن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى» «٢».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و الذى نفسى بيده ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من النهار و أن له الدنيا و ما فيها، إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل فى الله فيقتل مرة أخرى».

و استشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين و الأنصار خمسة و ستون رجلا، أربعة من المهاجرين و سائرهم من الأنصار و قتل الله من المشركين يومئذ اثنتين و عشرين رجلا. و كان مما قيل من الشعر فى يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصارى رحمه الله:

ألا هل أتى غسان عنا و دونهم من الأرض خرق سيره متنوع

صحار و أعلام كأن قتاهما من البعد نقع هامد متقطع

تظل به البزل العراميس رزحاو يخلو به غيث السنين فيمرع

به جيف الحسرى يلوح صليها كما لاح كتان التجار الموضع

به العين و الآرام يمشين خلفه و بيض نعام قيضه يتقلع

مجالدنا عن ديننا كل فخمه مذ ربه فيها القوانس تلمع

و كل صموت فى الصوان كأنها إذا لبست نهى من الماء مترع

و لكن بيدر سائلوا من لقيتم من الناس و الأنباء بالغيب تنفع

و إنا بأرض الخوف لو كان أهلها سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا

(١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٣١٧)، إتحاف السادة المتقين (٥/ ٢٤، ١٠/ ٣٨٣)، المغنى عن حمل الأسفار للعراقي (١/ ٢٠٥، ٤/ ٤٨٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٤).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٤٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٣٩٨ إذا جاء منا راكب كان قوله أعدوا لما يزجى ابن حرب و يجمع

و لما ابتنوا بالعرض قال سراتناعلام إذا لم نمنع العرض نزرع

و فينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء و يرفع

نشاورة فيما نريد و قصدنا إذا ما انتهى أنا نطيع و نسمع  
و قال رسول الله لما بدوا لناذروا عنكم هول المنيات و اطمع  
و كونوا كمن يشرى الحياة تقربا إلى ملك يحيا لديه و يرجع  
و لكن خذوا أسيافكم و توكلوا على الله إن الأمر لله أجمع  
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ضحيا علينا البيض لا نتخشع  
بملمومة فيها السنور و القنا إذا ضربوا أقدامها لا تورع  
فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر و مقنع  
ثلاثة آلاف و نحن نصيبة ثلاث مئين إن كثرنا و أربع  
نعاورهم تجرى المنية بيننا نشارعهم حوض المنايا و نشرع  
تهادى قسى النبع فينا و فيهم و ما هو إلا اليربى المقطع  
و منجوفة حرمية صاعدي يذر عليها السم ساعة تصنع  
و خيل تراها بالفضاء كأنها جراد صبا في قره يترع  
فلما تلاقينا و دارت بنا الرحي و ليس لأمر حمه الله مدفع  
ضربناهم حتى تركنا سرااتهم كأنهم بالقاع خشب مصرع  
لذن غدوة حتى استفقنا عشية كأن ذكاها حر نار ترفع  
و راحوا سراعا موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع  
و رحنا و أخرانا بطاء كأنها أسود على لحم ببيشة ظلع  
فلنا و نال القوم منا و ربما فعلنا و لكن ما لدى الله أوسع  
و دارت رحانا و استدارت رحاهم و قد جعلوا كل من الشر يشبع  
و نحن أناس لا نرى القتل سبة على كل من يحمى الدمار و يمنع  
جلاد على ريب الحوادث لا ترى على هالك عين لنا الدهر تدمع

بنو الحرب لا- نعيًا بشيء نقوله و لا- نحن مما جرت الحرب نجزع و قال حسان بن ثابت يجيب عبد الله بن الزبير عن كلمة له على  
روى هذا الجواب يفخر فيها بيوم أحد، و كلتا الكلمتين ينكرها بعض أهل العلم لمن نسبت إليه:

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٣٩٩ أشاقتك من أم الوليد ربوع بلاقع ما من أهلهم جميع

عفاهن ضيفى الرياح و واكف من الدلو زجاف السحاب هموع

فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنوع «١»

فدع ذكر دار بددت بين أهلها نوى لمتينات الجبال قطوع

و قل إن يكن يوم بأحد يعده سفیه فإن الحق سوف يشيع

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم و كان لهم ذكر هناك رفيع

و حامى بنو النجار فيه و صابروا و ما كان منهم فى اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا يخذلونه لهم ناصر من ربهم و شفيع

وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم و لا يستوى عبد و فى و مضيع

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى فلا بد أن يردى لهم صريع «٢»

كما غادرت فى النقع عتبه ثاوياء سعادا صريعا و الوشيخ شروع «٣»  
 و قد غادرت تحت العجاجة مسنداأبيا و قد بل القميص نجيع  
 يكف رسول الله حيث تنصبت على القوم مما قد يثرن نقوع  
 أولئك قوم سادة من فروعكم و فى كل قوم سادة و فروع  
 بهن نعر الله حتى يعزناو إن كان أمر يا سخين فطيع  
 فلا تذكروا قتلى و حمزة فيهم قتيل ثوى لله و هو مطيع  
 فإن جنان الخلد منزلة له و أمر الذى يقضى الأمور سريع  
 و قتلاكم فى النار أفضل رزقهم حميم معا فى جوفها و ضريع «٤» و قال كعب بن مالك يجيب ابن الزبيرى و عمرو بن العاص عن  
 كلمتين قالها فى ذلك:

أبلغ قريشا و خير القول أصدقه و الصدق عند ذوى الألباب مقبول  
 أن قد قتلنا بقتلنا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل  
 و يوم بدر لقيناكم لنا مددفيه مع النصر ميكال و جبريل  
 إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا و القتل فى الحق عند الله تفضيل

(١) رواكد: الحجارة التى كانوا ينصبونها لوضع القدور عليها. و كنوع: أى لاصقة بالأرض.

(٢) حمش: أى اشتد و قوى. و يردى: أى يهلك.

(٣) ثاوياء: أى مقيما.

(٤) الضريع: نبات أخضر يرمى به البحر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٠ و إن تروا أمرنا فى رأيكم سفها فرأى من خالف الإسلام تضليل

فلا تمنوا لقاح الحرب و اقتعدوا إن أخوا الحرب أصدى اللون مشغول

إننا بنو الحرب نمرىها و نتجها و عندنا لذوى الأضغان تنكيل «٥»

إن ينج منها ابن حرب بعد ما بلغت منه التراقى و أمر الله مفعول «٦»

فقد أفادت له حلما و موعظة لمن يكون له لب و معقول

و لو هبطتم ببطن السيل كافحكم ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل «٧»

تلقاكم عصب حول النبى لهم مما يعدون للهيجا سرايل «٨»

من جذم غسان مسترخ حماثلهم لا جبناء و لا ميل معازيل

يمشون تحت عمايات القتال كما تمشى المصاعبة الأدم المراسيل «٩»

أو مثل مشى أسود الظل ألتقها يوم رذاذ من الجوزاء مشمول

فى كل سابغ كالنهى محكمة قيامها فلح كالسيف بهلول «١٠»

ترد حد قدان النبل خاسته و يرجع السيف عنها و هو مفلول

و لو قذفتكم بسلع عن ظهوركم و للحياة و دفع الموت تأجيل «١١»

ما زال فى القوم و تر منكم أبدأتغفو السلام عليه و هو مطلول «١٢» و قال كعب- أيضا فى يوم أحد من قصيدة يفخر فيها بقومه:

فإن كنت عن شأننا سائلا فسل عنه ذا العلم ممن يلينا

بنا كيف نفعل إن قلصت عوانا ضروسا عضوضا حجونا  
 ألسنا نشد عليها العقاب حتى تدر و حتى تلينا  
 و يوم له وهج دائم شديد التهاول حامى الأرينا  
 طويل شديد أوار القتال يبغى حواقره المقرفينا  
 تخال الكماء بأعراضه ثمالى على لذة منزفينا

(٥) نمرها: نستدرها. و الأضغان: أى العداوة.

(٦) التراقى: عظام الصدر.

(٧) شاكلة البطحاء: أى جانبها. و الترعىل: أى الضرب السريع.

(٨) الهيجا: أى الحرب.

(٩) المصاعبة: الفحول من الإبل.

(١٠) السالفه: الدرع الكاملة الشاملة.

(١١) سلع: اسم جبل.

(١٢) تعفو: تذهب آثارها. و السلام: الحجارة. و مطول: لم يؤخذ بثأره.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٠١ تعاور أيماهم بينهم كئوس المنايا بحد الظيينا

شهدنا فكنا أولى بأسه و تحت العماية و المعلمينا

بخرس الحسيس حسان رواء و بصرية قد أجمن الجفونا

فما ينفللن و ما ينحنين و ما ينتهين إذا ما نهينا

كبرق الخريف بأيدى الكماء يفجعن بالطل هاما سكونا

و علمنا الضرب آباؤنا و سوف نعلم أيضا بنينا

جلاد الكماء و بذل التلاد عن جل أحسابنا ما بقينا

إذا مر قرن كفى نسله و أورثه بعده آخرينا

تشب و تهلك آباؤنا و بينا نربى بنينا فنيينا و قال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه:

أ تعرف الدار عفا رسمها بعدك صوب السبل الهاطل «١»

بين السرايح فادمانه فمدفع الروحاء فى حائل «٢»

سألته عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعه السائل «٣»

دع عنك دارا قد عفا رسمها و ابك على حمزة ذى النائل «٤»

المالى الشيزى إذا أعصفت غرباء فى ذى الشبم الماحل «٥»

و التارك القرن لدى لبده يعثر فى ذى الخرص الذابل «٦»

و اللابس الخيل إذ أجحمت كالليث فى غابته الباسل

أبيض فى الذروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل

مال شهيدا بين أسيافكم شلت يدا و حشى من قاتل «٧»

أى امرئ غادر فى أله مطرورة مارنه العامل «٨»

(١) عفا: أى غير و درس. و رسمها: أى أثرها.

(٢) السرايخ: جمع سراح، و هو الوادى. و أمانة: اسم موضع. و الروحاء: اسم موضع. و حائل: جبل.

(٣) استعجمت: أى لم ترد جوابا. و مرجوعه السائل: أى رجوع جوابه.

(٤) النائل: أى العطاء.

(٥) الشيزى: الجفان التى تصنع من خشب الشيز.

(٦) القرن: الذى يقاومك فى القتال. و اللبده: أى الغبار الملبد.

(٧) وحشى: هو قاتل حمزة.

(٨) و الألة: الحربه التى لها سنان طويل. و المطروره: أى المحدده. و المارنه: أى اللينه. و العامل: أعلى

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٢ أظلمت الأرض لفقده و اسود نور القمر الناصل

صلى عليه الله فى جنه عاليه مكرمه الداخل

كنا نرى حمزه حرزا لنا فى كل أمر نابنا نازل

و كان فى الإسلام ذا تدرايكفيك فقد القاعد الخاذل

لا تفرحى يا هند و استحلبنى دمعا و أذرى عبره التاكل

و ابك على عتبه إذ قطه بالسيف تحت الرهج الجائل

إذا خر فى مشيخه منكم من كل عات قلبه جاهل

أرداهم حمزه فى أسره يمشون تحت الحلق الفاضل

غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل و قال عبد الله بن رواحه يبكى حمزه، و تروى - أيضا - لكعب بن مالك رضى الله عنهم أجمعين:

بكت عيني و حق لها بكاهها و ما يغنى البكاء و لا العويل

على أسد الإله غداة قالوا حمزه ذاكم الرجل القليل

أصيب المسلمون به جميعاهناك و قد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدت و أنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك فى جنان مخالطها نعيم لا يزول و قالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزه رضى الله عنهما:

أ سائله أصحاب أحد مخافه بنات أبى من أعجم و خير

فقال الخبير إن حمزه قد ثوى وزير رسول الله خير وزير

دعاه الإله الحق ذو العرش دعوة إلى جنه يحيا بها و سرور

فذلك ما كنا نرجى و نرتجى لحمزه يوم الحشر خير مصير

فو الله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء و حزنا محضرى و مسيرى

على أسد الله الذى كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور

فيا ليت شلوى عند ذاك و أعظمى لدى أضيع تعتادنى و نسور

أقول و قد أعيب النعى عشيرتى جزى الله خيرا من أخ و نصير و قالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها شماسا و أصيب يوم

أحد:

أعلى الرمح.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٣ يا عين جودى بفيض غير إيساس على كريم من الفتيان لباس

صعب البديهة ميمون نقييته حمال ألوية ركاب أفراس «١»

أقول لما أتى الناعى له جزعا أودى الجواد و أودى المطعم الكاسى «٢»

و قلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله عنا قرب شماس فأجابها أخوها يعزيها فقال:

اقنى حياءك فى ستر و فى كرم فإنما كان شماس من الناس «٣»

لا تقتلى النفس إذ حانت منيته فى طاعة الله يوم الروع و الباس «٤»

قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس و قالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعت و فى نفسى بلايل جمه و قد فاتنى بعض الذى كان مطلبى «٥»

من أصحاب بدر من قريش و غيرهم بنى هاشم منهم و من أهل يثرب

و لكننى قد نلت شيئا و لم يكن كما كنت أرجو فى مسيرى و مركبى و هذه هند أم معاوية بن أبى سفيان، و كانت امرأة فيها مكاره و

ذكوره و لها نفس و أنفه، و كان المسلمون قد أصابوا يوم بدر أباه عتبة و عمها شيبه و أخاها الوليد، فأصابها من ذلك ما يصيب من

مثله النفوس الشهمه و القلوب الكافره، فخرجت إلى أحد مع زوجها أبى سفيان تبتغى الانتصار و تطلب الأوتار، فهذا قولها- يرحمها

الله- و الوتر يقلقها و الكفر يحنقها و الحزن يحرقها و الشيطان ينطقها.

ثم إن الله سبحانه هداها إلى الإسلام و أخذ بحجزتها عن سواء النار، فصلحت حالها و تبدلت أقوالها، حتى قالت لرسول الله صلى الله

عليه و سلم فيما قالت له: و الله يا رسول الله، ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك، و ما أصبح اليوم

الأرض خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك. أو نحو هذا من القول.

فالحمد لله الذى هدانا برسوله أجمعين، و إياه سبحانه نسأل أن يمتتنا على خير ما هدانا إليه، لا مبدلين و لا مغيرين.

\*\*\*

(١) البديهة: أول الأمر و الرأى. و ميمون نقييته: أى مسعود الفأل. و الألوية: جمع لواء، و هو العلم.

(٢) الناعى: الذى يأتى بخبر الميت.

(٣) اقنى حياءك: أى حافظى عليه و لا تخرجى عنه.

(٤) المنية: أى الموت. و الروع: أى الفزع. و البأس: أى الشجاعة.

(٥) البلايل: أى الأحزان.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٤

### غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل و القارة، و هم بنو الهون ابن خزيمه بن مدركه، فقالوا له: يا

رسول الله، إن فىنا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين و يقرءوننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام.

فبعث معهم ستة من أصحابه: مرثد بن أبى مرثد الغنوى «١» و أمره عليهم، و خالد بن البكير «٢»، و عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، و

خبيب بن عدى «٣»، و زيد بن الدثنه «٤»، و عبد الله بن طارق «٥».

فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدر الهدأة «٦»، غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيل فلم يرع القوم و هم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوههم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم: إنا و الله ما نريد قتلكم، و لكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة، و لكم عهد الله و ميثاقه أن لا نقتلكم.  
فأما مرثد و خالد و عاصم فقالوا: و الله لا نقبل من مشرك عهدا و لا عقدا أبدا. و قال عاصم:  
ما علتي و أنا جلد نابل و القوس فيها و تر عنابل «٧»

(١) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٧٨٩٥)، أسد الغابة ترجمة رقم (٤٨٣١)، البداية و النهاية (٦/ ٣٥٣)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٦٨)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣١٤)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢).

(٢) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٢١٥٣)، أسد الغابة ترجمة رقم (١٣٤٨)، طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ٢٨٣).

(٣) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٢٢٢٧)، أسد الغابة ترجمة رقم (١٤١٧)، حلية الأولياء (١/ ١١٢، ١١٤).

(٤) انظر ترجمته فى: أسد الغابة ترجمة رقم (١٨٣٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١٩٩)، الإصابة ترجمة رقم (٢٦٠٥).

(٥) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٤٧٨٧)، أسد الغابة ترجمة رقم (٣٠٢٦).

(٦) الهدأة: موضع بين عسفان و مكة.

(٧) النابل: صاحب النبل. و عنابل: أى غليظ شديد.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٥ نزل عن صفحتها المعابل الموت حق و الحياة باطل

و كل ما حم الإله نازل بالمرء و المرء إليه آئل

إن لم أقاتلكم فأمى هابل

ثم قاتل القوم حتى قتل و قتل صاحباة رحمهم الله.

فلما قتل عاصم ارادت هذيل أخذ رأسه لبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد بمكة، و كانت حين أصاب ابنها يوم أحد نذرت لئن قدرت على راس عاصم لتشرين فى قحفه الخمر، فمنعه الدبر فقالوا: دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فأنأخذه. فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به.

و قد كان عاصم أعطى الله عهدا أن لا يمس مشركا و ألا يمس مشرك أبدا، تنجسا!

فكان عمر بن الخطاب يقول: يحفظ الله العبد المؤمن! كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك و لا يمس مشركا أبدا فى حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته.

و أما زيد بن الدثنة و حبيب بن عدى و عبد الله بن طارق فلانوا و رقوا و رغبوا فى الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعهوم بها، حتى إذا كانوا بالظهران «١» انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه و استأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران.

و أما حبيب بن عدى و زيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميمى لعقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقبله بأبيه.

و أما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقبله بأبيه أمية بن خلف، فبعث به مع مولى له يقال له: نسطاس إلى التنعيم، فأخرجوه من الحرم ليقتلوه، و اجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان لما قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أ تحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه و أنك فى أهلك؟ فقال: و الله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه و أنى جالس فى أهلى!



يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا.

ثم قتله - رحمه الله - نسطاس مولى صفوان.

(١) الظهران: واد قرب مكة عنده قرية يقال لها: مز، تضاف إلى هذا الوادي، فيقال: واد الظهران.

انظر: معجم البلدان (٤/٦٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٠٦.

قال ابن عقبة: و زعموا أنهم رموه بالنبل و أرادوا فتنته فلم يزد إلا إيماناً و يقينا.

و أما خبيب بن عدى فجلس بمكة في بيت ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب، فكانت تخبر بعد ما أسلمت، قالت: لقد اطلعت عليه يوما

و إن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، و والله ما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل!

قالت: و قال لي حين حضره القتل: ابغثي إلى بحديدة أتطهر بها للقتل، فأعطيت موسى غلاماً من الحي فقلت: ادخل بها على هذا

الرجل، قالت: فو الله ما هو إلا - أن ولي الغلام بها إليه، فقلت: ما ذا صنعت؟ أصاب و الله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً

برجل. فلما ناوله الحديد أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلي؟ ثم خلى سبيله.

ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا له؛ دونك فاركع.

فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما و الله لو لا - تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لا - ستكثر من

الصلاة.

فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالته رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ثم قال: اللهم أحصهم عددا و اقتلهم

بددا و لا تغادر منهم أحدا. ثم قتلوه.

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرت - يومئذ - فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني في الأرض فرقا من دعوة

خبيب، و كانوا يقولون: الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه.

و كان ممن حضره - يومئذ - سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي «١»، ثم أسلم بعد ذلك و استعمله عمر بن الخطاب - رضی الله عنه -

على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر و قيل: إن الرجل مصاب. فسأله عمر - رحمه الله - في قدمه

قدمها عليه فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ قال: و الله يا أمير

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٣٢٨٠)، أسد الغابة ترجمة رقم (٢٠٨٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٢٣)، شذرات الذهب

(٢)، الجرح و التعديل (٤/ ترجمة ٢٠٥)، حلية الأولياء (١/٣٦٨)، الطبقات الكبرى (٧/٢٤٢، ٤٠٢)، صفة الصفوة (١/٦٦٠)، الوافي

بالوفيات (١٥/٣٢٠)، البداية و النهاية (٦/١٠٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٠٧.

المؤمنين ما بي من بأس، و لكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل و سمعت دعوته، فو الله ما خطرت على قلبي و أنا في

مجلس قط إلا و غشى على فزادته عند عمر خيرا.

و ذكر ابن عقبة أن خبيبا و زيدا قتلا في يوم واحد، قال: و زعموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال و هو جالس في ذلك اليوم

الذي قتلا فيه: «و عليكمم أو و عليك السلام، خبيب قتلته قريش»، لا ندرى أذكر ابن الدثنة معه أم لا.

و قال خبيب - رحمه الله - لما اجتمع القوم لصلبه:

لقد جمع الأحزاب حولي و ألبوا قبائلهم و استجمعوا كل مجمع «١»  
و كلهم مبدى العداوة جاهد على لاني في وثاق بمضيع  
و قد جمعوا أبناءهم و نساءهم و قربت من جذع طويل ممنوع  
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتني و ما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى  
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى فقد بضعوا لحمى و قد ياس مطمعى  
و ذلك فى ذات الإله و إن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع  
و قد خيرونى الكفر و الموت دونه و قد هملت عيناي من غير مجزع «٢»  
و ما بى حذار الموت إنى لميت و لكن حذارى جحيم نار ملفع «٣»  
و لست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى  
فلست بمبى للعدو تخشعا و لا جزعا إنى إلى الله مرجعى و قال حسان بن ثابت يبكى خبيبا:  
يا عين جودى بدمع منك منسكب و ابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب  
صقرا توسط فى الأنصار منصبه سمح السجىة محضا غير مؤتشب  
قد هاج عينى على علات عبرتها إذ قيل نص إلى جذع من الخشب  
يا أيها الراكب الغادى لطيته أبلغ إليك و عيدا ليس بالكذب «٤»  
بنى كهينه أن الحرب قد لقحت محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب  
فيها أسود بنى النجار تقدمهم شهب الأسنة فى معصوب لجب

(١) ألبوا: أى جمعوا. و مجمع: مكان الاجتماع.

(٢) هملت عيناي: أى سال دمعها.

(٣) الجحيم: أى الملتهب المتقد. و الملفع: أى المشتمل.

(٤) الطية: ما انطوت عليه نيتك من الجهة التى تريد أن تتوجه إليها.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٨

و قال حسان- أيضا- يهجو هذيانا:

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك أحاديث كانت فى خبيب و عاصم  
أحاديث لحيان صلوا بقيحها و لحيان جرامون شر الجرائم «١»  
أناس هم من قومهم فى صميمهم بمنزلة الزمعان دبر القوائم  
هم غدروا يوم الرجيع و أسلمت أمانتهم ذا عفة و مكارم  
رسول رسول الله غدرا و لم تكن هذيل توقي منكرات المحارم  
فسوف يرون النصر يوما عليهم بقتل الذى يحميه دون المحارم  
أبابل دبر شمس دون لحمه حمت لحم شهاد عظام الملاحم  
لعل هذيانا أن يروا بمصابه مصارع قتلى أو مقاما لمأتم  
و يوقع فيهم وقعة ذات صولة يوافى بها الركبان أهل المواسم  
بأمر رسول الله إن رسوله رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم

قبيلته ليس الوفاء يهمهم وإن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم  
إذا الناس حلوا بالقضاء رأيتهم بمجرى مسيل الماء بين المخارم «٢»  
محلهم دار البوار و رأيتهم إذا نابهم أمر كراى البهائم

### غزوة بئر معونة «٣»

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد.  
و كان من حديثهم أن أبا براء ملاعب الأسنه، و اسمه عامر بن مالك بن جعفر قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام و دعاه إليه، فلم يسلم و لم يبعد من الإسلام، و قال: يا محمد، لو بعثت رجالا من  
أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أخشى عليهم أهل نجد» «٤». قال: أنا لهم جار فابعثهم.

(١) صلوا بقييحها: أى أصابهم شرها. و جرامون: أى كاسبون.

(٢) المخارم: مسائل الماء التى يخرمها السيل، أى يقطعها.

(٣) راجع الغزوة فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٥١، ٥٤)، المنتظم لابن الجوزى (٣/ ١٩٨)، المغازى للواقدى (١/ ٣٤٦).

(٤) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٢٨)، دلائل النبوة للسيهقى (٣/ ٣٣٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٧٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٠٩

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة، المعنق ليموت، فى أربعين رجلا من أصحابه، منهم الحارث بن  
الصمة، و حرام بن ملحان، و عروة بن أسماء بن الصلت السلمى، و نافع بن بديل بن ورقاء، و عامر بن فهيرة، فى رجال مسمين من  
خيار المسلمين.

فساروا حتى نزلوا بئر معونة و هى بين أرض بنى عامر و حره بنى سليم، كلا البلدين منها قريب، و هى إلى حره بنى سليم أقرب.  
فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاهم لم ينظر فى كتابه  
حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه، و قالوا: لن نخفر أبا براء، و قد عقد لهم عقدا و جوارا.  
فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم: عصىه و رعلا و ذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم  
فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رحمهم الله، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار - يرحمه الله -  
فإنهم تركوه و به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا.

و كان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، و رجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف قيل: إنه المنذر بن محمد بن عقبه بن  
أحيمه بن الجلاح، فلم ينبثهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا: و الله إن لهذا الطير لشأنا.  
فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم و إذا الخيل التى اصابهم واقفة.

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية: ما ترى؟

قال: أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر. فقال الأنصارى: لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه  
المنذر بن عمرو، و ما كنت لتخبرنى عنه الرجال.

ثم قاتل القوم حتى قتل.

و أخذوا عمرو بن أمية أسيرا، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل و جز ناصيته و أعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقره من صدر قناه أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا معه في ظل هو فيه فسألها ممن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر. فأمهلها حتى الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤١٠

إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثوره من بنى عامر فى ما أصابوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم و جوار لم يعلم به عمرو بن أمية، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر قال: لقد قتيلين لأدينهما. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا» (١).

و كان فيمن أصيب- يومئذ- عامر بن فهيره، فكان عامر بن الطفيل يقول: من رجل منهم لما قتل رأيتة رفع بين السماء و الأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيره.

و ذكر ابن عقبه أنه لم يوجد جسد عامر بن فهيره يومئذ، فيرون أن الملائكة هى وارته، رحمه الله عليه.

و كان جبار بن سلمى فيمن حضرها- يومئذ- مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول: إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعتة يقول: فزت و الله! فقلت فى نفسى: ما فاز! أ لست قد قتلت الرجل؟! حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: الشهاده. فقلت: فاز لعمر الله.

و أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو فى صلاة الغداة على الذين قتلوا أصحاب بئر معونه، يدعو على رعل و ذكوان و عصية الذين عصوا الله و رسوله، و أنزل فيمن قتل هنالك قرآن ثم رفع: «بلغوا عنا قومنا أن لقينا ربنا فرضى عنا و رضينا عنه».

### ذكر غزوة بنى النضير «٢» و السبب الذى هاج الخروج إليهم

و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم يستعينهم فى دية العامرين، اللذين قتل عمره

(١) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٧ / ٢)، دلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٣٤١)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٢٩ / ٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٧٣ / ٤).

(٢) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدي (٣٦٣ / ١)، طبقات ابن سعد (١ / ٢ / ٤٠)، تاريخ الطبرى (٢ / ٥٥٠)، الكامل (٢ / ٦٤)، صحيح البخارى (٨٨ / ٥)، فتح البارى (٧ / ٣٢٩)، عيون الأثر (٢ / ٦١)، الدرر لابن عبد البر (١٦٤)، البداية و النهاية (٧٤ / ٤)، دلائل النبوة للبيهقى (٣ / ١٧٦، ٣٥٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤١١

ابن أمية الضمرى، للجور الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما، فقالوا له لما كلمهم فى ذلك: نعم، يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، اجلس حتى تطعم و ترجع بحاجتك.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ظل جدار من جدر بيوتهم معه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر و عمر و على، ينتظرون أن يصلحوا أمرهم.

فخلا بعضهم ببعض و الشيطان معهم لا يفارقهم، فائتمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم و قالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك و سعد ليفعل.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام راجعا إلى المدينة و ترك أصحابه فى مجلسهم، فلما

استلبت النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عنه فقال: لقيته داخلا المدينة، فأقبلوا حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به.

و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم و السير إليهم، ثم سار بالناس و نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون. و عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاء عن أوطانهم و أن يسيروا حيث شاءوا فراسلهم أولياؤهم من المنافقين - عبد الله بن أبي رهم من قومه - حين سمعوا ما يراد منهم: أن اثبتوا و تمنعوا فإننا لن نسلمكم، إن قاتلتهم قاتلنا معكم، و إن خرجتم خرجنا معكم.

فغرتهم أمانى المنافقين، و نادوا النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه: إنا و الله لا نخرج، و لن قاتلتنا لقاتلتك. فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله فيهم، فلما انتهى إلى أزقتهم و حصونهم كره أن يمكنهم من القتال في دورهم و حصونهم، فحفظ الله له أمره و عزم له على رشده، فأمر بالأدنى فالأدنى من دورهم أن تهدم و بالنخيل أن تحرق و تقطع، و كف الله أيديهم و أيدي المنافقين فلم ينصروهم، و ألقى الله في قلوب الفريقين كليهما الرعب، فهدموا الدور التي هم فيها من أدبارها، فلما كادوا يبلغون آخر دورهم و هم ينتظرون المنافقين

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤١٢

و يتربصون من نصرهم ما كانوا يمتنونهم به حتى يسوا مما عندهم، سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان عرض عليهم قبل ذلك.

فقاضاهم - صلوات الله عليه و سلامه - على أن يجليهم و يكف عن دمائهم و على أن لهم ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة فقط.

فطاروا بذلك كل مطير و تحملوا بما أقلت إبلهم، حتى إن الرجل ليهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، و منهم من سار إلى الشام، و كان أشرافهم بنو أبي الحقيق و حبي بن أخطب فيمن سار إلى خيبر، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

و خلى بنو النضير الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت له خاصة بحكم الله له بها ليضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف و أبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منها.

و كانت اليهود قد عبروا المسلمين حين يهدمون الدور و يقطعون النخل فنادوا: أن محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعييه على من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها؟

و ما ذنب شجرة و أنتم تزعمون أنكم مصلحون فى الأرض!؟

فأنزل الله - سبحانه - فى قصتهم و ما ذكروه من قولهم و بيان وجه الحكم فى أموالهم سورة الحشر بأسرها. فقال عز من قائل: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فى السَّمَاوَاتِ و مَا فى الأَرْضِ و هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا و ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا و قَدَفَ فى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ و أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ، للذى كان منهم من الهدم من أدبار بيوتهم و هدم المسلمين لما يليهم منها.

و لو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعدبهم فى الدنيا أى بالسيف و لهم فى الآخرة عذاب النار أى مع ما لقوه فى الدنيا من النعمة. ثم قال - تعالى - فيما عابوه من قطع النخل و عدوه من ذلك فسادا: ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله أى فبأمر الله قطعت، لم يكن ذلك فسادا بل نعمة أنزلها بهم و ليخزي الفاسقين.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤١٣

ثم بين تعالى لرسوله الحكم في أموالهم و أنها نفل له لا سهم لأحد فيها معه فقال عز ذكره و جل قوله: وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن أراه الله من المهاجرين الأولين كما تقدم، و أعطى منها الرجلين المسميين من الأنصار. و قال علي بن أبي طالب يذكر إجلاء بني النضير و ما تقدم قبل ذلك من قتل كعب ابن الأشرف، و يقال: بل قالها رجل من المسلمين غير علي:

عرفت و من يعتدل يعرف و أيقنت حقا و لم أصدف «١»  
 عن الكلم المحكم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأراف  
 رسائل تدرس في المؤمنين بهن اصطفى أحمد المصطفى  
 فأصبح أحمد فينا عزيزا عزيز المقامة و الموقف «٢»  
 فيا أيها الموعده سفاهاو لم يأت جورا و لم يعنف «٣»  
 أ لستم تخافون أدنى العذاب و ما آمن الله كالأخوف  
 و أن تصرعوا تحت أسيفه كمصرع كعب أبي الأشرف  
 غداة رأى الله طغيانه و أعرض كالجمل الأحنف  
 فأنزل جبريل في قتله بوحي إلى عبده ملطف  
 فدرس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبة مرهف  
 فباتت عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرف «٤»  
 و قلن لأحمد ذرنا قليلا فإننا من النوح لم نشتف  
 فخلاهم ثم قال اظعنوا دحورا على رغم الآنف  
 و أجلي النضير إلى غربه و كانوا بدار ذوى زخرف  
 إلى أذرع ردا في و هم على كل ذى دبر أعجف «٥»

(١) لم أصدف: لم أعرض.

(٢) المقامة: موضع الإقامة.

(٣) السفاه: الضلال. لم يعتف: أى لم يأتى غير العفة.

(٤) معولات: باقيات بصوت مرتفع. ينعى: يذكر خبر قتله. تذرف: تسيل بالدموع.

(٥) أذرع: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان (١/ ١٣٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤١٤

و لم يسلم من بنى النضير إلا-رجلان: يامين بن عمير بن كعب «١»، ابن عم عمرو بن جحاش، و أبو سعد بن وهب «٢»، أسلما خوفا على أموالهما فأحرزاهما، و حدث بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك و ما هم به من شأني؟» «٣» فجعل يامين لرجل جعل على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله، فيما يزعمون.

### غزوة ذات الرقاع «٤»

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع و بعض جمادى، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب و بنى

ثعلبه من غطفان حتى نزل نخلا.

وهي غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم، وقيل: لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع. وقيل: لما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق إذ نقتب أقدامهم.

فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك جمعا من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وخاف الناس بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بهم.

وفي هذه الغزوة عرض له رجل من محارب يقال له: غورث، وقد قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟

قال: «نعم» (٥). فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فيكبه الله، ثم قال: يا محمد، أما

(١) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٩٢٣٣).

(٢) انظر ترجمته في: الإكمال (١ / ٣٩٦٠)، الإصابة ترجمة رقم (١٠٠١٠)، أسد الغابة (٥٩٥٥).

(٣) انظر الحديث في: البداية والنهاية لابن كثير (٧٦ / ٤).

(٤) راجع هذه الغزوة في: المغازي للواقدي (١ / ٣٩٥)، طبقات ابن سعد (٢ / ١ / ٤٣)، تاريخ الطبري (٢ / ٥٥)، الكامل (٢ / ٦٦)، دلائل النبوة (٣ / ٣٦٩)، البداية والنهاية (٤ / ٨٣).

(٥) انظر الحديث في: صحيح البخاري (٩ / ٩، ١٠، ١٣، ١٨٩ / ٧، ١، ٥، ١٦، ٦٣، ١٥٣)، صحيح مسلم (٤٢، ٤٤، ٥٦، ٦١، ١٦٧، ٢٥١، ٢٧٥)، سنن الترمذي (٦٦٩، ٧٢٦، ١٢٠٤)، سنن ابن ماجه (١٨١، ٥٥٧، ٨٤٢، ١٢٣٥، ١٤١٤، ٤٣٥، ٥٥٠، ٦٩٦، ٩٧٣، ١١٣٥، ١٢٥٤، ١٧٥٩، ١٨٣٥، ٢٧١٦، ٢٧١٧، ١٤٢٥، ١٤٧٥، ١٤٧٦، -

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤١٥

تخافني؟ قال: «لا- والله ما أخاف منك». قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: «بلى يمنعني الله منك» (١). ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه.

فأنزل الله تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة: ١١].

وقيل: إنها إنما نزلت في عمرو بن جحاش وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وصل إلى بني النضير مستعينا بهم في دية العامريين. فإله أعلم أي ذلك كان.

وحدث جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها وكان غائبا، فلما أخبر الخبر حلف أن لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا، فقال: «من رجل يكلؤنا (٢) ليلتنا؟» (٣) قال: فانتدب رجل من المهاجرين، قيل: هو عمار بن ياسر، ورجل من الأنصار، قيل: هو عباد بن بشر، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري

- ١٥١٠، ١٧١٨، ١٩١٥، ١٩٤٥، ٢٩٠٧، ٣٢٣٦، ٣٤٥١، مسند الإمام أحمد (١ / ٢٧، ٢٠٤١، ٢ / ١٠٠)، سنن الدارمي (١ / ١٢)، السنن الكبرى للبيهقي (١ / ١٥٨، ١٦٨، ٤٤٢، ٩ / ٤٣)، مستدرک الحاكم (٢ / ٢١٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٤٣١، ٤٨٠، ٩ / ٨٨، ١٠ / ٥٢١،



٥٦٤، ١١/٨، ١٠، ١٢/٤١، ٤٢، ٤٥، ١٤١، ١٤٩/١٤، ٣٠٥، ٣٢٤، ٤٣٥، ٤٣٩، ٥٩٤)، المعجم الكبير للطبراني (١/١٧٢، ٢/٢٩، ٢٣١، ٧/٢١، ٢١/١١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٠، ٣٣١، ١٢/١٣٤، ١٥٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٣١، ٤٣٦، ٤٣٧)، كنز العمال للمتقى الهندي (٤٦٦٠/١١، ١٢٨٥٥، ١٢٨٨٤٦، ٣٥٣٤٦، ٣٥٤٤٦، ٣٥٤٨٨، ٣٥٤٩٣، ٣٥٨٦٦، ٣٧٥٢٧، ٣٧٥٦٦، ٣٧٦٦٩، ٤٥٨٩١)، فتح الباري لابن حجر (١/٨٧، ١١/٤٩١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٦٩)، الترغيب و الترهيب للمندري (٣/٥٩٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٥/٣٤٠، ٣٥٤).

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/٨٤).

(٢) يكلؤنا: أى يحفظنا.

(٣) انظر الحديث في: سنن أبي داود باب (٧٩)، مسند الإمام أحمد (٣/٣٤٤)، السنن الكبرى للبيهقي (١/١٤٠، ٩/١٥٠)، مستدرک الحاكم (١/١٥٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٨٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤١٦

للمهاجرى: أى الليل تحب أن أكفيكه أوله أو آخره؟ قال: بل اكفى أوله فاضطجع المهاجرى فنام، و قام الأنصارى يصلى، و أتى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ريثه القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، قال: فانتزعه عنه و ثبت قائما، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه، و ثبت قائما، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه فنزعه ثم ركع و سجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت. قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب، فلما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله، أ فلا أهبتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك، و أيم الله لو لا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها!

و قال جابر بن عبد الله: خرجت إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لى ضعيف، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه و سلم جعلت الرفاق تمضى و جعلت أتخلف، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: «ما لك يا جابر؟» قلت: يا رسول الله، أبطأ بى جملى، قال: «أنخه» «١» فأنخته و أناخ رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع لى عصا من شجرة» «٢»، ففعلت، فأخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم فنخسه بها نخسات ثم قال: «اركب» «٣»، فركبت فخرج- و الذى بعته بالحق- يواحق ناقته مواهقة، و تحدثت معه فقال لى:

«أ تبيعنى جملك هذا يا جابر؟» «٤» قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك. قال: «لا و لكن بعينه». قلت: فسمنيه. قال: «قد أخذته بدرهم».

قلت: لا إذن تغبنتى يا رسول الله. الاكتفاء، الكلاعى ج ١ ٤١٦ غزوة ذات الرقاع ..... ص : ٤١٤

ل: «بدرهمين». قلت: لا. فلم يرفع لى حتى بلغ الأوقية فقلت: أ قد رضيت؟ قال:

«نعم». قلت: فهو لك. قال: «قد أخذته» «٥».

ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد؟» «٦» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أ ثيبا أم بكر؟» قلت: بل ثيبا. قال: «أ فلا- جارية تلاعبها و تلاعبك؟» قلت: يا رسول الله، إن

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٨٢).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٢/٥١٧، ٣/٣٧٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٨٦).

(٣) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/٣٧٦)، المعجم الكبير للطبراني (١٧/٣٣٦).

(٤) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/٣١٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٨٢).

(٥) انظر الحديث في: سنن الترمذى (٩١٦)، مسند الإمام أحمد (٣/٣٧٦)، سنن الدارقطنى (٣/٤٥).

(٦) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٦/٣٧٦)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/٣٩٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤١٧

أبى أصيب يوم أحد و ترك بنات له سبعا فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن و تقوم عليهن. قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنه لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت و أقمنا عليها يومنا ذلك و سمعت بنا فنفضت نمارقها» (١). قلت: و الله يا رسول الله مالها من نمارق. قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً» (٢). قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بجزور فنحرت و أقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى دخل و دخلنا، فحدثت المرأة الحديث و ما قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالت: فدونك فسمع و طاعة.

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم جلست فى المسجد قريباً منه، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأى الجمل، فقال: «ما هذا؟» (٣) فقالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر. قال: «فأين جابر؟» فدعيت له. فقال: «يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك». و دعا بلالاً و قال: «اذهب بجابر فأعطه أوقية» (٤).

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (١٢٣/٥)، صحيح مسلم فى كتاب الفضائل (٨٤)، سنن النسائى (١٧٢/١)، السنن الكبرى للبيهقى (١/٢٥٤، ٦/٦٧)، مستدرک الحاكم (٣/٣٠٦)، سنن الدارقطنى (٤/٢٢٩)، المعجم الكبير للطبرانى (١/٨٧، ٢/٢٩٠)، موارد الزمآن للهيثمى (٩٩٩، ١٣٣٤)، مسند الإمام أحمد (٣/٣٠٨، ٣٧٦)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/٤٥٣)، كنز العمال للمتقى الهندى (١٣٥٦٧، ٤٥٦٣٢)، الدر المنثور للسيوطى (١/٢٤٠)، ٤/١١٠، منحة المعبود للساعاتى (١٠٤٩)، تفسير الطبرى (١/١٣، ١٤)، تفسير ابن كثير (٨/٤٧٥)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/٦٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٨٨، ١/١٦٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٦/٢٩)، موطأ مالك (٣٦٦).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣/٣٧٦).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (٢٩١)، سنن الترمذى (١٠٩٤)، سنن النسائى (٣/٧٢، ٤/٨٤، ٦/١٦٤)، ٢٨٠، ٧/٣٠، ٢٧٣)، مسند الإمام أحمد (٥/٤٣٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٥٧، ٢/١٥٧، ٤/١٦، ١/٥٩)، سنن الدارقطنى (٢/٥٥، ٨/٨٦، ٢١٥)، مصنف ابن أبى شيبة (١/١٢٢، ٣/٣٣٧، ٣/٢٢٥، ٦/٥٥٢، ٨/٧٦، ٨٠/٣٧٩، ١١/٤٣٧، ١٤/٢٨٠، ٣٢٣)، المعجم الكبير للطبرانى (١١/٣٢٠، ١٢/٥، ٩٤، ٩٥، ١٣/١٧، ٢٤٩، ١٨/١٧٢، ١٨٩)، دلائل النبوة للبيهقى (٦/٩٩)، مجمع الزوائد للهيثمى (٥/٨٦، ٧/٢٦٠، ٨/٦٨، ١٢١، ٩/٣٥، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ٣٣٦، ٣٣٨، ١٠/٢٤١، ٢٤٢، ٨٥٢)، السلسلة الصحيحة للألبانى (٣/١٧٩، ٤٤٧)، سنن أبى داود (٤٠٦٨، ٥٢٣٦، ٤٧٤٨)، سنن ابن ماجه (٢١٣٦، ٤١٦٠).

(٤) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٤/٢٠٩٧)، مسند الإمام أحمد (٣/٣٧٥، ٣٧٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤١٨

قال: فذهبت معه فأعطانى أوقية و زادنى شيئاً يسيراً، فو الله ما زال ينمى عندى و يرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا! يعنى يوم الحرّة.

قال ابن إسحاق (١): و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقیة جمادى الأولى الآخرة و رجب.

ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان، حتى نزله فأقام عليه ثمانى ليال ينتظره.

و خرج أبو سفيان، فى أهل مكة، حتى نزل مجنّه من ناحية الظهران- و بعض الناس يقول غسغان- ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر و تشربون فيه اللبن، فإن عامكم هذا عام جذب، و إنى راجع فارجعوا. فرجع الناس، فسامهم أهل مكة جيش السويق يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم على بدر ينتظر ابا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، و هو الذى كان وادعه على

بنى ضمرة في غزوة و دان فقال: يا محمد، أ جئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نعم يا أبا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك ردنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك» «٢». قال: لا والله يا محمد، مالنا بذلك منك من حاجة. و مر برسول الله صلى الله عليه وسلم، و هو هناك ينتظر أبا سفيان معبد بن أبي معبد الخزاعي فقال و ناقتة تهوى به، و قد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد نفرت من رفقتي محمداً وعجوةً من يثرب كالعنجد «٣»

تهوى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعدي

و ماء ضجان لها ضحي الغد

و قال عبد الله بن رواحة في ذلك، و يقال: إنها لكعب بن مالك:

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد لميعاده صدقا و ما كان وافيًا

فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأبت ذميما و افتقدت المواليا

(١) انظر السيرة (٣/ ١٧٨).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٨٨).

(٣) العنجد: حب الزبيب.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص ٤١٩: تركنا به أوصال عتبه و ابنه و عمرا أبا جهل تركناه ناويا

عصيتم رسول الله أف لدينكم و أمركم السيئ الذي كان غاويا

فإني و إن عنفتموني لقائل فدا لرسول الله أهلي و ماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا و قال حسان بن ثابت في ذلك:

دعوا فليجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم و أنصاره حقا و أيدي الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولاً لها ليس الطريق هنالك

أقمنا على الرس النزوع ثمانيا بأرعن جرار عريض المبارك

بكل كميت جوزة نصف خلقه و قب طوال مشرفات الحوارك

تري العرفج العامي تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك «١»

فإن نلق في تطوافنا و التماسنا فرات بن حيان يكن رهن هالك

و إن تلق قيس بن امرئ القيس بعده يزد في سواد لونه لون حالك

فأبلغ أبا سفيان عنى رساله فإنك من غر الرجال الصعالك ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى

ذو الحجة، و هي سنة أربع من مقدمه المدينة، ثم غزا دومة الجندل «٢»، ثم رجع قبل أن يصل إليها و لم يلق كيدا، صلى الله عليه و سلم.

### غزوة الخندق «٣»

و كانت في شوال من سنة خمس في قول ابن إسحاق.

و كان من الحديث عن الخندق أنه لما أجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير خرج نفر من اليهود - سلام بن أبي الحقيق و

حبي بن أخطب و كنانة بن الربيع النضريون، و هوذة بن

(١) مناسم: جمع منسم، و هو طرف خف البعير. و الرواتك: أى المسرعة.

(٢) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (١/ ٤٠٢)، طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ٤٤)، تاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٤)، البداية و النهاية (٤/ ٩٢)، دلائل النبوة (٣/ ٣٨٩).

(٣) راجع هذه الغزوة فى: المغازى للواقدى (٢/ ٤٤٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ٤٧)، تاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٤)، الكامل (٢/ ٧٠)، البداية و النهاية (٤/ ٩٢)، دلائل النبوة (١٣/ ٣٩٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٢٠

قيس و أبو عمارة اللواتيان- فى نفر من بنى النضير و بنى وائل، و هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، حين قدموا مكة على قريش فاستفروهم و استنفروهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعوهم إلى حرب، و قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.

فقات لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول و العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه و أنتم أولى بالحق منه، فهم الذين الله عز و جل فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا [النساء: ٥١-٥٢].

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم و نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه و سلم فاجتمعوا لذلك و اتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى مثل ما دعوا إليه قريشا، و أخبروهم أنهم سيكونون معهم و أن قريشا قد تابعوهم على ذلك.

و جعلت يهود لغطفان تحريضا على الخروج نصف تمر خبير كل عام.

فزعموا أن الحارث بن عوف أخا بنى مرة قال لعينته بن حصن بن حذيفة بن بدر و لقومه من غطفان: يا قوم أطيعونى، دعوا قتال هذا الرجل و خلوا بينه و بين عدوة من العرب، فغلب عليهم الشيطان و قطع أعناقهم الطمع و نفذوا لأمر عينته على قتال رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد، فأقبل طليحة الأسدى، فيمن اتبعه من بنى أسد، و هما الحليفان أسد و غطفان.

و كتبت قريش إلى رجال من بنى سليم أشراف بينهم و بينهم أرحام استمداداً لهم، فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من سليم مدداً لقريش. فخرجت قريش و قائدها أبو سفيان بن حرب، و خرجت غطفان و قائدها عينته بن حصن فى بنى فزارة و الحارث بن عوف فى بنى مرة و مسعر بن ربيعة الأشجعى فيمن تابعه من قومه من أشجع، و تكامل لهم و لمن استمدوه فأمدهم جمع عظيم، هم الذين سماهم الله «الأحزاب».

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بخروجهم و بما أجمعوا له من الأمر أخذ فى حفر الخندق و ضربه على المدينة، فعمل فيه صلى الله عليه و سلم ترغيباً للمسلمين فى العمل و الأجر و عمل معه المسلمون، فدأب فيه و دأبوا حتى أحكموه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٢١

و أبطأ عنهم فى عملهم ذلك رجال من المنافقين و جعلوا يورون بالضعيف من العمل و يتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا إذن، و جعل الرجل من المسلمين إذا نابتة النابتة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم و يستأذنه فى اللحق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخبر و احتساباً له، فأنزل الله فى أولئك من المؤمنين: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ

الَّذِينَ يَشْتَأُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُغْضِ شَأْنَهُمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ٦٢]. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الحرب والطاعة لله ورسوله.

ثم قال تبارك وتعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل و يذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور: ٦٣].

و كانت فى حفر الخندق أحاديث فيها من الله عبرة فى تصديق رسوله و تحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون. فمنها: أنه اشتد عليهم فى بعض الخندق كدیه فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء ففعل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدیه فيقول من حضرها: فو الذى بعثه بالحق لانها لت حتى عادت كالكتيب ما ترد فأسا و لا مسحاه. و دعت عمره بنت رواحہ أم النعمان بن بشير ابنه لها من بشير فأعطتها حفنة من تمر فى ثوبها ثم قالت: أى بنیه، اذهبى إلى ابيك و خالك عبد الله بن رواحہ بغدائهما.

قالت: فأخذتها فانطلقت فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم و أنا ألتمس أبى و خالى، فقال:

تعالى يا بنیه، ما هذا معك؟ قالت: قلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى، بشير بن سعد و خالى عبد الله بن رواحہ يتغديانه. قال: ها تيه. قالت: فصبيته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ فى أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء. فاجتمع اهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه و جعل يزيد حتى صدر أهل الخندق و إنه ليستقط من أطراف الثوب!

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٢

و قال جابر بن عبد الله: عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق و كنا نعمل فيه نهارا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، فكانت معى شويهه غير جد سمينه، فقلت: و الله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعر فصنعت لنا منه خبزاً و ذبحت تلك الشاه فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أمسينا و أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شويهه كانت عندنا و صنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى. و إنما أريد أن ينصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم معى وحده.

فلما قلت له ذلك قال: «نعم». ثم أمر صارخا فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله. قال: قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و الناس معه فجلس و أخرجناها إليه، فبرك و سمي الله ثم أكل و تواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا و جاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها.

و حدث سلمان الفارسى قال: ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على و رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى، فلما رآنى أضرب و رأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربه لمعت تحت المعول برقه، ثم ضرب به ضربه أخرى فلمعت تحته برقه أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقه أخرى، قلت: بأبى أنت و أمى يا رسول الله! ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول و أنت تضرب؟ قال: «أوقد رأيت ذلك يا سلمان»: قلت: نعم.

قال: «أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن، و أما الثانية فإن الله فتح على بها الشام و المغرب، و أما الثالثة فإن الله فتح بها على المشرق» «١». فكان أبو هريرة يقول حين فتحت الأمصار فى زمان عمر و زمان عثمان و ما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فو الذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينه و لا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا و قد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك.

و لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومه بين الجرف و زغابه فى عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم من بنى كنانة و أهل تهامه، و أقبلت غطفان و من تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نلقى إلى

جانب أحد.

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلح- في ثلاثة آلاف

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٩٩ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٢٣

من المسلمين- فضرب هنالك عسكره و الخندق بينه و بين القوم، و أمر بالذرارى و النساء فجعلوا فى الآطام.

و خرج عدو الله حبيى بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة، و عهدهم، و كان قد وادع رسول الله صلى الله عليه و سلم على قومه و عاقده على ذلك و عاهده، فلما سمع كعب بحبيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حبيى: و يحك يا كعب افتح لى. فقال: و يحك يا حبيى إنك امرؤ مشثوم، و إنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى و بينه، و لم أر منه إلا- و فاء و صدقا، قال: و يحك افتح لى أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال و الله: إن أغلقت دونى إلا على جشيشتك أن آكل معك منها. فأحفظ الرجل ففتح له فقال: و يحك يا كعب! جئتكم بعز الدهر و ببحر طام! جئتكم بقريش على قادتها و سادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من روم، و بغطفان على قادتها و سادتها حتى أنزلتهم بذب نلقى إلى جنب أحد، قد عاهدونى و عاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا و من معه.

فقال له كعب: جنتى و الله بذل الدهر، و بجهام قد هراق ماءه فهو يرعد و يبرق و ليس فيه شىء، و يحك يا حبيى فدعنى و ما أنا عليه فإنى لم أر من محمد إلا صدقا و وفاء.

فلم يزل حبيى بكعب يفتله فى الذروة و الغارب حتى سمح له، على أن أعطاه عهدا من الله و ميثاقا لئن رجعت قريش و غطفان و لم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك.

فنفض كعب بن أسد عهده، و برىء مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم سعد بن معاذ، و هو- يومئذ- سيد الأوس و سعد بن عباد، و هو- يومئذ- سيد الخزرج و معهما عبد الله بن رواحة و خوات بن جبير فقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقا فالحنوا إلى لحنا أعرفه و لا تفتوا فى أعضاء الناس، و إن كانوا على الوفاء فيما بيننا و بينهم فأجهروا به الناس».

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و قالوا: من رسول الله؟! لا عهد بيننا و بين محمد و لا عقد؛ فشاتمهم سعد ابن معاذ و شاتموه، و كان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن عباد: دع عنك مشاتمهم فما بيننا و ربيى من المشاتمة.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٢٤

ثم أقبل- و من معهما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم: فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل و القارة. أى كعذر عضل و القارة بأصحاب الرجيع- خبيب و أصحابه- فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين» (١).

و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن و نجم النفاق من بعض المنافقين، و حتى قال قائل منهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى و قيصر، و أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!.

و أقام عليه المشركون قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمياء. بالنبل و الحصار.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عينه بن حصن و إلى الحارث بن عوف، و هما قائدا غطفان



فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه و عن أصحابه، فجرى بينه و بينهما المفاوضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب و لم تقع الشهادة و لا عزيمة الصلح، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى سعد بن معاذ و سعد بن عباد، فذكر لهما ذلك و استشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمرا تحبه فتصنعه؟ أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، و الله ما أصنع ذلك إلا انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة و كالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» (٢).

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن و هؤلاء القوم على الشرك بالله و عبادة الأوثان، لا نعبد و لا نعرفه، و هم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو يبعوا، فحين أكرمنا الله بالإسلام و هدانا له و أعزنا بك و به نعطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، و الله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «فأنت و ذلك» (٣). فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتب ثم قال: ليجهدوا علينا. فأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون و عدوهم محاصروهم، و لم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود و عكرمة بن أبي جهل و هبيرة بن أبي وهب

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (١٠٤/٤)، دلائل النبوة للبيهقى (٣/٤٣٠).

(٢) انظر الحديث فى: المعجم الكبير للطبرانى (٣/٥٧). البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٠٥).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٣/٤٣٠، ٤٣١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٢٢٥

و ضرار بن الخطاب تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا: تهيئوا يا بنى كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم. ثم أقبلوا تعنتق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: و الله إن هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها! ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق و سلع، و خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم، و أقبلت الفرسان تعنتق نحوهم، و كان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه، فلما وقف هو و خيله قال: من يبارز؟ فبرز على بن أبى طالب فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، فقال له: أجل؛ فقال له على: فإنى أدعوك إلى الله و إلى رسوله و إلى الإسلام. قال: لا حاجة لى بذلك. قال: فإنى أدعوك إلى النزال. قال له:

و لم يا ابن أخى! فو الله ما أحب أن أقتلك. قال على: لكنى و الله أحب أن أقتلك! فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره و ضرب وجهه، ثم أقبل على على فتنازلا و تجاولا، فقتله على.

و خرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

و ذكر ابن إسحاق فى غير روايته البكائى أن عمرا لما نادى يطلب من يبارزه قام على - رضى الله عنه - و هو مقنع فى الحديد فقال: أنا له يا نبى الله فقال له: «اجلس إنه عمرو» ثم ذكر عمرو النداء و جعل يؤنبهم و يقول: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها! أ فلا تبرزون إلى رجلا؟! فقام على فقال: أنا له يا رسول الله. قال:

«اجلس إنه عمرو». ثم نادى الثالثة و قال:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جبن المشجع وقفه الرجل المناجز



و كذاك أنى لم أزل متسرعا نحو الهزاهز

إن الشجاعة فى الفتى و الجود من خير الغرائز فقال على - رضى الله عنه - فقال: أنا له يا رسول الله. فقال: «إنه عمرو» فقال:

و إن كان عمرا. فأذن له رسول الله صلى الله عليه و سلم فمشى إليه على و هو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٢٦ ذو نية و بصيرة و الصدق منجى كل فائز

إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربه نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز فقال عمرو: من أنت؟ قال: أنا على، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا على بن أبى طالب. فقال:

غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك، فىنى أكره أن أهريق دمك. فقال على: لكنى و الله ما أكره أن أهريق دمك.

فغضب و نزل فسل سيفه كأنه شعله نار، ثم أقبل نحو على مغضبا. و يقال: إنه كان على فرسه فقال له على: كيف أقاتلك و أنت على

فرسك؟ و لكن تنزل معى. فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله على بدرفته فضربه عمرو فيها فقلدها و أثبت فيها السيف و أصاب

رأسه فشجه، و ضربه على على جبل العاتق فسقط و ثار العجاج، و سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم التكبير فعرف أن عليا قد قتله،

فثم يقول على رضى الله عنه:

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عنى و عنه أخبروا أصحابى

فاليوم يمعنى الفرار حفيظتى و مصمم فى الرأس ليس بنابى

أدى عمير حين أخلص صقله صافى الحديدة يستفيض ثوابى

فغدوت ألتمس القراع بمهرف غضب مع التراء فى إقراب

قال ابن عبد حين شد أليه و حلفت فاستمعوا من الكذاب

أن لا يفر و لا يهمل فالتقى أسدان يضطربان كل ضراب

نصر الحجارة من سفاهة رأيه و نصرت دين محمد بصواب

فصدت حين تركته متجدلا كالجدع بين دكادك و روابى

و عفت عن أثوابه و لو أننى كنت المجدل بزنى أثوابى

لا تحسبن الله خاذل دينه و نبيه يا معشر الأحزاب و كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الخندق و بنى قريظة: «حم

لا ينصرون».

و كانت عائشة - رضى الله عنها - يوم الخندق فى حصن بنى حارثة، و كان من أحرز حصون المدينة، و كانت أم سعد بن معاذ معها

فى الحصن، قالت عائشة: و ذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمر سعد و عليه درع له مقصلة و قد خرجت منها ذراعه كلها و فى

يده حربته يرقد بها - أى يسرع بها - فى نشاط، و هو يقول:

لبث قليلا - يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت أمه: الحق أى بنى فقد و الله أخرت. قالت عائشة: فقلت لها: يا أم

سعد،

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٢٧

و الله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى. قالت: و خفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بسهم منه الأكل، رماه

حبان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر لؤى، فلما أصابه قال: خذها و أنا ابن العرقة. فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن

كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك و كذبوه و أخرجوه، اللهم و إن

كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعلها لى شهادة و لا تمتنى حتى تقرعنى من بنى قريظة.

و كان عبد الله بن كعب بن مالك يقول: ما أصاب سعدا- يومئذ- إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم، و قال في ذلك شعرا يخاطب به عكرمة بن أبي جهل:

أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي فداك بأطام المدينة خالد  
ألست الذي ألزمت سعدا مرشؤها بين أثناء المرافق عاند

قضى نجه منها سعيد فأعولت عليه مع الشمط و العذارى النواهد «١» في أبيات ذكرها ابن إسحاق.

و يقال: إن الذي رمى سعدا خفافة بن عاصم بن حبان. فالله أعلم أي ذلك كان.

و كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارع، أطم حسان بن ثابت، قالت: و حسان معنا فيه مع النساء و الصبيان. قالت صفيّة: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن و قد حاربت بنو قريظة و قطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا، و رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، قالت: قلت يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، و إنى و الله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، و قد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه، فانزل إليه فقتله. قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب! و الله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا. فلما قال لي ذلك و لم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان: انزل فاسلبه فإني لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب. و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه فيما وصف الله من الخوف و الشدة لتظاهر عدوهم عليهم و إتيانهم من فوقهم و من أسفل منهم.

(١) النحب: الأصل. و الشمط: جمع شمطاء، و هى المرأة التى خالط شعرها الشيب. و النواهد: جمع ناهد، أى التى ظهر نهدها.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٢٨

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إنى قد أسلمت و إن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» «١».

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة، و كان لهم نديما فى الجاهلية فقال: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم و خاصة ما بينى و بينكم. قالوا: صدقت فلست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم به أموالكم و ابناؤكم و نساؤكم لا تقدرين على أن تتحولوا منه إلى غيره، و إن قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمد و أصحابه و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدكم و أموالهم و نساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل ببلدكم، فلا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم تأخذوا حتى منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تنجزوه.

قالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان و من معه من رجالهم، قد عرفتم ودى لكم و فراقى محمدا، و إنه قد بلغنى أمر رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكنموا عنى قالوا: نفعل. قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد، و قد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجلا من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى و عشيرتى و أحب الناس إليّ، و لا أراكم تتهمونى. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا عنى. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش و حذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت، و كان ذلك من صنع الله لرسوله صلى الله عليه و سلم أرسل أبو سفيان بن حرب و رءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف و الحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٤٤٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١١١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٢٩

و نفرغ مما بيننا و بينه؛ فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، و هو يوم لا نعمل فيه شيئا، و قد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، إنا نخشى إن ضرستكم الحرب، و اشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم و تتركونا و الرجل فى بلادنا و لا طاقة لنا بذلك. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: و الله، إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا و الله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها و إن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم. فأرسلوا إلى قريش و غطفان: إنا و الله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم.

و خذل الله بينهم، و بعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم و تطرح آيتهم.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما اختلف من أمرهم و ما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلا لينظر ما فعل القوم، فحدث حذيفة - رحمه الله - و قد قال له رجل من أهل الكوفة: يا أبا عبد الله، أ رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحبتهم؟ قال نعم يا ابن أخى. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: و الله لقد كنا نجهد. قال الرجل: و الله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض و لحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: يا ابن أخى، و الله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخندق و صلى هوى من الليل ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله صلى الله عليه و سلم الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة؟» «١» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف و شدة الجوع و شدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال:

«يا حذيفة، اذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون و لا تحدثن شيئا حتى تأتينا» «٢».

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٩٢)، تفسير الطبرى (٢١/ ٨٠)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٦)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١١٣).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٩٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٦)، تفسير الطبرى (٢١/ ٨٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١١٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣٠

فذهبت فدخلت فى القوم و الريح و جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا و لا نارا و لا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر

قريش، لينظر امرؤ من جلسه. قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

و ذكر ابن عقبة أنه فعل ذلك بمن يلي جانبه يمينا و يسارا، قال: و بدرهم بالمسألة خشية أن يظنوا له.

قال حذيفة: ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع و الخف و أخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذي نكره، و لقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر و لا تقوم لنا نار و لا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة و هو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا و هو قائم. و لو لا عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى: «أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم.

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو قائم يصلى في مرط «١» لبعض نسائه، فلما رأني أدخلني إلى رجليه و طرح على طرف المرط ثم ركع و سجد و إنى لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر.

و سمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

و لما أصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة و المسلمون معه و قد عضهم الحصار، فرجعوا مجهودين فوضعوا السلاح.

فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه و سلم معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قטיפه من ديباج. و يقولون فيما ذكر ابن عقبة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان في المغتسل عند ما جاءه جبريل و هو يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه. فجاءه جبريل على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و إن على وجهه جبريل لأثر الغبار، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له جبريل: غفر الله لك! أقد وضعتم السلاح؟ قال: «نعم». قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد و ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمززل بهم.

(١) المرط: أى الكساء.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣١

فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم مؤذنا فأذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبي طالب برأيه إلى بني قريظة و ابتدرها الناس، فسار على - رضى الله عنه - حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم بالطريق فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخايث. قال: «لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى» قال: نعم. قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا «١»». فلما دنا رسول الله صلى الله عليه و سلم من حصونهم قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله و أنزل بكم نعمته؟» «٢» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا.

و مر رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفر من أصحابه في طريقة قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال:

«هل مَرَّ بكم أحد؟» قالوا: يا رسول الله، مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قטיפه ديباج. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم» «٣».

و تلاحق الناس برسول الله صلى الله عليه و سلم، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يصلين أحد العصر إلا بينى قريظة» «٤» فصلوا العصر بها من بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك فى كتابه و لا عنفهم به رسوله.

و ذكر ابن عقبة أن الناس لما حانت العصر و هم فى الطريق ذكروا الصلاة فقال بعضهم: أ لم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمركم أن تصلوا العصر فى بني قريظة. و قال آخرون: هى الصلاة. فصلى منهم طائفة و أخرت الصلاة طائفة حتى صلوا فى بني قريظة

بعد أن غابت الشمس، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه و سلم من عجل الصلاة و من أخرها، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يعنف واحدة من الطائفتين.

(١) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٢١/ ٩٥، ٩٦).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٢١/ ٩٦).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٨/ ١١٧)، إرواء الغليل للألبانى (٣/ ٤٠٣).

(٤) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٢/ ١٩، ٥/ ١٤٣)، صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (٢٣)، رقم (٦٩)، شرح السنه للبخارى (١١/ ١٤)، تعليق التعليق لابن حجر العسقلانى (٣٧٧)، فتح البارى لابن حجر (٢/ ٤٣٦، ٧/ ٤٠٨، ٩/ ٤٠٩، ١٣/ ٢٤٠)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١١٠، ١١٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣٢

و حاصر رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى قريظة خمسا و عشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، و قذف الله فى قلوبهم الرعب. و كان حيبى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش و غطفان و فاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال لهم كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، و إنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم. فقالوا: و ما هى؟

قال: نتابع هذا الرجل و نصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل و أنه للذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون على دمائكم و أموالكم و أبنائكم و نسائكم. و قالوا: لا- نفارق حكم التوراة أبدا و لا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيت على هذه فهل فلنقتل أبنائنا و نساءنا ثم نخرج إلى محمد و أصحابه رجالا- مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد، فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه و إن نظهر فلعمري لنجدن النساء و الأبناء. قالوا: أ نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم! قال: فإذا أبيت على هذه فإن الليلة ليلة السبت و إنه عسى أن يكون محمد و أصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد و أصحابه غرة. قالوا: أ نفسد سبتنا و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة واحدة من الدهر!

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بنى عمرو ابن عوف، و كانوا حلفاء الأوس، نستشيرهم فى أمرنا، فأرسله رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال و جهش إليه النساء و الصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم و قالوا له: يا أبا لبابة، أ ترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم. و أشار بيده إلى حلقة: إنه الذبح. قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدمائى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله و رسوله. ثم أنطلق أبو لبابة على وجهه و لم يأت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمدته. و قال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت، و عاهد الله: أن لا أطأ بنى قريظة أبدا و لا أرى فى بلد خنت الله و رسوله فيه أبدا.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم خبره و كان قد استبطأه قال: «أما إنه لو كان جاعنى لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣٣

عليه» (١). فنزلت توبته على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو فى بيت أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم من السحر و هو يضحك؛ قلت: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال:

«تیب على أبى لبابة» (٢). قالت: قلت: أ فلا أبشره يا رسول الله. قال: «بلى إن شئت» (٣). قال: فقامت على باب حجرتها، و ذلك قبل أن

يضرِب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

و ذكر ابن هشام «٤» أن أبا لبابة أقام مرتباً بالجدع ست ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجدع. والآية التي نزلت في توبته: وَ آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: ١٠٢]، و أنزل الله في أبي لبابة، فيما روى عن عبد الله بن قتادة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: ٢٧].

ثم إن ثعلبة بن سعية و أسيد بن سعية و أسد بن عمير و هم نفر من بني هديل ليسوا من بني قريظة و لا بني النضير، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحرزوا دماءهم و أموالهم، و كان إسلامهم فيما زعموا عما كان ألقاه إليهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الهيبان القادم عليهم قبل الإسلام متوكفا لخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم و محققاً لنبوته، فنفع الله هؤلاء الثلاثة بذلك و استنقذهم به من النار. و قد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب.

(١) انظر الحديث في: تفسير الطبري (٩٧/٢١).

(٢) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (١٧/٤).

(٣) انظر الحديث في: صحيح مسلم (١٤١٢، ٢١٥١)، السلسلة الصحيحة للألباني (٣١٣)، صحيح البخاري (٢٦/٤، ١٢٥)، المعجم الكبير للطبراني (١٠٩/٦، ٢٧٥/٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣/٣١٢، ٥/٦٧)، كنز العمال للمتقى الهندي (١٧٩٠٥، ٢٩٩٩٣، ٣٠١٥٤)، فتح الباري لابن حجر (٨/٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١/٢٠).

(٤) انظر السيرة (٣/٢٠٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٣٤

و خرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي. فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم و عليه محمد بن مسلمة، فلما رآه قال: «من هذا؟» قال: أنا عمرو بن سعدى. و كان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: لا أغدر بمحمد أبداً.

فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقاله عثرات الكرام! ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا. فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: «ذلك رجل نجاه الله برفائه» «١». و بعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحت رتمه ملقاة و لا يدرى أين ذهب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة. فإله أعلم أي ذلك كان.

و لما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، و قد فعلت في موالي إخواننا بالأوس ما قد علمت- يريدون بني قينقاع- و ما كان من حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم و نزولهم على حكمه، و كيف سأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له. فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم» قالوا: بلى. قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ» «٢».

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها:

رفيدة في مسجده، كانت تداوى الجرحى و تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، و كان رسول الله صلى الله



عليه و سلم قد قال لقومه حين أصابه سهم فى الخندق:

«اجعلوه فى خيمة ربيدة حتى أعوده من قريب» (٣). فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم، و كان رجلا جسيما، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم!

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل فعنى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه.

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (١٢١ / ٤).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٩٧ / ٢١).

(٣) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٩٧ / ٢١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣٥

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قوموا إلى سيدكم» (١) فاما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد الأنصار. و أما الأنصار فيقولون: قد عم بها رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلمين. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد بن معاذ: عليكم عهد الله و ميثاقه: أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: و على من هاهنا- فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم- و هو معرض عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إجلالا- له. فقال: رسول الله صلى الله عليه و سلم «نعم». قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال و تقسم الأموال و تسبى و النساء. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» (٢).

ثم استنزلوا فحسبهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المدينة فى دار امرأة من بنى النجار، ثم خرج صلى الله عليه و سلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، يخرج بهم إليها أرسالا. و فيهم عدو الله حبي بن أخطب و كعب بن أسد رأس القوم، و هم ستمائة أو سبعمائة، و المكثرون يقول: كانوا بين الثمان المائة و التسع المائة.

و قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أرسالا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفى كل موطن لا تعقلون! ألا ترون أن الداعى لا ينزع و أن من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو و الله القتل.

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أتى بعدو الله حبي بن أخطب و عليه حلة فقاحية قد شقها عليه من كل ناحيه قدر أنملة لثلا يسلبها، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أما و الله ما لمت نفسى فى عداوتك و لكن من يخذل الله يخذل! ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب و قدر و ملحمة كتبت على بنى إسرائيل! ثم جلس فضربت عنقه. فقال فى ذلك

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٨١ / ٤)، (٤٤ / ٥)، (٧٢ / ٦)، (١٣٤)، صحيح مسلم فى كتاب الجهاد باب (٢٢) رقم (٦٤)، سنن أبى

داود (٥٢١٥، ٥٢١٦)، سنن الترمذى (٨٥٦)، مسند الإمام أحمد (٢٢ / ٣)، (٧١)، السنن الكبرى للبيهقى (٥٨ / ٦)، (٩٧ / ٩)، المعجم

الكبير للطبرانى (٦ / ٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٣٨ / ٦)، مصنف ابن أبى شيبة (١٤ / ٤٢٥)، دلائل النبوة (١٨ / ٤)، كثر العمال للمتقى

الهندي (٢٥٤٨٣)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٤٦٩٥، ٣٩٦٣٥)، فتح البارى لابن حجر (١ / ٣٢٠)، (٥ / ٥١)، (١٧٧، ٧٨، ٧ / ٤١١)، (١١ / ٤٩)،



زاد المسير لابن الجوزي (١٩٣/٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢/٤، ٥)، شرح السنة للبغوي (١١/٩٢)، السلسلة الضعيفة للألباني (٣٤٦).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (١٠٨/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٣٦

جبل ابن جوال الثعلبي:

لعمر ك ما لام ابن أخطب نفسه و لكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها و قلقل يبغى العز كل مقلقل «١» بل ابتغى عدو الله ذل الأبد فوجده، و جاهد الله فجهده، فأصبح برأيه القائل و سعيه الخاسر من الذين لهم خزي في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب النار.

و قتل من نساء بني قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها، قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: و الله إنها لعندی تحدث معي و تضحك ظهرا و بطنا، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة قالت: أنا و الله، قلت لها: ويلك مالك؟ قالت: أقتل. قلت: و لم؟ قالت: لحدث أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها. فكانت عائشة تقول: و الله لا أنسى عجا منها، طيب نفسها و كثرة ضحكها و قد علمت أنها تقتل.

قال ابن هشام «٢»: هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته.

و كان الزبير بن باطا القرظي قد من على ثابت قيس بن شماس في الجاهلية، أخذه يوم بعث فجز ناصيته ثم خلى سبيله. فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة و هو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: و هل يجهل مثلي مثلك. قال: فإني أردت أن أجزيك بيدك عندي. قال: إن الكريم يجزي الكريم. ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:

يا رسول الله، إنه كان للزبير على منة و قد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هو لك» «٣». فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد وهب لي دمك فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له و لا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: بأبي أنت و أمي يا رسول الله امرأته و ولده. قال: «هم لك». فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه و سلم أهلك و ولدك فهم لك. قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله ماله. قال: هو لك.

فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه و سلم مالك فهو لك، فقال: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي، كعب بن أسد؟ قال: قتل. قال:

(١) مقلقل: تحرك.

(٢) انظر السيرة (٣/٢١١).

(٣) انظر الحديث في: سنن النسائي في كتاب البيوع باب (٧٧)، مسند الإمام أحمد (٣/٣٠٣)، تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني (٧٣٦)، مجمع الزوائد للهيثمي (١٤١/٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٣٧

فما فعل سيد الحاضر و البادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل. قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا و حاميتنا إذا فررنا عزال بن شموال. قال: قتل. قال: فما فعل المجلسان؟، يعني بني كعب بن قريظة و بني عمرو بن قريظة. قال: ذهبوا فقتلوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا- ألحقتني بالقوم، فو الله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فيله دلو ناضح حتى ألقى الأحبة. فقدمه ثابت فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - قوله: «ألقى الأحبة» قال: يلقاهاهم و الله فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم. قال عطية القرظى: و كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى.

و كان رفاعه بن شموال القرظى رجلا قد بلغ فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر، أخت سليط بن قيس، و كانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه و سلم قد صلت القبلتين معه و بايعته ببيعة النساء، فقالت: يا نبى الله، بأبى أنت و أمى هب لى رفاعه، فإنه زعم أنه سيصلى و يأكل لحم الجمل. فوهبه لها فاستحيته.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قسم أموال بنى قريظة و نساءهم و أبناءهم على المسلمين، و أعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل و سهمان الرجال و أخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان و لفارسه سهم، و للراجل من ليس له فارس سهم. و كانت الخيل يوم بنى قريظة ستة و ثلاثين فرسا، و كان أول فىء وقعت فيه السهمان و أخرج منه الخمس، فعلى سنتها و ما مضى من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها وقعت المقاسم و مضت السنة فى المغازى.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم سعد بن زيد الأنصارى الأشهلئ بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا و سلاحا.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بنى عمرو بن قريظة، فكانت عنده حتى توفى عنها و هى فى ملكه، و كان عرض عليها أن يتزوجها و يضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله، بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على و عليك فتركها. و كانت حين سبها قد تعصت بالإسلام و ابت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله صلى الله عليه و سلم و وجد فى نفسه لذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٣٨

وقع نعلين خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة» «١». فجاءه فقال:

يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة. فسره ذلك من أمرها.

و أنزل الله - عز و جل - فى أمر الخندق و بنى قريظة القصة فى سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل بهم من البلاء، و يذكر نعمته عليهم و كفايته إياهم حتى فرج عنهم ذلك:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِرَ بِاللَّهِ عَلَيْهِ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [الأحزاب: ٩-١٢] فى آيات استوفى فيها تعالى ذكر ما شاء من قصتهم.

ثم قال سبحانه: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا [الأحزاب:

٢٤-٢٧].

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيدا، يرحمه الله.

فذكروا أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قبض سعد من خوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال: يا محمد، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء و اهتز له العرش؟! فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات.

و قد كان سعد رجلا بادنا، فلما حملة الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادنا، و ما حملنا من جنازة أخف منه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن له حملة غيركم، و الذي نفس محمد بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد و اهتز له العرش» (٢).

(١) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨ / ١٣١)، دلائل النبوة للبيهقي (٤ / ٢٤).

(٢) انظر الحديث في: سنن الترمذي (٥ / ٣٨٤٩)، مستدرک الحاكم (٣ / ٢٠٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٣٩

و قالت عائشة -رضي الله عنها- لأسيد بن حضير، و هو قافل معها من مكة و بلغه موت امرأة فحزن عليها بعض الحزن: يغفر الله لك أبا يحيى، أ تحزن على امرأة و قد أصبت بابن عمك و قد اهتز له العرش؟ تعنى سعدا.

و قال جابر بن عبد الله: لما دفن سعد و نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه و كبر فكبر الناس معه فقالوا: يا رسول الله، مم سبحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرجه الله عنه» (١).

و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن للقبر لضمه لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد ابن معاذ» (٢).

و لسعد يقول رجل من الأنصار:

و ما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو و قالت أم سعد حين احتمل نعشه و هى تبكيه:

ويل أم سعد سعدا صرامة وحدا

و سؤددا و مجددا فارسا معدا

سد به مسدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ» (٣).

و قال حسان بن ثابت يبكي سعدا:

لقد سجمت من فيض عيني عبرة و حق لعيني أن تفيض على سعد

قتيل ثوى في معرك فجمعت به عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد (٤)

على ملء الرحمن وارث جنه مع الشهداء وفدها أكرم الوفد

فإن تك قد ودعتنا و تركتنا وأمست في غرباء مظلمة للحد

فأنت الذى يا سعد أبت بمشهد كريم و أثواب المكارم و الحمد

بحكمك فى حبي قريظة بالذى قضى الله فيهم ما قضيت على عمد

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣ / ٣٦٠)، مشكاة المصابيح للتبريزي (١٣٥)، إرواء الغليل للألباني (٣ / ١٦٦)، البداية و

النهاية لابن كثير (٤ / ١٢٨).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ١٢٨).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ١٣٠).

(٤) ثوى: أى أقام. و المعرك: موضع القتال. و ذوارى الدمع: أى تسكبه. و الوجد: أى الحزن.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٤٠ فوافق حكم الله حكمك فيهم و لم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد

فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألى شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

فنعم مصير الصادقين إذا دعوا إلى الله يوما للوجهة و القصد و قال حسان يبيكى سعدة و رجالا من الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم:

ألا يا لقومي هل لما حم دافع و هل ما مضى من صالح العيش راجع  
تذكر عصرا قد مضى فتهافت بنات الحشا و انهل منى المدامع  
صبا به وجد ذكرتنى أخوة و قتلى مضى فيها طفيل و رافع  
و سعد فأضحوا فى الجنان و أوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع  
وفوا يوم بدر للرسول و فوقهم ظلال المنايا و السيوف اللوامع  
دعا فأجابوه بحق و كلهم مطيع له فى كل أمر و سامع  
فما نكلوا حتى تولوا جماعة و لا يقطع له فى كل أمر و سامع  
فما نكلوا حتى تولوا جماعة و لا يقطع الآجال إلا المصارع  
لأنهم يرجون منه شفاعته إذا لم يكن إلا النبيون شافع  
فذلك يا خير العباد ملاذنا إجابتنا لله و الموت نافع  
لنا القدم الأولى إليك و خلفنا أولنا فى مله الله تابع

و نعلم أن الملك لله وحده و أن قضاء الله لا بد و واقع و لم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار: سعد بن معاذ، و أنس بن أوس بن عتيك، و عبد الله بن سهل الأشهلون، و الطفيل بن النعمان، و ثعلبة بن غنمة الجشميان. و من بنى دینار بن النجار كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله، رحمه الله عليهم.

و استشهد يوم بنى قريظة من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج، طرحت عليه رحي فشدخته شدخا شديدا، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إن له لأجر شهيدين».

و مات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن، و رسول الله صلى الله عليه و سلم محاصر بنى قريظة.

و لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: محاصر بنى قريظة.

و لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، و لكنكم تغزونهم» (١).

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٤٥٨)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٤١

فكان كذلك لم تغزوهم قريش بعد ذلك و كان هو صلى الله عليه و سلم يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة.

و قال حسان بن ثابت فى يوم الخندق يجيب عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش عن كلمة قالها فى ذلك:

هل رسم دارسة المقام بباب متكلم لمحاوور بجواب

قفر عفا رهم السحاب رسومه و هبوب كل مظلة مرباب

و لقد رأيت بها الحلول يزينهم بيض الوجوه ثواقب الأحساب (١)

فدع الديار و ذكر كل خريده بيضاء آنسة الحديث كعاب (٢)

و اشك الهموم إلى الإله و ما ترى من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه و ألبوا أهل القرى و بوادى الأعراب

جيش عيينة و ابن حرب فيهم متخمطين بحلية الأحزاب حتى إذا وردوا المدينة و ارتجوا قتل الرسول و مغنم الأسلاب و غدوا علينا قادرين بأيدهم ردوا بغیظهم على الأعقاب بهبوب معصفه تفرق جمعهم و جنود ربك سيد الأرباب فكفى الإله المؤمنین قتالهم و أثابهم فى الأجر خير ثواب من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم تنزِيل نصر مليكنا الوهاب و أقر عين محمد و صحابه و أذل كل مكذب مرتاب عاتى الفؤاد موقع ذى ربيبة فى الكفر ليس بطاهر الأثواب (٣)

علق الشقاء بقلبه ففؤاده فى الكفر آخر هذه الأحقاب و قال كعب بن مالك فى ذلك - أيضا - يجب ابن الزبعرى عن كلمته: أبقى لنا حدث الحروب بقيه من خير نحله ربنا الوهاب بيضاء مشرقه الذرى و معاطناحم الجذوع غزيرة الأحلاب كاللوب يبذل جمعها و حفيها للجار و ابن العم و المتتاب و نزائعا مثل السراج نمى بها علف الشعير و جزء المقضاب

(١) الحلول: البيوت المجتمعة. و ثواقب: أى مشرقه.

(٢) الخريده: أى المرأة الناعمة. و الكعاب: أى التى نهى ثديها فى أول ما نهى.

(٣) عاتى الفؤاد: أى قاسيه. و موقع ذى ربيبة: أصله من التوقيع فى ظهر الدابة، و هو انسلاخ يكون فيه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٤٢ عرى الشوى منها و أردف نحضها جرد المتون و سار فى الآراب

قودا تراح إلى الصياح إذ غدت فعل الضراء تراح للكلاب

و تحوط سائمة الذمار و تارة تردى العدى و تؤوب بالأسلاب

يعدون بالزغف المضاعف شكه و بمرصات فى الثقاف صياب

و صوارم نزع الصياقل غلبهاو بكل أروع ماجد الأنساب

يصل اليمين بمارن متقارب و كلت وقيعته إلى خباب

و كتيبه ينفى القران قتيهاو ترد حد قواحر النشاب

أعيت أبا كرب و أعيت تبعاو أبت بسالتها على الأعراب

و مواعظ من ربنا نهدي بها بلسان أزهر طيب الأثواب

عرضت علينا فاشتبهينا ذكرها من بعد ما عرضت على الأحزاب

حكما يراها المجرمون بزعمهم حرجا و يفهمها ذوو الألباب

جاءت سخينه كى تغالب ربهافليغلبن مغالب الغلاب و لما قال كعب بن مالك هذا البيت: «جاءت سخينه» إلى آخره. قال له رسول الله

صلى الله عليه و سلم: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا» (١).

و قال كعب أيضا:

لقد علم الأحزاب حين تألبوا علينا و راموا ديننا ما نودع

أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت و خندف لم يدروا بما هو واقع (٢)

يدودوننا عن ديننا و نذودهم عن الكفر و الرحمن راء و سامع  
إذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع  
و ذلك حفظ الله فينا و فضله علينا و من لم يحفظ الله ضائع  
هدانا لدين الحق و اختاره لناو لله فوق الصانعين صنائع و قال كعب أيضا:  
ألا أبلغ قريشا أن سلعاو ما بين العريض إلى الصماد  
نواضح في الحروب مدربات و خوص بقيت من عهد عاد  
رواكد يزخر المران فيها فليست بالجمام و لا الثماد  
بلاد لم تثر إلا لكيما نجالد إن نشطتم للجلاد

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٣٤).

(٢) أضمائم: أي جماعات انضم بعضها إلى بعض. و أصفقت: أي اجتمعت و توافقت على الأمر.

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤٤٣ أثرنا سكة الأنباط فيها فلم نر مثلها جلها و ادى

قصرنا كل ذي حضر و طول على الغايات مقتدر جواد

أجيونا إلى ما نجتديكم من القول المبين و السداد

و إلا فاصبروا لجلاد يوم لكم منا إلى شطر المذاد

نصبحكم بكل أخى حروب و كل مطهم سلس القيادة

و كل طمرة خفق حشاها تدف دفيف صفراء الجراد

و كل مقلص الآراب نهديم الخلق من آخر و هاد

خيول لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس في السنة الجماد

ينازعن الأعنة مصغيات إذا نادى إلى الفرع المنادى

إذا قالت لنا النذر استعدوا و اكلنا على رب العباد

و قلنا لن يفرج ما لقيناسوى ضرب القوانس و الجهاد

و لم فلم نر عصبه فيمن لقينامن الأرقام من قار و باد

أشد بسالة منا إذا ما أردناه و ألين في الوداد

إذا ما نحن أشرجنا عليها جياذ الجدال في الأرب الشداد

قذفنا في السوابغ كل صقر كريم غير معتلث الزناد

أشم كأنه أسد عبوس غداة بدا بطن الجزع غادى

ليظهر دينك اللهم إنابك فك فاهدنا سبل الرشاد و قال حسان بن ثابت يذكر بني قريظة:

تفاقد معشر نصر و قريشا و ليس لهم ببلدتهم نصير «١»

هم أوتوا الكتاب فضيعوه و هم عمى من التوراة بور

فهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير و لما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال:

أدام الله ذلك من صنيع و حرق في طرائقها السعير في أبيات ذكرها ابن إسحاق لم يأل قائلها أن صدق حسان.

و قال في ذلك- أيضا- جبل بن جوال الثعلبي، و بكى النصير و قريظة و نعى على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم خلاف ما فعل

عبد الله بن أبي في بنى قينقاع:

(١) تفاقدا: أى فقد بعضهم بعضا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٤٤ ألا يا سعد سعد بنى معاذلما لقيت قريظة و النصير

لعمر ك إن سعد بنى معاذغداة تحملوا لهو الصبور

فأما الخزرجى أبو حباب فقال لقينقاع لا تسيروا و يقول فى آخرها:

تركتم قدركم لا- شىء فيها و قدر القوم حاميه تفور فقال سعد حين بلغه هذا الشعر: من لقيهم فليحدثهم أنهم خانوا الله و رسوله فأخزاهم الله.

### مقتل سلام بن أبى الحقيق

و كان سلام بن أبى الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار- الأوس و الخزرج- كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه و سلم تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عناء إلا قالت الخزرج: و الله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى الإسلام. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك. و كانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تحريضه عليه، فقالت الخزرج: و الله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا.

فتذاكروا بعد أن انقضى شأن الخندق و بنى قريظة: من رجل لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبى الحقيق و هو بخبير، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، و مسعود بن سنان، و عبد الله بن أنيس، و أبو قتادة الحارث بن ربيعى، و خزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم. فخرجوا، و أمر عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الله بن عتيك و نهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة. فخرجوا حتى إذا قدموا خبير أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا، فلم يدعوا لهم بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهلها، و كان فى عليه له إليها عجلة فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا، فخرجت عليهم امرأة فقالت من أنتم؟ فقالوا: أناس من العرب نلتمس

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٤٥

الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا إليه. قال: فلما دخلنا أغلقنا علينا و عليها الحجره تخوفا أن يكون دونه مجادلته تحول بيننا و بينه. قال: و صاحت امرأته فنوهت بنا، و ابتدرناه و هو على فراشه بأسيافنا، و الله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاء. قال: و لما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيكف يده، و لو لا ذلك لفرغنا منها بليل، فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله ابن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه و هو يقول: قطنى قطنى، أى حسبى حسبى.

قال: و خرجنا و كان عبد الله بن عتيك رجلا سيئ البصر، فوقع من الدرجة فوثت يده و ثنا شديدا، قال ابن هشام: و يقال: رجله، و حملناه حتى نأتى منبرا من عيونهم فندخل فيه. قال: و أوقدوا النيران و اشتدوا فى كل وجه يطلبون، حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه و هو يقضى بينهم. فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات؟

فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل فى الناس، قال: فوجدتها و رجال يهود حوله و فى يدها المصباح تنظر فى وجهه و تحدثهم و تقول: أما و الله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت و قلت أنى ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر فى



وجهه ثم قالت: فإظ و إله يهود. فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها.

قال: ثم جاءنا فأخبرنا الخبر، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرناه بقتل عدو الله و اختلفنا عنده في قتله، كلنا ندعيه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هاتوا أسيافكم». فجنثناه بها فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام» (١).

و قال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف و قتل سلام بن أبي الحقيق:

لله در عصابة لأقبيتهم يا ابن الحقيق و أنت يا ابن الأشرف  
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين مغرف (٢)  
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفا بيض ذفف (٣)  
مستنصرين لنصر دين نبهم مستنصرين لكل أمر مجحف

(١) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١١ / ٦٦).

(٢) مغرف: ملتف الشجر.

(٣) ذفف: سريعة القتل.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٤٦

### ذكر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد رضى الله عنهما

حدث عمرو بن العاص - رحمه الله - قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأبي و يسمعون منى فقلت لهم: تعلموا و الله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا، و إنى قد رأيت أمرا فما ترون فيه؟ قالوا: و ما ذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، و إن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير.

قالوا: إن هذا لرأى. قلت: فاجمعوا ما نهدي له، و كان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدما كثيرا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شأن جعفر و أصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشى سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد: قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لى: مرحبا بصديقى، أهديت لى من بلدك شيئا؟ قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدما كثيرا. ثم قربته إليه فأعجبه و اشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا و خيارنا.

قال: فغضب ثم مد يده و ضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه، ثم قلت له: أيها الملك، و الله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أ تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتى الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟! قلت أيها الملك أ كذلك هو؟ قال: و يحكك يا عمرو، أ طعنى و اتبعه فإنه و الله لعلى الحق و ليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده. فقلت:

أ فتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابى و قد حال رأبي عما كان عليه، و كتمت أصحابى إسلامى، ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد و ذلك قبيل الفتح، و هو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: و الله لقد استقام المنسم و

إن الرجل

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٤٧

لنبي، أذهب و الله فأسلم، حتى متى؟! قلت: و الله ما جئت إلا لأسلم.

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم و بايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي و لا أذكر ما تأخر.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، و إن الهجرة تجب ما كان قبلها» (١)، قال: فبايعته و انصرفت.

و ذكر ابن إسحاق عمن لا يتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار كان معهما أسلم حين أسلما.

و ذكر غيره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال حين رآهم: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها».

و حدث الواقدي بإسناد له قال: قال عثمان بن طلحة: لقيني رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت: يا محمد، العجب لك حين تطمع أن أتبعك و قد خالفت قومك و جئت بدين محدث ففرقت جماعتهم و ألفتهم و أذهبت بهاءهم.

فانصرف، و كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فغلظت عليه و نلت منه و حلم عني ثم قال: يا عثمان، لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت.

فقلت: لقد هلكت قريش - يومئذ - و ذلت. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بل عمرت و عزت يومئذ». و دخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال: فأردت الإسلام، فإذا قومي يزبرونني زبرا شديدا و يزرون برأبي، فأمسكت عن ذكره. فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها، فهم على ما هم عليه حتى جاء النفير إلى بدر، فخرجت فيمن خرج من قومنا و شهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة عام القضية غير الله قلبي عما كان عليه و دخلني الإسلام و جعلت أفكر فيما نحن عليه و ما نعبد من حجر لا يسمع و لا يبصر و لا ينفع و لا يضر، و أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه و ظلف أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول: ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت.

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٤/ ١٩٩)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ١٢٣)، دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٤٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٤٢)، مجمع الزوائد للهيتمي (٩/ ٣٥١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٤٨

و جعلت أحب النظر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلى أن رأته خارجا من باب بني شيبه يريد منزله بالأبطح، فأردت أن آتية و آخذ بيده و أسلم عليه فلم يعزم لي على ذلك، و انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم راجعا إلى المدينة، ثم عزم لي على الخروج إليه، فأدلجت إلى بطن يأجج فألقى خالد بن الوليد، فاصطحبنا حتى نزلنا الهدية فما شعرنا إلا بعمرو بن العاص فانقمعنا عنه و انقمع منا، ثم قال: أين يريد الرجلان؟ فأخبرناه فقال: و أنا أريد الذي تريدان.

فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فبايعته على الإسلام و أقمت حتى خرجت معه في غزوة الفتح و دخل مكة، فقال لي: «يا عثمان، ايت بالمفتاح»، فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلى و قال: «خذوها تالدة خالدة و لا يتزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» (١).

قال عثمان: فلما و ليت ناداني فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟» فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة: «لعلك ستري هذا

المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت»، فقلت بلى، أشهد أنك رسول الله!  
قال الواقدي: فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان.

## غزوة بنى لحيان «٢»

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع - خبيب و أصحابه - و أظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة.  
فلما انتهى إلى منازلهم بجران و هو واد بين أمج و عسفان و جدهم قد حذروا و تمنعوا في رءوس الجبال. فلما أخطأه من غرتهم ما أراد قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا و راح رسول الله صلى الله عليه و سلم قافلا.

(١) انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (١١ / ١٢٠)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣ / ٢٨٥)، الدر المنثور (٢ / ١٧٥)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٤٧٦٦).

(٢) راجع هذه الغزوة في: طبقات ابن سعد (٢ / ١ / ٥٦)، المغازي للواقدي (٢ / ٥٣٥)، تاريخ الطبري (٢ / ٥٩٥)، البداية و النهاية (٤ / ٨١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٤٩

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول حين وجه راجعا:  
«آثيون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعتاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر في الأهل و المال» «١».

## غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة و خروج النبي صلى الله عليه و سلم في أثره، و هي غزوة ذي قرد «٢»

و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة من غزوة بنى لحيان لم يبق بالمدينة إلا ليال قلائل، حتى أغار عيينة بن حصن في جبل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه و سلم بالغابة، و فيها رجل من بنى غفار و امرأة له، فقتلوا الرجل و احتملوا المرأة في اللقاح.

و كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحا سيفه و نبله و معه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ: وا صباحاه. ثم خرج يشد في آثار القوم و كان مثل السبع، حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل و يقول إذا رمى:

خذها و انا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال:

خذها و انا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع فيقول قائلهم: أ أكيعنا هو أول النهار.

و بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم صباح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: الفرع الفرع. فترامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو، و هو الذي يقال له: المقداد بن الأسود. ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر و سعد بن زيد الأشهليان و أسيد بن ظهير الحارثي، يشك فيه، و عكاشة بن محصن، و محرز بن نضلة الأسديان و أبو قتادة السلمى و أبو عياش، الزرقى.

(١) انظر الحديث في: عمل اليوم و الليلة لابن السني (٥٢٥)، مصنف ابن أبي شيبة (١٢ / ٥١٩)، (٥٢٠).

(٢) راجع هذه الغزوة في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٥٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ٨٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤٥٠

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد و قال: «اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس» (١). و قال لأبي عياش: «يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالناس». قال أبو عياش: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرس الناس. ثم ضربت الفرس فو الله ما جرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أعطيت أفرس منك» و أقول: أنا أفرس! فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس أبي عياش هذا- فيما زعموا- معاذ ابن ماعص أو عائد بن ماعص، فكان ثامنا.

فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا، و كان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة الأخرم، و يقال له أيضا: قمير، و لما كان الفرز جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط و هو مربوط بجذع نخل حين سمع صاهلة الخيل، و كان فرسا صنيعا جاما، فقال بعض نساء بني عبد الأشهل: يا قمير، هل لك في أن تركب هذا الفرس فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالمسلمين؟ قال: نعم فأعطينه إياه فخرج عليه فلم يلبث أن بز الخيل بجمامه حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم ثم قال: قفوا بني اللكيعه حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين و الأنصار، و حمل عليه رجل منهم فقتله، و جال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أريه في بني عبد الأشهل. فقيل: إنه لم يقتل من المسلمين - يومئذ - غيره، و قد قيل: إنه قتل معه وقاص بن محرز المدلجي. و لما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن و غشاه برده ثم لحق بالناس، و أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة، فاسترجع الناس و قالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس بأبي قتادة، و لكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده ليعرفوا أنه صاحبه» (٢).

و أدرك عكاشة بن محصن أو بارا و ابنه عمرو بن أوبار و هما على بعير واحد فانتظهما بالرمح فقتلتهما جميعا، و استنقذوا بعض اللقاح.

و سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد و تلاحق به الناس، و أقام عليه يوما و ليلة، و قال له أبو سلمة بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيه السرح و أخذت بأعناق القوم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنهم الآن ليغبقون في غطفان» (٣).

(١) انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٣٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٤٣).

(٢) انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٣١)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٤٣).

(٣) انظر الحديث في: صحيح مسلم في كتاب الجهاد (٣/ ١٣٢ / ١٤٣٣، ١٤٤١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤٥١

فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزورا. و أقاموا عليها ثم رجع قافلا إلى المدينة. و أفلتت امرأة الغفارى على ناقه من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها و نجاك بها ثم تنحرنيها، إنه لا نذر في معصية الله و لا فيما لا تملكين، إنما هي ناقه من إبلى، ارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله» (١).

فهذا حديث ابن إسحاق عن غزوة ذي قرد.

و خرج مسلم بن الحجاج - رحمه الله - حديثا في صحيحه بإسناده إلى سلمة بن الأكوع فذكر حديثا طويلا خالف به حديث ابن

إسحاق في مواضع منه، فمن ذلك:

أن هذه الغزوة كانت بعد انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم الحديبية، وجعلها ابن إسحاق قبل ذلك، وكذلك فعل ابن عقبة. وفيه أن سلمة بن الأكوع «٢» استنقذ سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته، قال سلمة: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجعت إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة. قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى و خلوا بينى وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردهً و ثلاثين رمحا يستخفون، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أتوا متضايقا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزارى، فجلسوا يتضحون- أى يتغدون- و جلست على رأس قرن.

قال الفزارى: ما هذا الذى أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شىء فى أيدينا. قال فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلى

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١٨٧/٤).

(٢) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمة رقم (٣٣٧٤)، أسد الغابة ترجمة رقم (٢١٥٥)، طبقات ابن سعد (٣٠٥)، طبقات خليفة ترجمة رقم (٦٨٩)، التاريخ الكبير (٤/٦٩)، المعارف (٢١٢)، المعرفة و التاريخ (٣٣٦/١)، مشاهير علماء الأنصار ترجمة رقم (٨٠)، تهذيب الكمال (٥٢٥)، تاريخ الإسلام (٣/١٥٨)، العبر (١/٨٤)، البداية و النهاية (٩/٦)، تهذيب التهذيب (٤/١٥٠)، شذرات الذهب (١/٨١)، تهذيب ابن عساكر (٦/٢٣٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٢

منهم أربعة فى الجبل، فلما أمكنونى من الكلام قلت: هل تعرفوننى؟ قالوا: لا، و من أنت؟ قلت: أنا سلمة بن الأكوع و الذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا اطلب رجلاً منكم إلا أدركته و لا يطلبنى فيدركنى. قال أحدهم: أنا أظن ذلك، فرجعوا. فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر، فإذا أولهم الأخرم الأسدى، على أثره أبو قتادة الأنصارى و على أثره المقداد بن الأسود الكندى فأخذت بعنان الأخرم فولوا مدبرين، قلت: يا أكرم أحرهم لا يقتطعونك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر و تعلم أن الجنة حق و النار حق فلا تحل بينى و بين الشهادة. قال: فخيلته فالتقى هو و عبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه و طعنه عبد الرحمن فقتله، و تحول على فرسه. و لحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن فقتله، فوالذى كرم وجه محمد لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى من ورائى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم و لا غبارهم شيئاً، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه و هم عطاش فنظروا إلى أعدو وراءهم فحلاهم عنه. فما ذاقوا منه قطرة، و يخرجون فيشتدون فى ثنية فأعدو فألحق منهم فأمسكه بسهم فى غض كنفه، قلت:

خذها و انا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه أ أكوعه بكره؟ قلت: نعم يا عدو نفسه أكوعه بكره.

قال: و أردوا فرسين على ثنية فجتت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لحقنى عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن و سطيحة فيها ماء فتوضأت و شربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو على الماء الذى حلاهم عنه قد أخذ تلك الإبل و كل شىء استنقذته من المشركين و كل رمح و كل برده، و إذا بلال نحر ناقه من الإبل التى استنقذت من القوم، و إذا هو يشتوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها و سنامها، قلت: يا رسول الله، خلنى فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فى ضوء النار قال: «يا سلمة، أتراك كنت فاعلاً؟» قلت:

نعم، و الذى أكرمك، قال: «إنهم الآن ليقرون بأرض غطفان». قال: فجاء رجل من غطفان فقال:  
نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا فقالوا: إياكم القوم فخرجوا هارين.  
فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، و خير رجالنا  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٣»

سلمة». ثم أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين: سهم الفارس و سهم الراجل فجمعهما لى جميعا.  
و ذكر الزبير بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى غزوة قرد هذه على ماء يقال له:  
بيسان، فسأل عنه فقيل: اسمه يا رسول الله: بيسان و هو مالح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟:  
«لا، بل اسمه نعمان و هو طيب». فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم و غير الله - تعالى - الماء.  
فاستراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به و جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما  
أنت يا طلحة إلا فياض». فسمى طلحة الفياض.  
و كان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت:  
أظن عينه إذا زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا  
فأكذبت ما كنت صدقته و قلت سنغنم أمرا كبيرا  
و ولوا سراعا كشد النعام و لم يكشفوا عن ملط حصيرا  
أمير علينا رسول المليك أحب بذاك إلينا أميرا  
رسول نصدق ما جاءه و يتلوا كتابا مضيئا منيرا و قال كعب بن مالك:  
أ يحسب أولاد اللقيطة أناعلى الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس  
و إنا أناس لا نرى القتل سبه و لا ننشى عند الرماح المداعس  
و إنا لنقرى الضيف من قمع الذرى و نضرب رأس الأبلخ المتشاوس (١)  
نرد كماء المعلمين إذا انتحوا بضرب يسلى نخوة المتقاعس  
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضاة مخالس  
يذودون عن أحسابهم و تلادهم ببيض تقد الهام تحت القوانس  
فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس  
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم و لا تكتنموا أخباركم فى المجالس  
و قولوا زلنا عن مخالبا خادربه و حر فى الصدر ما لم يمارس و قال شداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد لعينه بن حصن و كان  
عينه يكنى أبا مالك:

(١) القمع: جمع قمع، و هى أعلى سنام البعير. و الذرا: أى الأسنمة. و الأبلخ: أى المتكبر.

و المتشاوس: هو الذى ينظر بمؤخر عينه نظرة المتكبر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٤ فهلا كررت أبا مالك و خيلك مدبرة تقتل

ذكرت الإياب إلى عسجرو هيهات قد بعد المقفل (١)

و طمنت نفسك ذا ميعه مسح الفضاء إذا يرسل

إذا قبضته إليك الشمال جاش كما اضطرم المرجل



فلما عرفتم عباد الإله لم ينظر الآخر الأول  
عرفتم فوارس قد عودوا طراد الكمأة إذا أسهلوا  
إذا طردوا الخيل تشقى بهم فضاحا وإن يطردوا ينزلوا  
فيعتصموا في سواء المقام بالبيض أخلصها الصيقل «٢»

### غزوة بنى المصطلق و هي غزوة المريسي «٣»

و غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست، و كان بلغه أنهم يجمعون له، و قائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم.  
فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له:  
المريسي، فتزاحف الناس و اقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق و قتل من قتل منهم و نفل رسوله أبناءهم و نساءهم و أموالهم.  
و كان شعار المسلمين في ذلك اليوم: يا منصور أمت أمت.  
و أصاب- يومئذ- رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلا من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن ليث بن بكر يقال له: هشام ابن صباية، و هو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.  
فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه و سنان بن وير الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار.

(١) عسجر: موضع بالقرب من مكة. و المقفل: أى الرجوع.

(٢) أخلصها الصيقل: أى أزال ما عليها من الصدأ.

(٣) راجع هذه الغزوة في: المغازي للواقدي (١/٤٠٤)، طبقات ابن سعد (٢/١٤٥)، تاريخ الطبري (٢/٥٩٣)، الكامل (٢/٨١)، البداية و النهاية (٤/١٥٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٥٥

و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أ قد فعلوها؟ قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا، و الله ما أعدنا و جلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، و أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه- و فيهم زيد بن أرقم غلام حدث- فقال:

هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم أموالكم، أما و الله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.  
فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، و ذلك عند فراغه من عدوه، و عنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«فكيف يا عمر إذا تحدثت الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا و لكن أذن بالرحيل» «١».

و ذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها.

فارتحل الناس و قد مشى عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيدا بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال و لا تكلمت به. و كان في قومه شريفا عظيما، فقال من حضر من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل. حدبا على ابن أبي و دفعا عنه.

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم و سار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة و سلم عليه ثم قال: يا نبي الله، و الله لرحت في



ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» قال: و أى صاحب يا رسول الله؟ قال:

«عبد الله بن أبى». قال: و ما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل» (٢).

قال: فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو و الله الذليل و أنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليك ارفق به، فو الله لقد جاء الله بك و إن قومه لينظموه له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكاً!

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى و ليلتهم حتى أصبح، و سار يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، و إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ثم راح

(١) انظر الحديث فى: مصنف ابن أبى شيبة (١٢ / ٥٤٠، ١٤ / ٤٣٢).

(٢) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٢٨ / ٧٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٦

بالناس، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم و تخوفوها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار» (١). فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعاً بن زيد بن التابوت - أحد بنى قينقاع - و كان من عظماء يهود و كهفا للمنافقين مات ذلك اليوم.

و نزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبى و من كان على مثل أمره. فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال: «هذا الذى أوفى الله بأذنه» (٢).

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:

يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرنى فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا» (٣).

و جعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه و يؤاخذونه و يعنفونه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أما و الله لو قتله يوم قلت لى اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته» (٤)! فقال عمر: قد و الله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أعظم بركة من أمرى.

و قدم مقيس بن صبابه من مكة متظاهراً بالإسلام، فقال يا رسول الله، جئتكم مسلماً، و جئتكم اطلب دية أخى قتل خطأ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه و سلم بديه أخيه هشام بن صبابه، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه و سلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله. ثم خرج إلى مكة مرتداً و قال فى شعر له:

شفى النفس أن بات بالقاع مسنداً تضرح ثوبيه دماء الأخادع (٥)

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٦١).

(٢) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهنذى (٤٤١٣)، سنن الترمذى (٥ / ٣٣١٣)، فتح البارى لابن حجر (٨ / ٥١٤).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٦٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٤ / ١٥٨).

(٤) انظر الحديث فى: تفسير الطبرى (٧٦ / ٢٨)، البداية و النهاية لابن كثير (١٥٨ / ٤).

(٥) تخرج: أى تلتخ. و الأخاذ: عروق القفا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٧ و كانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتحمينى و طاء المضاجع

حللت به و ترى و أدركت ثورتى و كنت إلى الأوثان أول راجع

ثارت به فهرا و حملت عقله سراة بنى النجار أرباب فارغ و قال أيضا:

جللته ضربه باتت لها و شل من ناقع الجوف يعلوه و ينصرم

فقلت و الموت تغشاه أسرته لا تأمن بنى بكر إذا ظلموا و أصاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من بنى المصطلق سببا كثيرا، فشا

قسمة فى المسلمين، و كان فيمن أصيب - يومئذ - من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، فوعدت فى السهم لثابت بن قيس بن

الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها.

قال عائشة رضى الله عنها: و كانت - تعنى جويرية - امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله صلى الله عليه و

سلم تستعينه فى كتابتها، فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها و عرفت أنه سبرى منها ما رايت، فدخلت عليه فقالت: يا

رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومى، و قد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوعدت فى السهم لثابت بن

قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فحججتك أستعينك على كتابتى، قال: «فهل لك فى خير من ذلك؟» قالت: و ما

هو يا رسول الله؟ قال: «أقصى كتابتك و أتزوجك» «١». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «قد فعلت» «٢». و خرج الخبر إلى الناس: أن

رسول الله صلى الله عليه و سلم قد تزوج جويرية. فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه و سلم. فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد

أعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

و بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد إسلامهم الوليد بن عقبه بن أبى معيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم

هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره أن القوم هموا بقتله و منعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر

غزوهم حتى هم رسول

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٢٧٧ / ٦).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٧٨ / ٤)، المعجم الكبير للطبرانى (٢٠٥ / ٧)، موارد الظمآن للهيثمى (١٢١٣)، الطبقات الطبرى

لابن سعد (٨٣ / ٨، ١٠٧)، إتحاف السادة المتقين (٤١ / ٥)، الدر المنثور للسيوطى (١٢ / ١)، كنز العمال للمتقى الهندى (١١٥٣٠)،

تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠٦ / ١)، البداية و النهاية لابن كثير (٦٤ / ٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٨

الله صلى الله عليه و سلم يأن يغزوهم، فبينا هم فى ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: يا رسول الله، سمعنا

برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه و نؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة، فانشمر راجعا، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه و

سلم أننا خرجنا إليه لنقتله و و الله ما جئنا لذلك. فأنزل الله فيه و فيهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا

بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات: ٦].

هكذا ذكر ابن إسحاق «١» أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبه و لم يعين مدة

توجيهه إياه إليهم، و قد يوهم ظاهره أن ذلك كان بحدثان إسلامهم، و لا يصح ذلك، إذ الوليد من مسلمة الفتح، و إنما كان الفتح

فى سنة ثمان بعد غزوة بنى المصطلق و إسلامهم بستين، فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك و لا بد.

و قد قال أبو عمر بن عبد البر: لا - خلافاً بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز و جل: إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا نزلت فى

الوليد بن عقبة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بنى المصطلق مصدقا، و الله سبحانه أعلم.

و أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريبا من المدينة قال: «أهل الإفك في الصديقة المبرأة المطهرة عائشة بنت الصديق، رضى الله عنهما، ما قالوا».

فحدثت - يرحمها الله - قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن معه فخرج بي صلى الله عليه و سلم. قالت: و كان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فيثقلن، و كنت إذا رحل لي بعيرى جلست في هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لي و يحملونني فأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بجباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس و خرجت لحاجتى و فى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى و لا أدرى، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده و قد أخذ الناس فى الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، و جاء خلافى القوم الذين كانوا يرحلون لى البعير و قد فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج و هم يظنون أنى فيه كما

(١) انظر: السيرة (٣/ ٢٦٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٥٩

كنت أصنع، فاحتملوه فشده على البعير و لم يشكوا أنى فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، و رجعت إلى العسكر و ما فيه داع و لا موجب قد انطلق الناس، قالت:

فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكان و عرفت أنه لو قد افتقدت لرجع إلى.

فو الله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى، و كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف على، و قد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال: إنا لله و إنا إليه راجعون! طعينة رسول الله صلى الله عليه و سلم! و أنا متلففة فى ثيابى. قال: ما خلفك، رحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: اركبى. و استأخر عنى، فركبت و أخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس، فو الله ما أدركنا الناس و ما افتقدت حتى أصبحت، و نزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى، فقال أهل الإفك ما قالوا. فارتعج العسكر، و الله ما أعلم بشىء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوا شديدا لا يبلغنى من ذلك شىء و قد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و إلى أبوى لا- يذكرون لى منه قليلا- و لا- كثيرا، إلا- أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه و سلم بعض لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى و لطف لى فلم يفعل ذلك فى شكوى ذلك فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل على و عندى أمى تمرضنى قال: كيف تيكم، لا- يزيد على ذلك حتى وجدت فى نفسى حين رأيت من جفائه لى. فقلت: يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فتمرضنى؟ قال: «لا عليك».

فانتقلت إلى أمى و لا أعلم لى بشىء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع و عشرين ليلة، و كنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذ الأعاجم نعافها و نكرهها، إنما كنا نذهب فى فسخ المدينة، و إنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتى و معى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف، و كانت أمها خالة أبى بكر الصديق، فو الله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها فقالت: تعس مسطح. قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا. قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قلت: و ما الخبر؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك. قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم و الله لقد كان.

فو الله ما قدرت على أن أقضى حاجتي و رجعت، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٠

أن البكاء سيصدع كبدي. و قلت لأمي: يغفر الله لك! تحدث الناس بما تحدثوا به و لا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أي بنية خفضي عليك الشأن، فو الله لقل ما كنت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن و كثر الناس عليها.

قالت: و قد قام رسول الله صلى الله عليه و سلم في الناس فخطبهم و لا أعلم بذلك، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي و يقولون عليهم غير الحق، و الله ما علمت منهم إلا خيراً، و يقولون ذلك لرجل و الله ما علمت منه إلا خيراً، و ما يدخل بيتا من بيوتى إلا و هو معي». قالت: و كان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح و حمنة بنت جحش، و ذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً، و أما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها، فشقيت بذلك. فلما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم تلك المقالة قال أسيد بن خضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم و إن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك فو الله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما و الله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، و لو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت لعمر الله و لكنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت:

و تناور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس و الخزرج شر.

و نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعا علي بن أبي طالب و أسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيراً، ثم قال: يا رسول الله، أهلك و لا- نعلم منهم إلا- خيراً، و هذا الكذب و الباطل. و أما علي فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير و إنك لتقدر أن تستخلف، و سل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بريرة ليسألها، فقام إليها على فضرها ضرباً شديداً و يقول: اصدقي رسول الله صلى الله عليه و سلم، فتقول: و الله ما أعلم إلا خيراً، و ما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

قالت: ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه و سلم و عندي أبواي و عندي امرأة من الأنصار فأنا أبكى و هي تبكي معي، فجلس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله و إن كنت قارفت سوء مما يقول الناس فتوبى إلي الله

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦١

فإن يقبل التوبة عن عباده» «١». قالت: فو الله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمي حتى ما أحس منه شيئاً. و انتظرت أبوي أن يجيبا رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يتكلما.

قالت: و أيم الله لأننا كنت أحقر في نفسي و أصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المسجد و يصلي به، و لكني كنت أرجوا أن يرى رسول الله صلى الله عليه و سلم في منامه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتي أو يخبر خيراً، فأما قرآن ينزل في فو الله لنفسى كانت أحقر عندي من ذلك.

قالت: فلما لم أرى أبوي يتكلمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ فقالا: و الله ما ندرى بما ذا نجيبه. قالت: و و الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام. قالت: فلما استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت: و الله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، و الله إنني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس و الله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، و لئن أنا أنكرت ما يقولون لا- تصدقونني، ثم التمس اسم يعقوب فما أذكره فقلت: و لكني سأقول كما قال أبو يوسف: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُشْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [يوسف: ١٨].

قالت: فو الله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه و وضعت له و سادة من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فرغت و لا باليت، قد عرفت أنى بريئة و أن الله غير ظالمى، و أما أبواى فو الذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس. ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس و إنه ليتحدر منه مثل الجمان و فى يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه و يقول: «أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك» «٢» قلت: بحمد الله.

ثم خرج إلى الناس فخطبهم و تلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثه و حمنة بنت جحش و حسان بن ثابت، و كانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم.

قالت: فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ

(١) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (٨/ ٤٧٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٦٣).

(٢) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٤/ ٤٧٣٥)، سنن الترمذى (٥/ ٣١٨٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٦٢

مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور: ١١] قيل: إنه حسان بن ثابت و أصحابه، و يقال: عبد الله بن أبى و أصحابه.

ثم قال: لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ أَى هلا قلتهم إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصارى و صاحبه أم أيوب، و ذلك أنها قالت لزوجها: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟ قال: بلى و ذلك الكذب، أ كنت يا أم أيوب فاعلته؟ قال: لا و الله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة و الله خير منك.

ثم قال تعالى: إِذِ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

فلما نزل هذا فى عائشة و فيمن قال لها ما قال قال أبو بكر- رحمه الله و كان ينفق على مسطح لقربته و حاجته: و الله لا أنفق على مسطح أبدا و لا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة و ادخل علينا. قالت: فأنزل الله فى ذلك و لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِيَعْفُوا وَ لِيَعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ٢٢] قالت: فقال أبو بكر: بلى، و الله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه و قال: و الله لا أنزعها منه أبدا.

و ذكر ابن إسحاق «١»: أن حسان بن ثابت مع ما كان منه فى صفوان بن المعطل من القول السيئ قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان و من أسلم من مضر يقول فيه:

أمسى الجلابيب قد عزوا و قد كثروا ابن الفريعة أمسى بيضاء- البلد فلما بلغ ذلك ابن المعطل اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف ثم قال:

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هو جيت لست بشاعر فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلقه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ قال:

أ ما أعجبك ضرب حسان بالسيف؟ و الله ما أراه إلا قد قتله. فقال له ابن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت؟ قال: لا و الله. قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل.

فأطلقه.

(١) انظر السيرة (٣/ ٢٧٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٣.

ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له، فدعا حسان و صفوان، فقال صفوان: يا رسول الله، آذاني و هجاني فاحتملني الغضب فضربته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان: «يا حسان، أ تشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام؟» ثم قال: «أحسن يا حسان في الذي أصابك» (١). قال: هي لك. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بئر «حاء» ماء كان لأبي طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعه حيث شاء فأعطاه حسان في ضربته، و أعطاه «سيرين» أمة قبطية ولدت له ابنه عبد الرحمن.

و قد روى من وجوه أن إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه سيرين إنما كان لذبه بلسانه عن النبي صلى الله عليه وسلم. و الله تعالى أعلم.

و كانت عائشة- رحمها الله- تقول: لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه حصورا لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا.

و قال بعد ذلك حسان يمدح عائشة- رضى الله عنها- و يعتذر من الذي كان في شأنها:

حصان رزان ما تزن بريئة و تصبح غرثي من لحوم الغوافل (٢)

عقيلة حى من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله جنبها و طهرها من كل سوء و باطل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلى أناملي

و كيف و ودى ما حبيت و نصرتي لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتناول

فإن الذي قد قيل ليس بلائطو لكنه قول امرئ بى ماحل و قال قائل من المسلمين فى ضرب حسان و صاحبيه فى فريتهم على عائشة رضى الله عنها:

لقد ذاق حسان الذى كان أهله و حمته إذ قالوا هجيرا و مسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم و سخطه ذى العرش الكريم فأترحوا

و آذوا رسول الله فيها فجعلوا مخازى تبقى عمموها و فضحوا

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ١٦٣)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٢٣٤).

(٢) الحصان: أى العفيفة. و الرزان: أى الملازمة موضعها. و ما تزن: أى ما تتهم. و غرثي: أى جائعة.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٤ و صبت عليهم محصدرات كأنها شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح و قد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوما أنكروا أن يكون حسان خاض فى الإفك أو جلد فيه، و روى عن عائشة- رحمها الله- أنها برأتة من ذلك، ثم ذكر عن الزبير بن بكار و غيره أن عائشة كانت فى الطواف مع أم حكيم بنت خالد بن العاص و ابنه عبد الله بن أبي ربيعة، فتذاكرن حسان فابتدرتاه بالسب فقالت لهما عائشة: ابن الفريعة تسبان! إنى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه، أ ليس القائل:

هجوت محمدا فأجبت عنه و عند الله فى ذاك الجزاء



فإن أبى و والده و عرضى لعرض محمد منكم وقاء فقالتا لها: أ ليس ممن لعنه الله فى الدنيا و الآخرة بما قال فيك؟ قلت: لم يقل شيئا، و لكنه القائل:

حصان رزان ما ترن بريبه و تصبح غرثى من لحوم الغوافل  
فإن كان ما قد قيل عنى قلته فلا رفعت سوطى إلى أناملى

### غزوة الحديبية

و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة من سنة ست معتمرا لا يريد حربا، و استنفر العرب و من حوله من أهل البوادرى من الأعراب ليخرجوا معه، و هو يخشى من قريش الذى صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت. فأبطأ عليه كثير من الأعراب، و خرج بمن معه من المهاجرين و الأنصار و من لحق به من العرب، و ساق معه الهدى و أكرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته، و ليعلم أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت و معظما له. حتى إذا كان بعسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي «١» فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمرور و قد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ما ذا عليهم

(١) انظر ترجمته فى: الإصابة ترجمه رقم (٦٤٦)، أسد الغابة ترجمه رقم (٤١١)، تجريد أسماء الصحابة (١ / ٤٨)، الوافى بالوفيات (١٠ / ١٣٣)، العقد الثمين (٩ / ٣٦٧)، تقريب التهذيب (٢ / ٩٥، ١٦٠، ٢٩٤ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٦٥

لو خلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا، و إن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة؛ فما تظن قريش؟

فو الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه» «١».

ثم قال: «من رجل يخرج بنا على غير طريقهم؟» «٢» فقال رجل من أسلم: أنا، فسلك بهم طريقا و عرا أجزل بين شعاب، فلما خرجوا منه و قد شق عليهم و أفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قولوا: نستغفر الله و نتوب إليه». فقالوا ذلك، فقال: «و الله إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها» «٣».

فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمص فى طريق تخرج على ثنية المرار «٤»، فهبط الحديبية من أسفل مكة. فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش هدة الجيش قد خالفوا عن طريقهم و كفوا راجعين إلى قريش، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت.

فقال: «ما خلأت، و ما هو لها بخلق، و لكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعونى قريش اليوم إلى خطه يسلون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها «٥»، ثم قال للناس:

«انزلوا». قيل: يا رسول الله، ما بالوادرى ماء ننزل عليه. فأخرج صلى الله عليه و سلم سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل فى قلب من تلك القلب، فغرزته فى جوفه فجاش بالروء حتى ضرب الناس عنه بعطن.

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلموه و سألوه ما الذى جاء له، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا و إنما جاء زائرا للبيت و معظما لحرمة، ثم قال لهم نحووا قال لبسر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: إنكم تعجلون على محمد، إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت. فاتهموهم و جبهوهم و قالوا:



إن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب.  
ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣٢٣/٤)، كنز العمال للمتقى الهندي (١١٣٠٧)، تفسير ابن كثير (٣٢٨/٧)، البداية و النهاية لابن كثير (١٦٥/٤).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (١٦٥/٤).

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) ثنية المرار: حشيشة مرة إذا أكلتها الإبل قلصت مشاferها.

(٥) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣٢٣/٤)، البداية و النهاية لابن كثير (١٦٥/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٦

الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال: «هذا رجل غادر» (١). فلما انتهى إليه و كلمة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ما قال لبديل و أصحابه. فرجع إلى قريش فأخبرهم. ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان، أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة - و كان يومئذ سيد الأحابيش - فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه» (٢). فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش و لم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى؛ فقال لهم ذلك، فقالوا له: اجلس. فإنما أنت أعرابي لا علم لك؛ فغضب الحليس عند ذلك و قال: يا معشر القوم، و الله ما على هذا حالفناكم و ما على هذا عاقدناكم، أ يصد عن بيت الله من جاء معظما له؟! و الذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد و بين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفره رجل واحد. فقالوا له: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال: يا معشر قريش إنني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف و سوء اللفظ، و قد عرفت أنكم والد و أنى ولد - و كان لسبيعة بنت عبد شمس - و قد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أو شاب الناس ثم جئت إلى بيتك لتقضها بهم؟! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، و أيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك. فرد عليه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - و قال:

أ نحن ننكشف عنه! ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو كلمة و المغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله في الحديد، فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك و يقول:

اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا- تصل إليك. فيقول عروة: و يحك ما أفضك و أغلظك. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة» (٣). قال: أى غدر هل غسلت سوءتك إلا بالأمس! يريد أن المغيرة

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣٢٤/٤)، تفسير ابن كثير (٣٢٨/٧)، البداية و النهاية لابن كثير (١٦٦/٤).

(٢) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (١٦٦/٤).

(٣) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣٢٤/٤)، المطالب العالیه لابن حجر (٤٣٤٧)، تفسير ابن كثير (٣٢٩/٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٧

كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلا من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين و الأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية و أصلح ذلك الأمر.

و كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه، و أخبره أنه لم يأت يريد حربا حربا فقام من عنده و قد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، و لا يبصق بصاقا إلا ابتدروه و لا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال:

يا معشر قريش، إنى قد جئت كسرى فى ملكة و قيصر فى ملكه و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه! و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم.

و دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي «١» فحمله على بعير له و بعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به الجمل و أرادوا قتله فمنعته الاحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و بعثت قريش أربعين رجلا أو خمسين و أمرهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا، فأخذوا أحدا، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلى سبيلهم.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله، إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى، و قد عرفت قريش عداوتى إياها و غلظتى عليها، و لكنى أدلك على رجل أعز بها منى: عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبى سفيان و أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب و أنه جاء زائرا لهذا البيت و معظما لحرمة؛ فخرج عثمان إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره.

و قال له فيما ذكره غير ابن إسحاق: أقبل و أدبر و لا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم.

فانطلق عثمان حتى أتى أبى سفيان و عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به، فقالوا له حين فرغ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال: ما كنت لأفعل

(١) انظر ترجمته فى: الإصابه ترجمه رقم (٢٢٣٨)، أسد الغابه ترجمه رقم (١٤٢٨)، الثقات (٣/١٠٧)، الطبقات الكبرى (٤/١٣٩)، تجريد أسماء الصحابه (١/١٥٧)، المغازى للواقدي (٦٠٠)، الجرح و التعديل (٣/٣٩٢)، تاريخ الطبرى (٣/٦٣١)، الوافى بالوفيات (١٣/٣٠١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٦٨

حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم و المسلمون أن عثمان قد قتل، فقال حين بلغه ذلك: «لا نبرح حتى نناجز القوم» «١».

و دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعه، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم على الموت. و كان جابر يقول: بايعنا على أن لا نفر.

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس و لم يختلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس لصق يابط ناقته يستتر بها من الناس.

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى كان من أمر عثمان باطل. و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان:

ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: «هذه يد عثمان».

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا: ايت محمدا فصالحه ولا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا.

فأتى سهيل، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» (٢).

فلما انتهى إليه سهيل تكلم فأطال الكلام و تراجعاً، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أ ولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أ ولسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيا (٣) فى ديننا! قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه فإنى أشهد أنه رسول الله. قال عمر: و أنا أشهد أنه رسول الله.

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أ لست برسول الله؟ قال: «بلى». قال:

أ ولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى». قال: أ ولسوا بالمشركين؟ قال: «بلى» (٤). قال: فعلام

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (١٦٧ / ٤).

(٢) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (٢٢١ / ٩)، دلائل النبوة للبيهقى (١٤٥ / ٤).

(٣) الدنيا: الذل و الصغار و الخسيس من الأمر.

(٤) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (١٤١٢، ٢١٥١)، السلسلة الصحيحة للألبانى (٣١٣)، صحيح البخارى (٢٦ / ٤، ١٢٥)، المعجم الكبير للطبرانى (١٠٩ / ٦، ٢٧٥ / ٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٣ / ٣١٢، ٥ / ٦٧)، كنز العمال للمتقى الهندى (١٧٩٠٥، ٢٩٩٩٣، ٣٠١٥٤، ٣٧١٥٥)، فتح البارى لابن حجر (٨ / ٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ١ / ٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٦٩

نعطى الدنيا فى ديننا؟! قال: «أنا عبد الله و رسوله لن أخالف أمره و لن يضيعنى» (١).

فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق و اصوم و اصلى و أعتق من الذى صنعت - يومئذ - مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أنه يكون خيرا.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» (٢)، فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، و لكن اكتب: باسمك اللهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب باسمك اللهم» (٣). فكتبها ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبىك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، و من جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، و أن بيننا عيباً مكفوفه، و أنه لا إسلال و لا إغلال» (٤)، و أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد و عهده دخل فيه، و من أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه» (٥).

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن فى عقد محمد و عهده. و تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن فى عقد قريش و عهدهم.

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٢٠١ / ٥)، صحيح مسلم فى كتاب النكاح (١٣٥)، السنن الكبرى للبيهقى (٢٢٩ / ٧)، التاريخ

الكبير للبخارى (٢١٧ / ٣)، تفسير ابن كثير (٤ / ٦٩، ٧ / ٣٣٠)، زاد المسير لابن الجوزى (٧ / ٤٢٥)، موارد الظمآن للهيثمى (١٣٠٥)،

١٧٠٥، ٢١٢٨)، البداية و النهاية لابن كثير (٣٥٦/٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١ / ١٠٩، ١١٣).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/٢٦٨، ٤/٨٦، ٣٢٥، ٣٣٠)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/٢٢٠، ٢٢٧)، مصنف عبد الرزاق (٩٧٢٠)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/١٤٥، ١٤٦)، تفسير ابن كثير (١/٣٦، ٧/٣٢٤)، تفسير الطبرى (٢٦/٥٩، ٦٣)، فتح البارى لابن حجر (٧/٥٠٢)، كنز العمال للمتقى الهندى (١٦٢٧، ٣٠١٥١، ٣٠١٥٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٧٥).

(٣) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٤/٨٦، ٣٢٥، ٣٣٠)، تفسير ابن كثير (٧/٣٢٤)، تفسير الطبرى (٢٦/٥٩، ٦٣)، فتح البارى لابن حجر (٥/٣٣١، ٧/٥٠٢)، كنز العمال للمتقى الهندى (٣٠١٥٤).

(٤) الأسلال: أى السرقة الخفية. و الأغلال: أى الخيانة.

(٥) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (١/٣٤٢، ٤/٨٧)، تفسير الطبرى (١٣/١٠١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧٠

«و أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، و أنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب: السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها».

فيينا رسول الله يكتب الكتاب هو و سهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل ابن عمرو يرسف «١» فى الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم خرجوا و هم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما رأوا ما رأوا من الصلح و الرجوع و ما يحمل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون.

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه و أخذ بتليبيه ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيتي و بينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت. فجعل ينتره بتليبيه و يجره ليرده إلى قريش، و جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين يفتنونى فى ديني؟! فزاد الناس ذلك إلى ما بهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا أبا جندل اصبر و احتسب، فإن الله جاعل لك و لمن معك من المسلمين فرجا و مخرجا، إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحا و أعطيناهم على ذلك و أعطونا عهد الله، و إنا لا نغدرهم» «٢».

فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه و يقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون و إنما دم أحدهم دم كلب!- و يدنى قائم السيف منه- يقول عمر:

رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن الرجل بأبيه و نفذت القضية.

فلما فرغ من الكتاب اشهد رجالا من المسلمين و رجالا من المشركين، أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن سهيل بن عمرو، و سعد ابن أبى وقاص و محمود بن مسلمة، و مكرز بن حفص و هو مشرك و على بن أبى طالب و هو كان كاتب الصحيفة.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مضطربا فى الحل و كان يصلى فى الحرم، فلما فرغ من الصلح

(١) انظر ترجمته فى: الثقات (٥/٥٦٨)، الإصابة ترجمه رقم (٩٦٩٩)، أسد الغابة ترجمه رقم (٥٧٧٥).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٤/٣٢٥)، تفسير ابن كثير (٧/٣٣٠)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/١٣٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٦٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧١

قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه و أهدي عامئذ في هداياه جملاً لأبى جهل في رأسه بره من فضة ليغيط بذلك المشركين. فلما رآه الناس قد نحر و حلق توثبوا ينحرون و يحلقون، و كان فيهم- يومئذ- من قصر فقال فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يرحم الله المحلقين». قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» (١). قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟ قال:

«و المقصرين» (٢). فقالوا: يا رسول الله، فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟

قال: «لم يشكوا» (٣).

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم من جهة ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة و المدينة نزلت سورة الفتح: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.**

ثم ذكر القصة فيه و فى أصحابه، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال: **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.** ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم. ثم قال: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَنَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَ عَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَ لَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا.** ثم قال: وَ هُوَ

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١/٣٥٣، ٢/١٦، ٤/٧٠، ٦/٤٠٢)، السنن الكبرى للبيهقى (٥/١٣٤)، مشكل الآثار للطحاوى (٢/١٤٤)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/١٠١)، كنز العمال للمتقى الهندى (١٢٧٣٨، ١٢٧٣٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٦٩، ٥/١٨٩)، مصنف ابن أبى شيبه (١٤/٤٥٢، ١٤/٤٥٣)، دلائل النبوة للبيهقى (٤/١٥١).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٩٤٥، ٦٤٩)، سنن الترمذى (٩١٢)، سنن ابن ماجه (٣٠٤٤)، مسند الإمام أحمد (١/٢٥٣، ٢/٧٩، ١٣٨، ٢٣١، ٤١١، ٤/٧٠، ٥/٣٨١، ٦/٣٩٣، ٢/٤٠٢)، سنن الدارمى (٢/٦٤)، مصنف ابن أبى شيبه (١٤/٤٥٢، ١٤/٤٥٣)، موطأ مالك (٣٩٥)، دلائل النبوة للبيهقى (٤/١٥١)، المعجم الكبير للطبرانى (١٩/٢٧٥)، شرح السنة للبغوى (٧/٢٠٢).

(٣) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (١/٣٥٣).

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧٢

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، يعنى النفر الذين وجهت قريش بهم ليصيبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدا فلم ينالوا شيئا و أخذوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم بجملتهم و سيقوا إليه فحلى سيلهم.

ثم قال بعد: **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ يَعْنِي سَهِيلَ ابْنِ عَمْرٍو حِينَ حَمَى أَنْ يَكْتُبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.** و أن محمدا رسول الله:

**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا، أَى التَّوْحِيدِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ.**

ثم قال: **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَهُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه و سلم التى رأى أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف.** و قد قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم لما قدم المدينة بعض من كان معه: **ألم تقل يا رسول الله أنك تدخل مكة آمنا؟ قال: «بلى»، قال:**

«أ فقلت لكم من عامى هذا؟» قالوا: لا. قال: «فهو كما قال لى جبريل» (١) فحقق له سبحانه من مواعده ما أنجزه له بعد و صدقه بقوله

جل قوله: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة و وضعت الحرب و أمن الناس كلهم بعضهم بعضا و التقوا فتفاوضوا في الحديث و المنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك و أكثر.

قال ابن هشام «٢»: و الدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج إلى الحديبية في ألف و أربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

و ذكر ابن عقبة أنه لما كان صلح الحديبية قال رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت و صد هدينا. فبلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم قول أولئك فقال:

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٣١)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٢٠).

(٢) انظر السيرة (٣/ ٢٩٦).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٧٣

«بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتوح، قد رضى المشركون أن يدفوعكم بالراح عن بلادهم و يسألوكم الفضية و يرغبوا إليكم في الأمان، و قد رأوا منكم ما كرهوا و أظفركم الله عليهم و ردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتوح، أتسون يوم أحد إذ تصعدون و لا- تلوون على أحد و أنا أدعوكم في أخراكم؟! أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا؟» «١» فقال المسلمون: صدق الله و رسوله فهو أعظم الفتوح، و الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، و لأنت أعلم بالله و أمره منا.

و في الصحيح من حديث سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل و لو أستطيع أن أريد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم لرددته و الله و رسوله أعلم.

و خرج البخارى من حديث البراء بن عازب قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة و قد كان فتح مكة فتحا، و نحن نعد الفتح ببعه الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أربع عشرة مائة و الحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فأتاها فجلس على شفيراها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض و دعا ثم صبه فيها فتركانها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن و ركابنا.

و عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية و رسول الله صلى الله عليه و سلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به و لا يشرب إلا ما في ركوتك. قال: فوضع النبى صلى الله عليه و سلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا و توضأنا؛ فقلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة «٢».

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ١٦٠)، الدر المنثور للسيوطى (٦/ ٤٨).

(٢) الحديث عن نبع الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه و سلم و انبجاسه و تدفقه و فورانه متعدد المواضع لتكرار حدوثه، و هو محكى في البخارى الصحيح ج ١ ص ٨٩، ١٠٠، ١٠٢ (كتاب الوضوء)، ج ٥ ص ٣٥، ٣٦، ٣٨ (كتاب المناقب)، ج ٤ ص ٢٦٠، (باب غزوة الحديبية)، مسلم. الجامع الصحيح ج ٢ ص ١٣٨-١٤١ (كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة و استحباب تعجيل قضائها)، ج



٧ ص ٥٩ (كتاب الفضائل، باب معجزات النبي صلى الله عليه و سلم)، ج ٨ ص ٢٣٥، ٢٣٦ (كتاب الزهد و الرقائق، حديث جابر الطويل و قصة أبي اليسر). و راجع: ابن جماعة، المختصر الصغير (ص ٦٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٧٤

و ذكر ابن عقبة عن ابن عباس قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحديبية كلمه بعض أصحابه فقالوا: جهدنا و في الناس ظهر فانحروه لنا فلنا كل من لحومه و لندهن من شحومه و لنحتذ من جلوده. فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، فإن الناس إن يكن فيهم بقيه ظهر أمثل. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ابسطوا أنظاعكم و عباءكم» «١» ففعلوا، ثم قال: الاكتفاء، الكلاعي ج ١ ٤٧٤ غزوة الحديبية ..... ص : ٤٦٤

من كان عنده بقيه من زاد و طعام فليشره» و دعا لهم، ثم قال لهم: «قربوا أو عيتكم» «٢».

فأخذوا ما شاءوا.

قال ابن إسحاق «٣»: و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة - يعني من الحديبية - أتاه أبو بصير عتبه بن أسيد بن حارثة «٤» - و كان ممن حبس بمكة - فكتب فيه أزهر بن عبد عوف و الأحنس بن شريق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعثا رجلا من بني عامر بن لؤي و معه مولى لهم، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالكتاب، فقال صلى الله عليه و سلم: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت و لا يصلح لنا في ديننا الغدر، و إن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا» «٥».

فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار و جلس معه صاحبه، فقال أبو بصير. أ صارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم. قال أنظر إليه قال: إن شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله.

و ذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس و الخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: و صارم سيفك هذا؟ فقال: نعم.

فقال: ناولنيه أنظر إليه؛ فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد. قال: و يقال: بل تناول أبو بصير سيف الرجل بفيه و هو نائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد، و طلب الآخر، فجمز مرعوبا مستخفيا حتى دخل المسجد و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس فيه يظن الحصباء من شدة سعيه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرا». قال ابن

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣٥٤ / ٥)، دلائل النبوة للبيهقي (١١٦ / ٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤٧٩ / ٥)، فتح الباري لابن حجر (٤٦ / ٨).

(٢) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (١١٩ / ٤).

(٣) انظر السيرة (٢٩٦ / ٣).

(٤) انظر ترجمته في: الإصابة ترجمة رقم (٩٦٣٣)، أسد الغابة ترجمة رقم (٥٧٣٤).

(٥) انظر الحديث في: السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٧ / ٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٧٥

إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «و يحك مالك؟» «١» قال: قتل صاحبكم صاحبى.

فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف فقال: يا رسول الله، و فت ذمتك و أدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم و قد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعث بي. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و يلمه محش حرب» «٢» لو كان معه رجال» «٣».

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذوا إلى الشام، و بلغ المسلمين الذين كانوا احتسبوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي بصير: «و يلمه محش حرب لو كان معه رجال» فخرجوا إلى أبي



بصير بالعيص، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم.

و ذكر موسى بن عقبة أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو الذي رد على قريش مكرها يوم القضية هو الذي انفلت في سبعين راكباً أسلموا و هاجروا فلحقوا بأبي بصير و كرهوا الثواء بين أظهر قومهم، فنزلوا مع أبي بصير في منزل كربه إلى قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام. قال: و كان أبو بصير - زعموا - و هو في مكانه ذلك يصلى لأصحابه، فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم.

و اجتمع إلى أبي جندل ناس من غفار و أسلم و جهينه و طوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل و هم مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل و أبي بصير، لا يمر بهم غير لقريش إلا اخذوها و قتلوا أصحابها. و قال في ذلك أبو جندل فيما ذكره غير ابن عقبة:

أبلغ قريشا عن أبي جندل أنا بذى المروة بالساحل

في معشر تحفق أيمانهم بالبيض فيها و القنا الذابل

يأبون أن يبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجاو الحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء و لم يأتل

(١) انظر الحديث في: سنن أبو داود (٤٥١٩)، السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٦/٤).

(٢) محش حرب: أي أنه يوقد الحرب و يهيجها و يشعل نارها.

(٣) انظر الحديث في: صحيح البخاري (٢٥٧/٣)، سنن أبي داود في كتاب الجهاد باب (١٦٧)، مسند الإمام أحمد (٣٣١/٤)، السنن

الكبرى للبيهقي (٩/٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٤/١٠٧، ٦٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٦/٧٨)، البدايه و النهايه

لابن كثير (٤/١٧٦)، مصنف عبد الرزاق (٩٧٢٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٧٦

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا سفيان بن حرب يسألونه و يتضرعون إليه أن يعث إلى أبي بصير و إلى أبي جندل بن سهيل و من معهم فيقدموا عليه و قالوا: من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره.

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يمنع أبا جندل من ابيه بعد القضية أن طاعة رسول الله خير فيما أحبوا و فيما كرهوا، و أن رأيه أفضل من رأيهم و من رأى من ظن أن له قوة و رأيا، و علم أن ما خص الله به نبيه من العون و الكرامة أفضل.

و كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أبي جندل و أبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه و يأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم و أهلهم و لا يعرضوا لأحد من بهم من قريش و عيراتها، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم - زعموا - على أبي جندل و أبي بصير و أبو بصير يموت، فمات و كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم في يده يقرؤه. فدفنه أبو جندل مكانه و جعل عند قبره مسجداً.

و قدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه و سلم معه أناس من أصحابه و رجع سائرهم إلى أهلهم و أمنت عيرات قريش.

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و شهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك و شهد الفتح، و رجع مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يزل معه بالمدينة حتى توفي صلوات الله عليه و سلامه و قدم أبوه سهيل بن عمرو المدينة أول إمارة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فمكث بها أشهر ثم خرج مجاهداً إلى الشام و خرج معه ابنه أبو جندل، فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا جميعاً هناك، يرحمهما الله.

و هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط «١»، فخرج أخوها عماره و الوليد ابنا عقبه حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبيه، فلم يفعل، أبى الله ذلك و أنزل فيه على رسوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ

(١) انظر ترجمتها فى: الإصابه ترجمه رقم (١٢٢٣١)، أسد الغابه ترجمه رقم (٧٥٨٥)، الطبقات الكبرى (٨ / ٢٣٠)، تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٧٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧٧

أَجُورَهُنَّ وَلَا تُنْسِيَنَّ كُؤَا بَعْصِمِ الْكُؤَا فِرِّ وَ شَيْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنه: ٩ - ١٠].

### غزوه خيبر

و لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه من الحديبيه مكث بها ذا الحجه منسلخ سنه ست، و بعض المحرم من سنه سبع. ثم خرج فى بقيه منه إلى خيبر غازيا.

و كان الله وعده إياها و هو بالحديبيه بقوله عز من قائل: وَ عَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [الفتح: ٢٠] يعنى بالمعجل صلح الحديبيه، و المغانم الموعود بها فتح خيبر.

فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنجزا ميعاد ربه و واثقا بكفايته و نصره، و دفع الرايه إلى على بن أبى طالب- و كانت بيضاء- فسلك على عصر فبنى له فيها مسجدا، ثم على الصهباء، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم و بين غطفان ليحول بينهم و بين أن يمدوا أهل خيبر و كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر أن غطفان لما سمعت منزله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى إذا ساروا منقله سمعوا خلفهم فى أموالهم و أهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم و أموالهم و خلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و خيبر.

قال أبو معتب بن عمرو: لما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه و أنا فيهم: «قفوا» (١). ثم قال: «اللهم رب السموات السبع و ما أظللن، و رب الأرضين السبع و ما أقللن، و رب الشياطين و ما أضللن، و رب الرياح و ما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و خير ما فيها، و نعوذ بك من شرها و شر أهلها و شر ما فيها» ثم قال: «أقدموا بسم الله» (٢). قال: و كان يقولها لكل قرية دخلها.

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١ / ١٣٤).

(٢) انظر الحديث فى: مستدرک الحاكم (١ / ٤٤٦، ٢ / ١٠٠)، تفسير القرطبي (٨ / ١٧٥)، مشكل الآثار للطحاوى (٢ / ٣١٢، ٣ / ٢١٥)، زاد المسير لابن الجوزى (٨ / ٢٩٩)، الدر المنثور للسيوطى (٤ / ٢٢٤)، التاريخ الكبير للبخارى (٦ / ٤٧٢)، المعجم الكبير للطبرانى (٨ / ٣٩)، البدايه و النهايه لابن كثير (٤ / ١٨٣)، دلائل النبوه للبيهقى (٤ / ٢٠٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧٨

و قال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك و إن لم يسمع أذانا أغار، فنزلنا خيبر ليلا، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا فركب و ركبنا معه، فركبت

خلف أبي طلحة و إن قدمي لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم و استقبلنا عمال خبير غادين قد خرجوا بمساحيهم و مكاتلهم، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و الجيش قالوا: محمد و الخميس معه. فأدبروا هرابا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (١).

قال ابن إسحاق (٢): و تدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا و يفتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، و عنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رحي منه فقتله، ثم القموص حصن أبي الحقيق، و أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهن صفية بنت حبي بن أخطب، و كانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق و بنتي عم لها، فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية بن خليفة الكلبى، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها، و كان بلال هو الذى جاء بصفية و بأخرى معها فمر بها على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت و صكت و جهها و حثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أغربوا عنى هذه الشيطانة» (٣)، و أمر بصفية فحيزت خلفه و ألقى عليها رداؤه، فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟!» (٤).

و كانت صفية قد رأت فى المنام و هى عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا! فلطم وجهها لطمه حضر عينها منها. فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر.

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (١/١٠٤، ١٥٩، ١٩/٢، ٥٨/٤، ٢٥٣)، صحيح مسلم (١٠٤٣، ١٠٤٤)، سنن النسائى (٦/١٣٢)، مسند الإمام أحمد (٢/١٠٢، ١٦٤، ١٨٦، ٢٤٦، ٢٦٣)، السنن الكبرى للبيهقى (٢/٢٣٠، ٥٥/٩، ٧٩، ٨٠، ١٥٢)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/٢١٥)، موطأ مالك (٤٦٩)، مصنف ابن أبى شيبة (١٤/٤٦١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٧٧، ٧٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٨٣، ١٨٤، ١٩٦)، دلائل النبوة للبيهقى (٤/٢٠٣، ٢٢٧).

(٢) انظر السيرة (٣/٣٠٤).

(٣) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٩٧).

(٤) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٩٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٧٩

و لما أعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبير أو ببعض الطريق و بات بها فى قبه له، بات أبو أيوب الأنصارى متوشحا السيف يحرسه و يطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى مكانه قال: «ما لك يا أبا أيوب؟» قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، و كانت امرأة قد قتلت أباهها و زوجها و قومها و كانت حديثه عهد بكفر فحفتها عليك.

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى» (١).

و أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع - و كان عنده كنز بنى النضير - فسأله عنه فوجد أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخبرة كل غداة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة: أ رأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟ قال: نعم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فأبى أن يريه، فأمر به الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده. فكان الزبير يقده بزند فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

و فشت السبايا من خبير فى المسلمين و أكل المسلمون لحوم الحمر من حمرها.

قال ابن عقبة: كانت أرضا و خيمة شديدة الجهد، فجهد المسلمون جهدا شديدا و أصابهم مسغبة شديدة فوجدوا أحمره إنسية ليهود لم يكونوا أدخلوها الحصن فانتحروها، ثم وجدوا في أنفسهم من ذلك، فذكروها لرسول الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن أكلها. قال أبو سليلط فيما ذكر ابن إسحاق: أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية و القدور تفور بها فكفأناها على وجوهها.

و ذكر- أيضا- أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قام- يومئذ- في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم، قال مكحول: نهاهم- يومئذ- عن أربع: عن إتيان الجبالى من النساء، و عن أكل الحمار الأهلى، و عن أكل كل ذى ناب من السباع، و عن بيع المغنم حتى تقسم. و حدث جابر بن عبد الله و لم يشهد خيبر: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل.

(١) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندي (٣٧٨٠٥)، البداية و النهاية لابن كثير (٢١٢ /٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٠

و افتتح رويغ بن ثابت قرية من قرى المغرب يقال لها: جربه، فقال خطيبا فقال: يا أيها الناس، إنى لا أقول لكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فينا يوم خيبر، قام فينا فقال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أ، يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها، و لا- يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم، و لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يركب دابة من فء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، و لا يحل لامرئ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه» (١).

و قال عبادة بن الصامت: نهانا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، و تبر الفضة بالورق العين، و قال: «ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، و تبر الفضة بالذهب العين».

و لما أصاب المسلمين بخيبر ما أصابهم من الجهد أتى بنو سهم من أسلم رسول الله صلى الله عليه و سلم. فقالوا: يا رسول الله، لقد جهدنا و ما بأيدينا من شىء. فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا يعطيهم إياه، فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم و أن ليست بهم قوة و أن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء و أكثرها طعاما و ودكا» (٢). فغدا الناس و فتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، و ما بخيبر كان أكثر طعاما و ودكا منه.

و لما افتتح رسول الله صلى الله عليه و سلم من حصونهم ما افتتح و حاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم «الوطيح» و «السالام» و كانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بضع عشرة ليلة، و خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه و هو ينادى: من يبارز، و يرتجز:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا و حيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب

إن حماى للحمى لا يقرب

(١) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٢١٥٨، ٢١٥٩)، مسند الإمام أحمد (١٠٨ /٤، ٣٨٥ /٦)، إرواء الغليل للألبانى (٢٠١ /١)، شرح السنة للبيهقى (٣٢١ /٩)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠ /٤)، البداية و النهاية لابن كثير (١٩٢ /٤)، السنن الكبرى للبيهقى (٩ /١٢٤).

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢٢٣ /٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨١

فأجابه كعب بن مالك فقال:

قد علمت خبير أنى كعب مفرج الغمى جرىء صلب  
حيث تشب الحرب ثم الحرب معى حسام كالعقيق غضب  
نظؤكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يفاء النهب  
بكف ماض ليس فيه عتب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لهذا؟» قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخى بالأمس. قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه» (١). فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صحابه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيفه فيها فعضت به فأمسكته، و ضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول: من يبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام، فيما ذكر هشام بن عروة- فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله، قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله. فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير.

وحدث سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار» (٢) فدعا على بن أبى طالب- رضى الله عنه- وهو أرمم فتفل فى عينيه ثم قال: «خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك» (٣). فخرج وهو يهرول بها هرولة و إنا لخلقته نتبع أثره، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال:

من أنت؟ قال: أنا على بن أبى طالب. قال: اليهودى: علوتم و ما أنزل على موسى- أو كما قال- فما رجعت حتى فتح الله على يديه.  
و قال أبو رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: خرجنا مع على- رضى الله عنه- حين بعثه

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٨٥)، السنن الكبرى للبيهقى (٩/ ١٣١)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٥٠)، دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٢١٥)، كنز (١٢٢/ ٣٠).

(٢) انظر الحديث فى: السنة لابن أبى عاصم (٢/ ٦٠٨)، الأسماء و الصفات للبيهقى (٤٩٨).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٢١٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضر به رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقله.

وحدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال: إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشيبة إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم و نحن محاصروهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟» (١) فقال أبو اليسر: أنا يا رسول الله، قال: «فافعل». قال:

فخرجت أشد مثل الظليم، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال: «اللهم أمتعنا به!» (٢) قال: فأدرت الغنم و قد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ثم أقبلت بهما أشد كأنه ليس معى شىء حتى ألقىتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبجوهما فأكلوهما. فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال: أمتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم!

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم «الوطيح» و «السالام» حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم و أن يحقن لهم دماءهم ففعل. و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها: الشق و نطأة و الكتبية؛ و جميع حصونهم إلا ما كان من دينك الحصنين، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه أن يسيرهم و أن يحقن لهم دماءهم و يخلوا له الأموال ففعل.

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف، و قالوا: نحن أعلم بها منكم و أعمر لها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين.

و كانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل و لا ركاب. فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية. و قد سألت أى عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها: الذراع فأكثرت فيها من السم. ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣/٤٢٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/١٤٩).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٣/٤٢٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/١٩٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٣

منها مضغة فلم يسغها و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأساغها و أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: «إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم» «١». ثم دعا بها فاعترفت. فقال: «ما حملك على ذلك؟» «٢» قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكا استرحت منه؛ و إن نبيا فسيخبر. فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و مات بشر بن البراء من أكلته التى أكل.

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الكتف من تلك الشاة فانتهش منها و تناول بشر عظما فانتهش منه؛ فلما استرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته استرط بشر ما فى فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أنى بغيت فيها». فقال بشر بن البراء: و الذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما معنى أن ألفظها إلا- أنى اعظمت أن أنغصك طعامك، فلما أسغت ما فى فيك لم أكن أرغب بنفسى عن نفسك، و رجوت أن لا تكون استرطتها و فيها بغى.

فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان و ما طله و جعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول.

قال جابر بن عبد الله: و احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يومئذ - على الكاهل، حجه أبو طيبة مولى بنى بياضة. و بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان و جعه الذى توفى منه، فدخلت عليه أم بشر، بنت البراء بن معرور تعوده فيما ذكر ابن إسحاق فقال لها: «يا أما بشر: إن هذه لأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخير» «٣».

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢١١).

(٢) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (٢٠٦٥)، السنن الكبرى للبيهقى (٧/٣٨٦، ٩/١٤٧)، مستدرک الحاكم (١/٤٨٣، ٣/٣٠١)، المعجم الكبير للطبرانى (١/٢٢٧، ١١/٢٣٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (٨/٢٩٥، ٩/٣٠٣، ٣٠٤)، مصنف عبد الرزاق (١٥٢٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٠٩)، الدر المنثور للسيوطى (٣/٣٥٣، ٦/١٨٣)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٢/٣٣٠٢)، فتح



البارى لابن حجر (١٧/٤٩٧)، إرواء الغليل للألبانى (٧/١٧٩)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/١٠٠)، العلل المتناعية لابن الجوزى (١/٢٢٩).

(٣) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢١١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٨٤

قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله من النبوة.

و لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهله ليالى ثم انصرف راجعا إلى المدينة.

قال أبو هريرة: لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير إلى وادى القرى نزلناها أصلا مع مغرب الشمس، و مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام أهداه له رفاعه بن زيد الجذامى ثم الضبيى، فو الله إنه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب فأصابه فقتله، فقلنا:

هنيئا له الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا و الذى نفس محمد بيده، إن شملته- الآن- لتحرق عليه فى النار، كان غلها من فىء المسلمين يوم خير» «١». فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له: يا رسول الله، أصبت شركين لنعلين لى. فقال:

«يقد لك مثلهما من النار» «٢».

و خرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قال: لما كان يوم خير أقبل نفر من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد و فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا، إنى رأيت فى النار فى برده غلها أو عباءة». ثم قال: «يا بن الخطاب، أذهب فناد فى الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» «٣». قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

و شهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمات، فرضخ لهن عليه السلام من الفىء، و لم يضرب لهن بسهم. حدثت بنت [أبى] الصلت عن امرأة غفارية سمتهها قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار و هو يسير إلى خير: فقلن يا رسول الله، قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنداوى الجرحى و نعين المسلمين بما استطعنا. فقال: «على بركة الله» «٤». قالت: فخرجنا معه، فلما افتتح خير رضح لنا من

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٨/١٧٩)، صحيح مسلم فى كتاب الإيمان باب (٤٨)، رقم (١٨٣)، السنن الكبرى للبيهقى (٩/١٠٠)، مستدرک الحاكم (٣/٤٠)، التمهيد لابن عبد البر (٢/٣).

(٢) انظر الحديث فى: مستدرک الحاكم (٣/٤٠).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح مسلم، الجامع الصحيح (١/٧٥)، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول.

(٤) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٦/٣٨٠)، السنن الكبرى للبيهقى (٢/٤٠٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢١٤)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢٠٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٨٥

الفىء و أخذ هذه القلادة التى تزين فى عنقى فأعطانيها و علقها بيده فى عنقى، فو الله لا تفارقنى أبدا. قالت: فكانت فى عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تدفن معها.

و استشهد بخير من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن الأكوع عم سلمه ابن عمرو بن الأكوع؛ و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له فى مسيره إلى خير: «انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من هناتك» «١» فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم



فقال:

و الله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

فأنزلن سكينته علينا وثبت الأقدام إن لاقينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحمك الله» (٢). فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به! فقتل يوم خيبر شهيدا، وكان قتله أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه، فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتى سأل ابن أخيه سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأخبره بقول الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه لشهيد» (٣)، و صلى عليه. فصلى عليه المسلمون.

و منهم الأسود الراعي من أهل خيبر، وكان من حديثه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، أعرض علي الإسلام فعرضه عليه فأسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا أن يدعوه إلى الإسلام ويعرضه عليه، فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ قال: «اضرب فى وجوهها فإنها سترجع إلى ربها» - أو كما قال - فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها فى وجهها وقال: ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك. و خرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله، و ما صلى لله صلاة قط، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه و سجد بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و معه نفر من أصحابه ثم أعرض

(١) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (١٦/٤)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٤٨/٦)، التاريخ الكبير للبخارى (١٠٠/٨)، فتح البارى لابن حجر (٤٦٥/٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٧/٢/٤)، البداية و النهاية لابن كثير (١٨٢/٤).

(٢) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (١٨٣/٤).

(٣) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (١٦/٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٦

عنه فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: «إن معه - الآن - زوجته من الحور العين!».

و ذكر ابن إسحاق (١) عن عبيد بن أبى نجيح أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجته من الحور العين عليه ينفضان التراب عن وجهه و يقولان: ترب الله وجه من تربك و قتل من قتلك.

قال: و لما افتتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال: يا رسول الله، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبى طلحة و مالا متفرقا فى تجار أهل مكة، فأذن لى يا رسول الله فأذن له؛ قال: إنه لا بد لى يا رسول الله من أن أقول. قال: قل.

قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار و يسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قد بلغهم أنه سار إلى خيبر و عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا و منعة و جالا، فهم يتحسسون الأخبار و يسألون الركبان، فلما رأونى و لم يكونوا علموا بإسلامى قالوا: الحجاج بن علاط؟ عنده و الله الخبر، أخبرنا يا أبا محمد فإنه بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر و هى بلد يهود و ريف الحجاز. قلت: قد بلغنى ذلك و عندي من الخبر ما يسركم. قال: فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون: إيه يا حجاج؟ قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثله قط و قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط و أسر محمد أسرا، و قالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا و صاحوا بمكة و قالوا: قد جاءكم الخبر و هذا محمد إنما تنظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم.

قال: فقلت أعينوني على جمع مالى بمكة على غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب به من أهل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. فقاموا فجمعوا إلى مالى كأحث جمع سمعت به و جئت صاحبتى فقلت: مالى- وقد كان لى عندها مال موضوع- لعلى الحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار.

قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى و أنا فى خيمة من خيام التجار فقال: يا حجاج، ما هذا الذى جئت به؟ قلت: و هل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قلت: فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء

(١) انظر السيرة (٣/ ٣٢٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٧

فإني فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى أفرغ قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة و أجمعت الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ على حديثى يا أبا الفضل- فإني أخشى الطلب- ثلاثا ثم قل ما شئت. قال: أفعل. قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم- يعنى صفيه بنت حبي- و لقد افتتح خيبر و انتشل ما فيها و صارت له و لأصحابه. قال: ما تقول يا حجاج؟ قلت: إى و الله فاكنتم عنى، و لقد أسلمت و ما جئت إلا لأخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرى فهو و الله على ما تحب.

قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حله له و أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا و الله التجلد لحر المصيبة! قال: كلا و الله الذى حلفتكم به، لقد افتتح محمد خيبر و ترك عروسا على ابنة ملكهم و أحرز أموالهم و ما فيها فأصبحت له و لأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر، قال: الذى جاءكم بما جاءكم به، و لقد دخل عليكم مسلما و أخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد و أصحابه فيكون معه. قالوا: يا عباد الله! انفلت عدو الله، أما و الله لو علمنا لكان لنا و له شأن. و لم ينشبو أن جاءهم الخبر بذلك.

و قال كعب بن مالك الأنصارى فى يوم خيبر:

و نحن وردنا خيبرا و فروضه بكل فتى عارى الأشاجع مذود

جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرىء على الأعداء فى كل مشهد

عظيم رماد القدر فى كل شتوة ضروب بنصل المشرفى المهند

يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها و فوزا بأحمد

يدود و يحمى عن ذمار محمدمو يدمع عنه بالسان و باليد

و ينصره من كل أمر يريه وجود بنفس دون نفس محمد و ذكر ابن عقبة أن بنى فزارة قدموا على أهل خيبر فى أول أمرهم ليعينوهم، فراسلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن لا يعينوهم و أن يخرجوا عنهم على أن يعطيهم من خيبر شيئا سماه لهم، فأبوا عليه و قالوا: جيراننا و حلفاؤنا. فلما فتح الله خيبر أتاه من كان هناك من بنى فزارة فقالوا: الذى وعدتنا؟ فقال: «لكم ذو الرقيبة»- لجبل من جبال خيبر- قالوا: إذن نقاتلك؟ قال: «موعدكم جنفاء» فلما سمعوا ذلك من رسول الله خرجوا هارين.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٨

قال ابن إسحاق «١»: و كانت المقاسم على أموال خيبر على الشق و نظاة و الكتيبة، و كانت الشق و نظاة فى سهمان المسلمين، و كانت الكتيبة خمس الله و سهم النبى صلى الله عليه و سلم و سهم ذوى القربى و المساكين و طعم أزواج النبى صلى الله عليه و سلم و طعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين أهل فدك بالصلح.

و قسمت خيبر على أهل الحديدية من شهد خيبر، و من غاب عنها، و لم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له

رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها.

و في هذه الغزوة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم سهران الخيل و الرجال، فجعل للفرس سهمين و لفارسه سهمًا و للراجل سهمًا، فجرت المقاسم على ذلك فيما بعد، و يومئذ عرب العربي من الخيل و هجن الهجين.

و ذكر ابن عقبة أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير نفر من الأشعرين فيهم أبو عامر الأشعري، قدموا المدينة مع مهاجرة الحبشة و رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، فمضوا إليه و فيهم أبان بن سعيد بن العاص و الطفيل - يعنى ابن عمرو الدوسى ذا النور- و أبو هريرة و نفر من دوس، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم و رأيه الحق أن لا- يخيب مسيرهم و لا- يبطل سفرهم فشر كهم فى مقاسم خير و سأل أصحابه ذلك فطابوا به نفسا.

و لم يذكر ابن عقبة جعفر بن أبى طالب فى هؤلاء القادمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير من أرض الحبشة و هو أولهم و أفضلهم، و ما مثل جعفر يتخطى ذكره، و من البعيد أن يغيب ذلك عن ابن عقبة، فالله أعلم بعذره.

و قد ذكر ابن إسحاق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث مرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فيمن كان أقام بأرض الحبشة من أصحابه فحملهم فى سفينتين فقدم بهم عليه و هو بخير بعد الحديبية. فذكر جعفر أولهم و ذكر معه ستة عشر رجلا قدموا فى السفينتين صحبتة. و ذكر ابن هشام عن الشعبي أن جعفرًا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خير فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين عينيه و التزمه و قال: «ما أدري بأيتهما أنا أسر، أ بفتح خير أم بقدم جعفر؟» (٢).

و لما جرت المقاسم فى أموال خير اتسع فيها المسلمون و وجدوا بها مرفقا لم يكونوا

(١) انظر السيرة (٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر الحديث فى: مصنف ابن أبى شيبة (١٢/ ١٠٦، ١٤/ ٣٤٩)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١/ ٧٨)، المعجم الكبير للطبرانى (٢/ ١٠٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٢٠٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٨٩

و جدوه قبل، حتى لقال عبد الله بن عمر- رضى الله عنهما- فيما خرج له البخارى فى صحيحه: ما شعبنا حتى فتحنا خير.

و أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خير فى أموالهم يعملون فيها للمسلمين على النصف مما يخرج منها كما تقدم.

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى أهل خير عبد الله بن رواحة خالصا بين المسلمين و بين يهود فيحرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا. قال: إن شئتم فلكم و إن شئتم فلنا. فتقول يهود: بهذا قامت السموات و الأرض!

قال: و إنما حرص عليهم عبد الله عاما واحدا ثم أصيب بمؤتة- يرحمه الله- فكان جبار بن صخر أخو بنى سلمة هو الذى يحرص عليهم بعده.

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم حتى عدوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و المسلمون عليه و كتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه و لا يعلمون له قاتلا، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده و أقرهم على ما سبق من معاملته إياهم.

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرهم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفى، ثم أقرهم عمر صدرا من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه: «لا- يجتمعن بجزيرة العرب دينان». ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله قد أذن فى جلائكم، قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«لا- يجتمعن بجزيرة العرب دينان» (١) فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتنى به أنفذه له، و من لم يكن عنده عهد من رسول الله فليتهجز للجلاء. فأجلى عمر منهم من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عبد الله بن عمر: خرجت أنا و الزبير و المقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا فعدي على تحت الليل فقرعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ على أصحابي فأتياني فأصالحا من يدي؛ ثم قاما بي على عمر فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيبا فقال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، و قد عدوا على عبد الله بن عمر

(١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيتمي (١٢١ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٩٠

فقدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصاري قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإني مخرج يهود. فأخرجهم.

و لما أخرج عمر -رضى الله عنه- يهود خيبر ركب في المهاجرين و الأنصار و خرج معه بجبار بن صخر - و كان خاوص أهل المدينة و حاسبهم - و يزيد بن ثابت، فهما قسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها، و ذلك أن الشق و النطاء اللتين هما سهم المسلمين قسمت في الأصل على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ثمانية عشر سهما: نطاء من ذلك خمسة أسهم و الشق ثلاثة عشر سهما، ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهما إلى مائة سهم، لكل رجل سهم و لكل فرس سهمان؛ و كانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل و أربعمائة رجل و مائتي فرس، فذلك ألف سهم و ثمانمائة سهم.

### عمرة القضاء «١» و هي غزوة الأمن

قال ابن إسحاق (٢): و لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع و ما بعده إلى شوال، يبعث فيما بين ذلك سراياه.

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صد فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها، و خرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، و هي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه.

قال ابن عقبة: و تغيب رجال من أشرفهم خرجوا إلى بوادي مكة كراهية أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم غيظا و حنقا و نفاسة و حسدا.

و تحدثت قريش بينها فيما ذكر ابن إسحاق: أن محمدا و أصحابه في عسرة و جهد و شدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه و إلى أصحابه.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد اضطجع بردائه و أخرج عضده اليمنى ثم قال:

(١) انظر: المغازي للواقدي (٧٣١ / ٢)، طبقات ابن سعد (٨٧ / ١ / ٢)، البداية و النهاية (٢٢٦ / ٤).

(٢) انظر السيرة (٥ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٤٩١

«رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» «١» ثم استلم الركن و خرج يهرول و يهرول أصحابه معه، حتى إذا وراه البيت منهم و استلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف و مشى سائرهما فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما صنعها لهذا الحي من قريش الذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها.

و لما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة في تلك العمرة و عبد الله بن رواحة يرتجز بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إنى مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث ابن حزن الهلالية، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، و كانت تحته أختها أم الفضل بنت الحارث، و قيل: جعلت أمرها إلى أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصدقها عنه أربعمائه درهم.

و قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم نسكه، و أقام بمكة ثلاث ليال، و كان ذلك أجل القضية يوم الحديبية. فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو و حويطب عبد العزى. [في نفر من قريش] و رسول الله صلى الله عليه و سلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن بن عبادة فصاح حويطب: ناشدك الله و العقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث. فقال سعد: كذبت لا أم لك إنها ليست بأرضك و لا أرض أبيك و الله لا يخرج إلا راضيا، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و ضحك: «يا سعد، لا- تؤذ قوما زارونا في رحالنا». ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم و صنعنا لكم طعاما فحضرتموه؟» «٢» قالوا: لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا.

فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا رافع مولاة فأذن بالرحيل، و خلف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها بسرف و قد لقيت و من معها عناء و أذى من سفهاء المشركين و صبيانهم، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم بسرف ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة. ثم كان من قضاء الله سبحانه أن ماتت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين، فتوفيت حيث بنى بها.

قال موسى بن عقبه: و ذكر أن الله- تعالى- أنزل في تلك العمرة: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ [البقرة: ١٩٤].

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم (٢/ ٢٤٠، ٩٢٣)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) انظر الحديث في: الحاكم في المستدرک (٤/ ٣١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٩٢

و ذكر ابن هشام أنها يقال لها: «عمرة القصاص» لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن العمرة في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقتص منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و دخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع.

### غزوة مؤتة من أرض الشام «١»

و لما صدر رسول الله صلى الله عليه و سلم من عمرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحو من ستة أشهر، ثم بعث إلى الشام في جمادة الأولى من سنة ثمان بعثه الذين أصيبوا بمؤتة، و استعمل عليهم زيد بن حارثة، و قال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، و هم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه و سلم و سلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: و الله ما بى حب الدنيا و لا صباة بكم، و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ آية من كتاب الله و يذكر فيها النار: و إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم: ٧١] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود! فقال المسلمون: صحبكم الله و دفع عنكم وردكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنى أسأل الرحمن مغفرة و ضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنه بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء و الكبد

حتى يقال إذا مروا على جدثي ما أُرشد الله من غاز و قد رُشدا ثم إن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه و سلم فودعه ثم قال:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله و الوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين و نصرا كالذي نصرنا

إني تفرست فيك الخير نافلة فإسأه خالفت فيك الذي نظروا يعني المشركين.

ثم خرج القوم، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يشيعهم، حتى إذا ودعهم و انصرف عنهم

(١) راجع هذه الغزوة في: المنتظم لابن الجوزي (٣/٣١٨)، المغازي للواقدي (٢/٧٥٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢/٩٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢٤١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤٩٣

قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع و خليل و حدث زيد بن أرقم قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة في حجرة، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبته رحلة، فواله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه:

إذ أدنيتني و حملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمي و خلاك ذم و لا أرجع إلى أهلي ورائي

و جاء المسلمون و غادروني بأرض الشام مشتهي الثواء

و ردك كل ذي رحم قريب إلى الرحمن منقطع الرجاء

هنالك لا أبالي طلع بعل و لا نخل أسافلها وراء فلما سمعتهم بكيت فحفقني بالدره و قال: و ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة و ترجع بين شعبي الرحل؟!

ثم مضى القوم حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم و انضم إليهم من لحم و جذام و القين و بهراء و بلى مائة ألف منهم.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم و قالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا بالرجال و إما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال: يا قوم، و الله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون، الشهادة، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوة و لا كثرة، و ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور و إما شهادة، فقال الناس: صدق و الله ابن رواحة. فمضى الناس و قال عبد الله في مجلسهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجأ و فرع تعر من الحشيش لها العكوم

حذوناها من الصوان سبتأزل كأن صفحته أديم «١»

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم

فرحنا و الجياد مسومات تنفس في مناخرها السموم

(١) حذوناها: أي جعلنا لها حذاء، و هو النعل. و الصوان: حجارة ملس. و السبت: النعال المصنوعة من الجلد المدبوغ.

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٤٩٤ فلا و أبي مآب لتأنيها و إن كانت بها عرب و روم



فعبأنا أعتتها فجاءت عوايس و الغبار لها بريم

بذى لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوانسها النجوم

فراضية المعيشة طلققتها أستنها فتكح أو تميم ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم اللقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم و العرب بقرية من قرى اللقاء يقال لها: مشارف. ثم دنا العدو و انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها. فتعبي لهم المسلمون فجعلوا على ميمتهم رجلا- من بنى عذرة يقال له: قطبة بن قتادة و على ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له: عباية بن مالك، و يقال: عبادة. ثم التقى الناس فاقتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براهة رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء. قال أحد بنى مرة بن عوف و كان في تلك الغزوة: و الله لكأنى أنظر إليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل و هو يقول:

يا حبذا الجنة و اقترابها طيبة و بارد شرابها

و الروم روم قد دنا عذابها على إذ لاقيتها ضرابها و كان جعفر أول من عقر في الإسلام فرسه.

و لما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها و هو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلن لتنزلن أو لتكرهه

إن أجلب الناس و شدوا الرنه ما لى أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه و قال أيضا:

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت

و ما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هديت يعنى صاحبيه زيدا و جعفرا. ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه من يده فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: و أنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٩٥

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بنى العجلان فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت. قال ما أنا بفاعل، فاصطلح القوم على خالد بن الوليد.

فلما أخذ الراية دافع القوم و خاشى بهم ثم انحاز و انحيز عنه، حتى انصرف بالناس.

و لما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا»، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى تغيرت وجوه الأنصار و ظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا». ثم قال: «لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة أزورارا عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا؟ فقيل لى: مضيا و تردد عبد الله بعض التردد ثم مضى» (١).

و ذكر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما حيث شاء.

و يقال: إن رجلا من الروم ضربه - يومئذ - فقطعه نصفين.

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال بالمدينة لما أصيبوا، قبل أن يأتية نعيمهم: «مر على جعفر بن أبى طالب فى الملائكة يطير كما يطيرون له جناحان». قال: و قدم يعلى ابن منبه على رسول الله صلى الله عليه و سلم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن شئت فأخبرنى و إن شئت أخبرتك». قال: فأخبرنى يا رسول الله فأخبره صلى الله عليه و سلم خبرهم كله



و وصفه له.

فقال: و الذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره، و إن أمرهم لكما ذكرت. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت معتركهم».

و حدثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر قالت: لما أصيب جعفر و أصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: «إيتيني بنى جعفر». و قد كانت غسلتهم و دهنتمهم و نظفتهم.

قالت: فأتيته بهم فشمهم و ذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبى أنت ما يبكيك؟

أبلغك عن جعفر و أصحابه شىء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقامت أصيح و اجتمع إلى النساء. و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أهله فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم» (٢).

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١٦٠ / ٦).

(٢) انظر الحديث فى: سنن ابن ماجه (١ / ١٦١٠)، سنن الترمذى (٣ / ٩٩٨)، السنن الكبرى للبيهقى (٤ / ٤١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٤٩٦

و قالت عائشة رضى الله عنها: لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم الحزن.

و لما انصرف خالد قافلا بالناس و دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون، و لقيهم الصبيان يشتدون و رسول الله صلى الله عليه و سلم مقبل مع القوم على دابته، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم و أعطوني ابن جعفر. فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه و جعل الناس يحثون على الجيش التراب و يقولون: يا فرار، فررتم فى سبيل الله! فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ليسوا بالفرار و لكنهم الكرار إن شاء الله» (١).

و قالت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه و سلم لامرأة سلمة بن هشام بن العامر بن المغيرة: ما لى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالت: و الله ما يستطع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: يا فرار، فررتم فى سبيل الله! حتى قعد فى بيته فما يخرج.

و قد قال فيما كان من أمر الناس و أمر خالد و مخاشاته بالناس و انصرفه بهم - قيس ابن المسحر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ و صنع الناس:

و و الله لا تنفك نفسى تلومنى على موقفى و الخيل قابعة قبل

وقفت بها لا مستجيزا فنافذاو لا مانعا من كان حم له القتل (٢)

على أننى آسيت نفسى بخالدألا خالد فى القوم ليس له مثل

و جاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل

و ضم إلينا حجزتهم كليهما مهاجرة لا - مشركون و لا - عزل فبين قيس فى شعره ما اختلف الناس فيه من ذلك: أن القوم حاجزوا و كرهوا الموت و حقق انحياز خالد بمن معه.

و كان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان بن ثابت:

تأوبنى ليل ييثرب أعسروهم إذا ما هوم الناس مسهر (٣)

لذكرى حبيب هيجت لى عبرة سفوحا و أسباب البكاء التذكر

بلى إن فقدان الحبيب بليء و كم من كريم يتلى ثم يصبر

رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب و خلفا بعدهم يتأخر

(١) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٢٥٣ /٤).

(٢) مستجيزا: أى منحازا إلى ناحية.

(٣) تأوبنى: أى عاودنى و رجع إلى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٩٧ فلا يبعدن الله قتلى تباعدوا جميعا و أسباب المنية تخطر إلى

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم الموت ميمون النقيبة أزهـر

أغر كضوء البدر من آل هاشم أبى إذا سيم الطلامه يجسر

فطاعن حتى مال غير موسد بمعترك فيه قنا متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه جنان و ملتف الحداثق أخضر

و كنا نرى فى جعفر من محمد و فاء و أمرا حازما حين يأمر

و ما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزلن و مفخر

هم جبل الإسلام و الناس حولهم رضام إلى طود يروق و يقهر

بهاليل منهم جعفر و ابن أمه على و منهم أحمد المتخير

و حمزة و العباس منهم و منهم عقيل و ماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج الأواء فى كل مأزق عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم و فيهم ذا الكتاب المطهر و قال كعب بن مالك فى ذلك:

نام العيون و دمع عينك يهمل سحا كما و كف الطباب المخضل

فى ليلة و ردت على همومها طوراً أحن و تارة أتململ

و اعتادنى حزن فبت كأننى بينات نعش و السماك موكل

و كأنما بين الجوانح و الحشامما تأوبنى شهاب مدخل

و جدا على نفر الذين تتابعوا يوماً بمؤته أسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليهم من فتية و سقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤته للإله نفوسهم حذر الردى و مخافة أن ينكلوا

فمضوا أمام المسلمين كأنهم فتق عليهم الحديد المرفل

إذ يهتدون بجعفر و لوائه قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف و جعفر حيث التقى و عث الصفوف مجدل

تغير القمر المنير لفقده و الشمس قد كسفت و كادت تأفل

قوم علا بنيانه من هاشم فرعا أشم و سؤددا ما ينقل

قوم بهم عصم الإله عباده و عليهم نزل الكتاب المنزل

فضلوا المعاشر عزة و تکرما و تغمدت أحلامهم من يجهل

لا يطلقون إلى السفاه جباهم و يرى خطيبهم بحق يفصل

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٩٨ بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل

و بهديهم رضى الإله لخلقهم و بحدتهم نصر النبى المرسل و قال حسان بن ثابت يبكى جعفرا:

و لقد بكيت و عز مهلك جعفر حب النبي على البرية كلها  
و لقد جزعت و قلت حين نعت لي من للجلاد لدى العقاب و ظلها «١»  
باليض حين تسل من أغمادها ضربا و انهال الرماح و عليها  
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها و أجلها  
رزأ و أكرمها جميعا محتدا و أعرها متظلما و أذلها  
للحق حين ينوب غير تنحل كذبا و أندائها يدا و أبلها  
بالعرف غير محمد لا مثله حتى من أحيا البرية كلها و قال شاعر من المسلمين ممن رجع عن غزوة مؤتة:  
كفى حزنا أنى رجعت و جعفر و زيد و عبد الله في رمس أقبر

قضوا نجهم لما مضوا لسبيلهم و خلفت للبوى مع المتغير و استشهد يوم مؤتة من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة- رضى الله عنهم- من قريش ثم من بنى عدى بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة. و من بنى مالك بن حسل: وهب بن سعد بن أبي سرح. و من الأنصار: عباد بن قيس من بنى الحارث بن الخزرج، و الحارث بن النعمان بن إساف من بنى غنم بن مالك بن النجار، و سراقه بن عمر بن عطية بن خنساء من بنى مازن بن النجار، و أبو كليب و يقال: أبو كلاب، و جابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول و هما لأب و أم. و عمر و عامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بنى مالك بن أفضى. و هؤلاء الأربعة عن ابن هشام.

### غزوة الفتح

و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة و رجا.  
ثم عدت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة على خزاعة، و لم يزالوا قبل ذلك متعادين، و كان الذى هاج ما بينهم أن حليفا للأسود بن رزن الديلى خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه و أخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة

(١) العقاب: اسم لراية الرسول صلى الله عليه و سلم.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٤٩٩

فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن سلمى و كلثوم و ذؤيب و هم منحر بنى كنانة و أشرافهم كانوا فى الجاهلية يودون ديتين ديتين لفضلهم فى قومهم، فقتلتهم خزاعة بعرفة عند أنصاب الحرم ثم حجز بينهم الإسلام و تشاغل الناس به.  
فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و دخلت بنو بكر فى عقد قريش. فلما كانت الهدنة اغتمتها بنو الديلى فخرجوا حتى بيتوا خزاعة على الوتير «١»- ماء لهم- فأصابوا منهم رجلا و تحاجزوا و اقتتلوا و رفدت قريش بنى بكر بالسلاح و قاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا.

فلما تظاهرت بنو بكر و قريش على خزاعة و نقضوا ما كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم من العهد و الميثاق بما استحلوا منهم و كانوا فى عقده و عهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى الكعبى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة فوقف عليه و هو جالس فى المسجد بين ظهرى الناس فقال:

يا رب إنى ناشد محمدا حلف أبينا و أبية الأتلا

قد كنتم ولدا و كنا والداتم أسلمنا فلم نزرع يدا

فانصر هداك الله نصرنا أعتداو ادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا

إن سيم خسفا وجهه تبردافي فيلق كالبحر يجرى مزبدا  
 إن قريشا أخلفوك الموعداوا نقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وجعلوا لى فى كداء رصداوا زعموا أن لست أدعو أحدا  
 وهم أذل و أقل عدداهم بيتونا بالوتير هجدا  
 و قتلونا ركعا و سجدا  
 يقول: قتلنا و قد أسلمنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نصرت يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب» (٢). ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم

(١) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.

(٢) انظر الحديث فى: «دلائل النبوة للبيهقى (٥/٦، ٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/١٦٣، ١٦٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٠

و مظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: «كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد و ليزيد فى المدة» (١).

و مضى بديل بن ورقاء فى أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد و يزيد فى المدة و قد رهبوا الذى صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ و ظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: سيرت فى خزاعة فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى. قال: أو ما جئت محمدا؟ قال: لا. فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها النوى. فأتى مبرك راحته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنت رجل نجس مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه. قال: و الله يا بنية لقد أصابك بعدى شر!

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلمه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فو الله لو لم أجد إلا-الذر لجاهدتكم به. ثم خرج حتى دخل على على بن أبى طالب و عنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و عندها حسن بن على غلام يدب بين يديها فقال: يا على، إنك أمس القوم بى رحما و إنى قد جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت فاشفع لى، قال: ويحك يا أبا سفيان، و الله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكمله فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

قالت: و الله ما بلغ بنى ذلك أن يجبر بين الناس، و ما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال:

يا أبا حسن، إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: و الله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا و لكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم ألحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال: لا و الله ما أظنه و لكننى لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٢٨١ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠١

سفيان فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق. فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا. ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو. و يقال: أعدى العدو، ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم، و قد أشار على بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغنى شيئا أم لا؟ قالوا: و بم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك! و الله ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت. قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك.

و أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز و أمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة و هى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أى بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا و الله ما أدري.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة و أمرهم بالجد و التهيؤ، و قال:

«اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبعتها فى بلادها» (١)؛ فتجهز الناس.

و كتب حاطب بن أبى بلتعنة عند ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة و جعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا. فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به. و أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب و الزبير بن العوام فقال: أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا له فى أمرهم. فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها و التمسها فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على: أحلف بالله ما كذب رسول الله و لا كذبتنا و لتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجد منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعته إليه. فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا؟» قال: يا رسول الله، أما و الله إني لمؤمن بالله و برسوله ما غيرت و لا بدلت، و لكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل فصانعتهم عليه؛ فقال عمر: يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه فإن الرجل نافق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و ما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (٢).

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١٦٤ / ٦). البداية و النهاية لابن كثير (٢٨٨٣ / ٤).

(٢) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٧٩ / ١، ٨٠، ١٠٥)، سنن الترمذى (٣٣٠٥ / ٥)، صحيح البخارى فى كتاب الجهاد و السير (٦ / ٣٠٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٢

فأنزل الله فى حاطب: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عِدْوِيَّ و عِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ و قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ الْآيَاتِ كُلِّهَا إِلَى قَوْلِهِ: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ و الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُؤَا مِنْكُمْ و مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ و بَدَا بَيْنَنَا و بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ و الْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ [الممتحنة: ١-٤] إلى آخر القصة.

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين، و قيل فى اثني عشر ألفا، فسبعت سليم و قيل: ألفت و ألفت مزينة، و فى كل القبائل عدد و إسلام. و أوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون و الأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد.

وقد كان ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة لقيه بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه و كلمته أم سلمة فيهما و هي أخت عبد الله منهما فقالت: يا رسول الله، ابن عمك و ابن عمتك و صهرك. قال: «لا- حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي و أما ابن عمتي و صهرى فهو الذى قال لي بمكة ما قال». فلما خرج الخبر إليهما بذلك قال أبو سفيان- و معه بنى له- و الله ليأذن لي أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما، فدخلنا عليه فأسلما، و أنشده أبو سفيان:

لعمرك إنى يوم أحمل رايه لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى و أهتدى

هدانى هاد غير نفسى و قادنى مع الله من طردت كل مطرد فزعموا أنه لما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره و قال: «أنت طردتنى كل مطرد» «١».

و عميت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش، فلا يأتهم خبر عنه و لا يدرون ما هو فاعل.

و خرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار. و كان العباس بن عبد المطلب قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله، و كان قبل ذلك مقوما بمكة على سقايته و رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض.

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١٦٥-١٦٧)، مستدرک الحاكم (٣/ ٤٣، ٤٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٣

قال العباس: فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قلت: و اصباح قريش و الله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت:

لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه. فو الله إنى لأسير عليها و التمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان و بديل بن ورقاء و هما يتراجعان و أبو سفيان يقول: ما رأيت كالليله نيرانا قط و لا عسكريا. قال: يقول بديل: هذه و الله خزاعة حمستها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكريا. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فداك أبى و أمى؟! قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس و اصباح قريش و الله. قال: فما الحيلة فداك أبى و أمى؟ قلت: و الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك. فركب خلفى و رجع صاحباه، فجئت به كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنا عليها قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب فقال: من هذا؟ و قام إلى، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد و لا عهد. ثم خرج يشهد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم و ركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطينة الرجل البطيء فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و دخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد و لا عقد فدعنى فلاضرب عنقه. قلت: يا رسول الله، إنى قد أجزته؛ ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت: و الله لا ينجيه الليلة رجل دونى. فلما أكثر عمر فى شأنه قلت: مهلا يا عمر، فو الله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا، و لكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف. فقال: مهلا- يا عباس، فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بى إلا أنى عرفت أن

إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من إسلام الخطاب، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به»؛ فذهبت به إلى رحلى فبات عندي، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» قال:

بأبى أنت و أمى ما أحلمك و أكرمك و أوصلك و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا بعد. قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٤

الله؟» قال: بأبى أنت و أمى ما أحلمك و أكرمك و أوصلك، أما و الله هذه فإن فى نفسى منها شيئا حتى الآن. قال له العباس: ويحك، أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق و أسلم. قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا.

قال: «نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن».

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها». قال: فخرجت فحبسته حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أحبسه «١». فمرت القبائل على رياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟

فأقول: سليم. فيقول: ما لى و لسليم. ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة.

فيقول: ما لى و لمزينة. حتى نفذت القبائل ما تمر قبيلة إلا سألتى عنها فإذا أخبرته بهم قال: ما لى و لبنى فلان. حتى مر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى كتيبه الخضراء فيها المهاجرون و الأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال: سبحان الله، يا عباس من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المهاجرين و الأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة! و الله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما. قلت يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم إذن. قلت: النجاء إلى قومك. حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا- قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم. قال: ويحكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، و ما تغنى عنا دارك؟

قال: و من أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن. فترق الناس إلى دورهم و إلى المسجد.

و لما انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء، و إنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عشونه ليكاد يمس وسط الرحل.

و لما وقف هناك قال أبو قحافة- و قد كف بصره- لابنه له من أصغر ولده: أى بنية

(١) سبق تخريجه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٥

أظهرى بى على أبى قبيس. فأشرفت به عليه، فقال: أى بنية ما ذا ترين؟ قالت: أرى سوادا مجتمعا قال: تلك الخيل. قالت: و أرى رجلا يسعى بين يدى السواد مقبلا و مدبرا. قال: أى بنية ذلك الوازع الذى يأمر الخيل و يتقدم إليها. ثم قالت: قد و الله انتشر السواد. فقال: قد و الله إذن دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى. فانحطت به، و تلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته و فى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة و دخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه صلى الله عليه و سلم قال:



«هلا- تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه!» فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه. قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له: «أسلم». فأسلم. و رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم و كأن رأسه ثغامة فقال: «غيروا هذا من شعره» «١». ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله و الإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، فقال: أي أختي احتسبي طوقك فو الله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل!

و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فرق جيشه من ذي طوى الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى، و كان على المجنبه اليسرى، و أمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدا، فذكروا أن سعدا حين وجه داخلا قال: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمه».

فسمعها رجل من المهاجرين، قيل: هو عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد، ما نأمن أن تكون له في قريش صولة. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلى بن أبى طالب: «أدركه فخذ الراية فكن أنت تدخل بها» «٢». و يقال: إنه أمر الزبير بذلك و جعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين. فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحجون و غرز بها راية رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و ذكر غير ابن إسحاق أن ضرار بن الخطاب قال- يومئذ- شعرا استعطف فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم على قريش حين سمع قول سعد، و هو من أجود شعر قاله:

يا نبي الهدى إليك لحاجي قريش و لات حين لاجاء

(١) ذكره الحاكم في المستدرک (٣/ ٤٦، ٤٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٧٣، ١٧٤).

(٢) انظر الحديث فى: الإصابة لابن حجر (٥/ ٢٥٤)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٦٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٦ حين ضاقت عليهم سعة الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان على القوم و نودوا بالصيلم الصلحاء

إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

فانهينه فإنه الأسد الأسود و الليث و الغ فى الدماء

فلئن أقحم اللواء و نادى يا حماة اللواء أهل اللواء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع فى أكف الإمام فحينئذ انتزع رسول الله صلى الله عليه و سلم الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا. و الله أعلم.

و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد- و كان على المجنبه اليمنى- فدخل من الليط أسفل مكة، فلقيته بنو بكر فقاتلوه فقتل منهم قريب من عشرين رجلا- و من هذيل ثلاثة أو أربعة، و انهزموا و قتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضضهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفة منهم على الجبال و اتبعهم المسلمون بالسيوف.

و أقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم من أذاخر فى المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة و ضربت هناك قبه. و لما علا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثنية كداء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال: ما هذا و قد نهيت عن القتال؟ فقال المهاجرون: نظن أن خالدًا قوتل و بدىء بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتل من قاتله، و ما كان يا رسول الله ليعصيك و لا ليخالف أمرك. فهبط رسول الله صلى الله عليه و سلم من الثنية فأجاز على الحجون.

و اندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة.

و جرح رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و كان قد أسلم و كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان و كان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال: «نعم». فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٠٧

حوله من أصحابه: «لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلا أوأمت إلى يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن النبي لا يقتل بالإشارة» (١). و في رواية: «إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة أعين».

و منهم: عبد الله بن خطل - رجل من بني تميم بن غالب - كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا و كان معه رجل مسلم يخدمه فأمره أن يصنع له طعاما و نام، فاستيقظ و لم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا، و كانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتلهما معه، فقتلت إحدهما و هربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها.

و قيل - يومئذ - لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة؛ فقال:

«اقتلوه». فقتله سعيد بن حريث المخزومي و أبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

و منهم: الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي و كان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، و لما حمل العباس بن عبد المطلب فاطمة و أم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة نخس بهما الحويرث هذا فرمى بهما إلى الأرض، فقتله يوم الفتح على بن أبي طالب.

و منهم: مقيس بن صبابه الليثي، و كان أخوه هشام بن صبابه قد قتله رجل من الأنصار خطأ فقدم مقيس بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مظهرا الإسلام حتى إذا وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا. و قد تقدم ذكر ذلك فلأجله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتله نميله بن عبد الله - رجل من قومه - فقالت أخت مقيس في ذلك:

لعمري لقد أخزى نميله رهطه و فجع أضياف الشتاء بمقيس

فله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تحرس و منهم سارة مولاة لبني عبد المطلب و لعكرمة بن أبي جهل، و كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاستؤمن لها فأمنها و بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمان عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها.

و كان صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو قد جمعوا أناسا بالخدمة ليقاتلوا، فيهم حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر، و كان قد أعر سلاحا

(١) انظر الحديث في: سنن أبو داود (٣/ ٢٦٨٣). سنن النسائي (٧/ ٤٠٧٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٠٨

و أصلح منها فقالت له امرأته: لما ذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد و أصحابه. قالت: و الله ما أراه يقوم لمحمد شيء! قال: و الله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم! ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى عليه هذا سلاح كامل و آله

و ذو غرارين سريع السلة «١»

ثم شهد الخندمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال، فقتل كرز بن جابر و خنيس بن خالد كانا فى خيل خالد فشدنا عنه و سلكا طريقا غير طريقه فقاتلا- جميعا و أصيب سلمة بن الميلاء الجهنى من خيل خالد، و أصيب من المشركين ناس ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته و قال لامرأته: أغلقى على بابى.

قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان و فر عكرمه

و استقبلتهم بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد و جمجمه

ضربا فلا يسمع إلا غمغمه لهم نهيت خلفنا و همهمه

لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة «٢»

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لخالد بن الوليد: «لم قاتلت و قد نهيتك عن القتال؟» قال: هم بدءونا و وضعوا فينا السلاح و أشعرونا النبل، و قد كفت يدى ما استطعت. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قضاء الله خير».

و فر- يومئذ- صفوان بن أمية عامدا للبحر و عكرمة بن أبى جهل عامدا لليمن، فأقبل عمير بن وهب بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه و قد خرج هاربا منك ليقدف نفسه فى البحر فأمنه صلى الله عليك فإنك قد أمنت الأحمر و الأسود. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أدرك ابن عمك فهو آمن». قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عمامته التى دخل فيها مكة. فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة و هو يريد أن يركب البحر فقال: يا صفوان فداك أبى و أمى! الله الله فى نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه و سلم قد جئتك به قال: ويلك اغرب عنى فلا تكلمنى.

(١) ذو غرارين: أى بها سيفا، و الغرار: الحد.

(٢) النهيب: نوع من صياح الأسد. و الهمهمة: صوت فى الصدر.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٠٩

قال: أى صفوان فداك أبى و أمى! أفضل الناس و أبر الناس و أحلم الناس و خير الناس ابن عمك، عزه عزك و شرفه شرفك و ملكه ملكك.

قال: إنى أخافه على نفسى. قال: هو أحلم من ذلك و أكرم. فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتنى. قال: «صدق». قال:

فاجعلنى فيه بالخيار شهرين. قال: «أنت بالخيار أربعة أشهر» «١».

و أقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام و كانت تحت عكرمة بن أبى جهل و هى مسلمة- يومئذ- فقالت: يا رسول الله، آمن زوجى و ائذن لى فى طلبه. فأذن لها و آمنه فأدركته ببعض تهامة و قيل: باليمن فأقبل معها و أسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم و ثب إليه فرحا و ما عليه رداء.

و كانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية، و كانت أسلمت أيضا، فلما أسلم عكرمة و صفوان أقر رسول الله صلى الله عليه و سلم كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول.

و قالت أم هانئ بنت أبى طالب و كانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى: لما نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم بأعلى مكة فر

إلى رجلان من أحمائي من بنى مخزوم فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال: و الله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين و فاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلى فقال: «مرحبا و أهلا يا أم هانئ، ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين و خبر على فقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ و أمنا من أمنت فلا يقتلنهما» (٢).

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام و زهير بن أبى أمية بن المغيرة.

و لما نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة و اطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم الركن بمحجن فى يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال:

«لا إله إلا الله، صدق الله وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٩٧)، موطأ مالك (٢/ ٥٤٣، ٥٤٤/ ٤٤).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح مسلم فى كتاب المسافرين (١/ ٤٩٨، ٨٢)، سنن أبى داود (٣/ ٢٧٦٣)، سنن الترمذى (٤/ ١٥٧٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥١٠

أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت و سقايه الحاج، ألا و قتل الخطأ شبه العمى السوط و العصا فيه الدينة مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظمها بالآباء، الناس لآدم و آدم من تراب». ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» (١).

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب -رضى الله عنه- و مفتاح الكعبة فى يديه، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقايه صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء». و قال لعلى فيما حكى ابن هشام: «إنما أعطيك ما ترزءون لا ما ترزءون» (٢).

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها و قال: «لو لا أن يغلب بنو عبد المطلب على سقياتهم لنزعت منها بيدي». ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريبا من مقام إبراهيم -و كان المقام لاصقا بالكعبة- فأخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بسجل من ماء فشرب و توشأ و المسلمون يتدرون و ضوءه يصبونه على وجوههم و المشركون ينظرون إليهم و يعجبون و يقولون: ما راينا ملكا قط بلغ هذا و لا سمعنا به!

و ذكر ابن هشام -أيضا- أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة و غيرهم، فرأى إبراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها، فقال: «قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام؟! ما شأن إبراهيم و الأزلام» ما كان إبراهيم يهوديا و لا نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين» [آل عمران: ٦٧] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست (٣).

(١) انظر الحديث فى: فتح البارى لابن حجر (٧/ ٦١٢)، السنن الكبرى للبيهقى (٩/ ١١٨).

(٢) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ١٧٧).

(٣) انظر الحديث فى: سنن أبى داود (٢/ ٢٠٢٧)، سنن البيهقى (٥/ ١٥٨)، المطالب العالیه لابن حجر (٤/ ٤٣٦٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥١١

و عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها و حول البيت أصنام مشددة بالرصاص فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام و هو يقول: جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً [الإسراء: ٨١] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه و لا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي صنم إلا وقع. فقال تميم بن أسد الخزاعي: و في الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقاب و أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي صلى الله عليه و سلم و هو بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أفضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله قال: «ما ذا كنت تحدث نفسك؟» فقال: لا شيء، كنت أذكر الله. فضحك النبي صلى الله عليه و سلم ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. فكان فضالة يقول: و الله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث: فقلت لا. و انبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يابى عليك الله و الإسلام

لو ما رأيت محمد و قبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا و الشرك يغشى وجه الإظلام و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دخل الكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن، و كان دخل معه، و أبو سفيان بن حرب و عتاب بن أسيد و الحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث: أما و الله لو أعلم أنه محق لا تبعته. و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرته عنى هذه الحصباء! فخرج عليهم النبي صلى الله عليه و سلم فقال: «قد علمت الذى قلت» «١» ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث و عتاب: نشهد أنك رسول الله، و الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

و قام رسول الله صلى الله عليه و سلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو و قد أهدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها.

فلما فرغ من دعائه قال: ما ذا قلت؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله. فلم يزل بهم حتى

(١) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥١٢

أخبروه فقال: «معاذ الله! المحيا محياكم و الممات مماتكم» «١».

و عدت خزاعة الغد من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له: ابن الأثوع فقتلوه و هو مشرك برجل من أسلم يقال له: أحمر بأسا و كان رجلا- شجاعا و كان إذا نام غط غطيظا منكرا لا يخفى مكانه فكان يبيت فى حيه معتزرا، فإذا بيت الحى صرخوا: يا أحمر. فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شى. فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى: لا تعجلوا حتى أنظر فإذا كان فى الحاضر أحمر فلا- سبيل إليهم فإن له غطيظا لا يخفى. فاستمع فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ثم تحامل عليه حتى قتله. ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا: يا أحمر و لا أحمر لهم! فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر و يسأل عن أمر الناس و هو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به و هو إلى جنب جدار من جدر مكة يقولون: أنت قاتل أحمر؟ قال: نعم أنا قاتل أحمر فمه. إذ أقبل خراش بن أمية مشتملا على السيف فقال: هكذا عن الرجل.

قال بعض من حضرهم: و و الله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه، فلما تفرجوا حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه، فو الله لكأنى أنظر إليه و حشوته تسيل من بطنه و إن عينيه لترنقان فى رأسه و هو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خزاعة! حتى انجعف فوقع.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما بلغه ما صنع خراش بن أمية: «إن خراشا لقتال». يعيبه بذلك.

وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس خطيبا فقال: «يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهى حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا، لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحلل لأحد يكون بعدى، ولم تحل لى إلا- هذه الساعة غضبا على أهلها؛ ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله قد قاتل.

فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم. يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل أن يقع لقد قتلتم قتيلا لأدينه؛ فمن قتل بعد مقامى هذا فهم بخير النظرين إن شاءوا قدم قاتله وإن شاءوا فعقله» (٢).  
ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلت خزاعة.

(١) انظر الحديث فى: سنن الدارقطنى (٣/ ٢٣٢، ٥٩، ٦٠)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٥٣٨).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٢/ ٩٨٧، ٩٨٨، ٤٤٦)، سنن الترمذى (٣/ ٨٠٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥١٣

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة. و كان فتحها لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان.

و كان مما قيل من الشعر فى فتح مكة قول حسان بن ثابت، و ذكر ابن هشام أنه قالها قبل الفتح:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء «١»

ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيها الروماس و السماء «٢»

و كانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم و شاء

فدع هذا و لكن من لطيف يؤرقنى إذا ذهب العشاء

لشعته التى قد تيمته فليس لقلبه منه شفاء

كأن سيئه من بيت رأس يكون مزاجها غسل و ماء

إذا ما الأشربات ذكرن يومافهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامه إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاء

و نشربها فتتر كنا ملوكا و أسدا ما ينهنها اللقاء

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الأعنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء «٣»

تظل جياتنا متمطرات يلطمهن بالخمير النساء

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا و كان الفتح و انكشف الغطاء

و إلا فاصبروا لجلاد يوم يغر الله فيه من يشاء

و جبريل رسول الله فينا و روح القدس ليس له كفاء

و قال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم و لا نشاء

و قال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا فى كل يوم من معدسباب أو قتال أو هجاء

فحككم بالقوافى من هجانا و نضرب حين تختلط الدماء

(١) عفت: أى درست و تغيرت.

(٢) الحسحاس: الرجل الجواد الذى يطرد الجوع بسخائه. و الروامس: الرياح التى تثير التراب فترمى به الآثار.

(٣) مصغيات: أى مستمعات. و الأسل: أى الرماح.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥١٤ ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا و أجت عنه و عند الله فى ذاك الجزاء

أ تهجوه و لست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء

هجوت مبارك برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء

فإن أبى و والده و عرضى لعرض محمد منكم و قاء

لسانى صارم لا- عيب فيه و بحرى لا- تكدره الدلاء و قول ابن هشام: إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر فى غير ما شىء من مقتضياته، و من ذلك: مقاولته لأبى سفيان و هو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم. و قد أسلم قبل الفتح فى طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مكة كما تقدم.

و كذلك ذكر ابن عقبة أن حسان قاله فى مخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مكة، و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دخل مكة نظر إلى النساء يلطن الخيل بالخمير فالتفت إلى أبى بكر فتبسم لقول حسان فى ذلك: يلطن بالخمير النساء.

و قال أنس بن زعيم الديلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مما قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى:

و أنت الذى تهدى معد بأمره بل الله يهديهم و قال لك اشهد

و ما حملت من ناقة فوق رحلها أبر و أوفى ذمة من محمد

أحث على خير و أسبغ نائلا إذ راح كالسيف الصقيل المهند

و أكسى لبرد الخال قبل ابتداله و أعطى لرأس السابق المتجرد

تعلم رسول الله أنك مدركى و أن وعيدا منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين و منجد

تعلم بأن الركب ركب عويمرهم الكاذبون المخلفون كل موعد

و نبوا رسول الله أنى هجوته فلا حملت سوطى إلى إذن يدي

سوى أننى قد قلت و يلم فتية أصيبوا بنحس لائظ و بأسعد

ذويب و كلثوم و سلمى تتابعوا جميعا فإن لا تدمع العين أكمد

أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء فعزت عبرتى و تبلدى و قال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح:

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥١٥ نفى أهل الحبلق كل فح مزينه غدوة و بنو خفاف

ضربناهم بمكة يوم فتح النبى الخير بالبيض الخفاف

صبحناهم بسلع من سليم و ألف من بنى عثمان و اف

نطا أكتافهم ضربا و طعنا و رشقا بالمريشة اللطاف «١»

ترى بين الصفوف لها حفيفا كما انصاع الفواق من الرصاف



فرحنا و الجياد تجول فيهم بأرماع مقومه الثقافة  
فأبنا غانمين بما اشتهيناو أبوا نادمين على الخلاف  
و أعطينا رسول الله منامواتقنا على حسن التصافي  
و قد سمعوا مقالتنا فهمواغداه الروع منا بانصراف و قال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة:

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم «٢»

نصروا الرسول و شاهدوا أيامه و شعارهم يوم اللقاء مقدم

فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم

جرت سناكبها بنجد قبلهاحتى استعاد لها الحجاز الأدهم

الله مكنه له و أذله حكم السيوف لنا وجد مزحم و قال نجيد بن عمران الخزاعى:

و قد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراب

و هجرتنا فى أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل و كاتب

و من أجلنا حلت بمكة حرمة لندرک ثأرا بالسيوف القواضب و لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه و سلم مكة بعث سرايا فيما  
حولها يدعو إلى الله، و لم يأمرهم بقتال.

و كان ممن بعث خالد بن الوليد، و أمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا و لم يبعثه مقاتلا، و معه قبائل من العرب، فوطئوا بنى جذيمة بن  
عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. فقال رجل منها يقال له  
جحدم: ويلكم يا بنى جذيمة إنه خالد! و الله ما بعد وضع السلاح إلا الإيسار، و ما بعد الإيسار إلا ضرب الأعناق، و الله لا أضع سلاحى  
أبدا. فأخذه رجال من قومه

(١) رشقا: أى الرمى السريع. و المريشة: أى السهام التى لها ريش.

(٢) البطاح: جمع بطحاء، و هى الأرض السهلة المتسعة. مسوم: أى مرسل.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥١٦

فقالوا: يا جحدم، أ تريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا و وضعت الحرب و أمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه و  
وضع القوم السلاح لقول خالد.

فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم. و قال لهم جحدم حين وضعوا سلاحه و رأى  
ما يصنع بهم: يا بنى جذيمة ضاع الضرب! قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» «١».  
و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لرجل انفلت منهم فأتاه بالخبر:

«هل أنكر عليه أحدا؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه، و أنكر عليه رجل أحمر مضطرب فرجعه  
فاشدت مراجعتهما. فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله، و أما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة.

و ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «رأيت كأنى لقت لقمه من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقي منها شىء  
حين ابتعلتها فأدخل على يده فترعه». فقال أبو بكر: هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب و يكون فى بعضها  
اعتراض فتبعث عليها فيسهله «٢».

ثم لما كان من خالد فى بنى جذيمة ما كان دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبى طالب فقال: «يا على اخرج إلى هؤلاء

القوم فانظر في أمرهم و اجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج على حتى جاءهم و معه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه و سلم فودى لهم الدماء و ما أصيب من الأموال حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم و لا مال إلا واده بقيت معه بقية من المال فقال لهم على حين فرغ منه: هل بقي دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا؛ قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه و سلم مما لا يعلم و لا تعلمون.

ف فعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره الخبر، فقال: «أصبت و أحسنت».

ثم قام رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبته يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» (٣)، ثلاث مرات.

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٢/ ٦٣٨٢)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ١١٥).

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٦٥٥).

(٣) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٦٥٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥١٧

و قد قال بعض من يعذر خالدًا: إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي و قال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر أن تقتلهم لا تمتنعهم من الإسلام.

و حدث ابن أبي حنبل في فتح الباري (٧/ ٦٥٥) أن خالد بن الوليد فقال لى فتى من بنى جذيمة و هو فى سننى و قد جمعت يده إلى عنقه برمه و نسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى. قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة فائدنى إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى بعد ما بدا لكم؟ قال قلت:

و الله ليسير ما طلبت. فأخذت برمته فقدته بها أوقفته عليهن فقال: اسلمى حبيش على نغد العيش:

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفتكم بالخوانق

ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى و الودائق

فلا ذنب لى قد قلت إذا أهلنا معاً أثيبى بود قبل إحدى الصفائق

أثيبى بود قبل أن تشحط النوى و ينأى الأمير بالحبيب المفارق فقالت: و أنت فحيت سبعا و عشرا و ترا و ثمانيا تترى. قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه. فحدث من حضرها أنها قامت إليه حين ضربت عنقه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

و خرج النسائي هذه القصة فى مصنفة فى باب «قتل الأسارى» من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم بعث سرية فغنموا و فيهم و فيهم رجل قال: إنى لست منهم، عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم. قال: فإذا امرأة طويلة أدماء فقال: اسلمى حبيش قبل نغد العيش و ذكر بعض الشعر المتقدم و بعده: قالت: نعم فديتك. قال: فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقف عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أخبروه الخبر فقال صلى الله عليه و سلم: «أ ما كان فيكم رجل رحيم».

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى العزى و كانت بنخلة، و كان بيتا تعظمه قريش و كنانة و مضر كلها، و كان سدنتها و حجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بن هاشم، فلما سمع صاحبها السلمى بسير خالد إليها علق عليها سيفه و أسند فى الجبل الذى هو فيه و هو يقول:

أيا عز شدى شدة لا شوى لها على خالد ألقى القناع و شمري

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥١٨ أيا عز إن لم تقتلى المرء خالد فبئس بائس عاجل أو تنصرى فلما انتهى إليها خالد هدمها. ثم رجع

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### غزوة حنين «١»

ولما سمعت «٢» هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النضري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نضرو وجشم كلها، وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء.

وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار «٣» له يقاد به، فلما نزل قال: «في أي واد أنتم؟» قالوا: بأوطاس. قال: «نعم مجال الخيل لا حزن ضرر» «٤» ولا سهل دهس «٥»، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير و يعار الشاء؟» قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: «أين مالك؟» فدعى له فقال: «يا مالك، إنك أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم له ما بعده، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، و يعار الشاء؟» قال: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال: فانقض به، وقال: «راعى ضأن والله! وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك».

ثم قال: «ما فعلت كعب و كلاب؟» قالوا: لم يشهدا منهم أحد. قال: «غاب»

(١) راجع هذه الغزوة في: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٣١-٣٤١)، مغازي الواقدي (٣/ ٨٨٥)، طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ١٠٨)، تاريخ الطبري (٣/ ٧١)، الكامل (٢/ ١٣٥)، البداية والنهاية (٤/ ٣٢٢).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ٧١).

(٣) شجار: شبه الهودج إلا أنه مكشوف من أعلى.

(٤) الحزن: المرتفع من الأرض. الضرس: الذي فيه حجارة محددة.

(٥) سهل دهس: هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين ..

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٥١٩

الحد «١» والجند لو كان يوم علاء ورفعته لم تغب عنه كعب و كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب و كلاب، فمن شهدا منكم؟» قالوا: عمرو بن عامر و عوف بن عامر. قال: «ذانك الجذعان «٢» لا ينفعان ولا يضران! يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم و عياد قومهم ثم الت الصيباء «٣» على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك أفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك».

قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت و كبر عقلك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، و كره أن يكون لدريد فيها ذكر أو أرى، قالوا: أطعناك.

فقال دريد ابن الصمة: هذا يوم لم أشهده و لم يفتني:

يا ليتني فيها جذع أحب فيها و أضع «٤» ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

و بعث مالك بن عوف عيوننا من رجاله، فأتوه و قد تفرقت أوصالهم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق و الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فو الله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

و لما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه و سلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي و أمره أن يدخل في الناس، و يقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع و علم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سمع من مالك و أمر هوزان ما هم له ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره الخبر «٥».

(١) غاب الحد: أي غابت الشجاعة و الحدة.

(٢) الجذعان: يريد أنهما ضعيفان بمنزلة الجذع في سنه.

(٣) الصباء: مفردا صابئ و كانوا يسمون المسلمون صباء.

(٤) يا ليتني فيها جذع: يتمنى أن يكون في هذه الحرب شابا لم تحطمه الأيام. و أحب: من الخبب، و هو ضرب من السير.

(٥) ذكر في السيرة (٧٣/٤) زيادة في هذا الموضع فقال: «... فأخبره الخبر، فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد، فقال ابن أبي حدرد: إن-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٢٠

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم السير إلى هوزان ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا و سلاحا فأرسل إليه و هو يومئذ مشرك فقال: «يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلقى فيها عدونا غدا»، فقال صفوان: أ غضبا يا محمدا؟ فقال: «بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليكم»، قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فرعموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سأله أن يكفيهم حملها ففعل «١».

ثم خرج أن رسول الله صلى الله عليه و سلم عامدا لحنين معه ألفان من أهل مكة و عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفا.

و ذكر «٢» أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال حين فصل من مكة إلى حنين و رأى كثرة من معه من جنود الله: «لن نغلب اليوم من قلة» «٣». و زعم بعض الناس أن رجلا من بني بكره قالها.

و استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس «٤» على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس. ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم على وجهه يريد لقاء هوزان.

قال ابن عقبة: و كان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يعنى في توجهه إلى مكة أنه بادئ بهم، و صنع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك، فتح له مكة فأقر بها عينه و كبت بها عدوه.

- كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قد كانت ضالا فهذاك الله يا عمر».

هكذا وردت هذه الزيادة في السيرة.

و انظر هذه الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٣٢٤/٤)، دلائل النبوة للبيهقي (١٢١/٥).

(١) انظر الحديث في: مستدرك الحاكم (٣/٤٨، ٤٩)، السلسلة الصحيحة للألباني (٦٣١)، السنن الكبرى للبيهقي (٨٩/٦).

(٢) انظر: السيرة (٧٧/٤).

(٣) انظر الحديث في: مستدرك الحاكم (١/٤٤٣)، سنن أبي داود (٣/٢٦١١)، سنن الترمذي (٤/١٥٥٥).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٧٧٥)، الإصابة الترجمة رقم (٥٤٠٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٥٣٨)، الثقات (٣/٣٠٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/٣٧٠)، تقريب التهذيب (٣/٢) خلاصة تذهيب (٢/٢٠٨)، شذرات الذهب (١/٥٦)، العبر (١/١٦)،

تهذيب الكمال (٢/ ٩٠٠)، مشاهير علماء الأمصار (١٥٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٥٢١

فلما خرج صلى الله عليه وسلم إلى حنين خرج معه أهل مكة ركبانا ومشاة، حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظارا ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون أن تكون الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

و حدث «١» أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها: ذات أنواط. يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوما، قال: فرأينا ونحن نسير معه سدره خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر! قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف: ١٣٨] فإنها السنن لتركين سنن من كان قبلكم» «٢».

و حدث «٣» جابر بن عبد الله قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحدارا قال: وذلك في عمامة الصبح، و كان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنا لنا في شعابه و أحنائه و مضايقه، قد أجمعوا و تهيئوا، فو الله ما راعنا و نحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، و انشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد.

و انحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال: «أيها الناس هلم إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله» قال: فلا شيء! حملت الإبل بعضها على بعض و انطلق الناس، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين و الأنصار و أهل بيته، و فيمن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر و عمرو و من أهل بيته علي بن أبي طالب و العباس و أبو سفيان بن الحارث و ابنه و الفضل بن عباس و ربيعة بن الحارث و أسامة بن زيد و أيمن بن عبيد و هو ابن أم أيمن قتل يومئذ «٤».

قال «٥»: و رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل

(١) انظر: السيرة (٧٥/٤).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٥/ ٢١٨)، سنن الترمذي (٤/ ٢١٨٠).

(٣) انظر: السيرة (٧٥/٤).

(٤) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٧٦)، مجمع الزوائد للهيتمي (٦/ ١٧٩).

(٥) انظر: السيرة (٧٦/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٥٢٢

أمام هوازن و هم خلفه، إذا أدرك طعن برمحه و إذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينا ذلك الرجل يصنع ما يصنع إذا أهوى له علي بن أبي طالب و رجل من الأنصار يريدانه قال: فيأتي علي من خلفه فضرِب عرقوبي الجمل فوق علي عجزه و وثب الأنصاري على الرجل فضرِبه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجفع عن رحله.

قال ابن إسحاق «١»: فلما انهزم الناس و رأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاه أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أحدهم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. و إن الأرقام لمعه في كنانته. و صرخ آخر منهم: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان بن أمية و هو يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اسكت فض الله فاك! فو الله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

و قال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار، و كان أبوه قتل يوم أحد، قلت: اليوم أدرك تأري، اليوم أقتل محمدا. قال: فأردت برسول الله لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك و علمت أني ممنوع منه «٢».

و ذكر ابن أبي خيثمة حديث شبيه هذا، قال: لما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين أعرى ذكرت أبي وعمي قتلها حمزة، قلت: اليوم أدرك ثأري في محمد، فجئت عن يمينه فإذا أنا العباس قائما عليه درع بيضاء، قلت: عمه لن يخذله، فجئت عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث، قلت: ابن عمه لن يخله، فجئت من خلفه فدنوت و دنوت حتى لم يبق إلا أن أسور سورة بالسيف فرفع إلى شواظ من نار كأنه البرق فنكصت على عقبى القهقري، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا شبيهة ادنه». فدنوت فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصرى فلهو أحب إلى من سمعي و بصرى، فقال لى: «يا شبيهة قاتل الكفار» (٣). فقاتلت معه صلى الله عليه وسلم.

و حدث «٤» العباس بن عبد المطلب قال: إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها و كنت امرأ جسيما شديد الصوت و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من أمر الناس: «أين أيها الناس؟» فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: «يا

(١) انظر: السيرة (٧٦-٧٧).

(٢) انظر: السيرة (٧٧/٤).

(٣) انظر الحديث فى: البداية و النهاية (٣٣٣/٤)، الدر المنثور للسيوطى (٢٢٦/٣).

(٤) انظر: السيرة (٧٨/٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٢٣

عباس اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمره». قال: فأجابوا: لبيك لبيك.

قال: فيذهب الرجل ليثنى بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها فى عنقه، و يأخذ سيفه و ترسه و يقتحم عن بعيره و يخلى سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، فكانت الدعوى أول ما كانت للأنصار ثم خلصت آخرًا للخزرج، و كانوا صبرا عند الحرب، فأشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: «الآن حمى الوطيس» (١).

قال جابر بن عبد الله فى حديثه: و اجتلد الناس، فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم!

قال: و التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث و كان حسن الإسلام و ممن صبر يومئذ معه و هو آخذ بثغر بغلته فقال: «من هذا؟» قال: أنا ابن أمك يا رسول الله (٢).

و ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشيه القتال يومئذ قام فى الركابين و هو على البغلة. و يقولون: نزل. فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول: «اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا». و نادى أصحابه فذمرهم: «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية، يا أصحاب سورة البقرة، يا أنصار الله و أنصار رسوله، يا بنى الخزرج». و قبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين و نواحيهم كلها. و قال: «شاهت الوجوه» (٣).

فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و اتبعهم المسلمون يقتلونهم و غنمهم الله نساءهم و ذراريهم و شاههم و إبلمهم، و فر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف فى ناس من أشراف قومه.

(١) ذكره الإمام أحمد فى مسنده (١٧٧٥)، مسلم فى صحيحه (١٣٩٨/٣، ١٣٩٩/٧٦).

(٢) لم أقف على تخريجه فيما بين يدي من مصادر، و قصة أبى سفيان بن الحارث أنه كان آخذ بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم



أخرجها البخاري في صحيحه كتاب المغازي (٧/ ٤٣١٥) من طريق أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب ... وفيه: «يفهم هوزان بالنبل و النبي صلى الله عليه و سلم على بغلته البيضاء، و أبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها و النبي صلى الله عليه و سلم يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية (٤/ ٣٣٠)، المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٨٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ٨٢، ٨/ ٦١٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٣١)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٦١٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٢٤

و أسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة و غيرهم حين رأوا نصر الله و رسوله و إعزاز دينه.

و حدث «١» جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم و الناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا و بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مثبت قد ملأ الوادي و لم أشك أنها الملائكة، فلم تكن إلا هزيمة القوم «٢».

و التفت رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ فرأى أم سليم بنت ملحان، و كانت مع زوجها أبي طلحة و هي حازمة وسطها يبرد لها و إنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، و معها جمل أبي طلحة قد خشيت أن يعزها فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خزامته مع الخظام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أم سليم؟» قالت: نعم، بأبي أنت و أمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم أهل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أو يكفي الله يا أم سليم؟». و قال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر يا أم سليم؟ لخنجر رآه عندها. قالت: خنجر اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به. فقال أبو طلحة:

ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم! «٣».

و حدث «٤» أنس: أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين رجلا «٥».

و قال أبو قتادة رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلما و مشركا، فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم فأتيته فضربت يده فقطعتها و اعتنقني بيده الأخرى، فو الله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم.

و يروى: ريح الموت. فلو لا أن الدم نرزه لقتلني، فسقط فضربته فقتلته و أجهضني عنه القتال. فلما وضعت الحرب أوزارها و فرغنا من القوم، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من قتل قتيلا فله سلبه. فقلت: يا رسول الله و الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فأجهضني عنه القتال

(١) انظر: السيرة (٤/ ٨١-٨٢).

(٢) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٤٦)، تاريخ الطبري (٢/ ١٦٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٧٢).

(٣) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب الجهاد باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٢، ١٤٤٣)، سنن أبو داود (٢٧١٨)، مسند الإمام أحمد (٣/ ١٠٨، ١٠٩، ١٩٠، ٢٧٩، ٢٨٦).

(٤) انظر: السيرة (٤/ ٨١).

(٥) انظر الحديث في: سنن الدارمي (٢/ ٢٤٨٤)، مسند الإمام أحمد (٣/ ١١٤، ١٢٣، ١٩٠، ٢٧٩)، مستدرک الحاكم (٣/ ٣٥٣)، ابن حبان (٧/ ٤٨١٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٢٥

فما أدرى من استلبه. فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله فأرضه عنى من سلبه. فقال أبو بكر: لا و الله لا ترضيه منه تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه! اردد عليه سلب قتيله. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: صدق اردد عليه سلبه. قال أبو قتادة: فأخذته منه فبعته فاشترت بثمنه مخرفا، فإنه لأول مال اعتقدته «١».



و لما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بنى مالك، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة و معه كانت راية بنى مالك.

و كانت قبله مع ذى الخمار، فلما قتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قتل، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم قتله قال: «أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشا» (٢).

و كانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو و قومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب و للآخر الجلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين بلغه قتل الجلاح: «قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من ابن هنيذة» (٣). يعنى الحارث بن أويس.

و لما انهزم المشركون أتوا الطائف و معهم مالك بن عوف و عسكر بعضهم بأوطاس و توجه بعضهم نحو نخلة، و تبعت خيل رسول الله صلى الله عليه و سلم من سلك في نخلة من الناس و لم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع و كان يقال له: ابن الدغنة، و هى أمه غلبت على اسمه أدرك دريد بن الصمة فأخذ بنظام جملة و هو يظن أنه امرأة، و ذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا شيخ كبير و إذا هو دريد و لا يعرفه الغلام، فقال له دريد:

ما ذا تريد بى؟ قال: أقتلك. قال: و من أنت؟ قال: انا ربيعة بن ربيع السلمى. ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به و ارفع عن العظام و اخفض عن الدماغ، فإنى كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب و الله يوم قد منعت فيه نساءك.

فزع بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوق تكشف فإذا عجانه و بطون فخذيته مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: أما

(١) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٣/ ١٣٧٠، ١٣٧١، ٤١)، مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٠٦).

(٢) انظر الحديث فى: مصنف عبد الرزاق (١١/ ١٩٩٠٤).

(٣) انظر الحديث فى: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٣٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٢٦

و الله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا (١). و قالت عميرة بنت دريد ترثى أباه:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا فظلم دمعى على السربال ينحدر

لو لا الذى قهر الأقوام كلهم رأيت سليم و كعب كيف يأتى (٢)

و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري (٣) فأدرك بعض المنهزمة فناوشوه القتال، فرمى بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري (٤) ففتح الله عليه و هزمهم الله، و يزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر.

و ذكر ابن هشام (٥) عمن يثق به أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر و هو يدعوه إلى الإسلام و يقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، و هو يدعوه إلى

الإسلام و يقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا بعد رجل، و يحمل أبو عامر و يقول ذلك، حتى قتل تسعة و بقى العاشر، فحمل على أبى عامر و حمل عليه أبو عامر، و هو يدعوه إلى الإسلام و يقول: اللهم اشهد عليه. فقال الرجل: اللهم

لا تشهد على، فكف عنه أبو عامر فأقلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رآه قال: «هذا شريد أبى عامر» (٦) و رمى أبا عامر يومئذ - فيما ذكر ابن هشام - خوان من بنى جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه و الآخر ركبته فقاتلاه،

و ولى الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلتهما.

و ذكر ابن إسحاق «٧» أن القتل استحر في بني نصر بن رثاب، فزعموا أن عبد الله

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٤٥)، تاريخ الطبري (٢/ ١٧٠)، الأصفهاني كتاب الأغاني (٩/ ١٥، ١٦).

(٢) ذكر في السيرة بعد هذان البيتان بيت آخر هو:

إذن لصحبهم غبا و ظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل دفر انظر: السيرة (٤/ ٨٧).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٠٩٢)، الإصابة الترجمة رقم (١٠١٨٥)، أسد الغابة الترجمة (٤٣/ ٦٠).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٢٦)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٥٨٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٢٩٤).

(٥) انظر: السيرة (٤/ ٨٩ - ٩٠).

(٦) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٦٣٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٣٨).

(٧) انظر: السيرة (٤/ ٨٧ - ٨٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٢٧

ابن قيس الذي يقال له: ابن العوراء، و هو أحد بني وهب بن رثاب، قال: يا رسول الله، هلكت بنو رثاب. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «اللهم اجبر مصيبتهم» (١).

و خرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق و قال لأصحابه: قفوا حتى يمضى ضعفاؤكم و تلحق اخراكم. فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم منهزمة الناس.

قال ابن هشام «٢»: و بلغني أن خيلا طلعت و مالك و أصحابه على الثنية فقال لأصحابه: ما ذا ترون؟ قالوا: نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم.

فقال: هؤلاء بنو سليم و لا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل اخرى تتبعها فقال لأصحابه: ما ذا ترون، قالوا: نرى أقواما عارضى أرماعهم أغفالا «٣» على خيلهم. قال: هؤلاء الأوس و الخزرج و لا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلخوا طريق بني سليم ثم اطلع فارس فقال لأصحابه: ما ذا ترون؟ قالوا:

نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء. فقال: هذا الزبير بن العوام و أحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له. فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ: «إن قدرتم على بجاد، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يفلتكم»، و كان قد أحدث حدثا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه و أهله، و ساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه و سلم من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين: تعلموا و الله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة. فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي صلى الله عليه و سلم فلما انتهوا بها إليه قالت: يا رسول الله إنى أختك. قال: و ما علامة ذلك؟ قالت عضه عضه عضضتنيها في ظهري و أنا متوركتك، فعرف رسول الله صلى الله عليه و سلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه و خيرها، فقال: إذا أحببت فعندى محبة مكرمة و إن أحببت أن أمتعك و ترجعني إلى قومك فعلت، قالت: بل تمتعني و تردني إلى قومي. فتمتعها رسول الله صلى الله عليه و سلم و ردها إلى قومها. فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له: مكحول، و جاريه، فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقيه «٤».

(١) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٥٢)، الإصابة لابن حجر (٤/ ١٢١).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ٨٨ - ٨٩).

(٣) أغفالا: جمع غفل، و هو الذى لا علامة له، يريد أنهم لم يتخذوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

(٤) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/ ١٧١)، الإصابة لابن حجر (٨/ ١٢٣)، الاستيعاب لابن-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٢٨

و أنزل الله تبارك و تعالى فى يوم حنين لقد نصيركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين إذ أعجبكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مديريين ثم أنزل الله سيكيتته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنودا لم تروها و عذب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين [التوبة: ٢٥، ٢٦].

و استشهد من المسلمين يوم حنين من قريش ثم من بنى هاشم: أيمن بن عبيد «١» مولاهم. و من بنى أسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب «٢»، جمع به فرس يقال له الجناح فقتل.

و من الأنصار: سراقه بن الحارث العجلانى «٣». و من الأشعرين أبو عامر الأشعري.

ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم سبايا حنين و أموالها فأمر بها إلى الجعرانة فحبست بها حتى أدركها هنالك منصرفه عن الطائف على ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى.

و قال عباس بن مرداس السلمى «٤» فى يوم حنين «٥»:

عفا مجدل من أهله فمتالع فمطلا أريك قد خلافا لمصانع  
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا رخي و صرف الدهر للحى جامع  
حبيبة ألوت بها غربة النوى لبين فهل ماض من العيش راجع  
فإن تبتغى الكفار غير ملومة فإنى وزير للنبي و تابع  
دعانا إليه خير و فد علمتم خزيمة و المرار منهم و واسع

- عبد البر الترجمة رقم (١٨٧٠، ٤٠٠٣)، أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ١٦٦، ١٦٧).

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣١)، الإصابة الترجمة رقم (٣٩٤)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٥٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤١)، معرفة الصحابة (٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٨٠٠)، الإصابة الترجمة رقم (٩٢٨٠)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٥٥٢).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٩١٦)، الإصابة الترجمة رقم (٣١١٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٩٤٨).

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٨٧)، الإصابة الترجمة رقم (٤٥٢٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٨٠١)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٩٥)، تاريخ جرجان (٢٨١)، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٣٠)، خلاصة تهذيب (٢/ ٣٧)، تهذيب الكمال (٢/ ٦٦٠)، الأعلام (٣/ ٢٦٧).

(٥) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ٩٥-٩٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٢٩ فجئنا بألف من سليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع

نبايعه بالأخشبين و إنمايد الله بين الأخشبين نبايع

فجسنا مع المهدي مكة عنوة بأسيا فنا و النقع كاب و ساطع

علائية و الخيل يغشى متونها حميم و آن من دم الجوف ناقع

و يوم حنين حين سارت هوازن إلينا و ضاقت بالنفوس الأضالع

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا قراع الأعدى منهم و الوقائع

أمام رسول الله يخفق فوقنا لواء كخدرروف السحابة لامع  
عشية ضحاك بن سفيان معتص بسيف رسول الله و الموت كانع  
نذود أخانا عن أخينا و لو نرى مصالا لكننا الأقربين نتابع  
و لكن دين الله دين محمدرضينا به فيه الهدى و الشرائع  
أقام به بعد الضلالة أمرناو ليس لأمر حمه الله دافع  
و قال عباس أيضا «١»:

تقطع باقى وصل أم مؤمل بعاقبه و استبدلت نية خلفا  
و قد حلفت بالله لا تقطع النوى فما صدقت فيه و لا برت الحلفا  
خفافية بطن العقيق مصيفهاو تحتل فى البادين و جرة فالعرفا «٢»  
فإن تتبع الكفار أم مؤمل فقد زودت قلبى على نأيتها شغفا  
و سوف ينيبها الخبير بأنناأبينا و لم نطلب سوى ربنا حلفا  
و إنا مع الهادى النبى محمديو فينا و لم نستوفها معشر ألفا  
بفتيان صدق من سليم أعزة أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا  
خفاف و ذكوان و عوف تخالهم مصاعب زافت فى طروقتها كلنا  
كأن النسيج الشهب و البيض ملبس أسودا تلاقت فى مراصدها غضفا «٣»  
بنا عز دين الله غير تنحل و زدنا على الحى الذى معه ضعفا  
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا  
على شخص الأَبصار تحسب بينها إذا هى جالت فى مواردنا عزفا

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ٩٦-٩٧).

(٢) خفافية: منسوبة إلى بنى خفاف و هم حى من سليم. مصيفها: المكان الذى تقيم فيه فى الصيف.

(٣) غضفا: الغضف: جمع أغضف و هو المسترخى الأذنين.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٣٠ غداة وطننا المشركين و لم نجد لأمر رسول الله عدلا و لا صرفا

بمعترك لا يسمع القوم وسطه لنا [زجمة] «٤» إلا التذامر و النقفا

بييض تطير الهام عن مستقرهاو تقطف أعناق الكماء بها قطفها

فكايين تركنا من قتيل ملحب و أرملة تدعو على بعلمها لهفا

رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغى و لله ما بيدو جميعا و ما يخفى

و قال عباس أيضا «١»:

ما بال عينك فيها عائر سهر مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

عين تأوبها من شجوها أرق فالماء يغمرها طورا و ينحدر

كأنه نظم در عند ناظمه تقطع السلك منه فهو منشر

ما بعد منزل من ترجو مودته و من أتى دونه الصمان فالحفر

دع ما تقدم من عهد الشباب فقدولى الشباب و زار الشيب و الزعر

و اذكر بلاء سليم في موطنها وفي سليم لأهل الفخر مفتخر  
 قوم هم نصرنا والرحمن و اتبعوا دين الرسول و أمر الناس مشتجر  
 الضاربون جنود الشرك ضاحية بطن مكة و الأرواح تبتدر  
 حتى رفعنا و قتلهم كأنهم نخل بظاهرة البطحاء متقعر  
 و نحن يوم حنين كان مشهدنا للدين عزا و عند الله مدخر  
 إذ نركب الموت مخضرا بطائنه و الخيل ينجاب عنها ساطع كدر  
 تحت اللوامع و الضحاك يقدمنا كما مشى الليث في غاباته الخدر  
 في مأزق من مجر الحرب كلكلها تكاد تأفل منه الشمس و القمر  
 و قد صبرنا بأوطاس أسنتنا لله ننصر من شئنا و نتنصر  
 حتى تأوب أقوام منازلهم لو لا المليك و لو لا نحن ما صدروا  
 فما ترى معشرا قلوا و لا كثروا إلا قد أصبح منا فيهم أثر  
 و قال عباس بن مرداس أيضا رضي الله عنه «٢»:  
 يا أيها الرجل الذي تهوى به و جناء مجمرة المناسم عرمس

(٤) ما بين المعقوفين ورد في الأصل: «رحمة»، و التصحيح من السيرة. و زجمة: تقول ما زجم فلان أي ما نطق بكلمة.

(١) انظر الآيات في: السيرة (٤/ ٩٧-٩٨).

(٢) انظر الآيات في: السيرة (٤/ ٩٨-٩٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٣١ إما أتيت على النبي فقل له حقا عليك إذا اطمأن المجلس  
 يا خير من ركب المطى و من مشى فوق التراب إذا تعد الأنفس  
 إنا و فينا بالذي عاهدتنا و الخيل تقدع بالكماة و تضرس  
 إذ سال من أفناء بهتة كلها جمع تظل به المخارم ترجس  
 حتى صبحنا أهل مكة فيلقاشهباء يقدمها الهمام الأشوس  
 من كل أغلب من سليم فوقه بيضاء محكمة الدخال و قونس  
 و على حنين قد وفي من جمعنا ألف أمد به الرسول عرندس  
 كانوا أمام المؤمنين دريئة و الشمس يومئذ عليها أشمس  
 نمضى و يحرسنا الإله بحفظه و الله ليس بضائع من يحرس  
 و لقد حبسنا بالمناقب محبسا رضى الإله بهم فنعم المحبس  
 و غداة أوطاس شددنا شدة كفت العدو و قيل منها يحبس  
 ندعو هوازن بالإخاء بيننا ثدى تمد به هوازن أيبس  
 حتى تركنا جمعهم و كأنه غير تعاقبه السباع مفرس  
 و قال عباس بن مرداس أيضا «١»:

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كمي لا تعد حواسره

حملنا له في عامل الرمح راية يذود بها في حومة الموت ناصره

و نحن خضبناها دما فهو لونهاغداة حنين يوم صفوان شاجره  
و كنا على الإسلام ميمنة له و كان لنا عقد اللواء و شاهره  
و كنا له يوم الجنود بطانة يشاورنا فى أمره و نشاوره  
دعانا فسمانا الشعار مقدما و كنا له عوننا على من يناكره  
جزى الله خيرا من نبى محمدا و أیده بالنصر و الله ناصره

## غزوة الطائف «٢»

و لما قدم فل الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، و صنعوا الصنائع للقتال، و لم

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٩٩ / ٤).

(٢) راجع هذه الغزوة فى: المنتظم لابن الجوزى (٣ / ٣٤١)، مغزى الواقدي (٣ / ٩٢٢)، طبقات ابن سعد (٢ / ١ / ١١٤)، تاريخ الطبرى (٣ / ٨٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٣٢

يشهد حيننا و لا الطائف عروة بن مسعود «١» و لا غيلان بن سلمة «٢»، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات و المجانيق و الضبور.  
ثم سار رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الطائف حين فرغ من حنين، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم السير إليها «٣»:

قضينا من تهامة كل ريب و خبير ثم أجمنا السيوف  
نخيرها و لو نطقت لقاتل قواطعهن دوسا أو ثقيفا  
فلست لحاضن إن لم تروها بساحة دار كم منا ألوفا  
و ننتزع العروش ببطن وجو تصبح دوركم منكم خلوفا  
و يأتىكم لنا سرعان خيل يغادر خلفه جمعا كثيفا  
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها مما أناخ بها رجيفا  
بأيديهم قواضب مرهفات يزرن المصطلين بها الحتوفا  
كأمثال العقائق أخلصتها قيون الهند لم تضرب كتيفا  
تخال جديء الأبطال فيهاغداة الروع جاديا مدوفا  
أجدهم أ ليس لهم نصيح من الأقسام كان بنا عريفا  
يخبرهم بأنا قد جمعنا عتاق الخيل و النجب الطروفا  
و أنا قد أتيناهم بزحف يحيط بسور حصنهم صفوفا  
رئيسهم النبى و كان صلبانقى القلب مصطبرا عزوفا  
رشيد الأمر ذا حكم و علم و حلم لم يكن نزقا خفيفا  
نطيع نبينا و نطيع ربا هو الرحمن كان بنا رءوفا  
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل و نجعلكم لنا عضدا و ريفا  
و إن تابوا نجاهدكم و نصبرو لا يك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تنبوا إلى الإسلام إذعانا مضيئا

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٨٢٣)، الإصابة الترجمة رقم (٥٥٤٢)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٨٠)، الأعلام (٤/ ٢٢٧)، الثقات (٣/ ٣١٣)، التحفة اللطيفة (٣/ ١٨٧)، تبصير المنتبه (٤/ ١٤٩٥)، العبر (١/ ١٠).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٩٠)، الإصابة الترجمة رقم (٦٩٤٠)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤١٩٠).

(٣) انظر الأبيات في: السيرة (٤/ ١٠٦-١٠٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٥٣٣ نجاهد لا نبالى ما لقينا أهلكننا التلاد أم الطريفا

و كم من معشر ألبوا علينا صميم الجذم منهم و الحليفا

أتونا لا يرون لهم كفاء فجدعنا المسامع و الأنوفا

بكل مهند لين صقيل نسوقهم بها سوقا عنيفا

لأمر الله و الإسلام حتى يقوم الدين معتدلا حنيفا

و تنسى اللات و العزى و ودو نسلها القلائد و الشنوفا

فأمسوا قد أقروا و اطمأنوا و من لا يمتنع يقبل خسوفا

و سلك رسول الله صلى الله عليه و سلم على نخلة اليمانية، و انتهى إلى بحرة الرغاء «١» فابتنى بها مسجدا فصلى فيه و أقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل من بنى ليث فقتله به، و هو أول دم أقيد به فى الإسلام، و أمر فى طريقه بحصن مالك بن عوف فهدم. ثم سلك فى طريق فسأل عن اسمها فقيل له: الضيقة. فقال: «بل هى اليسرى». ثم خرج منها حتى نزل تحت سدره يقال لها: الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إما أن تخرج، و إما أن نخرب عليك حائطك»، فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه.

ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل ناس من أصحابه بالنبل، و ذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النبل تنالهم، و لم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم. الاكتفاء، الكلاعى ج ١ ٥٣٣ غزوة الطائف ..... ص :

٥٣١

ما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم فحاصروهم بضعا و عشرين ليلة، و قيل «٢»: بضع عشرة ليلة و معه امرأتان من نساءه، إحداهما أم سلمة، فضرب لهما قبتين، ثم صلى بينهما، فلما أسلمت ثقيف بنى عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلاه ذلك مسجدا، و كانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قاتلهم قتالا شديدا، و تراموا بالنبل «٣».

و رماهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمنجنيق فيما ذكر ابن هشام، قال: و هو أول من رمى به فى الإسلام إذ ذاك «٤».

(١) بحرة الرغاء: هو موضع من أعمال الطائف قرب لئىة. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٤٦).

(٢) هذا من كلام ابن هشام، قال: و يقال: سبع عشرة ليلة. انظر: السيرة (٤/ ١٠٩).

(٣) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٤/ ٣٤٦)، الطبرى فى تاريخه (٢/ ١٧٢).

(٤) انظر: السيرة (٤/ ١١٠)، و ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٤/ ٣٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٥٣٤

حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت دبابه ثم رجعوا بها إلى



جدار الطائف ليحرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محمأة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم بالنبل فقتلوا منهم رجلا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعتاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون، وتقدم أبو سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبه إلى الطائف فناديا ثقيفا أن آمنونا حتى نكلمكم فآمنوهما. فدعوا نساء من نساء قريش و بنى كنانة منهن ابنة أبي سفيان ليخرجن إليهما و هما يخافان عليهن السباء فأبين، فلما أبين قال لهما الأسود بن مسعوديا أبا سفيان و يا مغيرة أ لا أدلكما على خير مما جئتما له؟ إن مال بنى الأسود حيث علمتما، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بينه و بين الطائف بواد يقال له العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء و أشد مؤنة و لا أبعد عمارة من مال بنى الأسود، و إن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا، فكلماه فليأخذه لنفسه او ليدعه لله و للرحم، فإن بيننا و بينه من القرابة ما لا يجهل.

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم. و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لأبي بكر الصديق رضي الله عنه و هو محاصر ثقيفا: «يا أبا بكر، إنى رأيت إنى أهديت إلى قعبة مملوءة زبدا، فنقرها ديك، [فهرق] «١» ما فيها». فقال: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و أنا لا أرى ذلك» «٢».

ثم إن خويله بنت حكيم السلمية «٣»، امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حللى بادية بنت غيلان، أو حللى الفارعة ابنة عقيل.

و كانتا من أحلى نساء ثقيف. فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «و إن كان لم يؤذن فى ثقيف يا خويله؟» فخرجت خويله، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما حديث حدثتني خويله، زعمت أنك قلتها؟ قال: «قد قلتها». قال: أو ما أذن فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: أ فلا أؤذن بالرحيل؟ قال: «بلى»، فأذن عمر بالرحيل «٤».

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٣٥٠ / ٤).

(٣) انظر ترجمتها فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٣٥٥)، الإصابة الترجمة رقم (١١١١٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٨٨٨)، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٤ / ٢)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٨٠ / ٣).

(٤) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (١٦٨ / ٥ - ١٦٩)، ابن كثير فى البداية و النهاية (٣٥٠ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٣٥

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد: أ لا إن الحى مقيم. يقول عيينة بن حصن «١»:

أجل، و الله مجده كراما! فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة؟ أ تمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قد جئت تنصره؟ قال: إنى و الله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم، و لكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتظنها لها تلد لى رجلا فإن ثقيفا قوم مناكير.

و نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته عليهم عبيد لهم فأسلموا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد «٢»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، أولئك عتقاء الله» «٣».

و استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا، سبعة من قريش و أربعة من الأنصار و رجل من بنى ليث «٤».

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف حتى نزل الجعرانة و إليها كان قدم سبى هوازن و أموالهم «٥»، و قال له رجل

من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفا و ائت بهم» «٦».

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، و قد أسلموا، و كان معه من سيهم ستة آلاف من الذراري و النساء و من الإبل و الشاء ما لا يدري ما عدته، فقالوا: يا رسول الله إنا أهل و عشيرة و قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك، و قام رجل منهم من سعد بن بكر يقال له: زهير، يكنى بأبي صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك و خالاتك و حواضنك اللاتي كن يكفلنك، و لو أنا ملحنا للحارث بن

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٧٨)، الإصابة الترجمة رقم (٦١٦٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤١٦٦)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤٣٢)، الاستبصار (٩٤، ٩٥)، العبر (١٢، ١٣)، الثقات (٣/ ٣١٢).

(٢) ذكر ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١١٢)، إنه كان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة.

(٣) انظر الحديث في: تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٥٩).

(٤) قد سمهم ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١١٣ - ١١٤).

(٥) راجع أمر أموال هوازن و سباياها في: تاريخ الطبري (٢/ ١٧٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٦٨)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٥٢، ١٥٣)، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/ ١٩٣).

(٦) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٤٣)، سنن الترمذي (٥/ ٣٩٤٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٣٦

أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزلا منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه، و عائدته علينا، و أنت خير المكفولين. ثم أنشأ يقول:

امن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه و ننتظر

امن على بيضة قد عاقها قدر مفرق شملها في دهرها غير

أبقت لنا الحرب هتافا على حزن على قلوبهم الغماء و الغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملأه من محضها الدرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها و إذ يزينك ما تأتي و ما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعمته و استبق منه فإننا معشر زهر

إننا لنشكر للنعمى و قد كفرت و عندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو يشتهر

إننا نؤمل عفو منك تلبسه هذى البرية أن تعفو و تنصر

فاعف عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أبناءؤكم و نساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا و أحسابنا،

بل ترد إلينا نساءنا و أبناءنا فهو أحب إلينا. فقال لهم:

«أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم و إذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا:

إننا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، و بالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا و نساءنا.

فسأعطيكم عند ذلك و أسأل لكم».

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أما ما كان لى و

لبنى عبد المطلب فهو لكم»، فقال المهاجرون: و ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الأقرع بن حابس «١»: أما أنا و بنو تميم فلا. و قال عيينة بن حصن: أما أنا و بنو فزارة فلا. و قال عباس بن مرداس: أما أنا و بنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عباس: و هنتمونى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما من تمسك منكم

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٦٩)، الإصابة الترجمة رقم (٢٣١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٠٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٦)، الوافى بالوفيات (٩/٣٠٧)، تهذيب تاريخ دمشق (٣/٨٩)، تنقيح المقال (١٠٣٤)، الثقات (٣/١٨)، الجامع فى الرجال (٢٨١)، التحفة اللطيفة (١/٣٣٧)، جامع الرواة (١/١٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٥٣٧

بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض من أول شىء أصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم و نساءهم» «١». و كان عيينة بن حصن أخذ عجوزا من عجائزهم و قال حين أخذها: أرى عجوزا، إنى لأحسب أن لها فى الحى نسبا و عسى أن يعظم فداؤها. فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردھا، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك فوالله ما فوها يبارد، و لا ثديها بناهد، و لا بطنها بوالد، و لا زوجها بواجد، و لا درھا بماكد، فردھا بست فرائض حين قال له زهير ما قال «٢». و سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم و فد هوأزن: «ما فعل مالك بن عوف؟» فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف. فقال لهم: «أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائة من الإبل». فأتى مالك بذلك فخاف ثقيفا أن يعلموا بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسبوه، فأمر براحلته فهيت له، و أمر بفرس له فأتى به بالطائف، فخرج ليلا على فرسه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة أو بمكة، فرد عليه أهله و ماله و أعطاه مائة من الإبل و أسلم فحسن إسلامه «٣».

و قال:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله فى الناس كلهم بمثل محمد أوفى و أعطى للجزيل إذا اجتدى و متى تشأ يخبرك عما فى غد و إذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمى و ضرب كل مهند فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر فى مرصد فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن بن حبيب الثقفى «٤»:

(١) انظر الحديث فى: سنن أبى داود كتاب الجهاد (٢٦٩٤)، السنن الكبرى للبيهقى (٦/٣٣٦، ٣٣٧)، مسند الإمام أحمد (٢/١٨٤، ٢١٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/١٨٧، ١٨٨).

(٢) انظر: السيرة (٤/١١٩)، و ذكر هناك زيادة بعد هذا و هى: «... فرعموا أن عيينة لقيه الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك و الله ما أخذتها ببضء غريرة، و لا نصفاء و ثيرة».

قلت: ذكره البيهقى فى دلائل النبوة (٥/١٩٣)، الهيثمى فى المجمع (٦/١٨٨).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٥/١٩٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/١٨٩).

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣١٩٣)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٥٠٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٦٢٢٨)، تجريد أسماء

الصحابة (٢/ ٢٠٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٣٨ هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمه

و أتانا مالک بهم ناقضا للعهد و الحرمه و لما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب و اتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيثنا. للإيل و الغنم، حتى ألقوه إلى شجرة فاختطف عنه رداءه فقال: «ردوا على رداي أيها الناس، فوالله إن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمة لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلا و لا جبانا و لا كذوبا» (١).

ثم قام إلى جنب بعير فأخذ و بره من سنامه فرفعها ثم قال: «أيها الناس، و الله ما لي من فيثكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس و الخمس مردود عليكم فأدوا الخائط و المخيط، فإن الغلول يكون على أهله عارا و شنارا و نارا يوم القيامة»، فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر. فقال:

«أما نصيبى منها فللك». قال: أما إذا بلغت ذلك فلا حاجة لي بها. ثم طرحها من يده (٢).

و يروى (٣) أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه و سيفه متلطح دما فقالت: إني قد عرفت أنك قد قاتلت فما ذا أصبت من غنائم المشركين؟ قال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك. فدفعها إليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من أخذ شيئا فليرده حتى الخائط و المخيط. فرجع عقيل فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت! و أخذها فألقاها في الغنائم.

و أعطى رسول الله صلى الله عليه و سلم المؤلفه قلوبهم، و كانوا أشرفا من أشرف الناس، يتألفهم و يتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب و ابنه معاوية و حكيم بن حزام و الحارث بن الحارث بن كلدة، و الحارث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى و صوفان بن أمية، و كل هؤلاء من أشرف قريش، و الأقرع بن حابس التميمي و عيينة بن حصن الفزاري و مالک بن عوف النصرى، أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش و غيرهم مائة بعير، و أعطى دون المائة رجلا من قريش منهم

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٦/ ٢٨٢١)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٨٤)، مصنف عبد الرزاق (٥/ ٩٤٩٧).

(٢) انظر الحديث فى: السنن الكبرى للبيهقى (٩/ ١٠٢)، موطأ مالک (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٥/ ٣٣٩).

(٣) انظر: السيرة (٤/ ١٢١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٣٩

مخرمة بن نوفل و عمير بن وهب، و أعطى سعيد بن يربوع المخزومي و عدى بن قيس السهمي خمسين خمسين، و أعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها و قال يعاتب فيها النبى صلى الله عليه و سلم:

و كانت نهايا تلافيتها بكرى على المهر فى الأجرع

و إيقاظى القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع

فأصبح نهيبى و نهب العبيد بين عيينة و الأقرع

و قد كنت فى الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئا و لم أمتع

إلا أفائل أعطيتها عديد قوائمه الأربع

و ما كان حصن و لا حابس يفوقان مرداس فى مجمع

و ما كنت دون امرئ منهما من تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أذهبوا فاقطعوا عنى لسانه» (١)، فأعطوه حتى رضى، فكان ذلك قطع لسانه.

و ذكر ابن هشام (٢) أن عباسا أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم: فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أنت القائل:

فأصبح نهى و نهب العبيد بين الأفرع و عيينة»

فقال أبو بكر: بين عيينة و الأفرع، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هما واحد». فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ [يس: ٦٩] «٣».

و ذكر ابن عقبة ان عباسا لما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بقطع لسانه فزع لها و قال: من لا يعرف أمر عباس يمثل به، فأتى به إلى الغنائم فقبل له: خذ منها ما شئت، فقال عباس:

إنما أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقطع لساني بالعطاء بعد أن تكلمت فتكرم أن يأخذ منها شيئا، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم بحلة فقبلها و لبسها.

و قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم قائل من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن و القرع بن حابس مائة مائة و تركت جعيل بن سراقه الضمري؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

(١) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٢/ ٧٣٧، ٧٣٨)، كشفا الخفاء للعجلونى (١/ ١٨٢، ٤٨٤).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ١٢٣).

(٣) انظر الحديث فى: تاريخ ابن كثير (٤/ ٣٦٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٠

«أما و الذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة و الأفرع و لكنى تألفتها ليسلما و وكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه» (١).

و جاء رجل من بنى تميم يقال له: ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يعطى الناس فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«أجل، فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: «و يحك! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: أ لا نقتله؟ فقال: «لا، دعوه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر فى النصل فلا يوجد شىء، ثم فى القدح فلا يوجد شىء، ثم فى الفوق فلا يوجد شىء، سبق الفرث و الدم» (٢).

و لما أعطى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أعطى فى قريش و فى قبائل العرب و لم يعط الأنصار شيئا، و جدوا فى أنفسهم حتى كثرت منهم القائله و حتى قال قائلهم: لقي و الله رسول الله صلى الله عليه و سلم قومه.

و ذكر ابن هشام (٣) أن حسان بن ثابت قال يعاتبه فى ذلك:

زاد الهموم فماء العين منحدرسحا إذا حفلته عبرة درر

وجدا بشماء إذ شماء بهكنه هيفاء لا ذنن فيها و لا خور

دع عنك شماء إذ كانت مودتها نورا و شر وصال الواصل النزر

و أنت الرسول فقل يا خير مؤتمن للمؤمنين إذا ما عدد البشر

علام تدعى سليم و هى نازحة قدم قوم هم آووا و هم نصروا

سماهم الله أنصارا ينصرهم دين الهدى و عوان الحرب تستعر

و سارعوا فى سبيل الله و اعترفوا للنائبات و ما خافوا و ما ضجروا

و الناس إلب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف و أطراف القنا و زر

نجالد الناس لا نبقي على أحد ولا نضيع ما توحى به السور  
و لا تهز جناة الحرب ناديناو نحن حين تلظى نارها سعر  
كما رددنا بيدر دون ما طلبوا أهل النفاق و فينا ينزل الظفر

(١) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٤٦ / ٤)، حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٣٥٣).

(٢) انظر الحديث في: صحيح مسلم (٢ / ٧٤٤، ٧٤٥، ١٤٨)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦ / ٢٨٨).

(٣) انظر الأبيات في: السيرة (٤ / ١٢٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤١ و نحن جندك يوم النعف من أحد إذ حزبت بطرا احزابها مضر  
فما وينا و لا خمنا و ما خبروا منا عثارا و كل الناس قد عثروا

فدخل سعد بن عبادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك لما صنعت  
فى هذا الفىء الذى أصبت، قسمت فى قومك و أعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب و لم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء.  
قال: «أين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال:

«فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا و جاء  
آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أعلمه سعد بهم فأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا  
معشر الأنصار، ما قاله بلغتنى عنكم و جدته و جدتموها على فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، و عالة فأغناكم الله، و أعداء  
فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بل الله و رسوله أمن و أفضل، ثم قال: «ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار؟» قالوا: بما ذا نجيبك يا رسول الله،  
لله و لرسوله المن و الفضل، فقال صلوات الله عليه: «أما و الله لو شئتم لقلتم فلصدقتم و لصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، و مخذولا  
فنصرناك، و طريدا فأويناك، و عائلا فأسيناك، أو جدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا  
و كلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
رحالكم، فو الذى نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعبا  
الأنصار، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار»، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله صلى الله  
عليه و سلم قسما و حظا. ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم و تفرقوا «١».

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا، و أمر ببقايا الفىء فحبس بمجنه بناحية مر الظهران، فلما فرغ من عمرته  
انصرف راجعا إلى المدينة و استخلف عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم القرآن، و  
أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء «٢».

و لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابا على مكة رزقه فى كل يوم درهما، فقام عتاب

(١) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٢ / ٧٣٥، ٧٣٦، ١٣٥)، صحيح البخارى (٧ / ٤٣٣٧)، مسند الإمام أحمد (٣ / ٧٦، ٧٧)، مجمع  
الزوائد للهيثمى (١٠ / ٢٩).

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٤ / ٣٦٨)، الحاكم فى المستدرک (٣ / ٣٧٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٢

خطيبا فى الناس فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم  
فليست بى حاجة إلى أحد «١».

و كانت عمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، و قدم المدينة في بقيته أو في أول ذي الحجة «٢».

و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه و حج عتاب بن أسيد بالمسلمين فيها و هي سنة ثمان، و أقام أهل الطائف على شركهم و امتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رمضان سنة تسع.

و لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره هذا منصرفاً عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالاً - بمكة ممن كان يهجوهم و يؤذيه، و أن من بقى من شعراء قريش ابن الزبير و هبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً، و إن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض.

فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض و أشفق على نفسه و أرجف به من كان في حضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يذكر فيها خوفه و إرجاف الوشاة به، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح، فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه، فذكر أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس إليه فوضع يده في يده، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، دعني و عدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك، فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً» «٣».

فغضب كعب على الأنصار لما صنع به صاحبهم و مدح المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير.

(١) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٤/ ٣٦٨).

(٢) ذكره مسلم في صحيحه كتاب الحج (٢/ ٢١٧، ٩١٦)، ابن كثير في البداية و النهاية (٤/ ٣٦٨)، أبو داود (١٩٩٤)، الترمذى (٨١٥)، أحمد في المسند (١/ ٢٤٦، ٣٢١).

(٣) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٤/ ٣٦٩)، مستدرک الحاكم (٣/ ٥٨٣)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٣٩٣، ٣٩٤).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٣

و القصيدة التي قالها كعب في ذلك و ذكر أنه أنشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول متيم عندها لم يجز مكبول

و ما سعاد غداة البين إذ برزت إلا أغن غضيض الطرف مكحول «١»

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول «٢»

شحت بذي شيم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى و هو مشمول «٣»

تنفى الرياح القذى عنه و أفرطه من صوب غادية بيض يعاليل «٤»

و بلمها خلة لو أنها صدقت بوعدها أو لو أن النصح مقبول

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع و ولع و إخلاف و تبديل

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول «٥»

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ما مواعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنك ما منت و ما وعدت إن الأمانى و الأحلام تضليل «٦»



أمست سعاد بأرض لا تبلغها إلا العتاق النجيات المراسيل  
و لا يبلغها إلا عذافرة فيها على الأبن إرقال و تبغيل «٧»  
من كل نضاخة الذفري إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول «٨»

(١) الأغن: الصبي الصغير الذي في صوته غنة، و هي صوت يخرج من الخيشوم. غضيض الطرف:  
أى فاطر الجفن.

(٢) العوارض: الأسنان. ذى ظلم: الظلم ماء الأسنان و بريقها. الراح: اسم من أسماء الخمر.

(٣) شجت: مزجت. ذى شيم: أى الماء البارد. المجنية: منتهى الوادى.

(٤) القذى: أراد ما يقع في الماء من تب أو غيره. الصوب: المطر. غادية: السحابة التي تمطر بالغدو.  
اليعاليل: هو رغو الماء.

(٥) ذكر في السيرة بعد هذه البيت بيت آخر لم يذكره هنا و هو:

و ما تمسك بالعهد الذى زعمت إلا كما يمسك الماء الغرايل انظر: السيرة (١٣٢ / ٤).

(٦) ذكر في السيرة هذا البيت قبل البيت الذى يسبقه هنا. و هناك بيت آخر لم يذكره هنا ورد بعدهما و هو:

أرجو و آمل أن تدنو مودتهاو ما إخال لدينا منك تنويل انظر: السيرة (١٣٢ / ٤).

(٧) العذافرة: بضم العين هي الناقه الضخمة. الأين: الفطور و الإعياء. الإرقال: ضرب من السير.

(٨) ذكر في السيرة بعد هذا البيت بيت آخر لم يذكره هنا و هو:

ترمى النجاد بعينى مفرد لهق إذا توقدت الحزان و الميل انظر: السيرة (١٣٣ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٤ ضخم مقلدها فعم مقيدها فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل «\*»

حرف أخوها أبوها من مهجنه و عمها خالها قوداء شمليل «\*»

كأن أوب ذراعيها و قد عرقت و قد تلفع بالقور العساquil «\*»

أوب يدي فاقد شمطاء معولة قامت فجاوبها نكد مثاكيل

نواحه رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول

تفرى اللبان بكفيها و مدرعها مشقق عن تراقيا رعايل

تمشى الغواة بجنيها و قولهم إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

و قال كل صديق كنت آمله لا ألهينك إنى عنك مشغول

فقلت خلوا طريقي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى و إن طالت سلامته يوما على آله حذباء محمول

نبث أن رسول الله أوعدنى و العفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافله القرآن فيها مواعظ و تفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة و لم أذنب و لو كثرت فى الأفاويل

(\*» ذكر في السيرة بعد هذا البيت بيتان لم يذكرهم هنا و هما:

غلباء و جناء علكوم مذكرة فى دفها سعة قدامها ميل

و جلدها من أطوم ما يؤيسه طلع بضاحية المتنين مهزول انظر: السيرة (٢/ ١٣٣).

(\*) ذكر في السيرة بعد هذا البيت أبيات أخرى لم يذكره هنا و هي:

يمشى القراد عليها ثم يزلفه منها لبان و أقراب زهاليل

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول

كأنما فات عينها و مذبحها من خطمها و من اللحين برطيل

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل في غارز لم تخونه الأحاليل

قنواء في حرتها للبصير بهاعتق ميين و في الخدين تسهيل

تخدى على يسرات و هي لا حقة ذوابل مسهن الأرض تحليل

سمر العجايات يترك الحصى زيمالم يقهن رءوس الأكم تنعيل انظر: السيرة (٤/ ١٣٤، ١٣٥).

(\*) ذكر في السيرة بعد هذا البيت بيتان لم يذكرهم هنا و هما:

يوما يظل به الحرباء مصطخدا كأن ضاحية بالشمس مملول

و قال للقوم حاديهم و قد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصاقلوا انظر: السيرة (٤/ ١٣٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٥ لقد أقوم مقاما لو يقوم به يرمى و يسمع ما قد أسمع الفيل

[لظل ترعد من خوف بواده إن لم يكن من رسول الله تنويل

حتى وضعت يميني ما أنازعها في كف ذى نجمات قوله القيل

فلهو أخوف عندي إذ أكلمه و قيل إنك منسوب و مسئول

من ضيغم بضراء الأرض مخدره في بطن عثر غيل دونه غيل

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في عصبه من قريش قال قائلهم بطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال انكاس و لا كشف عند اللقاء و لا ميل معازيل

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنايل

شم العرائين أبطال لبوسهم من نسج داود فى الهيجا سرايل

بيض سوايغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوما و ليسوا مجازيعا إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ليس لهم عن حياض الموت تهليل و يروى أن كعبا لما أنشد رسول الله صلى الله عليه و سلم:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أشار رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده إلى الخلق: «أى اسمعوا». تعجبا بقوله.

و من مستجاد شعر كعب بن زهير قوله أيضا يمدح النبى صلى الله عليه و سلم:

تخدى به الناقة الأدماء معتجرا بالبرد كالبرد جلى ليله الظلم

و فى عطافيه أو أثناء برده ما يعلم الله من دين و من كرم

و لما قال كعب فى لاميته المتقدمة: «إذا عرد السود التنايل»، يريد الأنصار و خص المهاجرين بمدحته دونهم غضب عليه الأنصار فقال

بعد أن أسلم يمدحهم و يذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و موضعهم من اليمن، و يقال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم

سلم حظه على ذلك و قال لما أنشده القصيدة المتقدمة: «لو لا ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل؟» «١»، فقال كعب هذه

الآيات:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالح الأنصار  
ورثوا المكارم كابرا عن كابرا إن الخيار هم بنو الأخيار

(١) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٤/ ٣٧٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٦ المكرهين السمهرى بأذرع كسوالف الهندى غير قصار  
و الناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليله الإبصار  
و البائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق و كرار  
يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار  
دربوا كما دربت بطن خفيه غلب الرقاب من الأسود ضوارى  
و إذا حلت ليمنعوك إليهم أصبحت عند معاقل الأغفار  
ضربوا عليا يوم بدر ضربه دانت لوقعتها جميع نزار  
لو يعلم الأقوام علمى كله فيهم لصدقنى الذين أمارى  
قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين النازلين مقارى  
فى الغر من غسان فى جرثومة أعيت محافرها على المحفار «١٠»

و كان عبد الله بن الزبيرى السهمى شاعر قريش و لسانها فى مناقضة حسان بن ثابت و غيره من شعراء رسول الله صلى الله عليه و سلم،  
له فى ذلك أشعار كثيرة ذكرها ابن إسحاق فى مواضعها و أضربنا نحن عنها و عن سائر أشعار الجاهلية لما فيها من تنقص الإسلام و  
النيل من أهله، فلما كان عام الفتح فر ابن الزبيرى إلى نجران فرماه حسان بن ثابت بيت واحد ما زاد عليه و هو:

لا تعد من رجلا أحلك بغضه نجران فى عيش أحد لثيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبيرى «١» خرج إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم، و قال فى ذلك أشعارا منها فى آيات «٢»:  
يا رسول الله المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور  
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله مشبور و قال أيضا حين أسلم «٣»:

منع الرقاد بلابل و هموم و الليل معتلج الرواق بهيم

(١٠) انظر الآيات فى: السيرة (٤/ ١٣٨ - ١٣٩).

(١) هو عبد الله بن الزبيرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى. انظر ترجمته فى:  
الاستيعاب الترجمة رقم (١٥٥١)، الإصابة الترجمة رقم (٤٦٩٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٩٤٦).  
(٢) انظر الآيات فى: السيرة (٤/ ٥٤).

(٣) انظر الآيات فى: السيرة (٤/ ٥٥)، و قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٧ مما أتانى أن أحمد لامننى فيه فبت كأننى محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيرائه سرح اليدى عشوم

إنى لمعتذر إليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تامرنى بأغوى خطه سهم و تأمرنى بها مخزوم

و أمد أسباب الردى و يقودنى أمر الغواة و أمرهم مشؤم  
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبى و مخطئى هذه محروم  
مضت العداوة فانقضت أسبابها و دعت أواصر بيننا و حلوم  
فاغفر فدى لك و الداي كلاهما للى فإنك راحم مرحوم  
و عليك من علم المليك علامة نور أغر و خاتم مختوم  
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا و برهان الإله عظيم  
و لقد شهدت بأن دينك صادق حق و أنك فى العباد جسيم  
و الله يشهد أن أحمد مصطفى متقبل فى الصالحين كريم  
فرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن فى الذرى و أروم

### غزوة تبوك «١»

و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة بعد منصرفه عن عمرة الجعرانة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، و ذلك فى زمان عسرة من الناس و شدة من الحر و جذب من البلاد، و حين طابت الثمار و الناس يحبون المقام فى ثمارهم و ظلالهم و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قل ما يخرج فى غزوة إلا ورى عنها و أخبر أنه يريد غير الوجه الذى يعمد إليه، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعده الشقة و شدة الزمان و كثرة العدو الذى يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز، و أخبرهم أنه يريد الروم. فقال صلى الله عليه و سلم ذات يوم و هو فى جهازه للجد بن قيس أحد بنى سلمة:  
«يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر؟» فقال: يا رسول الله، أو تأذن و لا تفتنى، فو الله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى، و إنى أخشى إن رأيت

(١) راجع هذه الغزوة فى: المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٦٢)، المغازى للواقدي (٣/ ٩٨٩)، طبقات ابن سعد (٢/ ١١٨، ١١٩)، تاريخ الطبرى (٣/ ١٠٠)، البدايه و النهايه (٥/ ٢)، الكامل (٢/ ١٤٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٨

نساء بنى الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: «قد أذنت لك»، ففیه نزلت: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتَدَنْ لى وَ لَا تَفْتِنِّى أَلَا فى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [التوبة: ٤٩] «١» أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر و ليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر لتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: و إن جهنم لمن ورائه «٢».

و قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحر: زهاده فى الجهاد و شكافى الحق و إرجافا بالرسول، فأنزل الله فيهم: وَ قَالُوا لَا تَنْفِرُوا فى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لِيُبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [التوبة: ٨١، ٨٢].

و بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، يشبطون الناس عنه فى غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه و أمره أن يحرق عليهم البيت و فعل طلحة، فاقتمح الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله و اقتحم أصحابه فأفلتوا «٣» فقال الضحاك فى ذلك:

و كادت و بيت الله نار محمد يشيط بها الضحاك و ابن أبيرق

و ظلت و قد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلى كسيرا و مرفقى

سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف و من تشمل به النار يحرق ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم جد فى سفره و أمر الناس بالجهاز و الانكماش، و حض أهل الغنى على النفقة و الحملان فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى و احتسبوا، و أنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض» «٤».

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم البكاءون و هم سبعة نفر من الأنصار و غيرهم، سالم بن عمير «٥»، و علبه بن زيد «٦»، و أبو ليلي بن كعب «٧»، و عمرو

(١) انظر الحديث فى: زاد المسير لابن الجوزى (٣/٣٠٥)، دلائل النبوة للبيهقى (٥/٢١٣).

(٢) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/١٨٢).

(٣) ذكره ابن كثير فى التاريخ (٥/٣).

(٤) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهندي (١١/٥٩٣ / ٣٢٨٤١)، جامع الجوامع للسيوطى (١/٣٨١).

(٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٨٨٥)، الإصابة الترجمة رقم (٣٠٥٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٩٠٠)، الطبقات الكبرى

(٣/٤٨٠)، الوافى بالوفيات (١٥/٨٩)، تاريخ الإسلام (١/٦٠)، تاريخ يعقوبى (٢/٢٧).

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٥٦)، الإصابة الترجمة رقم (٥٦٧٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٧٦١).

(٧) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣١٨٤)، الإصابة الترجمة رقم (١٠٤٧٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٤٩

ابن حمام، و هرمى بن عبد الله «١»، و عبد الله بن مغفل المزنى «٢»، و يقال: عبد الله بن عمرو المزنى «٣»، و عرباض بن سارية الفزارى «٤»، فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم أهل حاجة فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون «٥».

فذكر أن ابن يامين بن عمير النضرى لقي أبا ليلي بن كعب و ابن مغفل و هما يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ قال: جئنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه و ليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه و زودهما شيئا من تمر فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم «٦». و جاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله، و ذكر أنهم نفر من بنى غفار «٧».

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٧٣٧)، الإصابة الترجمة رقم (٩٠٤٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٣٦٥).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٦٨٥)، الإصابة الترجمة رقم (٤٩٨٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٢٠٢)، تاريخ ابن معين

(٣٣٣)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٦)، الوافى بالوفيات (٧/٦٢٨)، تهذيب الكمال (٧٤٥)، تهذيب التهذيب (٦/٤٢)، خلاصة تذهيب

الكمال (٢١٥، ٢١٦)، شذرات الذهب (١/٦٥).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٦٤٠)، الإصابة الترجمة رقم (٤٨٧٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٠٩٧)، تجريد أسماء

الصحابة (١/٣٢٦)، تهذيب التهذيب (٥/٣٤١)، تهذيب الكمال (٢/٧١٧)، تاريخ الإسلام (٣/١٠٧)، الثقات (٣/٢٣٨).

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٠٤٩)، الإصابة الترجمة رقم (٥٥١٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٦٣٠)، معرفة الرجال

(٢/٢٠٣)، سير أعلام النبلاء (٣/٤١٩)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (٢٣١)، المعين و طبقات المحدثين (٢٤)، مرآة الجنان (١/

١٥٦)، تقريب التهذيب (٢/١٧)، خلاصة تذهيب التهذيب (٢٦٩)، شذرات الذهب (١/٨٢).

(٥) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٢١٨)، أسباب النزول (٢١٢)، تفسير الطبرى (١٠/ ١٤٥، ١٤٦)، فتح القدير للشوكانى (٢/ ٥٥١).

(٦) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٥/ ٥)، الطبرى فى تاريخه (٢/ ١٨٢).

(٧) انظر: السيرة (٤/ ١٤٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٠

ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره، و أجمع السير و تخلف عنه نفر من المسلمين عن غير شك و لا ارتياب، منهم كعب بن مالك أخو بنى سلمة و مرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف، و هلال بن أمية أخو بنى واقف، و أبو خيثمة أخو بنى سالم، و كانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم.

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع و ضرب عبد الله بن أبى معه على حده عسكره أسفل منه نحو ذباب «١»، و كان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين و أهل الريب.

و خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب على أهله، و أمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، و قالوا: ما خلفه إلا استتقلا له، و تخففا منه، فلما قالوا ذلك أخذ على سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استتقتني و تخففت مني، فقال: «كذبوا و لكنى خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني فى أهلى و أهلِكَ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى» «٢». فرجع على إلى المدينة رضى الله عنه و مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره.

ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما رجع إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها و بردت له فيه ماء و هيأت له طعاما، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته و ما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح و الريح و الحر، و أبو خيثمة فى ظل بارد و طعام مهيا و امرأة حسناء فى ماله مقيم! ما هذا بالنصف ثم قال: و الله لا أدخل على عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيتا لى زادا ففعلتا ثم قدم ناظحه فارتحلته ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك. و قد كان أدرك أبا خيثمة فى الطريق عمير بن وهب الجمحى يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ذباب: ذكره الحازمى بكسر أوله و باءين و قال: جبل بالمدينة له ذكر فى المغازى و الأخبار، و عن العمرانى: ذباب بوزن الذباب الطائر جبل بالمدينة. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣).

(٢) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة تبوك (٧/ ٤٤١٦)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على (٤/ ٣١، ٣٢)، دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٢٢٠)، تاريخ ابن كثير (٥/ ٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥١

فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير: إن لى ذنبا فلا عليك أن تخلف عنى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة». قالوا: هو و الله أبو خيثمة يا رسول الله، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثمة!» ثم أخبره خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا و دعا له بخير «١». و يروى أن أبا خيثمة! قال فى ذلك «٢»:

و لما رأيت الناس فى الدين نافقوا أتيت التى كانت أعف و أكرما  
و بايعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثما و لم أغش محرما  
تركت خضيبا فى العريش و صرمة صفايا كراما بسرهما قد تحمما  
و كنت إذا شكك المنافق أسمحت إلى الدين نفسى شطره حيث يمينا

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم حين مر بالحجر نزلها و استقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تشربوا من مائها و لا يتوضأ منه للصلاة و ما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، و لا تأكلوا منه شيئا، و لا يخرجن أحد منكم الليلة إلا و معه صاحب له».

ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته و خرج الآخر فى طلب بعير له، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خفق على مذهبه، و أما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتمله الريح حتى طرحته بجبل طيء، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: أ لم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا و معه صاحبه؟ ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى، و أما الذى وقع بجبل طيء، فإن طينا أهدته لرسول الله صلى الله عليه و سلم حين قدم المدينة «٣».

و لما مر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحجر سجدى ثوبه على وجهه، و استحث راحلته ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم» «٤».

فلما أصبح الناس و لا ماء معهم شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس و احتملوا حاجتهم من الماء. قال محمود بن لبيد «٥»:

(١) انظر الحديث فى: صحيح مسلم (٥٣ / ٤ - ٢١٢٠ - ٢١٢٢)، دلائل النبوة للبيهقى (٢٢٣ / ٥)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٩٣ / ٦).

(٢) انظر الأبيات فى: السيرة (١٤٦ / ٤).

(٣) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٢٤٠ / ٥)، البداية و النهاية لابن كثير (١١ / ٥).

(٤) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٣٣٨١ / ٦)، صحيح مسلم (٣٩ / ٤)، (٢٢٨٦).

(٥) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٣٧٥)، الإصابة الترجمة رقم (٧٨٣٨)، أسد-

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٢

لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث سار، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم حين دعا فأرسل الله الصحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أقبلنا عليه نقول: و يحك! هل بعد هذا شىء؟ قال: سحابة مارة. قيل لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال:

نعم، و الله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه و من أبيه و من عمه و فى عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك «١».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه فى طلبها و عند رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من أصحابه يقال له: عمارة بن حزم و كان عقيبا بدريا و هو عم بنى عمرو بن حزم و كان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى، و كان منافقا، فقال زيد و هو فى رحل عمارة و عمارة عند رسول الله صلى الله عليه و سلم: أ ليس محمد يزعم أنه نبي و يخبركم عن خبر السماء و هو لا يدري أين ناقته، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و عمارة عنده:

«إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي و يزعم أنه يخبركم بأمر السماء و هو لا يبدى أين ناقته و إنى و الله لا أعلم إلا ما علمنى الله و قد دلى الله عليها و هى فى الوادى من شعب كذا و كذا و قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها؛ فذهبوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: و الله لعجب من شىء حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه.



للذى قال زيد بن اللصيت. فقال رجل ممن كان فى رحل عماره و لم يحضر رسول الله صلى الله عليه و سلم: زيد و الله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عماره على زيد يجرأ فى عنقه و يقول: يا عباد الله! إن فى رحلى لداهيئه و ما أشعر! أخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى «٢».

فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك و قال بعض: لم يزل متهما بشر حتى مات «٣».

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان. فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، و إن يك غير ذلك فقد

– الغابه الترجمة رقم (٤٧٨٠)، طبقات ابن سعد (٧٧ / ٥)، طبقات خليفة الترجمة رقم (٢٠٣٩)، المعرفة و التاريخ (١ / ٣٥٦)، تهذيب الكمال (١٣١٠)، تذهيب التهذيب (٢٦ / ٤)، تهذيب التهذيب (١٠ / ٦٥)، خلاصة تذهيب الكمال (٣١٧)، شذرات الذهب (١ / ١١٢).

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦ / ١٩٤، ١٩٥)، ابن كثير فى البدايه و النهايه (٥ / ٩).

(٢) ذكره البيهقى فى دلائل النبوه (٥ / ٢٢٣)، ابن كثير فى البدايه و النهايه (٥ / ٩).

(٣) انظر: السيره (٤ / ١٤٩).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٣

أراحكم الله منه» حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر و أبطأ به بعيره. فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، و إن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، و تلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحملة على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه و سلم ماشيا، و نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بعض منازل ف نظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كن أبا ذر». فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو و الله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «رحم الله أبا ذر يمشى وحده و يموت وحده، و يبعث وحده» «١».

فقضى الله سبحانه أن أبا ذر لما أخرجه عثمان رضى الله عنه إلى الربده و أدركته بها منيته لم يكن معه أحد إلا امرأته و غلامه، فأوصاهما أن غسلاني و كفنانني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا- ذلك و أقبلوا عبد الله بن مسعود فى رهط من العراق عمار، فلم يرعهم إلا بالجنزة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها و قام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعينونا على دفنه. فاستهل عبد الله يبكى و يقول: صدق رسول الله تمشى وحدك و تموت وحدك و تبعث وحدك! ثم نزل هو و أصحابه فواروه. ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه و ما قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مسيره إلى تبوك «٢».

و قد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف و حليف لبنى سلمه من أشجع يقال له: نخشن بن حمير، و يقال: مخشى، يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أ تحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ و الله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الجبال إرجافا و ترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير، و الله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلده و أنا نتفلت أن ينزل فىنا قرآن لمقاتلكم هذه. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما بلغنا لعمار بن ياسر:

«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلت كذا و كذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم يعتذرون، فقال وديعة بن ثابت

(١) انظر الحديث فى: مستدرك الحاكم (٣ / ٥٠، ٥١)، دلائل النبوه للبيهقى (٥ / ٢٢٢)، البدايه و النهايه لابن كثير (٥ / ٨)، صحيح ابن

حبان (٨/ ٢٣٤)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٣٣١، ٣٣٢).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ١٤٩ - ١٥٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٤

ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فيهم: «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ [التوبة: ٦٥]»، وقال مخش بن حمير: يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى. فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخش بن حمير فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر «١».

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك اتاه يحنه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية. وأتاه أهل جرباء «٢» وأذرح «٣» فأعطوا الجزية، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عندهم [فكتب ليحنه بن رؤبة] «٤»: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنه بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان منهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيبه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر «٥»».

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة وهو أكيدر ابن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد:

«إنك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له:

حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته، وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ تعجبون من هذا؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٣٨١، ٣٨٢)، ابن حجر فى الإصابة (٦/ ٧٥).

(٢) جرباء: كأنه تأنيب الأجر، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز. انظر: معجم البلدان (٢/ ١١٢).

(٣) أذرح: اسم بلد فى أطراف الشام من أعمال السراة، ثم من نواحي البلقاء و عمان مجاورة لأرض الحجاز. انظر: معجم البلدان (١/ ١٢٩).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وما أوردناه من السيرة.

(٥) ذكر البيهقى فى الدلائل (٥/ ٢٤٧، ٢٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٥

الجنة أحسن من هذا» «١». ثم قدم خالد بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال رجل من طيء يقال له: بجير ابن بجرة، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تبارك سائق البقرات إنى رأيت الله يهدى كل هادى

فمن يك حائداً عن ذى تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد «٢» فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلةً ولم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

و كان في الطريق ماء يخرج من وشل يروى الراكب و الراكبين و الثلاثه، بواد يقال له: وادى المشقق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سبقنا إلى الماء فلا يستقين منه شيئاً، حتى تأتيه»، فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً، فقال: «من سبقنا إلى هذا؟» فقبل: يا رسول الله فلان و فلان، فقال:

«أو لم أنهكم أن تستقوا منه شيئاً حتى آتية؟» ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و دعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به و مسح يديه و دعا بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إن حسا كحس الصواعق، فشرب الناس و استقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى و هو أخصب ما بين يديه و ما خلفه» «٣».

و مات في هذه الغزوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله ذو البجادين المزنى، و إنما سمي ذا البجادين لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك و يضيقون عليه حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، و البجاد: الكساء الغليظ الجافى، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنين فاترر بواحد، و اشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له: ذو البجادين لذلك «٤».

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم (٤/١٩١٦/١٢٧)، سنن النسائي (٧/٥٧١٥)، مسند الإمام أحمد (٣/١١١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٦٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥/٢٥٠، ٢٥١).

(٢) انظر الآيات في: السيرة (٤/١٥٢).

(٣) انظر الحديث في: موطأ مالك (١/١٤٣/٢)، البدايه و النهايه لابن كثير (٥/١٨)، صحيح مسلم (٤/١٠/١٧٨٤، ١٧٨٥).

(٤) انظر: السيرة (٤/١٥٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٥٥٦

فكان عبد الله بن مسعود يحدث قال: قمت من جوف الليل و أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فرأيت شعله من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر و عمر و إذا عبد الله ذو البجادين قد مات، و إذا هم قد حفروا له و رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة و أبو بكر و عمر يدليانه إليه و هو يقول: أدليا إلى أخاكما فدياه، فلما هبأ لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» يقول عبد الله ابن مسعود: يا ليتنى كنت صاحب الحفرة! «١».

و قال أبو رهم الغفارى، و كان ممن بايع تحت الشجرة: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه قريباً منه و ألقى علينا النعاس، فطفقت أستيقظ و قد دنت راحلتى من راحلته عليه السلام فيفزعنى دنوها منه مخافة أن أصيب رجله في الغرز فما استيقظت إلا لقوله: حس، فقلت: يا رسول الله استغفر لى: قال: «سر». فجعل يسألنى عنم تخلف من بنى غفار فأخبره به، فقال و هو يسألنى: «ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط» «٢»، فحدثته بتخلفهم، قال: «فما فعل النفر السود الجعاد القصار؟» قلت: و الله ما أعرف هؤلاء منا. قال: «بلى، الذين هم نعم بشبكة شدخ»، فتذكرتهم فى بنى غفار، فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت:

يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً فى سبيل الله؟! إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش و الأنصار و غفار و أسلم» «٣».

قال ابن إسحاق «٤»: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار، و كان أصحاب

مسجد الضرار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلمة المطيرة والليلمة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: «إني على جناح سفر، وحال شغل». أو كما قال صلى الله عليه وسلم: «ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه»، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن

(١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمى (٣٦٩/٩)، البداية والنهاية لابن كثير (١٨/٥).

(٢) الثطاط: جمع ثط، وهو قليل شعر اللحية والحاجبين.

(٣) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٠/٤)، مجمع الزوائد للهيثمى (١٩٢/٦)، مسند الإمام أحمد (٣٥٠/٤).

(٤) انظر: السيرة (١٥٥-١٥٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٥٧.

عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بني العجلان، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه و حرقاه»، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمعن: انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلى. فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشندان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه و تفرقوا عنه و نزل فيهم من القرآن ما نزل: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ١٠٧] إلى آخر القصة «١».

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه من تخلف من المنافقين، وأولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة»، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ولا رسوله، فاعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

فحدث «٢» كعب بن مالك قال: ما تخلفت عن رسول الله فى غزوة غزاهما قط، غير أنى تخلفت عنه فى غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله فيها ولا رسوله أحدا تخلف عنها، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قريش فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة حين تواتقنا على الإسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها.

وكان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعنا لى فى تلك الغزوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبتة وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ، يعنى بذلك الديوان، فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس إليها صعر، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه، وجعلت أعدو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة فأقول فى نفسى: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك

(١) انظر الحديث فى: تفسير ابن كثير (١٤٩/٤).

(٢) انظر: السيرة (١٥٧-١٥٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٥٨

يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد و أصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم غاديا و المسلمون معه و لم أقض من جهازى شيئا فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت و لم أقض شيئا، ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا و تفرط الغزو فهمت أن أرتحل فأدر كههم، و ليتنى فعلت، فلم أفعل، و جعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم فطفت فيهم يحزنى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، و لم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى بلغ تبوك فقال و هو جالس فى القوم بتبوك: ما فعل كعب ابن مالك؟ فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه و النظر فى عطفيه.

فقال له معاذ: بئس ما قلت، و الله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرا. فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم توجه قافلا حضر لى بشى فجعلت أتذكر الكذب و أقول: بما ذا أخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه و سلم غدا؟ و أستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى، فلما قيل لى: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أظلم قادمًا زاح عنى الباطل و عرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدق.

و صبح رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، و كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون من الأعراب فجعلوا يحلفون له و يعتذرون، و كانوا بضعة و ثمانين رجلا، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم علانيتهم و أيمانهم و يستغفر لهم و يكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى: تعاله. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى: «ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك؟» قلت: يا رسول الله، و الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا، و لكن و الله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى و ليوشكن الله أن يسخط عني، و لئن حدثتك اليوم حديثا صادقا تجد على فيه إنى أرجو عقبى من الله فيه، و لا و الله ما كان لى عذر، و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضى فيك. فقامت.

و ثار معى رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا: و الله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، و لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بما اعتذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه و سلم لك، فو الله ما زالوا حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأكذب نفسى، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحد غيرى؟ قالوا:

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٥٩

نعم، رجلا نالا مثل ذلك و قيل لهما مثل ما قيل لك. قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمرى و هلال بن أمية الواقفى، فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أسوء حسنة، فقامت حين ذكروهما لى، و نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا حتى تنكرت لى نفسى و الأرض فما هى بالأرض التى كنت أعرف.

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبى فاستكانا فقعدا فى بيوتهما، و أما أنا فكننت أشب القوم و أجلدتهم فكننت أخرج و أشهد الصلوات مع المسلمين و اطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد، و أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم عليه و هو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفثيه برد السلام على أم لا! ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى، و إذا التفت نحوه أعرض عنى.

حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة و هو ابن عمى و أحب الناس إلى فسلمت عليه فو الله ما رد على السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله و رسوله؟ فسكت فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله و رسوله أعلم. ففاضت عيناي و وثبت فتسورت الحائط. ثم غدوت إلى السوق فبينما انا أمشى بالسوق إذا

نبطى «١» يسأل عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون له إلى، حتى جاءنى فدفع إلى كتابا من ملك غسان فى سرقة من حرير فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك و لم يجعلك الله بدار هوان و لا- مضيعة فالحق بنا نوسك. قلت حين قرأتها: و هذا من البلاء أيضا قد بلغ لى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك فعمدت بها إلى تنور فسجرت به.

فأقمنا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول الله صلى الله عليه و سلم يأتينى فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ما ذا؟ قال: لا، بل اعتزلها و لا- تقر بها. و أرسل إلى صاحبى بمثل ذلك، فقلت لامرأتى: الحقى بأهلك و كونى فيهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض.

و جاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع إلا خادم، أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا و لكن لا يقربنك. قالت: يا

(١) النبطى: واحد النبط و هم قوم من الأعاجم.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٦٠

رسول الله، و الله ما به من حركة، و الله ما زال ييكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا و لقد تخوفت على بصره. فقال لى بعض أهلى: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه و سلم لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: و الله لا أستأذنه فيها، ما أدرى ما يقول لى فى ذلك إذا استأذنته و أنا رجل شاب، قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون من حين نهى رسول الله المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح خمسين ليلة على طهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله، هنا قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت و ضاقت على نفسى، و قد كنت ابتيت خيمة فى ظهر سلع، فكنت اكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أو فى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا و عرفت أن قد جاءنى الفرج.

قال: و آذن رسول الله صلى الله عليه و سلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يشيروننا و ذهب نحو صاحبى مبشرون، و ركض رجل إلى فرسا و سعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزع ثوبى فكسوتهما إياه بشاره، و و الله ما أملك يومئذ غيرهما، و استعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيتم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و تلقانى الناس يبشروننى بالتوبة يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله فحيانى و هنأنى، و الله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره. فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال و وجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ يوم ولدتك أمك. قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله. قال: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر، و كنا نعرف ذلك منه.

قال: فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله، إن من توبتى إلى الله أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله و إلى رسوله. قال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قلت:

إنى ممسك سهمى الذى بخير. و قلت: يا رسول الله إن الله قد نجانى بالصدق، فإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. و الله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك أفضل مما أبلانى، و الله ما تعمدت من كذبة مذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم إلى يومى هذا، و إنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٦١



و أنزل الله تبارك و تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١٧٧-١١٩].

قال كعب: فو الله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، أن لا أكون كذوبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فإن الله تبارك و تعالى قال فى الذين كذبوه شر ما قال لأحد: سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّبُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قال: و كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فعذرهم و استغفر لهم، و أرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى، فلذلك قال الله تبارك و تعالى: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا وَ لَيْسَ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَخْلِيفِنَا لَتَخْلِفْنَا عَنِ الْغَزْوَةِ، وَ لَكِنْ لَتَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَ إِرْجَائُهُ أَمْرًا عَنِ مَن حَلَفَ لَهُ وَ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ «١».

### ذكر إسلام ثقيف

و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان و قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف. و كان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم و سأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه: إنهم قاتلوك. و عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب المغازى (٧/ ٤٤١٨)، صحيح مسلم كتاب التوبة (٤/ ٥٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٥٤-٤٥٩)، سنن الترمذى كتاب التفسير (٢/ ٣١٠)، دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٢٧٣-٢٧٩)، مصنف عبد الرزاق (٥/ ٩٧٤٤).  
الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٦٢

الامتناع الذى كان منهم. فقال عروة: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبقارهم.

و يقال: من أبصارهم. و كان فيهم كذلك محببا مطاعا.

فخرج يدعوا قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على عليه له و قد دعاهم إلى الإسلام و أظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى فى دمك؟ قال: كرامه أكرمنى الله بها و شهادة ساقها إلى فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفونى معهم.

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه» «١».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم و رأوا أنهم لا- طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، و قد بايعوا و أسلموا، فمشى عمرو بن أمية أخو بنى علاج و كان من أدهى العرب إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره و كان قبل مهاجرة له الذى بينهما سبيى ثم أرسل إليه، أن عمرو بن أمية يقول لك: اخرج إلى فقال عبد ياليل للرسول: ويلك أ عمرو أرسلك إلى؟ قال: نعم و ها هو ذا واقفا فى دارك. قال: إن هذا لشيء ما كنت أظنه، لعمرو كان أ منع فى نفسه من ذلك. فخرج إليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا ما ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، و قد أسلمت العرب كلها، و ليست لكم بحربهم طاقة فانتظروا فى أمركم «٢».



فعد ذلك ائتمرت ثقيف بينها و قال بعضهم لبعض: ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب و لا يخرج منكم أحد إلا اقتطع؟ فائتمروا بينهم و أجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا- كما أرسلوا عروءة. فكلموا عبد ياليل و كان سن عروءة، و عرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل و خشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروءة فقال: لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا. فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف و ثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، و شرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب. و من بنى مالك: عثمان بن أبي العاص و أوس بن عوف و نمير بن خرشة.

فخرج بهم عبد ياليل و هو ناب القوم و صاحب أمرهم، و لم يخرج بهم إلا خشية من

(١) انظر الحديث في: مستدرک الحاکم (٣/ ٦١٥، ٦١٦)، تاريخ الطبری (٢/ ١٧٩)، دلائل النبوة للسيهقي (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠)، مجمع الزوائد للهيثمى (٩/ ٣٨٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣١٢).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ١٦٤-١٦٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٦٣

مثل ما صنع بعروءة بن مسعود لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه، فلما دنوا من المدينة و نزلوا قناة ألقوا بها المغيرة بن شعبه يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و كانت رعيتهما نوبا عليهم، فلما رأهم ترك الركاب عند الثقفيين و ضبر يشتد «١» يشر رسول الله صلى الله عليه و سلم بقدمهم، فلقبه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأخبره بقدمهم يريدون البيعة و الإسلام و أن يشترطوا شروطا و يكتبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم كتابا. فقال أبو بكر رضى الله عنه للمغيرة:

أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أكون أنا أحدثه. ففعل المغيرة.

فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره بذلك ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم و علمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

و لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى اكتبوا كتابهم، كتبه خالد بيده و كانوا لا يطعمون طعاما ياتيهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا و فرغوا من كتابهم.

و قد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يدع لهم الطاغية و هى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنه سنه و أبى حتى سأله شهرا واحدا بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى، و إنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم و نسائهم و ذراريهم و يكرهون أن يروعا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبه فيهدماها. و قد كانوا سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة و أن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أما كسر أوثانكم فسنعفيكم منه، و أما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه»، [فقالوا: يا محمد، فسئتيكها، و إن كانت دناءة] «٢»، فلما أسلموا و كتب لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كتابا أمر عليهم عثمان بن أبي العاص و كان من أحدثهم سنا فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله، إنى قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الإسلام و تعلم القرآن «٣».

(١) ضبر يشتد: أى وثب، و يقال: ضبر الفرس إذا جمع قوائمه و وثب.

(٢) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل، و ما أوردناه من السيرة.

(٣) انظر الحديث في: سنن أبي داود (٣/٣٠٢٦)، مسند الإمام أحمد (٤/٢١٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٤

فحدث «١» عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان تجاوز في صلاتك و اقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير و الصغير و الضعيف و ذا الحاجة» (٢).

فلما فرغوا من أمرهم و توجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب و المغيرة بن شعبة في هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك عليه أبو سفيان و قال: ادخل أنت على قومك. و أقام أبو سفيان بماله بذى الهدم، فلما دخل علاها يضربها بالمعول و قام دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروء، و خرج نساء ثقيف حسرا (٣) يبكين عليها و يقلن:

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (٤)

لم يحسنوا المصاع

فلما هدمها المغيرة و أخذ مالها و حليها أرسل إلى أبي سفيان و حليها مجموع و مالها من الذهب و الجزع.

و قد كان أبو مليح بن عروء و قارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروء يريدان فراق ثقيف و أن لا يجامعاهم على شيء أبدا. فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: تولىا من شئتما. فقالا: نتولى الله و رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«و خالكما أبا سفيان بن حرب». فقالا: و خالنا أبا سفيان، فلما أسلم أهل الطائف و وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان و المغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى عن أبيه عروء دينا كأن عليه من مال الطاغية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم».

فقال له قارب بن الأسود: و عن الأسود يا رسول الله فاقضه، و عروء و الأسود أخوان لأب و أم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الأسود مات مشركا». فقال قارب: يا رسول الله، لكن تصل مسلما ذا قرابة، يعنى نفسه، إنما الدين على و إنما أنا الذى أطلب به. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروء و الأسود من مال الطاغية، فلما جمع

(١) انظر: السيرة (٤/١٦٧).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٤/٢١)، صحيح مسلم (١/١٨٧/٣٤٢).

(٣) حسرا: بضم الحاء و تشديد السين مفتوحة، جمع حاسرة، و هى المكشوفة الوجه.

(٤) دفاع: هى صيغة مبالغة من الدفع، و إنما سموا طاغيتهم دفاعا لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدفع عنهم البلاء و المحن. الرضاع: جمع راضع و أريد بهم اللتام.

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٥

المغيرة مالها ذكر أبا سفيان بذلك فقضى منه عنهما (١).

هكذا ذكر ابن إسحاق إسلام أهل الطائف بعقب غزوة تبوك في رمضان من سنة تسع قبل حج أبي بكر بالناس آخر تلك السنة. و جعل ابن عقبه قدوم عروء على رسول الله صلى الله عليه وسلم و مقتله في قومه و إسلام ثقيف كل ذلك بعد صدر أبي بكر عن حجه. و بين حديثه و حديث ابن إسحاق بعض اختلاف، رأيت ذكر حديث ابن عقبه و إن كان أكثره معادا لأجل ذلك الاختلاف، ثم أذكر بعده حجة أبي بكر في الموضوع الذى ذكرها فيه ابن إسحاق.

قال موسى بن عقبه: فلما صدر أبو بكر من حجه بالناس قدم عروء بن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم

استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى قومه فقال له: إني أخاف أن يقتلوكم، قال: لو وجدوني نائما ما أيقظوني. فأذن له فرجع إلى الطائف و قدمها عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام و نصح لهم فاتهموه و أعضوه و أسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا أسحر و سطع الفجر قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة و تشهد، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله: «مثل عروءة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه» (٢). و أقبل بعد قتله وفد من ثقيف بضعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف، فيهم كنانة بن عبد ياليل و هو رأسهم يومئذ، و فيهم عثمان بن أبي العاص و هو أصغر القوم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يريدون الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة و أسلم عامة العرب، فقال المغيرة بن شعبه: يا رسول الله، أنزل على قومي أكرمهم بذلك فإنني حديث الجرم فيهم. قال: لا أمنعك أن تكرم قومك و لكن تنزلهم حيث يسمعون القرآن.

فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد و بنى لهم خياما لكي يسمعو القرآن و يروا الناس إذا صلوا. و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب لم يذكر نفسه، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا: يأمرنا أن نشهد أنه رسول الله و لا يشهد به في خطبته! فلما بلغه قولهم قال: «فإني أول

(١) انظر الحديث في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٥٠٤، ٥٠٥).

(٢) انظر الحديث في: مستدرک الحاكم (٣/٦١٥)، طبقات ابن سعد (٥/٣٧٠)، مجمع الزوائد للهيثمي (٩/٣٨٦)، المعجم الكبير للطبراني (١٧/١٤٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٦٢)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٣٦١٥).  
الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٦

من يشهد أني رسول الله» (١). و كانوا يغدون على رسول الله كل يوم و يخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم لأنه أصغرهم، فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه و قالوا بالهاجرة عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين و استقرأه القرآن، فاختلف إليه عثمان مرارا حتى فقه في الدين و علم. و كان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما عمد إلى أبي بكر، و كان يكتف ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم و أحبه.

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يدعوهم إلى الإسلام، فقال له كنانة ابن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ثم نرجع إليك؟ فقال: «نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم و إلا فلا قضية و لا صلح بيني و بينكم». قالوا: أ رأيت الزنا؟ فإننا قوم نغترب و لا بد لنا منه. قال: «هو عليكم حرام إن الله» يقول: «و لا تقربوا الزنى إنَّه كان فاحشاً و ساء سبيلاً [الإسراء: ٣٢].

قالوا: فالربا؟ قال: «و الربا». قالوا: إنه أموالنا كلها. قال: «فلكم رءوس أموالكم»، قال الله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ٢٧٨]. قالوا فالخمر؟ فإنها عصير أرضنا و لا بد لنا منها. قال: «إن الله قد حرّمها»، قال الله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: ٩٠].  
فارتفع القوم فخلا- بعضهم إلى بعض و قالوا: و يحكم إننا نخاف إن خالفناه يوما كيوم مكة، انطلقوا فأعطوه ما سأل و أجيئوه. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: لك ما سألت.

أ رأيت الربء ما ذا نضع فيها؟ قال: «اهدموها». قالوا: هيهات! لو تعلم الربء أنا نريد هدمها لقتلت أهلنا. فقال عمر: ويحك يا بن عبد ياليل ما أحمقك إنما الربء حجر، قال:

إننا لم نأتك يا ابن الخطاب. ثم قال: يا رسول الله، تول أنت هدمها، فأما نحن فلن نهدمها أبدا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فسأبت إليكم من يكفيكم هدمها». قال كنانة: انذن لنا قبل رسولك ثم ابعث في آثارنا، فإنني أعلم بقومي، فأذن لهم رسول الله صلى

اللّه عليه و سلم و أكرمهم و حملهم. قالوا: يا رسول الله، أمر علينا رجلا يؤمننا، فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص «٢» لما رأى من حرصه على الإسلام و قد كان علم سورا من القرآن قبل أن يخرج.

(١) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٧٩١)، الإصابة الترجمة رقم (٥٤٥٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٥٨١)، تهذيب الكمال (٦/ ٢١٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٨، ١٢٩)، خلاصة تهذيب الكمال (٩١٣)، شذرات الذهب (١/ ٣٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٤).  
الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٧

و قال كنانة «١» لأصحابه: أنا أعلمكم بثقيف فآتموهم إسلامكم و خوفوهم الحرب و القتال و أخبروهم أن محمدا سألنا أمورا أبينها عليه، سألنا أن نهدم اللات و نبطل أموالنا في الربا و نحرم الخمر.

حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم ثقيف يتلقونهم، فلما رأوهم قد ساروا العنق و قطروا الإبل و تغشوا ثيابهم كهيشة قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت ثقيف بعضهم لبعض: ما جاؤكم بخير. فلما دخلوا حصنهم عمدوا للات فجلسوا عندها، و اللات بيت كانوا يعبدونه و يسترونه و يهدون له الهدى يضاهاون به بيت الله، ثم رجح كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حاميئ من ثقيف فسألوه: ما ذا جئتم به؟ قالوا: أتينا رجلا فظا غليظا يأخذ من أمره ما شاء قد ظهر بالسيف و أداخ العرب و دان له الناس، فعرض علينا أمورا شدادا: هدم اللات و ترك الأموال في الربا إلا رءوس أموالكم و حرم الخمر و الزنا. قالت ثقيف: و الله لا نقبل هذا أبدا. قال الوفد: أصلحوا السلاح و تهيئوا للقتال و رموا حصنكم.

فمكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد القتال ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم و قالوا: و الله ما لنا به طاقة أداخ العرب كلها فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل و صالحوه عليه. فلما رأى الوفد أنهم قد رعبوا و اختاروا الأمن على الخوف و على الحرب، قالوا لهم: إنا قد فرغنا من ذلك، قد قاضيناها و أسلمنا و أعطانا ما أحببنا و اشترطنا ما أردنا وجدناه اتقى الناس و أوفاهم و أرحمهم و أصدقهم و قد بورك لنا و لكم في مسيرنا إليه و فيما قاضيناها عليه. فقالت ثقيف: فلم كتمتمونا هذا الحديث و غمتمونا بذلك أشد الغم؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم و استسلموا.

فمكثوا أياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمر عليهم خالد بن الوليد و فيهم المغيرة بن شعبة، فلما قدموا عليهم عمدوا للات ليهدموها و انكفأت ثقيف كلها الرجال و النساء و الصبيان حتى خرج العواتق من الحجال و هم لا يرون أنها تهدم و يظنون أنها ستمتت. فقام المغيرة بن شعبة «٢» و قال لأصحابه: لأضحكنكم من ثقيف فأخذ الكرز

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٢٤٣)، الإصابة الترجمة رقم (٧٤٧٨)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٥٠٥).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٥١٢)، الإصابة الترجمة رقم (٨١٩٧)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٠٧١)، التاريخ لابن معين (٢/ ٥٧٩)، ترتيب الثقات (٤٣٧)، الطبقات لابن سعد (٢/ ٢٨٤)، أنساب الأشراف (١/ ١٦٨)، مروج الذهب (١٦٥٦)، الكامل في التاريخ-

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٨

فضرب به ثم أخذ يرتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة و قالوا: أبعد الله المغيرة قد قتلته الربة! و فرحوا حين رأوه ساقطا و قالوا: من شاء منكم فليقترب و يجهد على هدمها فو الله لا تستطاع أبدا. فوثب المغيرة فقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف! إنما هي لكاع حجارة و مدر! ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها و علا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجرا حجرا حتى سووها بالأرض و جعل صاحب المفاتيح يقول:

ليغضين الأساس فليخسفن بهم. فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها.

فحفروها حتى أخرجوا ترابها و أخذوا حليها و ثيابها. فبهتت ثقيف.

و انصرف الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بحليتها و كسوتها فقسمه رسول الله صلى الله عليه و سلم من يومه و حمد الله على نصر نبيه و إعزاز دينه.

## ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع و توجيه رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبي طالب بعده بسورة براءة

و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم، و نزلت بعد بعثه إياه «براءة» في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه و بينهم: أن لا يصد عن البيت أحد جاءه، و لا يخاف على أحد في الشهر الحرام، و كان ذلك عهدا عاما بينه و بين أهل الشرك، و كان بين ذلك عهود خصائص بينه و بين قبائل العرب إلى آجال مسماة فنزلت فيه و فيمن تخلف من المنافقين عن تبوك و في قول من قال منهم فكشف الله سرائر قوم كانوا يستخفون بغير ما يظهرون «١».

ف قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: «لا يؤدي عنى إلا رجل من أهل بيتي»، ثم دعا على بن أبي طالب فقال: «اخرج بهذه القصة من صدر براءة و أذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر و لا يحج بعد العام مشرك

– (٣/ ٤٦١)، المعين من طبقات المحدثين (١٢٤)، العبر (١/ ٥٦)، مرآة الجنان (١/ ١٢٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٩)، خلاصة تذهيب التهذيب (٣٢٩)، شذرات الذهب (١/ ٥٦)، العقد الثمين (٧/ ٢٥٥).  
(١) انظر: السيرة (٤/ ١٧٠).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٦٩

و لا يطوف بالبيت عريان، و من كان له عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد فهو إلى مدته»، فخرج على بن أبي طالب على ناقه رسول الله صلى الله عليه و سلم العضاء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور. و مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، و العرب في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه و سلم و أجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى ما منهم و بلادهم، ثم لا عهد لمشرك و لا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته، فلم يحجج بعد ذلك العام مشرك و لم يطف بالبيت عريان «١».

و كانت براءة تسمى في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم: «المبعثرة» لما كشفت من سرائر الناس، و كانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه سبعا و عشرين غزاة: غزوة و دان و هي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صنناديد قريش، ثم غزوة بنى سليم حين بلغ الكدر، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان إلى نجد، و هي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بنى النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بنى المصطلق

من خزاعة، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدده المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم عمره القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك، قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات منها: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، وبنى المصطلق و خيبر، و الفتح، و حنين، و الطائف. و هذا الترتيب عن ابن إسحاق «٢»، و خالفه ابن عقبة في بعضه.

## السرايا

و كانت بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم و سراياه ثمانية، و ثلاثين من بين بعث و سرية: غزوة

(١) انظر الحديث في: فتح الباري لابن حجر (٦٨٤/٧)، البداية و النهاية لابن كثير (٣٧/٥)، و له شواهد منها ما في مسند الإمام أحمد (٢/٢٩٩) من طريق: محرز بن أبي هريرة عن أبيه، قال: «كنت مع علي بن أبي طالب فكنت أنادي حتى صحل صوتي».

(٢) انظر: السيرة (٢٣٣/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٧٠

عبيدة بن الحارث أسفل ثنية المرة، و غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية العيص، و بعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة.

و غزوة سعد بن أبي وقاص الخرار، و غزوة عبد الله بن جحش نخلة، و غزوة زيد بن حارثة القردة، و غزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف، و غزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع، و غزوة المنذر بن عمرو بئر معونة، و غزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة، من طريق العراق، و غزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر، و غزوة علي ابن أبي طالب اليمن، و غزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث، الكديد فأصاب بني الملوح «١».

و كان من حديثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية و أمره أن يشن الغارة على بني الملوح و هم بالكديد، قال جندب بن مكيث الجهني، و كان مع غالب في سرية هذه:

فخرجنا حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك و هو ابن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: إني جئت أريد الإسلام و ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يضرك رباط ليلة، و إن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه رباطاً ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا و قلنا له: إن عازك «٢» فاحتر رأسه.

قال: ثم سرنا حتى اتينا الكديد عند غروب الشمس فكمننا في ناحية الوادي و بعثني أصحابي ربيئة لهم «٣»، فخرجت حتى أتت تلامشرفاً على الحاضر، فأسندت فيه فعلوت في رأسه فنظرت إلى الحاضر فو الله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لامرأته: إني لأرى على التل سواداً ما رأيت في أول يومي فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لا تكون الكلاب جرت بعضها. فنظرت فقالت: لا و الله ما أفقد شيئاً.

قال: فناوليني قوسى و سهمين. فناولته فأرسل سهماً فو الله ما أخطأ جنبى فأنزعه و أضعه و ثبت مكانى. ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبى فأنزعه و أضعه و ثبت مكانى.

فقال لامرأته: لو كان ربيئة تحرك لقد خالطه سهمى، لا أبا لك، إذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا يمضغهما الكلاب على. ثم دخل.

و أمهلناهم، حتى إذا اطمأنوا و ناموا، و كان في وجه السحر، شننا عليهم الغارة

(١) انظر: السيرة (٢٣٣، ٢٣٤).



(٢) عازك: أى غالبك، و منه قوله تعالى: وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ أَى غَلْبَنِي.

(٣) ربيئة القوم: أى طليعة القوم الذى ينظر لأصحابه.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧١

فقتلنا، و استقتنا النعم، و خرج صريخ القوم، فجاءنا دهم لا قبل لنا به، و مضينا بالنعم، و مررنا بابن البرصاء و صاحبه، فاحتملناهما معنا، و أدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا و بينهم إلا- وادى قديد، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء الله تبارك و تعالى، من غير سحابة نراها، و لا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، و لا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، و إنا لنسوق نعمهم، و ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، حتى فتناهم، فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه و سلم «١».

و غزوة على بن أبى طالب بنى عبد الله بن سعد من أهل فدك، و غزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم، فأصيب بها هو و أصحابه جميعا، و غزوة عكاشة بن محصن الغمرة، و غزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا ماء من مياه بنى أسد، من ناحية نجد، قتل فيها مسعود بن عروة، و غزوة محمد بن مسلمة القرطاء من هوازن، و غزوة بشير بن سعد بنى مرة بفدك، و غزوته أيضا بناحية خيبر، و غزوة زيد بن حارثة الجموح، من أرض بنى سليم، و غزوته أيضا جذام، من أرض خشين، و يقال: من أرض حسمى «٢».

و كان من حديثها كما حدث رجال من جذام كانوا علماء بها: أن رفاعه بن زيد الجذامى لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه تجارة له، حتى إذا كان بواد من أوديتهم أغار عليه الهنيد بن عوص الضليعى بطن منهم و ابنه عوص، فأصابا كل شيء كان معه، فبلغ ذلك قوما من بنى الضبيب رهط رفاعه ممن كان أسلم و أجاب، فنفروا إلى الهنيد و ابنه فاستنفذوا ما كان فى أيديهما فردوه على دحية، فخرج دحية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره خبره، و استسقا دم الهنيد و ابنه، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم زيد بن حارثة و بعث معه جيشا فأغاروا فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس و قتلوا الهنيد و ابنه و رجلين معهما، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب ركب نفر منهم فيهم حسان بن مله فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فقرأ أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا فى الجيش: إن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاءوا منها إلا من ختر، و إذا أخت حسان فى الأسارى فقال له زيد: خذها، فقالت أم الفزر الصليعى: أ تطلقون بيناتكم و تدرن أمهاتكم؟! فقال أحد بنى الخصيب: إنها بنو

(١) انظر الحديث فى: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١١٩)، مجمع الزوائد للهيثمى (٦/ ٢٠٣).

(٢) انظر: السيرة (٤/ ٢٣٦).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٢

الضبيب و سحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فأخبر بها زيدا فأمر بأخت حسان و قد كانت أخذت بحقوقى أخيها ففكت يداها من حقويه و قال لها: اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه.

فرجعوا و نهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه فأمسوا فى أهليهم، فلما شربوا عتمتهم ركبوا إلى رفاعه بن زيد فصبحوه فقال له حسان بن مله: إنك لجالس تحلب المعزى و نساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به، فدعا رفاعه بجمل له، فشد عليه رحله و هو يقول:

هل أنت حى أو تنادى حيا «١» ثم غدا و هم معه مبركين، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و رأهم ألاح إليهم بيده أن تعالوا. من وراء الناس، فلما استفتح رفاعه بن زيد المنطق قال رجل من الناس: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سحره. فرددها مرتين.



فقال رفاعه: رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا إلا خيرا.

ثم دفع رفاعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتب له، فقال: دونك يا رسول الله قديما كتابه حديثا غدرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأه يا غلام وأعلن. فلما قرأ كتابه استخبرهم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصنع بالقتلى؟ ثلاث مرات فقال رفاعه:

أنت أعلم يا رسول الله لا نحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما. فقال أبو زيد بن عمرو أحد من قدم مع رفاعه: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق أبو زيد اركب معهم يا على»، فقال له على: يا رسول الله، إن ريدا لن يطيعنى، قال: «فخذ سيفى هذا»، فأعطاه سيفه.

فخرجوا فإذا رسول الله لزيد بن حارثة على ناقه من إبلهم، فأنزلوه عنها فقال: «يا على ما شأنى؟» فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش، فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا ينتزعون لبيد المرأة من تحت الرحل (٢).

وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق، وغزوته أيضا وادى القرى لقي فيه بنى فزاره فأصيب بها ناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى فلما قدم زيد آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابه حتى يغزو بنى فزاره، فلما استبل من

(١) انظر البيت فى: السيرة (٤/ ٢٣٨).

(٢) انظر الحديث فى: البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢١٨)، طبقات ابن سعد (٢/ ٨٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٣

جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزاره فى جيش فقتلهم بوادى القرى وأصاب فيهم.

وغزوة عبد الله بن رواحة خبير مرتين، إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام ويقال: ابن رازم (١)، وكان من حديثه أنه كان بخبير يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بنى سلمة، فلما قدموا عليه كلموه و قربوا له وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك. فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقرقرة من خبير على ستة أميال ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله و ضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه و مال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلا واحدا أفلت على رجله. فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح و لم تؤذه (٢).

وغزوة عبد الله بن عتيك خبير فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحقيق.

وغزوة (٣) عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخله أبو بعنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليغزوه، فقتله. قال عبد الله بن أنيس: دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى: «إنه بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزوني وهو بنخله أبو بعنة فأته فاقتله»، فقلت: يا رسول الله، انعت لى حتى أعرفه، قال: «إنك إذا رأيت أذرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيت وجدت له قشعريرة»، قال: فخرجت متوشحا سيفى حتى دفعت إليه وهو فى ظعن يرتاد لهن منزلا وكان وقت العصر، فلما رأيت وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه و خشيت أن تكون بينى وبينه مجاوله تشغلنى عن الصلاة فصليت و أنا أمشى نحوه و أوما برأسى، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، قال: أجل أنا فى ذلك.

(١) انظر: السيرة (٢٤١ / ٤ - ٢٤٢).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٢١٩ / ٥)، ابن سعد في الطبقات (٩٢ / ٢)، و ليس فيه:

«تفل على شجته فلم تقح و لم تؤذه».

(٣) انظر: السيرة (٢٤٢ - ٢٤٣).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٧٤

قال: فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت و تركت ظعائنه منكبات عليه. فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فرآني قال: «أفلح الوجه!» قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت»، ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس»، قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه لعصا؟ قلت: أعطانيها رسول؛ الله صلى الله عليه و سلم و أمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك؟ فرجعت فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني و بينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ»، فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعا «١».

و قال عبد الله في ذلك:

تركت ابن ثور كالحوار و حوله نوائح تفرى كل جيب مقدد

تناولته و الظعن خلفي و خلفه بأبيض من ماء الحديد مهند

عجوم لهام الدار عين كأنه شهاب غضبا من ملهب متوقد «٢»

أقول له و السيف يعج رأسه أنا ابن أنيس فارسا غير قعد «\*»

و قلت له خذها بضربة ماجد حنيف على دين النبي محمد

و كنت إذا هم النبي بكافر سبقت إليه باللسان و باليد و من البعوث أيضا: بعث مؤتة حيث أصيب جعفر بن أبي طالب و أصحابه، و غزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاح من أرض الشام أصيب بها هو و أصحابه جميعا، و غزوة عينه بن حصن بنى العنبر من تميم. و كان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعثه إليهم، فأغار عليهم، و أصاب منهم أناسا، و سبى منهم أناسا، و قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه و سلم: يا رسول الله، إن علي رقبة من ولد

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣ / ٤٦٩)، سنن أبو داود (١٢٤٩)، صحيح ابن حبان (٩ / ٧١١٦)، سنن البيهقي (٣ / ٢٥٦)،

صحيح ابن خزيمة (٢ / ٩٨٢).

(٢) عجوم: هو من صفات الأبيض و هي صيغة مبالغة من العجم و هو العض. الغضا: شجر يشتد التهاب النار فيه.

(\* ذكر في السيرة بعد هذا البيت بيت آخر لم يذكره هنا، و هو:

أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره رحيب فناء الدار غير مزند انظر: السيرة (٤ / ٢٤٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٧٥

إسماعيل، قال: «هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه» «١».

فلما قدم بسبيهم ركب فيهم وفد من بنى تميم منهم ربيعة بن ربيع، و سبرة بن عمرو و القعقاع بن معبد و وردان بن محرز و قيس بن عاصم و مالك بن عمرو و الأقرع بن حابس و فراس بن حابس، فكلموا رسول الله صلى الله عليه و سلم فيهم فأعتق بعضا، و أفدى بعضا، و ذلك هو الذي عنى الفرزدق بقوله «٢»:

و عند رسول الله قام ابن حابس بخطة سوار إلى المجد حازم

له أطلق الأسرى التي فى حباله مغللة أعناقها و الشكائم

كفى أمهات الخالفين عليهم غلاء المفادى أو سهام المقاسم و غزوة غالب بن عبد الله الكلبي أرض بنى مرة و فيها قتل أسامة بن زيد حليفا لهم يقال له مرداس بن نهيك بن الحرقة من جهينة، قال: أدركته أنا و رجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. هكذا ذكر ابن إسحاق فى حديثه «٣».

و خرج مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد قال: فكف عنه الأنصارى و طعنته برمحي حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذا، فقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم «٤».

و فى بعض طرق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأسامة: «لم تقتلته؟» قال: يا رسول الله، أوجع فى المسلمين و قتل فلانا و فلانا و فلانا و سمي له نفرا و إنى حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أقتلته؟» قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله استغفر لى، قال: «و كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة!» فجعل لا يزيده على أن يقول:

(١) ذكره ابن حجر فى فتح البارى (٥/٢٠٤).

(٢) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/٢٤٥).

(٣) انظر: السيرة (٤/٢٤٦)، و الحديث أخرجه الطبرى فى تاريخه (٢/١٤٢)، المتقى الهندى فى الكنز (١٤٦٢).

(٤) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٥/١٨٣، ٩/٤)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (١٥٩)، فتح البارى لابن حجر (١٢/١٩١)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢٢٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٦

«كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة» «١».

و فى حديث ابن إسحاق أن أسامة قال: أنظرنى يا رسول الله، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول: لا إله إلا الله أبدا «٢».

و غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة، و كان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام، و ذلك أن أم أبيه العاص بن وائل كانت امرأة من بلى فبعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلسل و بذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر و عمر و قال لأبى عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مددا لى. قال أبو عبيدة: لا، و لكنى على ما أنا عليه و أنت على ما أنت عليه. فقال له عمرو: بل أنت مدد لى. فقال له أبو عبيدة و كان رجلا لينا هينا سهلا عليه أمر الدنيا: يا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لى لا تختلفا و إنك إن عصيتنى أطعتك، قال: فإنى الأمير عليك و أنت مدد لى. قال: فدونك. فصلى عمرو بالناس «٣».

و حدث «٤» رافع بن أبى رافع الطائى و هو رافع بن عميرة قال: كنت امرأة نصرانيا فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزاة يعنى غزوة ذات السلاسل فقلت: و الله لأختارن لنفسى صاحبا فصحت أبا بكر فكنت معه فى رحله فكانت عليه عباءة له فديك «٥» فكان إذا نزلنا بسطها و إذا ركبنا لبسها ثم شكها عليه بخلال له و ذلك الذى يقول اهل نجد حين ارتدوا كفارا بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم و مبايعة الناس بعده لأبى بكر: أن نحن نبايع ذا العباءة! جهلوا يومئذ أن فضل الكمال ليس فى ظاهر البهاء و أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، قال رافع: فلما دنونا من المدينة قافلين، قلت: يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعنى

(١) انظر الحديث فى: صحيح مسلم كتاب الإيمان (١٥٩)، فتح البارى لابن حجر (١٢ / ١٩٦).

(٢) انظر: السيرة (٤ / ٢٤٦).

(٣) انظر الحديث فى: صحيح البخارى (٧ / ٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، دلائل النبوة لليهقى (٤ / ٣٩٩، ٤٠٠)، صحيح مسلم (٤ / ٨ / ١٨٥٦).

(٤) انظر: السيرة (٤ / ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٥) فدية: منسوبة إلى فدىك، و هو موضع بالحجاز، بينها و بين المدينة يومان و قيل: ثلاثة. انظر:

معجم البلدان (٤ / ٢٣٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٧

الله بك فانصحنى و علمنى، قال: لو لم تسلى ذلك لفعلت، أمرك أن توحده الله لا تشرك به شيئا، و أن تقيم الصلاة و تؤتى الزكاة و تصوم رمضان و تحج هذا البيت و تغتسل من الجنابة و لا تتأمرن على رجلين من المسلمين أبدا.

قال قلت: يا أبا بكر، أما أنا و الله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أبدا، و أما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله، و أما الزكاة فإن يكن لى مالى أو ديها إن شاء الله، و أما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله، و أما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله و أما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و عند الناس إلا بها فلم تنهى عنها؟ قال: إنما استجهدتنى لجهدك لك، و سأخبرك عن ذلك: إن الله تبارك و تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و سلم بهذا الدين فجاهد فيه حتى دخل الناس فيه طوعا و كرها، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله و جيرانه و فى ذمته، فإياك أن تخفر الله «١» فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرتة، فإن احدكم يخفر فى جاره فيظل نائتا «٢» عضله غضبا لجاره إن أصيب له شاة أو بعير، فالله أشد غضبا لجاره.

قال: ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و أمر أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت: يا أبا بكر، ألم تكن نهيتنى عن أن أتامر على رجلين من المسلمين؟ قال:

بلى، و أنا الآن أنهاك عن ذلك. فقلت له: فما حملك على أن تلى أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بدا خشيت على أمه محمد الفرقة «٣».

و فى هذه الغزاة أيضا صحب عوف بن مالك الأشجعى أبا بكر و عمر رضى الله عنهما قال: فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها و هم لا يقدررون على أن يعضوها فقلت: أ تعطوننى منها عشيرا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم.

فأخذت الشفرتين فجزأتها و أخذت منها جزء فحملته إلى أصحابى فاطبخناه فأكلناه، فقال أبو بكر و عمر: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما خبره فقالا:

و الله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيان ما فى بطونهما من ذلك. فلما قفل الناس كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فجننته و هو يصلى فى بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته. قال: أ عوف بن مالك؟ قلت: نعم بأبى أنت

(١) تخفر الله: أى تنقض عهده.

(٢) فيضل نائتا: أى يضل مرتفعا.

(٣) انظر: السيرة (٤ / ٢٤٨).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٨

و أمى يا رسول الله. قال: أصحاب الجزور؟ و لم يزدنى رسول الله صلى الله عليه و سلم على ذلك «١».

وغزوة ابن أبي حدرد وأصحابه بطن إضم، وكانت قبل الفتح قال عبد الله بن أبي حدرد: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم «٢» في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومسلم بن جثامة، فخرجنا حتى إذا كنا بطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على عود له معه متيع له وطب من لبن فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة قتله لشيء كان بينهما وأخذ بعيره و متيعه. فلما قدمنا على رسول الله وأخبرناه الخبر نزل فينا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [النساء: ٩٤] إلى آخر الآية «٣».

و عن «٤» ضميرة بن سعد السلمى عن أبيه، وكان شهد حينما قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين فقام إليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان في عامر بن الأضبط، وعيينة يطلب بدمه. وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندق، فتداولوا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع، فسمعنا عيينة يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائي، و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بل تأخذون الديه خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا. وهو يأبى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله هذا، فقبلوا الديه ثم قالوا: أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلء له قد كان تهيأ فيها للقتل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ما اسمك؟ فقال: أنا محلم ابن جثامة، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة. ثلاثا، فقام يتلقى دمه بفضل رداءه قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا لندرجو أن يكون

(١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمى (٩٧/٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٤/٢٠٢).

(٢) إضم: بالكسر ثم الفتح، ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينه، ويقال: هو واد بجال تهامة، وهو الوادى الذى فيه المدينة و يسمى من عند المدينة: القنأة، ومن أعلى منها عند السد يسمى الشظاء، ومن عند الشظاء إلى أسفل يسمى إضم إلى البحر. انظر: معجم البلدان (١/٢١٤، ٢١٥).

(٣) انظر الحديث في: تفسير الطبرى (٥/١٤٢)، مسند الإمام أحمد (١١/٦)، مجمع الزوائد للهيثمى (٨/٧)، أسباب النزول للواحدي (١٤٢)، السنن الكبرى للبيهقي (٩/١١).

(٤) انظر: السيرة (٤/٢٥٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٧٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له و أما ما ظهر من رسول الله فهذا «١».

و ذكر «٢» سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن و قيسا لم يقبلوا الديه حتى خلا بهم الأقرع بن حابس و قال: يا معشر قيس، منعتم رسول الله قتيلا- يستصلح به الناس، فأمتتم أن يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله بلعنته أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ و الله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ما أراد أو لأتيت بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله لقتل صاحبكم كافرا ما صلى قط فلاطلن دمه. فقبلوا الديه.

و فى حديث عن الحسن البصرى قال: و الله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض و الذى نفس الحسن بيده، ثم عادوا له فلفظته، ثم عادوا له فلفظته.

فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال: «و الله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه و لكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه» «٣».

و غزوة ابن أبي حدرد الأسلمى أيضا الغابة «٤»، قال: تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على

نكاحي فقال: و كم أصدقت؟ قلت: مائتي درهم. قال:

سبحان الله! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، و الله ما عندي ما أعينك به. قال: فلبثت أياما و أقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له: رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه في بطن عظيم من بني جشم حتى ينزل بقومه و من معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان ذا اسم في جشم و شرف، فدعاني رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجلين معي من المسلمين فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر و علم؛ قال: و قدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا، فو الله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت و ما كادت ثم قال: تبلغوا عليها و اعتقبوها، قال: فخرجنا و معنا سلاحنا من النبل و السيوف حتى إذا جئنا قريبا من

(١) انظر الحديث في: سنن ابن ماجه (٢/٢٦٢٥)، سنن أبي داود (٤/٤٥٠٣)، سنن البيهقي (٩/١١٦).

(٢) انظر: السيرة (٤/٢٥١).

(٣) انظر الحديث في: كنز العمال للمتقى الهندي (١٥/٩٠).

(٤) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام، و فيه أموال لأهل المدينة. انظر: معجم البلدان (٤/١٨٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٨٠

الحاضر عشيئاً مع غروب الشمس كمنت في ناحية. و أمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم و قلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت و شددت في ناحية العسكر فكبرا و شدا معي. فو الله، إنا لكذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيئا و قد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء و كان لهم راع سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال: و الله لأتبعن أثر راعينا هذا و لقد أصابه شر. فقال نفر ممن معه: و الله لا تذهب أنت نحن نكفيك. قال: و الله لا يذهب إلا أنا. قالوا: فنحن معك. قال: و الله لا يتبعني أحد منكم. و خرج حتى مر بي فلما أمكنتني نفحته بسهم فوضعت في فؤاده و الله ما تكلم.

و و ثبت إليه فاحتزرت رأسه و شددت في ناحية العسكر و كبرت و شد صاحباي و كبرا فو الله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، بكل ما قدروا عليه من نسايتهم و أبنائهم و ما خف معهم من أموالهم و استقنا إبلا عظيمة و غنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و جئت برأسه أحمله معي فأعانتني رسول الله صلى الله عليه و سلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداقتي فجمعت إلى أهلي «١».

و غزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف، قال عطاء بن أبي رباح: سمعت رجلا من اهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم، فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم. ثم ذكر مجلسا شاهده من رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر فيه عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسريته بعثه عليها. قال: فأصبح و قد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فأدناه رسول الله صلى الله عليه و سلم منه ثم نقضها ثم عمه بها و أرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك. ثم قال: هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن و أعرف. ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نفسه ثم قال: «خذ يا ابن عوف، اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا و لا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله و سيرة نبيه فيكم»، فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء «٢».

(١) انظر الحديث في: مجمع الزوائد للهيتمي (٦/٢٠٦، ٢٠٧)، مسند الإمام أحمد (٦/١١)، البداية و النهاية لابن كثير (٤/٢٢٣)، دلائل

النبوة للبيهقي (٤/٣٠٣).



(٢) انظر الحديث في: كنز العمال للمتقى الهندي (٣٠٢٨٩)، طبقات ابن سعد (٢/ ٨٩)، مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ٣١٧، ٣١٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٨١

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل «١».

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم إياه حتى صار إلى أن يعده لهم عددا حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمره فقسما يوما فنقصت تمره عن رجل فوجد فقدها ذلك اليوم!

قال بعضهم: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبنا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعها على طريقه ثم أمر بأجسم بغير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فجلس عليه فخرج من تحتها وما مست رأسه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها وسألناه عن أكلنا إياها فقال: «رزق رزقكموه الله» (٢).

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خبيب وأصحابه إلى مكة وأمره ان يقتل أبا سفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري، فخرجا حتى قدما مكة وحسبا جمليهما بشعب من شعاب يأجج ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت واصلينا ركعتين؟ فقال عمرو: إن القوم إذا تشوا جلسوا بأفئنتهم، فقال: كلا إن شاء الله. قال عمرو: فطفنا بالبيت واصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا نمشى بمكة إذا نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني فقال: عمرو بن أمية! والله إن قدمها إلا لشر. فقلت لصاحبي: النجاء. فخرجنا نشد حتى أصدعنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى إذا علونا الجبل يسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا وقد أخذنا حجارة فوضعناها دوننا. فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ويختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت: إن رأنا صاحبا فخذنا فقتلنا. قال:

ومعى خنجر قد أعددت لأبي سفيان، فأخرج إليه فأضربه على ثديه وصاح صيحة أسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني. وجاء الناس يشتدون وهو بأخر رمق فقالوا:

من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية. و غلبه الموت فمات مكانه ولم يدل على مكاننا، فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا: النجاء.

فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب ابن

(١) انظر: السيرة (٤/ ٢٥٤).

(٢) انظر الحديث في: صحيح مسلم (٣/ ١٥٣٥، ١٧، ١٨)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٣١١)، مسند عبد الرزاق (٤/ ٨٦٦٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٨٢

عدى فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لو لا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية. فلما حاذى عمرو الخشبة شد عليها فاحتملها وخرج هو وصاحبه شدا وخرجوا وراءه حتى أتى جرفا مبسط يأجج فرمى بالخشبة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه.

قال عمرو بن أمية: وقلت لصاحبي: النجاء حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه فإني شاغل عنك القوم وكان الأنصاري لا رجلة له. قال: ومضيت حتى اخرج على ضجنان ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفا، فبينما أنا فيه دخل على شيخ من بني الدليل أعور في غنيمه فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني بكر فمن أنت؟ قال: من بني بكر. قلت: مرحبا فاضطجع. ثم رفع عقيرته فقال:

ولست بمسلم ما دمت حيا ولا دان لدين المسلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم. فأمهلت حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سيئها في عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم. ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج ثم سلكت ركوبه حتى إذا هبطت النقيع «١» إذا رجلا من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما



عينا إلى المدينة ينظران و يتحسسان فقلت: استأسرا. فأيا فأرمى أحدهما بسهم فأقتله و استأسر الآخر فأوثقته رباطا و قدمت به المدينة «٢».

و سرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سبيها من أهل ميناء و هي السواحل و فيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم يعنى بين الأمهات و الأولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم سيكون فقال: ما لهم؟ فقيل: يا رسول الله، فرق بينهم. فقال: «لا تبعوهم إلا جميعا» «٣».

و غزوة سالم؛ بن عمير أبا عفك أحد بنى عمرو بن عوف و كان نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحارث بن سويد بن صامت فقال:

لقد عشت دهرا و ما إن أرى من الناس دارا و لا مجمعا

(١) العرج: واد بالحجاز. ركوبه: ثنية بين الجرميت. النقيع: موضع ببلاد مزينة.

(٢) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٣٣/٣ - ٣٣٧) بطوله. و ذكره الطبرى فى تاريخه (٧٩/٢، ٨٠) مختصرا، و البيهقى فى السنن الكبرى (٢١٣/٩)، ابن سعد فى الطبقات (٩٣/٢، ٩٤)، ابن كثير فى البداية و النهاية (٦٩ - ٧١).

(٣) انظر الحديث فى: سنن سعيد بن منصور (٢/٢٦٦١)، الإصابة لابن حجر (٣/٢٧٥). و انظر السيرة (٤/٢٥٧)، و فيه قال ابن هشام يعقب على الحديث: أراد الأمهات و الأولاد.

الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص٥٨٣ أبر عهدا و أوفى لمن يعاقد فيهم إذا ما دعا

من أولاد قبيلة فى جمعهم تهد الجبال و لم تخضعا

فصدعهم راكب جاءهم حلال حرام لشتى معا

فلو أن بالعز صدقتم أو الملك تابعتم تبعنا «١»

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من لى بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عمير أخو بنى عمرو ابن عوف، و هو أحد البكائين، فقتله «٢». فقالت أمامة المريدية فى ذلك:

تكذب دين الله و المرء أحمد العمرى الذى امتلك بثس الذى يمنى

جباك حنيف آخر الليل طعنه أبا عفك خذها على كبر السن «٣»

و غزوة عمير بن عدى الخطمى و هو الذى يدعى القارئ عصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد، و كانت تحت رجل من بنى خطمة يقال له: يزيد بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت فقالت تعيب الإسلام و أهله، و تونب الأنصار فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه و سلم:

أطعمم أتاوى من غيركم فلا من مراد و لا مذحج «\*»

ترجونه بعد قتل الرءوس كما يرتجى مرق المنضج

ألا أنف يبتغى غرة فيقطع من أمل المرتجى «٤»

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ألا [آخذ] «\*» لى من ابنه مروان؟» فسمع ذلك من

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/٢٥٨).

(٢) ذكره ابن كثير فى البداية و النهاية (٥/٢٢١).

(٣) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/٢٥٨).

(\*) ذكر في السيرة بيت قبل هذا و هو:

باشت بنى مالک و النبيت و عوف و باست بنى الخزرج انظر: السيرة (٢٥٨ / ٤).

(٤) و ذمر في السيرة أبيات أجابها به حسان بن ثابت فقال:

بنو وائل و بنو واقف و خطمة دون بنى الخزرج

متى ما دعت سفها و يحها بعولتها و المنيا تجى

فهزت فتى ما جدا عرقه كريم المداخل و المخرج

فضرجها من نجيع الدماء بعد الهدو فلم يحرج انظر: السيرة (٢٥٨ - ٢٥٩).

(\*) ما بين المعقوفتين ورد في الأصل «أحد»، و ما أوردناه من السيرة.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٨٤

قوله عمير بن عدى فلما أمسى من تلك الليلة سما عليها فى بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنى قد قتلتها: فقال: نصرت الله و رسوله يا عمير.

فقال: هل على شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عنزان» (١).

فرجع عمير إلى قومه و بنو خطمة يومئذ كثير فوجههم فى شأن بنت مروان و لها بنون خمسة رجال. فقال: يا بنى خطمة، أنا قتلت بنت مروان فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون. فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة، و كان يستخفى بإسلامه فيهم من أسلم. و يومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام.

و السرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى سيد أهل اليمامة، و ذلك أن خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت فأخذت رجلا من بنى حنيفة لا- يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أ تدررون من أخذتم؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفى، أحسنوا إسهاره»، و رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله. فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، و أمر بلقحته أن يغدى عليه بها و يراح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعا، و يأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: «أسلم يا ثمامة»، و فى رواية: «ما تقول يا ثمامة؟» فيقول: يا محمد، إن تقتل ذا دم و إن تنعم تنعم على شاكر، و إن ترد الفداء فسل تعط منه ما شئت. فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما: أطلقوا ثمامة. فلما أطلقوه خرج حتى اتى البقيع فتطهر فأحسن طهوره ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم ينل منه إلا قليلا، و باللحقة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا، فعجب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مم تعجبون، من رجل أكل فى أول النهار فى معنى كافر و أكل آخر النهار فى معنى مسلم، إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء و إن المسلم يأكل فى معنى واحد» (٢).

(١) انظر الحديث فى: كنز العمال للمتقى الهنذى (٤٤١٣١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧ / ٢، ٢٨).

(٢) هذا الحديث عند ابن إسحاق، و إسناده عنده ضعيف، و للحديث شواهد عن أبى هريرة من وجوه، أخرجها الترمذى فى سننه (١٨١٩)، ابن ماجه فى سننه (٣٢٥٦)، النسائى فى السنن الكبرى (١٧٨ / ٤).

و أخرج البخارى فى كتاب المغازى (٤٣٧٢ / ٧)، مسلم فى كتاب الجهاد (٥٩ / ٣) من طريق سعيد بن أبى سعيد أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد الحيث، فذكره بطوله، و فيه: إسلام ثمامة بن أثال، و ليس فى الحديث ذكر الطعام.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٨٥

و قال ثمامة حين أسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلى فأصبح و هو أحب الوجوه إلى، و لقد

كان دينك أبغض الدين إليّ فأصبح وهو أحب الأديان إليّ، ولقد كان بلدك أبغض البلاد إليّ فأصبح وهو أحب البلاد إليّ. ثم قال: يا رسول الله، إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فأذن لي يا رسول الله. فأذن له فخرج معتمرا فلما قدم مكة قالوا: صبأت يا ثمامة. قال: لا ولكني اتبعت خير الدين دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تأمر بصله الرحم وإنك قد قطعت أرحامنا. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل بين قومي وبين ميرتهم. ففعل «١».

و يقال: إنه لما كان بطن مكة في عمرته لبي فكان اول من دخل مكة يلبى، فأخذته قريش فقالوا: لقد اجترأت علينا. وهما بقتله ثم خلوه لمكان حاجتهم إليه وإلى بلده فقال بعض بني حنيفة:

و منا الذي لبي بمكة معلنا برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم و بعث علقمة بن مجزز المدلجي لما قتل وقاص بن مجزر اخوه يوم ذى قرد، و سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ليذكر ثأره فيهم، فبعثه في نفر من المسلمين، قال أبو سعيد الخدري: وأنا فيهم، حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش و استعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي و كانت فيه دعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع و الطاعة؟ قالوا: بلى. قال: فما أمركم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم. قال: فإني أعزم عليكم بحقي و طاعتي إلا توابتكم في هذه النار. فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها.

فقال لهم: اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه» «٢».

و يقال: إن علقمة بن مجزز رجع هو و أصحابه و لم يلق كيدا «٣».

و بعث كرز بن جابر. و ذلك أن نفرا من قيس كبة من بجيلة قدموا على رسول الله

(١) انظر: السيرة (٤/ ٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٣/ ٦٧)، سنن ابن ماجه (٢/ ٢٨٦٣)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٣)، صحيح ابن حبان (٧/ ٤٥٤).

(٣) انظر: السيرة (٤/ ٢٦٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٨٦.

صلى الله عليه وسلم فاستوثبوا المدينة و طلحوا و كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح ترعى ناحية الجماء يراها عبد له يقال له: يسار، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه في غزوة بني محارب و بني ثعلبة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها و أبوالها»، فخرجوا إليها فلما صحوا و انطوت بطونهم عكنا عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوه و غرزوا الشوك في عينيه و استاقوا اللقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرزاً فلحقهم، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد فقطع أيديهم و سمل أعينهم، و ألقوا في الحرة يستسقون، فلا يسقون حتى ماتوا «١».

و غزوة علي بن أبي طالب اليمن، غزاها مرتين. و قال أبو عمر المديني: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن و بعث خالد بن الوليد في جند آخر و قال: «إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب» «٢».

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام و أمره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء و الداروم من أرض

فلسطين، و هو آخر بعث أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم. فتجهز الناس و أوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه و سلم بشكواه الذى قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته و كرامته، فلم ينفذ بعث أسامة إلا بعد وفاته صلوات الله عليه و رحمته و بركاته «٣».

و سيأتى ذكر ذلك مستوفى إن شاء الله.

فهذه مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعوثة و سراياه التى أعز الله بها الدين و دوخ بها الكافرين، و شد أزره فيها بمن اختاره لصحبته و نصرته من الأنصار و المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين و تلك أيام الله التى يجب بها التذكر و التذكير، و يتأكد شكر الله سبحانه على ما يسرته منها المقادير.

و قال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و يذكر مواطنهم معه فى

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمي (٢٩٤/٦)، سنن النسائي (٧/٤٠٤١)، مسند الإمام أحمد (٣/١٠٧، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٨٧، ٢٩٠)، سنن أبى داود (٤/٤٣٦٤ - ٤٣٦٨).

(٢) انظر الحديث فى: تاريخ الطبرى (٢/٢٩٧)، مجمع الزوائد للهيثمي (٨/٩٨).

(٣) انظر: السيرة (٤/٢٦٣ - ٢٦٤).

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٨٧

أيام غزوه و تروى لابنه عبد الرحمن «١»:

ألستم خير معد كلها نفراو معشرا إن هم عموا و إن حصلوا  
قوم هم شهدوا بدرا بأجمعهم مع الرسول فما آلوا و ما خذلوا  
و بايعوه فلم ينكث به أحد منهم و لم يك فى أيماهم دخل  
و يوم صبحهم فى الشعب من أحد ضرب رصين كحر النار مشتل  
و يوم ذى قرد يوم استثار بهم على الجياد فما خاموا و ما نكلوا  
و ذا العشرة جاسوها بخيلهم مع الرسول عليها البيض و الأسل  
و يوم ودان أجلوا اهله رقصا بالخيال حتى نهانا الحزن و الجبل  
و ليلة طلبوا فيها عدوهم لله و الله يجزيهم بما عملوا  
و غزوة يوم نجد ثم كان لهم مع الرسول بها الأسلاب و النفل  
و ليلة بحنين جالدوا معه فيها يعلمهم بالحرب إذ نهلوا  
و غزوة القاع فرقنا العدو به كما تفرق دون المشرب الرسل  
و يوم بويح كانوا أهل بيعته على الجلال فأسوه و ما عدلوا  
و غزوة الفتح كانوا فى سرية مرابطين فما طاشوا و ما عجلوا  
و يوم خيبر كانوا فى كتيبه يمشون كلهم مستبسل بطل  
بالبيض ترعش فى الأيمان عارية تعوج فى الضرب أحيانا و تعتدل  
و يوم سار رسول الله محتسبا إلى تبوك و هم راياته الأول  
و ساسة الحرب إن حرب بدت لهم حتى بدا لهم الإقبال فالقفل  
أولئك القوم أنصار النبى و هم قومي أصير إليهم حين أتصل

ماتوا كراما و لم تنكث عهودهم و قتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا  
و قال حسان أيضا «٢»:

و كنا ملوك الناس قبل محمد فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل  
و أكرمنا الله الذى ليس غيره إله بأيام مضت مالها شكل  
بنصر الإله و الرسول و دينه و ألبسناه اسما مضى ماله مثل  
أولئك قومى خير قوم بأسرهم فما كان من خير قومى له أهل  
يربون بالمعروف معروف من مضى و ليس عليهم دون معروفهم قفل

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ١٨١-١٨٢).

(٢) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ١٨٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص ٥٨٨ إذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهم و ليس على سؤالهم عندهم بخل  
و إن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا فحريهم حتف و سلمهم سهل  
و جارهم موف بعلياء بيته له ما ثوى فىنا الكرامة و البذل  
و حاملهم موف بكل حمالة تحمل لا غرم عليه و لا خذل  
و قائلهم بالحق إن قال قائل و حلمهم عود و حكمهم عدل  
و منا أمير المسلمين حياته و من غسلته من جنبته الرسل و قال حسان أيضا من قصيدة له أولها «١»:  
و قومى أولئك إن تسألنى كرام إذا الضيف يوما ألم  
عظام القدر لأيسارهم يكبون فيها المسن السنم  
يواسون جارهم فى الغنى و يحمون مولاهم إن ظلم  
فكانوا ملوكا بأرضيهم يبادون غضبا بأمر غشم  
ملوكا على الناس لم يملكوا من الدهر يوما كحل القسم «\*»  
ملوكا إذا غشموا فى البلاد لا ينكلون و لكن قدم  
فأبنا بساداتهم و النساء و أولادهم فيهم تققسم  
ورثنا مساكنهم بعدهم و كنا ملوكا بها لم نرم

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ١٨٤).

(\* ذكر فى السيرة أبيات بعد هذا لم يذكرها هنا و هى:

أنبوا بعاد و أشياعهم ثمود و بعض بقايا إرم  
بيثرب قد شيدوا فى النخيل حصونا و دجن فيها النعم  
نواضح قد علمتها اليهود على إليك و قولا هلم  
و فيما اشتها من عصير القطف و العيش رخوا على غيرهم  
فسرنا إليهم بأثقالنا على كل فحل هجان قطم  
جنبنا بهن جياذ الخيول قد جملوها جلال الأدم

فلما أناخوا بجنبي صرارو شدوا السروج بلى الحزم  
فما راعهم غير معج الخيول و الزحف من خلفهم قد دهم  
فطاروا سراعا و قد أفرعواو جئنا إليهم كأسد الأجم  
على كل سلهبة في الصبان لا يشتكين نحول السأم  
و كل كميت مطار الفؤاد أمين الفصوص كمثل الزلم  
عليها فوارس قد عودواقراع الكماء و ضرب البهم انظر: السيرة (١٨٣/٤ - ١٨٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٥٨٩ فلما اتانا الرسول الرشيد بالحق و النور بعد الظلم  
فقلنا صدقت رسول المليك هلم إلينا و فينا أقم  
فنشهد أنك عبد الإله أرسلت نورا بدين قيم  
فإنا و أولادنا جنه نقيك و في مالنا فاحتكم  
فحن أولئك إن كذبوك فناد نداء و لا تحشم  
و ناد بما كنت أخفيته نداء جهارا و لا تكتم  
فسار الغواة بأسيافهم إليه يظنون أن يخترم  
فقمنا إليهم بأسيافنا نجالد عنه بغاة الأمم  
بكل صقيل له ميعه رقيق الذباب عضوض خذم  
إذا ما يصادف صم العظام لم ينب عنها و لم ينتلم  
فذلك ما ورثنا القروم مجدا تليدا و عزا أشم  
إذا مر نسل كفى نسله و غادر نسلا إذا ما انقصم  
فما إن من الناس إلا لنا عليه و إن خاس فضل النعم

### ذكر الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم ملخصا من كتاب ابن إسحاق و الواقدي و غيرهما

#### إشارة

و ما زال آحاد الوافدين و أفذاذ الوفود من العرب يغدون على رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ أظهر الله دينه، و قهر أعداه. و لكن انبعث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكة، و معظمه في سنة تسع، و لذلك كانت تسمى سنة الوفود.  
و ذلك «١» أن العرب كانت تربص بالإسلام ما يكون من قريش فيه، إذ هم الذين كانوا نصبوا لحرب رسول الله صلى الله عليه و سلم و خلافه، و كانوا إمام الناس و هاديهم، و أهل البيت و الحرم، و صريح ولد إسماعيل، و قادة العرب، لا ينكر لهم ذلك، و لا ينازعون فيه. فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة، و دانت له قريش، و دوخها الإسلام، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه و لا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله عز و جل لئنبي صلى الله عليه و سلم: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ [النصر: ١] أي فتح مكة

(١) انظر: السيرة (١٨٥/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج١، ص: ٥٩٠

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا جماعات جماعات فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أَي فاحمد الله على ما ظهر من دينك وَاَسْتِغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا إشارة إلى انقضاء أجله، واقتراب لحاقه برحمته ربه، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: ٦٩].

كذلك يقول عبد الله بن عباس، وقد سأله عمر بن الخطاب عن هذه السورة، فلما أجابه بنحو هذا المعنى، قال له عمر رضى الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

فقدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب، فمن ذلك:

### وفد بنى تميم «١»

قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارَةَ بن عدس التميمي، في أشراف من قومه، منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والحتات بن يزيد، ونعيم ابن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم في وفد عظيم من بنى تميم. فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته: أن أخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم، وإياهم عنى الله سبحانه بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [الحجرات: ٤]، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا؛ قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»، فقام عطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذى له علينا الفضل، وهو أهله، الذى جعلنا ملوكا، وهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّة أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عدّة، فمن مثلنا فى الناس؟ ألسنا براءوس الناس، وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بنى الحارث بن الخزرج: «قم، فأجب الرجل فى خطبته». فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، وسع كرسيه علمه،

(١) انظر: السيرة (٤/١٨٦). الافتاء، الكلاعى ج ١ ٥٩١ وفد بنى تميم ..... ص : ٥٩٠

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٩١

ولم يك شىء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوى رحمته، أكرم الناس أحسابا، وأحسن الناس وجوها، وخير الناس فعالا، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا، وكان قتله علينا يسيرا. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم «١».

فقام الزبرقان بن بدر، فقال «٢»:

نحن الكرام فلا حى يعادلنا من الملوك و فينا تنصب البيع «٣»

و كم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب و فضل العز يتبع

و نحن يطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزح



بما ترى الناس تأتينا سراهم من كل أرض هوانا ثم [متبع] «\*»  
 فننحر الكوم عبطا في أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا [شيع] «\*»  
 فلا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استفادوا و كانوا الرأس يقطع  
 فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه فيرجع القوم و الأخبار تستمع  
 إنا أينا و ما يابى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع  
 و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد استدعى حسان بن ثابت ليحيب شاعر بنى تميم، قال حسان: فخرجت إلى رسول الله صلى  
 الله عليه و سلم، و أنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على أنف راض من معد و راغم  
 منعناه لما حل بين بيوتنا بسيافنا من كل باغ و ظالم  
 بيت حريد عزة و ثراؤه بجابية الجولان وسط الأعاجم

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (١١٦، ١١٧)، الطبرى فى التاريخ (٢/ ١٨٨):

(١٩٠)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٦/ ٢١٢، ٢١٣).

(٢) انظر الأبيات فى: السيرة (٤/ ١٨٨ - ١٨٩).

(٣) البيع: مواضع الصلاة و العبادات، واحدتها بيعة.

(\* كذا فى الأصل، و فى السيرة: «نصطنع».

(\* كذا فى الأصل، و فى السيرة: «شبعوا».

الافتاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٩٢ هل المجد إلا السؤدد العود و الندى و جاه الملوك و احتمال العظام فلما فرغ الزبرقان، قال رسول  
 الله صلى الله عليه و سلم: «قم يا حسان، فأجب الرجل»، فقال حسان:

إن الذوائب من فخر و إخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع  
 يرضى بهم كل من كانت سريرته تقوى الإله و كل الخير يصطنع  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياءهم  
 سجية تلك منهم غير محدثة نفعوا

إن كان فى الناس سابقون بعدهم إن الخلائق فاعلم شرها البدع  
 لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع  
 إن سابقوا الناس يوما فاز سبقتهم عند الدفاع و لا يوهون ما رقعوا  
 أعفوه ذكرت فى الوحي عفتهم أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا  
 لا يبخلون على جار بفضلهم لا يطمعون و لا يرديههم طمع  
 إذا نصبنا لحي لم ندب لهم و لا يمسهم من مطمع طبع  
 نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبا كما يدب إلى الوحشية الذرع  
 لا يفخرون إذا نالوا عدوهم إذا الزعانف من أظفارها خشعوا  
 كأنهم فى الوغى و الموت مكتنع و إن أصيبوا فلا خور و لا هلع  
 خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا أسد بحلبه فى أرساغها فذع

فإن فى حربهم فاترك عداوتهم ولا يكن همك الأمر الذى منعوا  
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم شرا يخاض عليه السم و السلع  
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره إذا تفاوتت الأهواء و الشيع  
فإنهم أفضل الأحياء كلهم فى ما أحب لسان حائك صنع

إن جد بالناس جد القول أو شمع و ذكر ابن هشام «١» عن بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم، أن الزبرقان بن بدر لما قدم على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم، قام فقال:  
أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اختلفوا عند احتضار المواسم  
بأنا فروع الناس فى كل موطن و أن ليس فى أرض الحجاز كدارم  
و أنا ندود المعلمين إذا انتخوا و نضرب رأس الأصيد المتفاقم  
و أن لنا المرباع فى كل غارة نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

(١) انظر: السيرة (١٩١ / ٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٩٣.

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود و الندى و جاه الملوك و احتمال العظام  
نصرنا و آوينا النبى محمد على أنف راض من معد و راغم  
بحى حريد أصله و ثراؤه بجاييه الجولان وسط الأعاجم  
نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسيافنا من كل باغ و ظالم  
جعلنا بنينا دونه و بناتنا و طينا له نفسا بفيء المغانم  
و نحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهقات الصوارم  
و نحن ولدنا من قريش عظيمها ولدنا نبى الخير من آل هاشم  
بنى دارم لا تفخروا إن فخركم يعود و بالا عند ذكر المكارم  
هبلم علينا تفخرون و أنتم لنا حول ما بين ظئر و خادم  
فإن كنتم جئتم لحقن دماءكم و أموالكم ان تقسموا فى المقاسم

فلا- تجعلوا لله ندا و أسلموا و لا- تلبسوا زيا كزى الأعاجم قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: و أبى، إن  
هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، و لشاعره أشعر من شاعرنا، و لأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، و  
جوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم.

و كان عمرو بن الأهمم قد خلفه القوم فى ظهرهم، و كان أصغرهم سنا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم.

و قيس بن عاصم هو الذى ذكره له ذكرا أزرى به فيه، فكان بينهما ما هو معلوم.

**وفد بنى عامر «١»**

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر، فيهم بن الطفيل و أربد بن قيس و جبار بن سلمى، و كان هؤلاء الثلاثة  
رؤساء القوم و شياطينهم.

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا

(١) انظر: السيرة (٤/ ١٩٤ - ١٩٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٩٤

على الرجل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف. فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر بن الطفيل: يا محمد، خالني، قال: «لا والله، حتى تؤمن بالله وحده». قال: يا محمد، خالني، وجعل يكلمه و ينتظر من أربد ما كان امره به، فجعل أربد لا- يحير شيئا؛ فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله لأملأنها عليك خيلا و رجالا؛ فلما ولي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل»، فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد، أين ما كنت امرتك به؟ والله ما كان على وجه الأرض رجل اخوف عندي على نفسي منك، و أيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا.

قال: لا- أبا لك! لا- تعجل على، والله ما هممت بالذي امرتني به إلا- دخلت بيني و بين الرجل، حتى ما أرى غيرك، فأضربك بالسيف؟ و خرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول: يا بنى عامر، أعدة كعدة البكر في بيت امرأة من بنى سلول «١».

و يقال «٢»: إنه قال: أعدة كعدة الإبل، و موتا في بيت سلولية!

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر، فأتاهم قومهم، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء و الله، لقد دعاني إلى عبادة شيء لوددت انه عندي الآن، فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله عليه و على جملة صاعقه، فأحرقتهما. و أنزل الله جل قوله في وقايه الله تعالى لنبية عليه السلام مما أراده به عامر، و فيما قتل به أربد: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَي أَنْ الْمَعَقَّبَاتِ الَّتِي يَحْفَظُ اللَّهُ بِهَا نَبِيَّهُ هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيَسْبِجُ الرَّعْدَ بِحِمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ [الرعد: ١٠-١٣] «٣».

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٢٩ - ٣٢١)، مجمع الزوائد للهيتمي (٦/ ١٢٦).

(٢) هذا القول ذكره ابن هشام في السيرة (٤/ ١٩٥).

(٣) ذكره الواحدى في أسباب النزول الحديث رقم (٥٢٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٩٥

### وفد تجيب «١»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب، و هم من السكون، ثلاثة عشر رجلا، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم و أكرم منزلهم، و قالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله تعالى في أموالنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ردوها، فاقسموها على فقرائكم». فقالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا. فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد علينا وفد من العرب بمثل ما وفد به هؤلاء الحى من تجيب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن الهدى بيد الله عز و جل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان».

و سألو رسول الله صلى الله عليه و سلم أشياء، فكتب لهم بها، و جعلوا يسألونه عن القرآن و السنن، فزاد رسول الله صلى الله عليه و سلم رغبة فيهم، و أمر بلالا أن يحسن ضيافتهم.

فأقاموا أياما، و لم يطيلوا اللبث، فقيل لهم: ما يعجلكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و كلامنا إياه، و ما رد علينا.

ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يودعونه، فأرسل إليهم بلالا، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود. قال: «هل بقي منكم أحد؟» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا، قال: «أرسلوه إلينا». فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فاقض حاجتك منه، فإننا قد قضينا حوائجنا منه. و ودعناه. فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إنى امرؤ من بنى أبدي.

قال الواقدي: هو أبدي بن عدى، و أم عدى تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج، و إليها ينسبون يقول الغلام: من الرهط الذين أتوك آنفا، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتى يا رسول الله. «و ما حاجتك؟» قال: إن حاجتى ليست بحاجة أصحابى، و إن كانوا قدموا راغبين فى الإسلام، و ساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، و إنى و الله ما أعلمنى من بلادى إلا أن تسأل الله عز و جل أن يغفر لى، و أن يرحمنى، و أن يجعل غناى فى قلبى. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و أقبل إلى الغلام: «اللهم اغفر له و ارحمه و اجعل غناه فى قلبه». ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الموسم بمنى سنة عشر،

(١) راجع قدوم وفد تجيب فى: طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٦٠)، البداية و النهاية (٤/ ٨٤)، المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٥٤).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٩٦

فقالوا: نحن بنو أبدي. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما فعل الغلام الذى أتانى معكم؟» قالوا: يا رسول الله، و الله ما رأينا مثله قط، و لا حدثنا بأقبح منه بما رزقه الله عز و جل لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها و لا التفت إليها.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الحمد لله، إنى لأرجو أن يموت جميعا». فقال رجل منهم:

أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله؟! قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تشعب أهواؤه و همومه فى أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه فى بعض تلك الأودية، فلا يبالى الله عز و جل فى أيها هلك».

قالوا: فعاش ذلك الرجل فىنا على أفضل حال و أزهد فى الدنيا و أقنع بما رزق، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام، قام فى قومه يذكرهم الله و الإسلام، فلم يرجع منهم أحد. و جعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكره و يسأل عنه، حتى بلغه حاله و ما قام به، فكتب إلى زياد بن ليلى يوصيه به خيرا.

### فروة بن مسيك المرادى «١»

و قدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه و سلم مفارقا لملوك كندة، متابعا للنبي صلى الله عليه و سلم و قال فى ذلك:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نساها

قربت راحلتى أوم محمدا أرجو فواضلها و حسن ثرائها

ثم خرج حتى أتى المدينة، و كان رجلا له شرف، فأنزله سعد بن عبادة عليه، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو جالس

فى المسجد، فسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله، أنا لمن ورائى من قومى، قال: «أين نزلت يا فروة؟» قال: على سعد بن عبادة، قال: «بارك الله على سعد بن عبادة». و كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما جلس، و يتعلم القرآن و فرائض الإسلام و شرائعه.

و كان بين مراد و همدان قبيل الإسلام وقعة، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثنوهم فى يوم يقال له: «يوم الردم»، و كان الذى قاد همدان إلى مراد «الأجدع ابن مالك»، ففضحهم يومئذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وفد إليه: «يا فروة، هل ساءك ما

(١) انظر: السيرة (٢٠٦/٤ - ٢٠٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٥٩٧.

أصاب قومك يوم الردم؟» قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوؤه ذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إن ذلك اليوم لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً».

و فى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيكة «١»:

مررنا باللفاء \* و هن خوص ينازعن الأعنة ينتحينا

فإن نغلب فغلابون قدماو إن نغلب فغير مغلبينا

و ما إن طبنا جبن و لكن منايانا و طعمه آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال تكرر صروفه حيناً فحيناً

فيينا ما نسر به و نرضى و لو لبست غضارته سنيينا

إذا انقلبت به كرات دهر فألقى للأولى غبطوا طحيناً

فمن يغبط بريب الدهر منهم تجدد ريب الزمان له خثونا

فلو خلد الملوكة إذن خلدناو لو بقى الكرام إذا بقينا

فأفنى ذلكم سروات قومى كما أفنى القرون الأولينا

و استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مسيكة «٢» على مراد و زبيد و مذحج كلها، و بعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، و كتب له فيها كتابا لا يعدوه إلى غيره، فكان خالد مع فروة فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم «٣».

و لما كانت السنة التى توفى فيها صلوات الله و بركاته عليه، و صدر عن مكة، و رأت أبناء زبيد قبائل اليمن تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام، مصدقين برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجع راجعهم إلى بلاده و هم على ما هم عليه، قالوا لخالد بن سعيد «٤»: و الله،

(١) انظر الأبيات فى: السيرة (٢٠٦/٤ - ٢٠٧).

(\* كذا فى الأصل، و فى السيرة «مررن على لفاء».

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢١٠١)، الإصابة الترجمة رقم (٦٩٩٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٢٢٤)، تجريد أسماء الصحابة (٧/٢)، تهذيب التهذيب (٢٦٥/٨)، خلاصة تهذيب الكمال (٣٣٣/٢)، تهذيب الكمال (١٠٩٤/٢).

(٣) ذكره الطبرى فى التاريخ (١٩٨/٥).

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٦١٧)، الإصابة الترجمة رقم (٢١٧٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٣٦٥)، العقد الثمين (١٤/٤).

(٢٦٧)، شذرات الذهب (١ / ٣٠)، طبقات ابن سعد (٤ / ١ / ٦٩)، طبقات خليفة (١١ / ٢٩٨)، التاريخ الكبير (٣ / ١٥٢)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (١٧٢)، تاريخ الإسلام (١ / ٣٧٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٩٨

لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس، و صدقنا بمحمد صلى الله عليه و سلم و خيلنا بينك و بين صدقات أموالنا، و كنا لك عوناً على من خالفك من قومنا.

قال خالد: قد فعلتم، قالوا: فأوفد منا نفراً يقدمون على رسول الله صلى الله عليه و سلم و يخبرونه بإسلامنا، و يقبسونا منه خيراً. قال خالد: ما أحسن ما دعوتهم إليه، و أنا أجيبكم، و لم يمنعني أن أقول لكم هذا إلا أنني رأيت الوفود تمر بكم فلا يهيجكم ذلك على الخروج، فساءني ذلك منكم حتى ساء ظني بكم، و كنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك، فخشيت أن يكون الإسلام لم يرسخ في قلوبكم، فأما إذا طلبتم ما طلبتم، فأنا أرجو أن يكون الإسلام راسخاً في قلوبكم. قالوا: و ما أنكرت منا؟ و الله لقد كنا في حيزك و اخترناك على غيرك من عمال رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما رأيت منا شيئاً تكرهه و لا تنكره إلى يومنا هذا.

قال: اللهم غفراً، لو لا- أنني أنكرت منكم بعض ما ينكر ما قلت هذا، أ ما تعلمون أنني أخذت من شاب منكم فريضة بنت مخاض، فعقلتها و وسمتها بميسم الصدقة، فجتتم بأجمعكم فأخذتموها، ثم قلت: إن شاء خالد فليأخذها من مرعاها، فأمسكت عنكم و خفت أن يأتي منكم ما هو شر من هذا؟! فقالوا: فقد كان، و نزعنا و تبنا إلى الله، فلا نحول بينك و بين شيء تريده، فبعث معهم وفداً إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

### وفد زبيد عمرو بن معدى كرب «١»

و قدم عمرو بن معدى كرب على رسول الله صلى الله عليه و سلم في أناس من قومه بني زبيد، فأسلم؛ و كان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا قيس، إنك سيد قومك، و قد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد خرج بالحجاز، يقال: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول، فإنه لن يخفى علينا، إذا لقيناه اتبعناه، و إن كان غير ذلك علمنا علمه، فإنه إن سبق إليه رجل من قومك سادنا و ترأس علينا، و كنا له أذناناً. فأبى عليه قيس و سفه رأيه، فركب عمرو بن معدى كرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أقام أياماً، فأجازه رسول الله صلى الله عليه و سلم كما كان يجيز الوفود، و أنصرف راجعاً إلى بلاده، فأقام في قومه بني زبيد و عليهم فروة بن مسيكة سامعاً له مطيعاً، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم ارتد عمرو، ثم راجع الإسلام بعد ذلك.

(١) انظر: السيرة (٤ / ٢٠٧ - ٢٠٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٥٩٩

و قد كان قيس بن مكشوح لما بلغه خروج عمرو أوعده و تحطم عليه، و قال: خالفني و ترك رأبي. فقال عمرو في ذلك من أبيات: أمرتك يوم ذى صنعاء أمراً بادياً رشده أمرتك باتقاء الله و المعروف تتعده فكنت كذي الحمير غره مما به و تده تمناني على فرس عليه جالس أسده «\*»

فلو لاقيتني للقت ليثاً فوقه لبداه و طلب فروة بن مسيكة قيس بن مكشوح كل الطلب، حتى هرب من بلاده، و كان مصمماً في طلب من خالفه، فكان عمرو يقول لقيس: قد خبرتك يا قيس أنك تكون ذنباً تابعا لفروة بن مسيكة.

## وفد بني ثعلبة

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني ثعلبة سنة ثمان مرجعه من الجعرانة.

ذكر الواقدي عن رجل منهم قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة قدمنا عليه وافدين مقرين بالإسلام، ونحن أربعة نفر، فترلنا دار رملة بنت الحارث، فجاءنا بلال، فنظر إلينا، فقال: أ معكم غيركم؟ قلنا: لا، فانصرف عنا، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتى بجفنة من ثريد بلبين و سمن، فأكلنا حتى نهلنا، ثم رحنا إلى الظهر، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته و رأسه يقطر ماء، فرمى ببصره إلينا، فأسرعنا إليه، و بلال يقيم الصلاة.

فسلمنا عليه، و قلنا: يا رسول الله، إنا رسل من خلفنا من قومنا، مقرين بالإسلام، و هم في مواشيهم، و ما لا يصلحه إلا هم، و قد قيل لنا يا رسول الله: لا إسلام لمن لا هجرة له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حيثما كنتم، و اتقيتم الله فلا يضركم حيث كنتم». و فرغ بلال من الأذان، و رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمنا، ثم تقدم فصلى بنا الظهر، لم تصل وراء أحد قط أتم صلاة و لا أوجز منه، ثم انصرف إلى بيته، فدخل، فلم يلبث أن خرج إلينا، فقيل لنا: صلى في بيته ركعتين، فدعا بنا، فقال: «أين أهلكم؟» فقلنا: قريبا يا رسول

(\*) ذكر في السيرة بعد هذا البيت بيت لم يذكره هنا، و هو:

علّي مفاضة كالنهي أخلص ماءه جدده انظر: السيرة (٢٠٨/٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٠

الله، هم بهذه السرية فقال: «كيف بلادكم؟» فقلنا: مخصبون، فقال: «الحمد لله».

فأقمنا أياما، فتعلمنا من القرآن و السنن، و ضيافته تجرى علينا، ثم جئنا نودعه منصرفين، فقال لبلال: «أجزهم كما تجيز الوفد»، فجاء بلال بنقر من فضة، فأعطى كل واحد منا خمس أواق، و قال: ليس عندنا دراهم مضروبة، فانصرفنا إلى بلادنا «١».

## وفد بني سعد هذيم «٢»

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو سعد هذيم، من قضاة في سنة تسع.

ذكر الواقدي عن ابن النعمان منهم عن أبيه قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي، و قد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد غلبة، و أداخ العرب، و الناس صنفان. إما داخل في الإسلام راغب فيه، و إما خائف من السيف، فترلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية، و لم ندخل مع الناس في صلاتهم، و قلنا: حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم و نبايعه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلينا، فدعا بنا، فقال: «من أتم؟» فقلنا: من بني سعد هذيم، فقال: «أ مسلمون أتم؟» قلنا: نعم، قال: فهلا صليتم على أخيكم؟ قلنا: يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أينما أسلمتم مسلمون».

قال: فأسلمنا و بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الإسلام، ثم انصرفنا إلى رحالنا، و قد كنا خلفنا عليها أصغرنا، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا، فأتى بنا إليه، فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا، و إنه خادمنا، فقال: «أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه» «٣».

قال: فكان و الله خيرنا، و أقرأنا للقرآن، لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له، ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، فكان



يؤمننا.

و لما أردنا الانصراف، أمر بلالا فأجازنا بأوقى من فضة، لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام.

(١) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٠٢، ١٠/ ٢٩٦).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٥٦)، طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٥٩، ٦٥).

(٣) ذكره ابن كثير في البداية و النهاية (٥/ ٩٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠١

### وفد بني فزارة «١»

و لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن، و الحر بن قيس بن حصن ابن أخي عيينة بن حصن، و هو أصغرهم، فنزلوا في دار زينب بنت الحارث، و جاءوا رسول الله صلى الله عليه و سلم مقرين بالإسلام، و هم مستنون على و كاف عجاف، فسألهم رسول الله صلى الله عليه و سلم عن بلادهم، فقال أحدهم: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، و هلكت مواشينا، و أجذب جنابنا، و غرت عيالنا، فادع لنا ربك يفتنا، و اشفع لنا إلى ربك، و ليشفع لنا ربك إليك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «سبحان الله و إليك، هذا أنا شفعت إلى ربي عز و جل، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلى العظيم، و سع كرسية السموات و الأرض، فهي تنظ من عظمتة و جلاله كما ينظ الرجل الجديد».

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله جل و عز ليضحك من شفعمكم، و أزلكم، و قرب غياثكم».

فقال الأعرابي: يا رسول الله، و يضحك ربنا عز و جل؟ قال: «نعم»، قال الأعرابي:

لن نعدمك من رب يضحك خير، فضحك النبي صلى الله عليه و سلم من قوله، و صعد المنبر، فتكلم بكلمات، و كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء، فرفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه، و كان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلادك و بهائمك، و انشر رحمتك، و أحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مربعا طيبا، و اسعنا عاجلا غير آجل، نافعنا غير ضار، اللهم اسقنا رحمة و لا تسقنا عذابا و لا هدمًا و لا غرقًا و لا محقا، اللهم اسقنا الغيث و انصرنا على الأعداء».

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، فقال: يا رسول الله، التمر في المربرد. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم اسقنا»، فعاد أبو لبابة لقوله، و عاد رسول الله صلى الله عليه و سلم لدعائه، فعاد أيضا أبو لبابة لقوله، و عاد رسول الله صلى الله عليه و سلم لدعائه، فعاد أيضا أبو لبابة، فقال: التمر في المربرد يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره»، قالوا: و لا و الله ما في السماء سحب و لا قرعة، و ما بين المسجد و بين سلع من شجر و لا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت

(١) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٤/ ٣٥٣)، طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٥٩)، البداية و النهاية (٥/ ٧٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٢

السماء انتشرت، ثم أمطرت، فو الله ما رأوا الشمس سبعا، و قام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره، لثلا يخرج التمر منه، فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، و انقطعت السبل، فصعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر، فدعا و رفع يديه مدا، حتى رؤى بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم حوالينا و لا علينا، اللهم على الآكام و الظراب و بطون الأودية و منابت الشجر» «١».

قال: فانجابت السحاب عن المدينة انجياب الثوب.

## وفد بنى أسد «٢»

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد بنى أسد، عشرة رهط، فيهم وابصة بن معبد و طليحة ابن خويلد، و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد مع أصحابه، فسلموا و تكلموا، و قال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنك عبده و رسوله، و جئناك يا رسول الله، و لم تبعث إلينا بعثا، و نحن لمن وراءنا.

قال محمد بن كعب القرظي: فأنزل الله عز و جل على رسوله: **يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [١٧: الحجرات].**

و كان مما سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند يومئذ: العيافة و الكهانة و ضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله. فقالوا: يا رسول الله، إن هذه أمور كنا نفعها في الجاهلية، أ رأيت خصلة بقيت؟ قال: «و ما هي؟» قال: الخط، قال: «علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه علم» «٣».

(١) انظر الحديث في: سنن أبو داود (١١٧٣)، سنن البيهقي الكبرى (٣/٣٥٦)، كنز العمال للمتقى الهندي (١٨٠٢٥)، موطأ الإمام مالك (١٩١)، اللعل المتناهية لابن الجوزي (٢١٢)، مشكاة المصابيح للتبريزي (١٥٠٦).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٤/٣٥٥)، طبقات ابن سعد (١/٢/٣٩)، البداية و النهاية لابن كثير (٥/٧٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدرر المنثور (٦/٣٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٣.

## وفد بهراء «١»

و ذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد، قالت: سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب «٢» تقول: قدم وفد بهراء من اليمن، و هم ثلاثة عشر رجلا، فأقبلوا يقودون وواحلهم، حتى انتهوا إلى باب المقداد، و نحن في منزلنا بنى جديلة، فخرج إليهم المقداد، فرحب بهم، و أنزلهم، و جاءهم بجفنة من حيس قد كنا هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها، فحملها أبو معبد المقداد، و كان كريما على الطعام، فأكلوا منها حتى نهلوا، و ردت إلينا القصعة و فيها أكل، فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع سدره مولاتي، فوجدته في بيت أم سلمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ضباعة أرسلت بهذا؟»، قالت سدره: نعم يا رسول الله، قال: «ضعي»، ثم قال: «ما فعل ضيف أبي معبد؟» قلت: عندنا، فأصاب منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكلا هو و من معه في البيت حتى نهلوا، و أكلت معهم سدره، ثم قال: «أذهبي بما بقي إلى ضيفكم»، قالت سدره: فرجعت بما بقي في القصعة إلى مولاتي، قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا، نرددها عليهم و ما تغيض، حتى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، و ما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين، و قد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العلق أو نحوه، و نحن عندك في الشبع، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أكل منها أكلا و ردها، فهذه بركة أثر أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، و ازدادوا يقينا، و ذلك الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و تعلموا الفرائض، و أقاموا أياما، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودعوه، و أمر لهم بجوائزهم، و انصرفوا إلى أهلهم.

## وفد بنى غدره

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني غدره في صفر سنة تسع، اثنا عشر رجلا، فيهم حمزة بن النعمان و سليم و سعد ابنا مالك و مالك بن أبي رباح، فنزلوا في دار رملة بنت

(١) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٣٥٦/٤)، طبقات ابن سعد (١/٢/٦٦).

(٢) انظر ترجمتها في: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٤٥١)، الإصابة الترجمة رقم (١١٤٢٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٧٠٧٦)، تهذيب الكمال (١٦٨٧)، تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٢)، خلاصة تذهيب الكمال (٤٩٣)، تاريخ الإسلام (٢/٢٢٩).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٤

الحارث النجارية، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو في المسجد، فسلموا بسلام أهل الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من القوم؟» فقال متكلمهم: من لا تنكر، نحن بنو غدره، أخوة قصي لأمه، نحن الذين عضوا قصيا، و أزاخوا من بطن مكة خزاعة و بنى بكر، و لنا قرابات و أرحام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحبا بكم و أهلا، ما أعرفنى بكم، فما منعكم من تحية الإسلام؟» قالوا: يا محمد، كنا على ما كان عليه آباؤنا، فقدمنا مرتادين لأنفسنا و لمن خلفنا، فإلام تدعو؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلى عبادة الله وحده لا شريك له، و أن تشهدوا أنى رسول الله إلى الناس كافة»، فقال المتكلم: فما وراء ذلك من الفرائض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، تحسن طهورهن و تصليهن لمواقيتهن، فإنه أفضل العمل».

ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام و الزكاة و الحج، فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد أنه لا إله إلا الله و أنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليه، و نحن أعوانك و أنصارك ثم قال: يا رسول الله: إنا متاخمو الشام، و أخبارهم ترد علينا، و بالشام من قد علمت، هرقل، فهل اوحى إليك في أمره بشيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشر، فإن الشام ستفتح عليكم، و يهرب هرقل إلى ممتنع بلاده»، قال: الله أكبر، يا رسول الله، إن فينا امرأة كاهنة، كانت قريش و العرب يتحاكمون إليها، و لو قد رجعنا أقرت هي و غيرها من قومنا بالإسلام إن شاء الله، أفسألها عن كهانتها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوها عن شيء»، قال: الله أكبر، ثم سأله عن الذبائح التي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، و قال: «لا ذبيحة لغير الله عز و جل و لا ذبيحة عليكم في سنتكم إلا واحدة». قال: و ما هي؟ فداك أبى و أمى، قال: «الأضحية»، قال: و أى وقت تكون؟ قال: «صبيحة العاشر من ذى الحجة، تذبح شاء عنك و عن أهلِكَ»، قال: يا رسول الله، أهي على أهل كل بيت وجدوها؟ قال: «نعم» (١).

فأقاموا أياما، ثم أجازهم كما يجيز الوفود، و انصرفوا.

## وفد بلوى «٢»

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بلوى في ربيع الأول من سنة تسع. قال رويغ ابن

(١) انظر الحديث في: كنز العمال للمتقى الهندي (١٢٢٥٩).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٣/٣٥٥)، طبقات ابن سعد (١/٢/٦٥).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٥

ثابت البلوى: فبلغنى قدمهم، فخرجت حتى جئتهم برأس الثنية في أيديهم خطم رواحلهم، فرحبت بهم و قلت: المنزل على، فعدلت بهم إلى منزلى، فنزلوا، و لبسوا من صالح ثيابهم، ثم خرجت بهم حتى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو جالس في أصحابه في بقية فيء الغداة، فسلمت. فقال: «رويغ»، فقلت: ليبيك، قال: «من هؤلاء القوم؟»

قلت: قومي، قال: «مرحبا بك و بقومك»، قلت: يا رسول الله، قدموا وافدين عليك مقرين بالإسلام، و هم على من وراءهم من قومهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يهده للإسلام».

قال: و تقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يديه، فقال: يا رسول الله، إنا قدمنا عليك لنصدقك و نشهد أن ما جئت به حق، و نخلع ما كنا نعبد و يعبد آباؤنا قبلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذى هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو فى النار»، قال: يا رسول الله، إني رجل لى رغبة فى الضيافة، فهل لى فى ذلك من أجر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، و كل معروف صنعته إلى غنى أو فقير فهو صدقة»، قال: يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فصدقة، و لا يحل للضيف ان يقيم عندك فيخرجك»، قال: يا رسول الله، أ رأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الأرض؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب»، قال: فالبعير، قال:

«مالك و له، دعه حتى يجده صاحبه» (١).

و سأله عن أشياء غير هذه، فأجابه عنها.

قال رويغ: ثم قاموا، فرجعوا إلى منزلى، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى منزلى يحمل تمرا، فقال: «استعن بهذا التمر»، فكانوا يأكلون منه و من غيره، فأقاموا ثلاثا، ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أجازهم، و رجعوا إلى بلادهم.

## ضمام بن ثعلبة «٢»

و بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه، و أناخ

(١) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٢/ ١٨٦، ٢٠٣، ١١٧/ ٤)، السنن الكبرى للبيهقى (١/ ١٨٥، ١٥٣/ ٤، ١٨٩/ ٦، ١٩٠)، مجمع الزوائد للهيثمي (٤/ ١٦٨)، المعجم الكبير للطبراني (٥/ ٢٨٩)، فتح البارى لابن حجر (١/ ١٨٦، ٨٠/ ٥).  
(٢) انظر: السيرة (٤/ ١٩٨ - ٢٠٠).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٠٦

بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد و رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه؛ و كان ضمام رجلا جلدا، أشعر، ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن عبد المطلب». قال:

أ محمدا؟ قال: «نعم»؛ قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك و مغلظ عليك فى المسألة، فلا تجدن فى نفسك، قال: «لا أجد فى نفسى، فسل عما بدا لك». قال: أنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، و أن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلهك و إله من كان قبلك، و إله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم». ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة و الصيام و الحج، و شرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة كما ينشده فى التى قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا رسول الله، و سأؤدى هذه الفرائض، و أجتنب ما نهيتنى عنه، ثم لا- أزيد و لا- أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة».

قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن سب اللات و العزى، قالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما و الله ما تضران و لا تنفعان إن الله قد بعث رسولا، و أنزل عليه كتابا

فاستنقذكم به مما كنتم فيه، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و قد جئتكم من عنده بما أمركم به و ما نهاكم عنه.

قال: فوالله، ما أمسى من ذلك اليوم و فى حاضره رجل و لا امرأة إلا مسلما. فبنوا المساجد، و أذنوا بالصلاة، و كلما اختلفوا فى شىء قالوا: عليكم بوافدنا.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة «١».

و اختلف فى الوقت الذى وفد فيه ضمام هذا على النبى صلى الله عليه و سلم ف قيل: سنه خمس. ذكره الواقدي و غيره، و قيل: سنه سبع، و قيل: سنه تسع، فالله أعلم.

(١) انظر الحديث فى: سنن الدارمى (١/ ٦٥٢)، صحيح البخارى (١/ ٦٣)، صحيح مسلم (١/ ١٠ / ٤١، ٤٢)، سنن النسائى (٤/ ٢٠٩١).  
الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٠٧

### وفد عبد القيس «١»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد عبد القيس فى جماعة رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، فلما أتوه قال: «من الوفد؟» أو «من القوم؟» قالوا: ربيعة، قال: «مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا و لا الندامى»، قالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، و إن بيننا و بينك هذا الحى من كفار مضر، و إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. فأمرهم بأربع، و نهاهم عن أربع.

أمرهم بالإيمان بالله و وحده، و قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله» قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان، و أن تؤدوا خمسا من المغنم».

و نهاهم عن الدباء و الحنتم و المزفت و النقىر. قالوا: يا نبى الله، ما علمك بالنقىر؟

قال: «بلى، جذع ينقرونه فيقذفون فيه من القطيعاء، أو قال: من التمر ثم يصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى أن أحدكم أو أن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف»، و فى القوم رجل أصابته جراحه كذلك، قال: و كنت أخبأها حياء من رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لما سلم عليه القوم سألهم: «أيكم عبد الله الأشج؟» فقالوا: أتاك يا رسول الله. و كان عبد الله وضع ثياب سفره، و أخرج ثيابا حسانا فلبسها، و كان رجلا دميما، فلما جاء و نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى دمامته قال: يا رسول الله، إنه لا يستقى فى مسوك الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه، لسانه و قلبه. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن فيك لخصلتين يجبهما الله و رسوله: اللحم، و الأناة».

فقال عبد الله: يا رسول الله، أ شىء حدث فى، أم شىء جبلت عليه؟ فقال: «بل شىء جبلت عليه» «٢».

و كان الأشج يسأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الفقه و القرآن، فكان رسول الله يدنيه منه إذا جلس، و كان يأتي أبى بن كعب فيقرأ عليه.

(١) راجع: السيرة (٢٠٠-٢٠١). المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٨٢)، طبقات ابن سعد (١/ ٢ / ٦٤)، تاريخ الطبرى (٣/ ١٣٦).

(٢) انظر الحديث فى: سنن البيهقى (١٠/ ١٠٤)، المعجم الكبير للطبرانى (٥/ ٣١٧)، مجمع الزوائد للهيثمى (٥/ ٦٤، ٩/ ٣٨٧، ٣٨٨)، الترغيب و التهيب للمنذرى (٣/ ٤١٨)، التاريخ الكبير— (٥٨٥)، فتح البارى لابن حجر (١٠/ ٤٥٩)، مشكاة المصابيح للتبريزى (٥٠٥٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٨/ ٣١)، كنز العمال للمتقى الهندي (٥٨٣٦، ٥٨٣٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٨

و أمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز، و فضل الأشج عليهم، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، و نشأ، و ذلك أكثر مما كان يجيز به الوفود.

و قدم في هذا الوفد الجارود بن عمرو، و كان نصرانيا، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه، فعرض عليه الإسلام، و دعا إليه، و رغبه فيه. فقال: يا محمد، إني كنت على دين، و إني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه». فأسلم و حسن إسلامه، و أراد الرجوع إلى بلاده، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم حملانا، فقال: «و الله ما عندي ما أحملكم عليه»، قال: يا رسول الله، فإن بيننا و بين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أفتنبغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا»، إياك و إياها، فإنما تلك حرق النار» (١).

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه، و كان حسن الإسلام، صليبا في دينه، حتى هلك و قد أدرك الردة، فلما رجع من كان أسلم من قومه إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان، قام الجارود فتشهد بشهادة الحق، و دعا إلى الإسلام، فقال: يا أيها الناس، إني أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أكفر من لم يتشهد. و يروى: و أكفى من لم يشهد (٢).

### وفد بنى مرة

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى مرة، ثلاثة عشر رجلا رأسهم الحارث بن عوف، و ذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، جاءوه و هو في المسجد، فقال الحارث بن عوف: يا رسول الله، إنا قومك و عشيرتك، نحن قوم من بنى لؤي بن غالب، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال للحارث: «أين تركت أهلك؟» قال: بسلاح و ما والها قال: «فكيف البلاد؟» قال: و الله، إنا لمستنون و ما في المال مخ، فادع الله لنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اسقهم الغيث»، فأقاموا أياما، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له، فأمر بلالا أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق، عشر أواق فضة، و فضل الحارث بن عوف، أعطاه اثنتي عشرة أوقية، و رجعوا إلى بلادهم، فوجدوا البلاد

(١) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (٥ / ٨٠)، مصنف عبد الرزاق (١٠ / ١٨٦٠٤)، السلسلة الصحيحة للألباني (٦٢٠).

(٢) انظر: السيرة (٤ / ٢٠١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٠٩

مطيرة، فسألوا: متى مطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

فقدم عليه قادم بعد و هو يتجهز لحجة الوداع، فقال: يا رسول الله، رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مضبوطة مطرا، لذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه، ثم قلدتنا أقلام الزرع في كل خمس عشرة ليلة مطرة جودا، و لقد رأيت الإبل تأكل و هي بروك، و إن غنمنا ما توارى من أبياتنا، فترجع فتقبل في أهلنا. فقال رسول الله: «الحمد لله الذي هو صنع ذلك» (١).

### وفد خولان

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان من سنة عشر وفد خولان، و هم عشرة، فقالوا:

يا رسول الله، نحن على من وراءنا من قومنا، و نحن مؤمنون بالله عز و جل مصدقون برسوله، قد ضربنا إليك آباط الإبل، و ركبنا حزون الأرض و سهولها، و المنة لله و لرسوله علينا، و قدمنا زائرين لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما ما ذكرتم من مسيركم إلى فإن لكم بكل خطوة خطاها بغير أحدكم حسنة، و أما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم



القيامة». قالوا: يا رسول الله، هذا السفر الذي لا توى عليه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما فعل عم أنس؟» و هو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا:

بشر و عر، بدلنا الله به ما جئت به، و قد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير و عجوز كبيرة متمسكون به، و لو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله فقد كنا في غرور و فتنه يا رسول الله، إن فتنته كانت أعظم مما عسينا أن نذكره لك، فالحمد لله الذي من علينا بك، و تنقذنا من الهلكة، و ما مضى عليه الآباء من عبادته، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و ما أعظم ما رأيتم من فتنته؟» قالوا: يا رسول الله، لقد رأيتمنا و أسنتنا حتى أكلنا الرمة، و مات الولدان غرماً، و هلكت ناغيتنا و راعيتنا و حافرنا أو ما ذهب منها. فقلنا، أو من قال منا: قربوا لعم أنس قربانا يشفع لكم، فتغاثوا فتعاونوا، فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا، ثم ذهب ذاهبنا فابتاع مائة ثور، ثم حشرها علينا، فنحرناها في غداة واحدة، و تركناها تردها السباع، و نحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، فأى فتنه أعظم من هذه، فلقد رأينا العشب يوارى الرجال، و يقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس.

(١) انظر الحديث في: البداية و النهاية لابن كثير (٥/ ٨٩)، دلائل النبوة لأبي نعيم (١٦٠)، طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٤٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦١٠

و ذكروا لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما كانوا يقسمون لصلتهم هذا من أنعامهم و حروثهم، و أنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له و جزءا لله بزعمهم.

قالوا: كنا نزرع الزرع، فنجعل له وسطه، فنسميه له، و نسمى زرعاً آخر حجرة لله جل و عز فإذا مالت الريح بالذى سميناه الله جعلناه لعم أنس، و إذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله.

فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله عز و جل أنزل عليه في ذلك: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الأنعام: ١٣٦]. قالوا: و كنا نتحاكم إليه فنكلم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تلك الشياطين تكلمكم». قالوا: فأصبحنا يا رسول الله، و قلوبنا تعرف أنه كان لا يضر و لا ينفع، و لا يدري من عبده ممن لم يعبد. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الحمد لله الذي هداكم و أكرمكم بمحمد صلى الله عليه و سلم». و سألوه عن فرائض الدين، فأخبرهم و أمرهم بالوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و حسن الجوار لمن جاوروا، و أن يظلموا أحدا. قال: «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (١).

ثم أمر بهم فأنزلوا دار رمل و أمر لهم بضيافة تجرى عليهم، و أمر من يعلمهم القرآن و السنن، ثم و دعوه بعد أيام، فأجازهم، و رجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس.

## وفد محارب «٢»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم عام حجة الوداع وفد محارب، و هم كانوا أغلظ العرب، و أفضه على رسول الله صلى الله عليه و سلم في تلك المواسم، أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم منهم عشرة نائين عن من وراءهم من قومهم، فأسلموا.

و كان بلال يأتيهم بغداء و عشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً من الظهر إلى العصر، فعرف رجلا منهم، فأبداه النظر، فلما رآه المحاربي يديم النظر إليه، قال: كأنك

(١) انظر الحديث في: صحيح مسلم كتاب البر و الصلة (٥٦، ٥٧)، مسند الإمام أحمد (٢/ ١٠٦، ١٩٥، ٣/ ٣٢٣)، سنن البيهقي الكبرى



(٦ / ٩٣، ١٠ / ١٣٤، ٢٤٣)، جمع الجوامع للسيوطى (٥٦٨٧)، الدر المنثور للسيوطى (٦ / ١٩٦)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٨ / ١٩٣).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزى (٣ / ٣٨١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦١١

يا رسول الله توهمنى. قال: «لقد رأيتك». فقال المحاربى: أى و الله، لقد رأيتنى و كلمتنى، و كلمتك بأقبح الكلام و رددتك بأقبح الرد بعكاظ و أنت تطوف على الناس.

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نعم». ثم قال المحاربى: يا رسول الله، ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ و لا أبعد من الإسلام منى، فأحمد الله الذى أبقانى حتى صدقت بك، و لقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن هذه القلوب بيد الله عز و جل». فقال المحاربى: يا رسول، استغفر لى من مراجعتى إياك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر» (١). ثم انصرفوا إلى أهليهم.

### وفد طيء «٢»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد و طيء، فيهم زيد الخيل «٣»، و هو سيدهم؛ فلما انتهوا إليه كلموه، و عرض عليهم الإسلام، فأسلموا، فحسن إسلامهم؛ و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

«ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى، إلا رأيتة دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه»، ثم سماه زيد الخير، و قطع له فيدا و أرضين معه؛ و كتب له بذلك كتابا، فخرج من عنده راجعا إلى قومه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن ينبج زيد من حمى المدينة» يسميها رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ باسم غير الحمى، و غير أم ملدم.

و قال زيد حين انصرف:

أنيخت بآجام المدينة أربعا و عشا يغنى فوقها الليل طائر

فلما قضى أصحابها كل بغيه و خط كتابا فى الصحيفة ساطر

شددت عليها رحلها و سليلها من الدرس و الشعراء و البطن ضامر فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فردة أصابته الحمى، فمات.

و قال لما أحس بالموت «٤»:

أمر تحل قومي المشاركة غدوه و أترك فى بيت بفردة منجد

(١) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (١ / ٢ / ٤٣)، البدايه و النهايه لابن كثير (٥ / ٨٩).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزى (٣ / ٣٥٦)، طبقات ابن سعد (١ / ٢ / ٥٩، ٦٥).

(٣) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٨٦٦)، الإصابه الترجمة رقم (٢٩٤٨)، أسد الغابه الترجمة رقم (١٨٧٧).

(٤) انظر الأبيات فى السيره (٤ / ٢٠٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦١٢ ألا رب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يشف منهم يجهد

فليت اللواتى عدننى لم يعدننى و ليت اللواتى غبن عنى شهد فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان من كتبه التى قطع له رسول الله صلى الله عليه و سلم فحرقتها بالنار «١».

و أما عدى بن حاتم «٢»، فكان يقول فيما ذكر عنه: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه و سلم حين



قال: «بل أنت»، فجلست عليها، و جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض؛ فقلت في نفسي: و الله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عدى بن حاتم! ألم تك ركوسيا؟» قلت: بلى، قال: «أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟» قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك»؛ قلت: أجل و الله، و عرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال: «لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم و قلته عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على غيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦١٤

و السلطان في غيرهم، و أيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» (١). قال: فأسلمت. و كان عدى يقول: مضت اثنتان و بقيت الثالثة، و الله لتكونن. قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، و قد رأيت المرأة تخرج من القادسية على غيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، و أيم الله لتكونن الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

## وفد كندة ٢»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في ثمانين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده، قد رجلوا جمعهم و تكحلوا، عليهم جباب [الحيرة] (٣)، قد كفوها بالحريز، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألم تسلموا؟» قالوا: بلى، قال: «فما بال هذا الحريز في أعناقكم؟»، قال: فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس (٤): يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، و أنت ابن آكل المرار. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، و ربيعة ابن الحارث، و كانا إذا خرجا تاجرنا فضربا في بعض العرب فستلا ممن هما؟ قالوا: نحن آكل المرار، يتعززان بذلك، و ذلك أن كندة كانوا ملوكا». ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا تقفوا أمنا، و لا نتنفى من أبينا» (٥). و قال جندب بن مكيث (٦): لقد

(١) انظر الحديث فى: مجمع الزوائد للهيثمى (٥/ ٣٣٥)، مستدرک الحاکم (٤/ ٥٨١).

(٢) راجع: السيرة (٤/ ٢٠٩ - ٢١٠). المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٨٢)، طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٦٤)، تاريخ الطبرى (٢/ ٦٤).

(٣) ما بين المعقوفتين كذا فى الأصل، و فى السيرة: «الحيرة». و جبب الحيرة: الجبب جمع جب، و هو ضرب من الثياب، و الحيرة: ضرب من برود اليمن.

(٤) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٣٥)، الإصابة الترجمة رقم (٢٠٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (١٨٥)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٥٩)، تهذيب الكمال (١١٩)، خلاصة تذهيب الكمال (٣٩)، العبر (١/ ٤٢، ٤٦)، تاريخ خليفة (١١٦، ١٩٣، ١٩٩).

(٥) انظر الحديث فى: مسند الإمام أحمد (٥/ ٢١١، ٢١٢)، سنن ابن ماجه (٢٦١٢)، التاريخ الصغير للبخارى (١١، ١٢)، التاريخ الكبير للبخارى (٧/ ٢٧٤). مصنف عبد الرزاق (١١/ ٧٤).

(٦) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٤٥)، الإصابة الترجمة رقم (٢٣١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٨٠٧)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٩١)، تقريب التهذيب (١/ ١٧٣)، الثقات (٣/ ٥٧)، الوافى بالوفيات (١١/ ١٩٤)، الجرح و التعديل (٢/ ٢١٠٣).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦١٥

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قدم وفد كندة عليه حلة يمانية يقال: إنها حلة ابن ذى يزن، و على أبى بكر و عمر مثل

ذلك.

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه، و أمر عليه أصحابه بذلك.

### وفد صداء

و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد صداء في سنة ثمان، و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الجعرانة بعث بعوثاً إلى اليمن، و هياً بعثنا استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة، و عقد له لواء أبيض، و رفع له راية سوداء، و عسكر بناحية قنأة في أربعمائه من المسلمين، و أمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم و علم بالجيش، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، جئتكم وافداً على من ورائي، فاردد الجيش و أنا لك بقومي، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد من صدور قنأة، و خرج الصدائي إلى قومه، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه و سلم خمسة عشر رجلاً منهم، فقال سعد ابن عبادة: يا رسول الله، دعهم ينزلوا على، فنزلوا عليه، فحياهم و أكرمهم و كساهم، ثم راح بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام، و قالوا: نحن: لكن على من وراءنا من قومنا، فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع.

ذكر هذا الواقدي عن بعض بنى المصطلق. و ذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي أنه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أردد الجيش، و أنا لك بقومي.

فردهم.

قال: و قدم وفد قومي، عليه، فقال لي: «يا أخا صداء، إنك لمطاع في قومك»، قال:

قلت: بلى من الله عز و جل و من رسوله، و كان زياد هذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره. قال: فاعتشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي سار ليلاً و اعتشينا معه، و كنت رجلاً قويا، قال: فجعل أصحابه يتفرقون عنه، و لزمت عرزه، فلما كان في السحر قال: «أذن يا أخا صداء»، فأذنت على راحتي، ثم سرنا حتى نزلنا، فذهب لحاجته، ثم رجع فقال: «يا

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦١٦

أخا صداء، هل معك ماء؟» قلت: معي شيء في إداوتي. فقال: «هاته» فجيئت به، فقال:

«صب»، فصببت ما في الإداوة في القعب، و جعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء، فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور، ثم قال: «يا أخا صداء، لو لا- اني أستحي من ربي لسقينا و استقيننا»، ثم توضأ، و قال: «أذن في صحابي. من كانت له حاجة بالوضوء فليرد». قال: فوردوا من آخرهم، ثم جاء بلال يقيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أخا صداء قد أذن، و من أذن فهو يقيم»، فأقمت، ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا، و كنت سألته قبل أن يؤمرني على قومي و يكتب لي بذلك كتاباً، ففعل، فلما سلم يريد من صلاته قام رجل يتشكى من عامله، فقال: يا رسول الله، إنه أخذنا بدخول كانت بيننا و بينه في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم، ثم قام رجل فقال: يا رسول الله، أعطني من الصدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب، و لا نبي مرسل، حتى جزأها على ثمانية أجزاء، فإن كانت جزءاً منها أعطيتك، و إن كنت عنها غنياً فإنما هو صداع في الرأس و داء في البطن».

فقلت في نفسي: هاتان خصلتان حين سألت الإمارة و أنا رجل مسلم و سألته من الصدقة و أنا غني عنها، فقلت: يا رسول الله، هذان كتاباك فاقبلهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«و لم؟» قلت: إنني سمعتك تقول: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم و أنا مسلم»، و سمعتك تقول: «من سأل من الصدقة و هو عنها غني فإنما هي صداع في الرأس و داء البطن»، و أنا غني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إن الذي قلت كما قلت لك»، فقتلها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: دلني على رجل من قومك استعمله، فدلته على رجل فاستعمله، قلت: يا رسول الله، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف، فادع الله عز وجل لنا في بئرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناولني سبع حصيات»، فناولته فعر كهن بيده، ثم دفعهن إلي، وقال: «إذا انتهيت إليها فألق فيها حصاةً و سم الله». قال: ففعلت، فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة «١».

\*\*\*

(١) انظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (٣٠٣/٥)، طبقات ابن سعد (١/٢/٦٣)، دلائل النبوة للبيهقي (٥/٣٥٥)، كنز العمال للمتمقى الهندي (٣٧٠٧٥)، مجمع الزوائد للهيثمي (٥/٢٠٣).  
الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦١٧

### وفد غسان «١»

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد غسان.  
قالوا أو من قاله منهم فيما ذكر الواقدي عنهم: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة عشر، ونحن ثلاثة نفر، فلما كنا برأس الثنية لقينا رجلا على فرس متنكب قوسا، فحيانا بتحية الإسلام، فرددنا عليه تحيتنا، فقال: من أنتم؟ قلنا: رهط من غسان، قد قدمنا على محمد نسمع من كلامه و نرتاد لقومنا، قال: فانزلوا حيث ينزل الوفد، قلنا:  
و أين ينزل الوفد؟ قال: دار رملة بنت الحارث، و يقال: الحارث، ثم اتتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه، قلنا: و نقدر عليه كلما أردنا؟ قال: فتبسم، فقال: أي لعمرى، إنه ليطوف بالأسواق و يمشى وحده، و كنا قوما نسمع كلام النصارى و صفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أنه يمشى وحده لا شرطه معه، و يربع من يراه منهم، فقلنا للرجل: من أنت لك الجنة؟  
قال: أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقلنا: أنت فيما يزعم النصارى تقوم بهذا الأمر بعده، قال أبو بكر: الأمر إلى الله عز وجل، ثم قال: كيف تخدعون عن الإسلام و قد خبركم أهل الكتاب بصفته، و أنه آخر الأنبياء؟ قلنا: هو ذاك، فمضى و مضينا نسأل عن دار رملة حتى انتهينا إليها فنصادف وفودا من العرب كلهم مصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقلنا فيما بيننا: أ ترانا شر من نرى من العرب؟ ثم خرجنا حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب المسجد واقفا، فأمدنا ببصره، و قال: «أنتم الغسانيون؟» قلنا: نعم، قال: «قدمتم مرتادين لقومكم فما انتفعتم بعلم من كان معكم من أهل الكتاب». قلنا: يا محمد، لم نر أحدا منهم اتبعك، فوقفنا عنك لذلك، و نحن الآن على غير ما كنا عليه، فإلام تدعو؟ قال:

«أدعو إلى الله وحده لا شريك له، و خلع ما دعى من دونه، و أنى رسول الله». قال قائلهم: فمن معك من اتبعك؟ قال: «الله جل و عز معى و الملائكة: جبريل و ميكائيل، و الأنبياء، و صالح المؤمنين»، ثم التفت و نظر إلى عمر، و لم ير أبا بكر، فقال: «هذا و صاحبه»، قلنا: ابن أبي قحافة؟ قال: «نعم»، قلنا: إنك لتأوى إلى ركن شديد، و قد صدقناك، و شهدنا أن ما جئت به حق، و لا ندرى أ يتبعنا قومنا أم لا، و هم يحبون بقاء ملكهم و قرب قيصر «٢».

ثم أسلموا، و أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز، و انصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم،

(١) راجع: المنتظم لابن الجوزى (٣/٣٨٢)، طبقات ابن سعد (١/٢/٧١)، تاريخ الطبرى (٣/١٣٠).

(٢) انظر الحديث في: تاريخ الطبرى (٣/١٣٠)، طبقات ابن سعد (١/٢/٧١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦١٨

فلم يستجيبوا لهم، و كتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلا ن على الإسلام، و أدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك، فلقى

أبا عبيدة فخبيره بإسلامه، فكان يكرمه.

### وفد سلمان «١»

و ذكر الواقدي أيضا بإسناد له: أن خبيب بن عمرو الساماني كان يحدث قال:

قدمنا وفد سلمان على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و نحن سبعة نفر، فانتبهنا إلى باب المسجد، فصادفنا رسول الله صلى الله عليه و سلم خارجا منه إلى جنازة دعى إليها، فلما رأينا قلنا يا رسول الله، السلام عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و عليكم السلام، من أنتم؟» قلنا: نحن من سلمان، قدمنا عليك لنبايعك على الإسلام، و نحن على من وراءنا من قومنا. فالتفت إلى ثوبان غلامه، فقال: «أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد»، فخرج بنا ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة فيها نخل و فيها وفود من العرب، و إذا هي دار رملة بنت الحارث النجارية، فلما سمعنا أذان الظهر خرجنا إلى الصلاة، فقمنا على باب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى خرج إلى المسجد، فصلى بالناس و هو يتصفحننا، و دخل بيته فلم يلبث أن خرج، فجلس في المسجد بين المنبر و بين بيته، و جلست عليه أصحابه، عن يمينه و عن شماله، فرأيت رجلا هو أقرب القوم منه، يكثر ما يلتفت إليه، و يحدثه. فسألت عنه، فقبل: أبو بكر بن أبي قحافة، و جئنا فجلسنا تجاه وجهه، و جعل الوفد يسألونه عن شرائع الإسلام، فلم يكدهم سائلهم يقطع حتى خشيت أن يقوم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: إنا نريد ما نريد، فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أسكت السائل، فقلت: أي رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال:

«الصلاة في وقتها»، ثم ذكر حديثا طويلا.

قال: ثم جاء بلال، فأقام الصلاة، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم، فصلى بالناس العصر، فكانت صلاة العصر أخف في القيام من الظهر، ثم دخل بيته، فلم ينشب أن يخرج فجلس في مجلسه الأول، و جلس معه أصحابه، و جئنا فجلسنا، فلما رأني قال: «يا أبا سلمان»، قلت: لبيك، قال: «كيف البلاد عندكم؟» قلت: أي رسول الله، مجدبة، و ما لنا خير من البلاد، فادع الله أن يسقينا في بلادنا، فنقر في أوطاننا و لا نسير إلى بلاد غيرنا، فإن النجع تفرق الجميع و تشتت الديار. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده: «اللهم اسقهم الغيث في

(١) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٨٠-٣٨١).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦١٩

ديارهم»، فقلت: يا رسول الله، ارفع يديك، فإنه أكثر و أطيب، فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام و قمنا عنه، فأقمنا ثلاثا و ضيافته تجرى علينا، ثم ودعنا، و أمر لنا بجوائز، فأعطينا خمس أواق، لكل رجل منا، و اعتذر إلينا بلال، و قال: ليس عندنا مال اليوم، فقلنا: ما أكثر هذا و أطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم في تلك الساعة «١».

قال الواقدي: و كان مقدمهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم في شوال سنة عشر.

### وفد بني عبيس

قال: و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد بني عبيس، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، و لنا أموال و مواش، و هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا، بعناها و هاجرنا من آخرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا»، و سألهم رسول الله صلى الله عليه و سلم عن



خالد بن سنان، هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له، كانت له ابنة فانقرضت، و أنشأ رسول الله صلى الله عليه و سلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان، فقال: «نبي ضيعه قومه» «٢».

### وفد الأزد و وفد جرش «٣»

قال ابن إسحاق «٤»: و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم صرد بن عبد الله الأزدى، فأسلم، و حسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمره رسول الله صلى الله عليه و سلم على من أسلم من قومه. و أمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزل بجرش، و هي يومئذ مدينة مغلقة، و بها قبائل من قبائل اليمن، و قد ضوت إليها خثعم، فدخلوها معهم حين

(١) انظر الحديث في: طبقات ابن سعد (١/ ٢ / ٦٧).

(٢) انظر الحديث في: طبقات ابن سعد (١/ ٢ / ٤٢).

(٣) راجع: المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٨١)، طبقات ابن سعد (١/ ٢ / ٧١)، تاريخ الطبرى (٣/ ١٣٠)، البداية و النهاية (٥/ ٨٤).

(٤) انظر: السيرة (٤/ ٢١١ - ٢١٢).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٢٠

سمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، و امتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلا، حتى إذا كان إلى جبل يقال له: شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما، فخرجوا فى طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلا شديدا.

و قد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة يرتادان و ينظران؛ فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بأى بلاد الله شكر؟» فقال الجرشيان: ببلادنا جبل يقال له: كشر و كذلك يسميه أهل جرش فقال:

«إنه ليس بكشر، و لكنه شكر»، قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن»، فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: و يحكما! إن رسول الله صلى الله عليه و سلم الآن لينعى لكما قومكما، فقوموا فاسألاه أن يدعو الله ان يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فاسألاه عن ذلك، فقال: «اللهم ارفع عنهم»، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم راجعين إلى قومهما، فوجدوا قومهما أصابهم صرد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قال: و فى الساعة التى ذكر فيها ذكر «١».

فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلموا، و حمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس و الراحلة و للميرة، بقره الحرث، فمن رعاه من الناس فماله سحت.

فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد، و كانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية، و كانوا يعدون فى الشهر الحرام «٢»:

يا غزوة ما غزونا غير خائبة فيها البغال و فيها الخيل و الحمير

حتى أتينا حميرا فى مصانعها و جمع خثعم قد شاعت لها النذر

إذا وضعت غليلا كنت أحمله فما أبالى أدانوا بعد أم كفروا



## وفد غامد

قال الواقدي: و قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد غامد سنة عشر، و هم عشرة، فنزلوا في

(١) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٧٢، ٣٧٣)، البداية و النهاية لابن كثير (٥/ ٧٤، ٧٥).

(٢) انظر الأبيات في: السيرة (٤/ ٢١٢).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢١

بقيع الغرقد، و هو يومئذ أثل و طرفاء، ثم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و خلفوا في رحلهم أحدثهم سنا، فنام عنه، و أتى سارق فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له، و انتهى القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه و أقروا له بالإسلام، و كتب لهم كتابا فيه شرائع الإسلام، و قال لهم: «من خلفتم في رحالكم؟» قالوا: أحدثنا يا رسول الله، قال: «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم»، فقال أحد القوم: يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أخذت، و ردت إلى موضعها» فخرج القوم سراعا حتى أتوا رحلهم، فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: فرغت من نومي ففقدت العيبة، فقمتم في طلبها، فإذا رجل قد كان قاعدا، فلما رأني ثار يعدو مني، فانتهيت إلى حيث انتهى، فإذا أثر حفرة، و إذا هو قد غيب العيبة، فاستخرجتها، فقالوا: نشهد أنه رسول الله، فإنه قد أخبرنا بأخذها، و أنها قد ردت، فرجعوا إلى النبي فأخبروه، و جاء الغلام الذي خلفوه فأسلم.

و أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب «١»، فعلمهم قرآنا، و أجازهم صلى الله عليه وسلم كما كان يجيز الوفود، و انصرفوا.

## وفد بني الحارث بن كعب «٢»

قال ابن إسحاق «٣»: و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، و أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا فأقبل منهم، و إن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد بن الوليد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، و يدعون إلى الإسلام، و يقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا، فأسلم الناس، و دخلوا فيما دعوا إليه،

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٦)، الإصابة الترجمة رقم (٣٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٤)، طبقات خليفة (٨٨، ٨٩)،

تاريخ خليفة (١٦٧)، الجرح و التعديل (٢/ ٢٩٠)، حلية الأولياء (١/ ٢٥٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٢، ٣٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٨٧)،

تهذيب الكمال (٧٠)، خلاصة تذهيب الكمال (٢٤)، طبقات القراء (١/ ٣١)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦)، العبر (١/ ٢٣)، الاستبصار (٤٨).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠)، طبقات ابن سعد (١/ ٧٢)، تاريخ الطبري (٣/ ١٢٦)، البداية و النهاية (٥/ ٨٨).

(٣) انظر: السيرة (٤/ ٢١٥ - ٢١٧).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢٢

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام و كتاب الله و سنة نبيه، و بذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا و لم يقاتلوا. ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو: أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، و أمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، و أن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم، و علمتهم معالم

الإسلام و كتاب الله و سنة نبيه، و إن لم يسلموا قاتلهم، و إنى قدمت عليهم، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعثت فيهم ركبانا، فقالوا: يا بنى الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا و لم يقاتلوا، و أنا مقيم بين أظهرهم، أمرهم بما أمرهم الله به، و أنهاهم عن ما نهاهم الله عنه، و أعلمهم معالم الإسلام و سنة النبي صلى الله عليه و سلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته.

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي، رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، و أجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، و شهدوا أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أن قد هداهم الله بهداه فبشرهم و أنذرهم و أقبل و ليقبل معك و فدهم، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحصين «١» ذو الغصه، و يزيد بن عبد المدان «٢»، و يزيد بن المحجل، و عبد الله بن قراد الزيدى «٣»، و شداد بن عبد الله القناني «٤»، و عمرو بن عبد الله الضبابي «٥»، فلما قدموا

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢١٥٢)، الإصابة الترجمة رقم (٧١٧٥)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٣٤٠)، تجريد أسماء الصحابة (١٩/٢)، الثقات (٣/٣٤١)، الطبقات الكبرى (١/٢٦٨، ٣٣٩)، الجرح و التعديل (٧/٩٥).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٨١٦)، الإصابة الترجمة رقم (٩٣٠٩)، أسد الغابة الترجمة رقم (٥٥٨٦).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٦٥٣) و فيه: «عبد الله بن قريط الزيدى»، الإصابة الترجمة رقم (٤٩١١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣١٢٩).

(٤) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١١٦٥)، الإصابة الترجمة رقم (٣٨٧٣)، أسد الغابة الترجمة رقم (٢٣٩٧).

(٥) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (١٩٥٥)، الإصابة الترجمة رقم (٥٩١١)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٩٧٨).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢٣

على رسول الله صلى الله عليه و سلم فرأهم قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» يعنى فى الطول و السمرة قيل: يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب، فلما وقفوا عليه سلموا، و قالوا: نشهد أنك لرسول الله، و أنه لا إله إلا الله؛ قال: «و أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله»، ثم قال: «أنتم الذين إذا زجروا استقدموا»، فسكتوا، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرات، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لو أن خالدا لم يكتب إلى بأنكم أسلمتم و لم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم». فقال يزيد بن عبد المدان: أما و الله ما حمدناك و لا حمدنا خالدا، قال: «فمن حمدتم؟» قالوا: حمدنا الله الذى هدانا بك يا رسول الله، قال: «صدقتم»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية؟» قالوا: لم نك تغلب أحدا؛ قال: «بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله، إنا كنا نجتمع و لا نفترق و لا نبدأ أحدا بظلم؛ قال: «صدقتم». و أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين «١».

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقیة شوال أو فى صدر ذى القعدة، فلم يمکتوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث إليهم بعد أن ولى و فدهم عمرو بن حزم «٢»، ليفقههم فى الدين، و يعلمهم السنة و معالم الإسلام، و يأخذ منهم صدقاتهم، و كتب لهم كتابا

(١) انظر الحديث فى: دلائل النبوة للبيهقى (٥/ ٤١١، ٤١٢)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (١٩٢٩)، الإصابة الترجمة رقم (٥٨٢٦)، أسد الغابة الترجمة رقم (٣٩٠٥)، نسب قريش (٢٣٣)، طبقات خليفه (٢٠)، التاريخ الكبير (٦/ ٣٠٥)، تاريخ الثقات للعجلي (٣٦٣)، المعرفة و التاريخ (١/ ٣٢٣)، أنساب الأشراف (١/ ٢٢٨)، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (٢٨٦)، مروج الذهب (١٨٩٦)، الجرح و التعديل (٦/ ٢٢٦)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٧)، العقد الثمين (٦/ ٣٦٨)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٦٧)، تذهيب التهذيب (٢٤٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ٤٩٢)، شذرات الذهب (١/ ٩٥).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٢٤

عهد إليه فيه عهده، و أمره فيه أمره:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله و رسوله، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: ١]، عهد من محمد النبى رسول الله، صلى الله عليه و سلم لعمر و بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله فى أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا. و الذين هم محسنون، و أمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، و أن يبشر الناس بالخير، و يأمرهم به، و يعلم الناس القرآن و يفقههم فيه، و ينهى الناس، فلا يمس القرآن إنسان إلا و هو طاهر، و يخبر الناس بالذى لهم، و الذى عليهم، و يلين للناس فى الحق، و يشتد عليهم فى الظلم، فإن الله كره الظلم و نهى عنه، فقال: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، و يبشر الناس بالجنة و بعملها، و ينذر الناس النار و عملها، و يتألف الناس حتى يفقهوا فى الدين، و يعلم الناس معالم الحج و سننه و فرائضه، و ما أمر الله به، و الحج الأكبر، و الحج الأصغر هو العمرة و ينهى الناس أن يصلوا أحد فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه، و ينهى أن يجتنبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء، و ينهى أن لا يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه، و ينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل و العشائر، و لتكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له. فمن لم يدع إلى الله، و دعا إلى القبائل و العشائر فليقطفوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، و يأمر الناس بإسباغ الوضوء و جوههم و أيديهم إلى المرافق و أرجلهم إلى الكعيبين، و يمسحوا برءوسهم كما أمرهم الله، و أمر بالصلاة لوقتها و إتمام الركوع و السجود يغلس بالصبح، و يهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، و صلاة العصر و الشمس فى الأرض مدبرة، و المغرب حين يقبل الليل، لا تؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء، و العشاء أول الليل، و أمره بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها، و الغسل عند الرواح إليها، و أمره أن يأخذ من المغنم خمس الله، و ما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت السماء و سقت العين، و على ما سقى الغرب نصف العشر، و فى كل عشر من الإبل شاتان، و فى كل عشرين أربع شاة، و فى كل أربعين من البقر بقرة، و فى كل ثلاثين من البقر تبع جذع أو جذعة، و فى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، و إنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه، و دان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، و عليه مثل ما عليهم، و من كان على نصرانيتها أو يهوديته فإنه لا يرد عنها أى لا يفتن و على كل حال: ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار و اف أو عوضه ثيابا.

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٢٥

فمن أدى ذلك، فإن له ذمة الله و ذمة رسوله و من منع ذلك، فإنه عدو لله و لرسوله و للمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد، و السلام عليه و رحمه الله و بركاته» (١).

## وفد بنى حنيفة «٢»

و قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد بنى حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

قال ابن إسحاق «٣»: فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة: أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه و سلم تستره بالثياب، و رسول الله جالس في أصحابه، معه عسيب من سعف النخل، في رأسه خوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم يسترونه بالثياب، كلمه و سأله، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه» «٤».

قال: و قد حدثني شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا.

زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و خلفوا مسيلمه في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا أو في ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله صلى الله عليه و سلم بمثل ما أمر به للقوم، و قال: «أما إنه ليس بشركم مكانا» أي لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم «٥».

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و جاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله و تنبأ و تكذب لهم، و قال: إني قد أشركت في الأمر معه، و قال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكروني له: «أما إنه ليس بشركم مكانا»؟ ما ذاك إلا- لما كان يعلم إني قد أشركت في الأمر معه؛ ثم جعل يسجع لهم، و يقول فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الجبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، و أحل لهم الخمر و الزنا، و وضع عنهم الصلاة، و هو مع ذلك يشهد لرسول الله

(١) انظر الحديث في: سنن النسائي (٨/ ٤٨٦٨)، مستدرک الحاكم (١/ ٣٩٧)، السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٧٣، ١٠٠).

(٢) راجع: المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٣٨٢)، البداية و النهاية لابن كثير (٥/ ٤٥)، تاريخ الطبرى (٣/ ١٣٧).

(٣) انظر: السيرة (٤/ ٢٠١-٢٠٣).

(٤) انظر الحديث في: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٥٠)، صحيح البخارى (٧/ ٤٣٧٣).

(٥) انظر الحديث في: فتح البارى لابن حجر (٧/ ٦٩١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣١٧).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٢٦.

صلى الله عليه و سلم بأنه نبي، فأصفت معه حنيفة على ذلك. فالله أعلم أى ذلك كان «١».

و ذكر الواقدي إنه قدم في وفد بنى حنيفة الرحال بن عنقوة، و أنه كان أيام مقام الوفد يختلف إلى أبى كعب، يتعلم القرآن و شرائع الإسلام، حتى كان الرحال عندهم أفضل من كان وفد عليهم لما يرون من حرصه، فلما تنبأ مسيلمه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم له الرحال بن عنقوة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أشركه في الأمر، فافتتن الناس.

## وفد همدان

قال ابن هشام «٢»: و قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه و سلم فيهم مالك بن نمط، و أبو ثور، و هو ذو المشعار، و مالك بن أيفع، و ضمام بن مالك السلماني، و عميرة ابن مالك الخارقي، فلقوا رسول الله صلى الله عليه و سلم مرجعه من تبوك، و عليهم مقطعات الحبرات، و العمائم العدينية، برحال الميس على المهريه و الأرحبية، و مالك بن نمط و رجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدان خير سوقه و أقيال ليس لها في العالمين أمثال «٣»

محلها الهضب و منها الأبطال لها إطابات و آكال «٤» و يقول الآخر:

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف و الخريف

مخظمات بحبال الليف «٥»

فقام مالك بن نمط «٦» بين يديه، ثم قال: يا رسول الله، نصيئة من همدان، من كل حاضر و باد، أتوك على قلس نواج، متصله بجبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف، و يام و شاكرا، أهل السواد و القود، أجاوا دعوة الرسول

(١) انظر: السيرة (٢٠٢ / ٤).

(٢) انظر: السيرة (٢٢٠ / ٤).

(٣) السوقة: الذين دون الملوكة من الناس، الأقيال: هم الذين يلون الملك في المنزلة.

(٤) الهضب: الأمكنة المرتفعة، واحدها هضبة. الأطابات: الأموال الطيبة.

(٥) انظر الأبيات في: السيرة (٢٠٢ / ٤).

(٦) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٢٣٨)، الإصابة الترجمة رقم (٧٧١٠)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٦٥١).

الاكتفاء، الكلاعى، ج ١، ص: ٦٢٧

و فارقوا آلهات الأنصاب، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع، و ما جرى اليعفور بصلع.

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كتابا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من رسول الله لمخلاف خارف، و أهل جناب الهضب، و خفاف الرمل، مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط، و من أسلم من قومه، على أن لهم فراعها و وهاطها، ما أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة، يأكلون علافها، و يرعون عافيا، لهم بذلك عهد الله و ذمام رسوله، و شاهدهم المهاجرون و الأنصار» «١».

فقال في ذلك مالك بن نمط «٢»:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى و نحن بأعلى رحرحان و صلدد

و هن بنا خوض طلائع تغتلى بركبائها فى لا حب متمد

على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مرا لهجف الخفيد

حلفت برب الراقصات إلى منى صوادى بالركبان من ظهر قردد

بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذى العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد

و أعطى إذا ما طالب العرف جاءه و أمضى بحد المشرفى المهند

## وفد النخع

قال الواقدى: و قدم على رسول الله وفد النخع، و هم آخر وفد، قدموا للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة من الهجرة، فى مائتى رجل، فتزلوا دار الأضياف، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه و سلم مقرين بالإسلام، و قد كانوا بايعوا معاذ ابن جبل باليمن. فقال رجل منهم، يقال له زرارة بن عمرو «٣»: يا رسول الله إنى رأيت فى سفري هذا عجا، قال:

«و ما رأيت»؟ قال: رأيت أانا تركتها فى الحى كأنها ولدت جديا أسفع أحوى، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «هل تركت أمة لك مصره على حمل»؟ قال: نعم، قال: «فإنها قد

(١) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (٥١ / ٥)، ابن حجر فى الإصابة (٣٦ / ٦).

(٢) انظر الأبيات فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٢٣٢٨)، الإصابة الترجمة رقم (٧٧١٠)، أسد الغابة الترجمة رقم (٤٦٥١)، السيرة (٢٠٢ / ٤).

(٢٢٢ - ٢٢٢٢).

(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب الترجمة رقم (٨١٤)، الإصابة الترجمة رقم (٢٨٠٢)، أسد الغابة الترجمة رقم (٧٣٩)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٨٩)، الثقات (٣/ ١٤٣)، الوافي بالوفيات (١٤/ ١٩٢)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٧٢٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢٨

ولدت غلاما و هو ابنك»، قال: يا رسول الله، فما باله أسفح أحوى؟ قال: «ادن منى».

فدنا منه، فقال: «هل بك من برص تكتمه؟» قال: والذى بعثك بالحق، ما علم به أحد، ولا اطع عليه غيرك. قال: «فهو ذلك». قال: يا رسول الله و رأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان و دملجان و مسكتان. قال: «ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه و بهجته». قال: يا رسول الله، و رأيت عجوزا شمطاء، خرجت من الأرض. قال: «تلك بقية الدنيا». قال: و رأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني و بين ابن لى يقال له:

عمرو، و هى تقول: لظى لظى، بصير و أعمى، أطعمونى آكلكم (آكلكم): أهلکم و مالکم. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تلك فتنة تكون فى آخر الزمان». قال: يا رسول الله، و ما الفتنة؟ قال: «يقتل الناس إمامهم، و يشتجرون اشتجار أطباق الرأس و خالف رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أصابعه يحسب المسىء فيها أنه محسن، و يكون دم المؤمن أحل من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، و إن مت أنت أدركها ابنك».

قال: يا رسول الله، ادع الله أن لا أدركها. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم لا يدركها». فمات و بقى ابنه، و كان ممن خلع عثمان (١).

و هذا الذى تيسر لنا ذكره من شأن الوفود، و هم أكثر من هذا، و معظم من ذكرنا إنما هو من كتاب الواقدي مع من ذكره ابن إسحاق منهم.

انتهى الجزء الأول و يليه الجزء الثانى

و أوله «بعث رسول الله إلى الملوك و كتابه إليهم»

(١) انظر الحديث فى: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٨٨)، الاستيعاب الترجمة رقم (٨١٤).

الاكتفاء، الكلاعي، ج ١، ص: ٦٢٩

## فهرس محتويات الجزء الأول

مقدمة التحقيق أ

مقدمة المصنف ٣

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم تسليما ٧

ذكر أولية بيت الله المحرم و ركنه المستلم و من تولى بناءه من ملائكته و أنبيائه صلى الله على جميعهم و سلم ٣٠

ذكر دخول الحبشة أرض اليمن و استيلائهم على ملكها و ذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل ٨٣

ذكر حفر عبد المطلب زمزم و ما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠٠

ذكر بنى قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك ١٣٠

ذكر ما حفظ عن الأحبار و الرهبان و الكهان من أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شىء

مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هتفت به الهواتف ١٣٥

ذكر المبعث ١٦٣

- ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ١٨٥
- ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة ١٩٦
- ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب ٢٠٥
- ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٣٣
- ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بعد مهلك عمه أبى طالب ٢٤٦
- ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب ٢٤٩
- بدء إسلام الأنصار و ذكر العقبة الأولى ٢٥٨
- إسلام سعد بن معاذ و أسيد بن حضير على يدى مصعب بن عمير رضى الله عنه ٢٦١
- ذكر العقبة الثانية ٢٦٤
- بدء الهجرة إلى المدينة ٢٧٢
- ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٨١
- و أبى بكر الصديق رضى الله عنه مهاجرين إلى المدينة ٢٨١
- شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب المشركين و ذكر مغازيه التى أعز الله بها الإيمان و المؤمنين ٣١٧
- غزوة بدر الكبرى ٣٢٤
- أمر بنى قينقاع ٣٦٥
- سرية زيد بن حارثة ٣٦٦
- مقتل كعب بن الأشرف ٣٦٧
- غزوة أحد ٣٧٠
- غدر عضل و القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٠٤
- غزوة بئر معونة ٤٠٨
- ذكر غزوة بنى النضير و السبب الذى هاج الخروج إليهم ٤١٠
- غزوة ذات الرقاع ٤١٤
- الاكتفاء، الكلاعى، ج١، ص: ٦٣٠
- غزوة الخندق ٤١٩
- مقتل سلام بن أبى الحقيق ٤٤٤
- ذكر إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد رضى الله عنهما ٤٤٦
- غزوة بنى لحيان ٤٤٨
- غارة عيينة بن حصن على سرح المدينة و خروج النبي صلى الله عليه وسلم فى أثره، و هى غزوة ذى قرد ٤٤٩
- غزوة بنى المصطلق و هى غزوة المريسيع ٤٥٤
- غزوة الحديبية ٤٦٤
- غزوة خيبر ٤٧٧
- عمرة القضاء ٤٩٠
- و هى غزوة الأمان ٤٩٠



غزوة مؤتة من أرض الشام ٤٩٢

غزوة الفتح ٤٩٨

غزوة حنين ٥١٨

غزوة الطائف ٥٣١

غزوة تبوك ٥٤٧

ذكر إسلام ثقيف ٥٦١

ذكر حج أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس سنة تسع و توجيه رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبى طالب بعده بسورة براءة

٥٦٨

السرايا ٥٦٩

ذكر الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم ملخصا من كتاب ابن إسحاق و الواقدي و غيرهما ٥٨٩

وفد بنى تميم ٥٩٠

وفد بنى عامر ٥٩٣

وفد تجيب ٥٩٥

وفد فروة بن مسيك المرادى ٥٩٦

وفد زبيد عمرو بن معدى كرب ٥٩٨

وفد بنى ثعلبة ٥٩٩

وفد بنى سعد هذيم ٦٠٠

وفد بنى فزارة ٦٠١

وفد بنى أسد ٦٠٢

وفد بهراء ٦٠٣

وفد بنى غدره ٦٠٣

وفد بلى ٦٠٤

ضمام بن ثعلبة ٦٠٥

وفد عبد القيس ٦٠٧

وفد بنى مرة ٦٠٨

وفد خولان ٦٠٩

وفد محارب ٦١٠

وفد طيء ٦١١

وفد كنده ٦١٤

وفد صداء ٦١٥

وفد غسان ٦١٧

وفد سلامان ٦١٨

وفد بنى عبس ٦١٩

وفد الأزدي و وفد جرش ٦١٩

وفد غامد ٦٢٠

وفد بنى الحارث بن كعب ٦٢١

وفد بنى حنيفه ٦٢٥

وفد همدان ٦٢٦

وفد النخع ٦٢٧

الفهرس ٦٢٩

الاكتفاء، الكلاعى، ج ٢، ص: ٣

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).  
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ  
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ  
الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايزة هذه  
المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و  
بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠  
الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.  
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)  
تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب  
الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقكين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و  
عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - فى المحاميل  
(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيته واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت  
-عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم  
الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...  
- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -  
فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.  
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كمشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فائى/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)  
[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)  
[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)  
[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

